



الجزيرة

مجلة
فصلية علمية
دينية سياسية
تعنى بشؤون حوزتي
النجف الأشرف
وقم المقدسة

تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية



دعوة للكتاب

تود هيئة تحرير مجلة الحوزة ان ترحب بالأخوة والأخوات الباحثين والمتخصصين في الدراسات الدينية الحوزوية والذين يرغبون بنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية والاكاديمية في مجلة الحوزة وفق المعايير التالية:

❖ أن تتناول البحوث والدراسات الشؤون الحوزوية المعاصرة وكل ما له علاقة بتطوير الحوزة والدفاع عنها وعكس صورتها المثلى

❖ تعتمد المجلة الأساليب العملية الراهنة في الكتابة والتوثيق والحيادية والموضوعية والدقة والإشارة إلى المصادر حسب القواعد العلمية المتعارف عليها .

❖ أن لا تكون البحوث قد نشرت في مجلات أخرى

❖ تقدم البحوث إلى المجلة مطبوعة وعلى (CD) مع موجز خالي من الأخطاء الطباعية.

❖ تخضع البحوث والدراسات إلى التحكيم العلمي المتعارف عليه أكاديميا ولا تعاد البحوث إلى أصحابها في حالة الاعتذار عن نشرها

❖ تنشر البحوث والدراسات وفق خطة هيئة التحرير والنشر

مجلة
علمية
فصلية

الحوزة

تصدر عن مركز الكندي للدراسات الحوزوية

العدد الثلاثون / السنة السابعة / ١٤٤٢هـ

المشرف العام

السيد قاسم هاشم مولى

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

هيئة التحرير

حيدر النجار

إبراهيم الأسدي

التصميم والإشراف الفني

أحمد الهاشمي

أحمد الهاشمي

info@markazalhuda.net

www.markazalhuda.net

لا تمثل بالضرورة آراء الباحثين والكتاب رأي مجلة الحوزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

الإمام الخامنئي (دام ظلّه) :

"إهانة المجلّة الفرنسيّة للرّسول الأعظم ترمي إلى حرف الأذهان
عن مخططات أمريكا والكيان الصهيوني لغرب آسيا
فلتحافظ الشعوب المسلمة على وعيها"

كلمة التحرير

❖ الصراع المستقبلي في العراق طبيعته وآثاره ... تأثيرات الانتخابات القادمة فيه
محمد صادق الهاشمي ٧

في فكر أعلام الحوزة

❖ أهداف النهضة الحسينية

محاضرات الإمام الخامنئي ١٤

❖ الحكمة القيادية للمرجعية ... الإمام السيستاني أنموذجا

أ. م. حيدر محمد هناء الشلاه ٣١

❖ خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ... في فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر عليه السلام

د. منصور مير محمدي ٥٢

❖ حركة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لمواجهة الحكم الطائفي

حسين جلوب الساعدي ٦٦

المحور الحسيني

❖ الدراسة الواعية للنهضة الحسينية

د. الشيخ علي حمود العبادي ٩٢

❖ المنظومة القيمية والأخلاقية في النهضة الحسينية

م. م. سنان سعيد جاسم ١٠٧

❖ النهضة الحسينية بين انتكاسة الأمة وإيقاظها

د. السيد حاتم البخاتي ١٣٧

❖ تغييب القيم وانتهاكها في سياسات الحكم الأموي

د . السيد خالد سيساوي ١٦١.....

❖ عمق النهضة الحسينية وملامحها في عصر ما قبل النهضة

د . الشيخ عبد المجيد فرج الله ١٨٤.....

❖ محاربة الأنظمة المستبدة للشعائر الحسينية عبر التاريخ ...

محمد الدومي ٢٠٨.....

دراسات فكرية وثقافية

❖ الاستراتيجيات والسياسات العامة لمكافحة الفساد في العراق بعد عام ٢٠٠٣

أ . م . د اسراء علاء الدين نوري / حسين علي مكطوف ٢٢٧.....

❖ الملامح التاريخية عن الامن الفكري في التراث الاسلامي

م . د . د . رغد جمال مناف / خمائل شاكر غانم ٢٦١.....

❖ التطرف وأثره في الحركة التجديدية في الإسلام

أ . د ابراهيم طه حمودي ٢٧١.....

❖ المعطيات الحضارية لعالمية الاسلام ودورها في ارساء قيم التعايش السلمي

محمود محمد عبيد الجبوري ٣١٠.....

❖ تأثير وسائل الأعلام الغربي على الأبناء تحت الظرف الراهن ...

د . حيدر علي حسين / م . م . خديجة حسين القرغولي ٣٢٩.....

في رحاب أهل البيت

❖ اشارات التكافل الاجتماعي في وصية الامام علي عليه السلام

السيد ضياء فليح حسن الحيدري ٣٤٧.....

❖ المنهج الرسالي للإمام الحسن العسكري عليه السلام

أ . حمدية صالح الجبوري ٣٧٥.....

من أعلام الشيعة

❖ السيد محسن الحكيم عليه السلام

هيئة التحرير ٣٩٧.....



الإمام الخامنئي دام ظلته :

إهانة المجلة الفرنسية للرسول الأعظم ترمي إلى حرف الأذهان عن مخططات أمريكا والكيان الصهيوني لغرب آسيا/ فلتحافظ الشعوب المسلمة على وعيها

جاء نص بيان الإمام الخامنئي كما يلي :

بسمه تعالى

إن الخطيئة الكبرى ، والتي لا تتعذر ، لإحدى المجالات الفرنسية في إهانة الوجه المشرق
والمقدس للرسول الأعظم ﷺ ، تكشف مرة أخرى عن عناد وحقد محفوفين بالشر تضمرانه الأجهزة
السياسية والثقافية في العالم الغربي تجاه الإسلام والمجتمعات الإسلامية . إن ذريعة حرب الزأي
التي صرح بها المسؤولون الفرنسيون من أجل عدم إدانة هذه الجريمة الكبرى مرفوضةً بالكامل

وخاطئة ومخادعة للرأي العام . إن السياسات المعادية للإسلام من قبل الصهباينة والحكومات المتغترسة تقف خلف مثل هذه التحركات العدائية ، والتي تتكرّر بين الفينة والأخرى . قد يكون هدف هذه الخطوة في هذه الفترة حرف أذهان الشعوب والحكومات في غرب آسيا عن المخططات القذرة التي ترسمها أمريكا والكيان الصهيوني لهذه المنطقة . يجب على الشعوب المسلمة وخاصة في بلدان غرب آسيا ، ألا تنسى أبداً عداء السياسيين والقادة الغربيين للإسلام والمسلمين ، مع الحفاظ على اليقظة في قضايا هذه المنطقة الحساسة .

والله غالبٌ على أمره

السيد عليّ الخامنئي

٨/٩/٢٠٢٠

كلمة التحرير

محمد صادق الهاشمي

المشرف العام لمركز الهدى للدراسات الحوزوية

الصراع المستقبلي في العراق طبيعته . آثاره تأثيرات الانتخابات القادمة فيه

المقدمة :

في هذه الخلاصة البحثية نحاول ان نستشرف افاق ومستقبل وطبيعة الصراع في العراق مع
تليسيط الضوء على نقاط القوة والضعف ونقاط الخلاف وغير هذا من الاتار

اهداف الملخص :

اعطاء صورة عن مستقبل الصراع السياسي الداخلي والخارجي في العراق وعى ضوئها يمكن ان
تحدد القوى الاسلامية رويتها وطبيعة عملها بعد معرفة نوع التحديات التي تواجهها .

يؤديه العراق مستقبلا و نجد ان الصراع سوف يكون بين محورين هما : المحور الاسلامي والمحور الصهيوني اما الصين والروس فهم يحاولون ان لايدخلوا الصراع بنحو مباشر وان كانوا هم الجزء الاساس منه ويحاولون ان يكونوا اول الدول الستفيدة منه الا انهم يفرقون بين طبيعة الصراع القائم في المنطقة وبين الحصول على نتائج دون التدخل المباشر الا بقدر الحاجة

ونعتقد جازمين ان الصراع بقاء على اعلى مراحل منذ ان وضعت روسيا قدميها في البحر المتوسط ومنذ ان اخفق الامريكان في سوريا واليمن كما ان اسقاط حكومة عبد المهدي سوف يشكل مابعد خريطة نحو عراق تتصارع فيه ارادت القطبين الاسلامي والصهيوني بدرجة الزوايا حادة

ثانيا / كيف ينظر العالم الى العراق ؟

١ / العراق له موقع مهم كونه يربط بينه وبين الخليج ، وبينه وبين اسيا والبحر المتوسط وان التجارة الدولية مستقبلا كلها تمر عبر العراق من الصين واسيا الى ايران ومرورا بالعراق الى البحر المتوسط وهذا الامر يجعل العراق نقطة مهمة في الحركة التجارية العالمية

منهجية البحث :

يجمع البحث بين التحليل وبين الاستفادة من رصد التصريحات والمواقف والخطوات لكل الدول المحيطة بالعراق اقليميا ودوليا وبموجبه يتم تحديد موقف القوى الاسلامية من الان .

الملخصات البحثية :

اولا : تقسيمات الدول التي تحاول ان يكون لها الدور الفاعل في العراق

ذه الدول يمكن تقسيمها على النحو التالي :

١- المحور المعادي : وهم امريكا ونوعا ما الخليج وبعض اجزاء اوربا واسرائيل .

٢- المحور الاسلامي : يتمثل بايران وحدها .

٣- المحور الحيادي الاستثماري : وهي الصين وروسيا .

٤- يمكن حساب تركيا على المحور الاول وان عملت بمفردها .

بحكم التقسيم اعلاه نجد ان هذه الدول التي تنظر الى العراق بنظرة استراتيجية وتوسس لوجود وعلاقات مستقبلية معه ومن الان وفق مصالحها ووفق رويتها الى مستقبل الدور الذي

مستقبلا وان زحف الكويت على الموانئ العراقية محسوب بدقة وفق هذه الاسس المستقبلية .

٢ / العراق يمتلك النفط والغاز والثروات المهمة والتي تقدر بانها ١١% من بترول العالم كما ان العراق فيه خزين مهم من الغاز ومن المعلوم ان نقطة ارتكاز النفط في الجنوب التي هي مدن الشيعة كما ان المنفذ البحري الوحيد للعراق يقع في المدن الشيعية .

٣ / شيعة العراق تمكنوا ان يستلموا او يشاركوا في الحكم وبهذا يكون شيعة العراق هم المكون الاول الذي تمكن ان يقيم دولة شيعية في العالم العربي ويثبت حقوقه بينما شيعة المنطقة في العالم العربي لم يتمكنوا ان يحققوا وجودهم السياسي الى الان وهنا يمكن الصراع وتكمن ادوات التطبيع والتاثير والصراع بين المحاور بين قوة تريد من شيعة العراق ان يكونوا جزء من محور عربي قريب من تطلعات الغرب والخليج وتقاربهم مع الخط الاسرائيلي وبين خط يريد ان يجعل شيعة العرلق ضمن المحور الاسلامي المقاوم .

٤ / العراق حلقة مهمة في ربط خط المقاومة من ايران الى سوريا ولبنان وهذا الامر خطر ومحل اهتمام لاسرائيل فان خط المقاومة الذي ينطلق من طهران الى سورية ولبنان يمر عبر

العراق يشكل تهديد مباشر لامن اسرائيل كما ان العراق الان يمتلك ذراع مقاوم وفعال وقادر على لعب دور مهم ايضا ان خط المقاومة من ايران الى العراق ولبنان وسورية يقلب التوازن في الخليج لصالح الشيعة من هنا يعمل المحور المعادي على ان يجيد شيعة العراق او يعزلهم عن ايران او يخلق بينهم فجوات وفتحات ويمنع تكاملهم الاقتصادي والعقائدي والروحي والامن .

٥ / العراق تغيرت ثقافة شعبة من امة « راکدة » الى امة « رائدة » . اي ان الشيعة في العراق كونهم عرب يمكن ان يكونوا عامل نهضة للشيعة العرب في الخليج وفي العالم العربي خصوصا مع الخليج الذي يمثل فيه الشيعة مكون مهم وعدد كبير ويشهد ثورات في اليمن والبحرين وفي باقي المناطق .

٦ / العراق مازالت مرجعيته تحتضن خط الجهاد والحشد الشعبي ولن تتخلى عنه على الرغم من الاختلافات في التفاصيل وهذا الحشد يشكل حامي للعراق ولعلميته السياسية وان امريكا تدرك ان عقيدة الحشد في الغالب هي ثقافة ولاية الفقيه وثقافة المقاومة وهذا الخط الثوري يوتر في انتماء العراق لاي من القطبين مستقبلا .

واضعاف الخط الثوري الاسلامي .

٢ / اوربا وعلى راسها فرنسا تريد ان تسجل حضورا في العراق والمنطقة ومن الان بنفسها وهي تمثل من يقف خلفها (اسرائيل) . فان فرنسا وبريطانيا تحمل مشروعا مكمل لدور الخليج في تكثيف التواجد في العراق والترابط معه في المجالات السياسية والامنية والاقتصادية وهم يدركون ان العراق الان لايمكن تقليص دور الاسلاميين فيه بل يعملون بافق مستقبلي ومرحلي وايضا هدفهم اضعاف الخط الاسلامي وتفعيل دور الخط الشيعي العلماني والجدير بالذكر ان تواجد اوربا والاتحاد الاوربي وفرنسا يمثل مصد يمنح وجود الدور الايراني والصيني مستقبلا او يخفف منه او ينافسه .

٣ / امريكا تريد ان يكون لها وجود مستقل عسكري وسياسي وامني وتحافظ على ريادتها في العالم . ودورها و ان الياتها تتمثل في الحضور العسكري والامني والاقتصادي وايضا في دعم الانهيار الامني من الجوكر وداعش وتفعيل الخط السياسي العلماني

٤ / الصين تامل ان ترتبط مع العراق مباشرة وهكذا الروس او من بوابة ايران .

٥ / الاردن ومصر هي الاخرى تعمل وفق

٧ / اسرائيل تريد عراق مفكك منزوع السلاح ان لم يكن جزء من استراتيجيتها بينما العراق الان تسيطر عليه المقاومة والحشد والشيعية مهما حاولت امريكا ان تنتزع منه عناصر القوة

ثالثا / نظرة الدول ورويتها في التعامل مع العراق (استراتيجية المحاور) —

قلنا ان نهاية الصراع مع تعدد المحاور تنتهي الى صراع بين محورين هما المحور الاسلامي والغربي مع هذا لكل من المحاور طريقته والياته ومصالحه الخاصة وان كانت تلتقي في المصالح العامة وهي :

١ / الخليج يريد تطويع العراق اليه وافراغ العملية السياسية من محتواها بسيطرة التيار القومي « الامريكي البعثي » لمنع سيطرة الخط الاسلامي على العراق ومنع ان يكون له تاثير على شيعة المنطقة والخليج ولمنع ان ينتمي الشيعة في العراق الى الخط الامريكي الغربي وهذا هو الامر الذي يدفع الخليج الى ان يحاول ان يدعم الخط البعثي في العراق وابقاء التمرد مع ملاحظة ان يكون للخليج حضور اقتصادي وسياسي وضغط مستمر في كل الجوانب لتقليص مساحة ايران في العراق

واسرائيل ترى ان وجودها في العراق يمر عبر بوابة الشيعة العلمانيين لذا هم يدعمون الكاظمي ويقفون بالضد من الخط الاسلامي الثوري وهنا لا بد من فهم كلمات (ماكرون الماكر) بانه زار العراق لبحث موضوع « السيادة » في العراق بمؤتمر قادم مع تفعيل دور ممثلة الامم المتحدة في العراق ودعم الخط العلماني والابقاء على التمرد السني الداعشي كنقطة استثمار ومبرر للتواجد .

٢/ ايران تريد نهضة شيعية اسلامية من خلالها يكون الشيعة قطب ومحور مهم في توازنات المنطقة وهي تخطط بعقلية المستقبل لتقوية الشيعة في المنطقة حتى يكونوا وقطباً مهماً في الحاضر والمستقبل وبهذا يكون الفرق كبير بين ما تريده وتخطط له ايران وبين ما يريده الغرب وهنا تظهر الفوارق الكبيرة في المستقبل بين الدور الايراني والمقاومة وبين المحور الاخر الغربي والخليجي الذي يريد هو الاخر ان يتموضع في العراق .

وبعبارة اكثر وضوحا ان القوة التي تتنازع في العراق ثلاثة :

- ١- قوى اقتصادية (الصين والروس)
- ٢- قوى اسلامية (ايران والمقاومة)
- ٣- قوى استكبارية صهيونية (الغرب -

المصالح الخاصة والدولية لتطويع العراق وسحبه الى المظلة العربية ريثما يمكن جعل العراق نقطة قومية عربية قادرة على ان تطبع علاقاتها مع اسرائيل . كما ان الاردن سوف تكون مستثمرة في النفط العراقي .

ومصر هي الاخرى تتجه بهذا الاتجاه لكنهم بلا اشكال يمثلون الدور الصهيوني في المنطقة و يريدون ان تكون موثراتهم في العراق اكثر من الخليج كون الاردن هي احد الدول المطلة على البحر المتوسط ومصر لا تتفق مع سياسة الخليج بالتفاصيل

٦/ تركيا تدرك ان نقطة القوة مستقبلا هم شيعة العراق والمنطقة لذلك تركز على وجودها الاقتصادي والسياسي والعسكري كما ان تركيا تتوسع كثيرافي العالم الاسلامي لتثبيت وجودها المستقل الان كونها تعرف وتدرك المتغيرات المهمة مستقبلا وبما انها تقراء المستقبل ومتغيراته في المنطقة وتوجه الاقطاب للحضور الفاعل في العراق والمنطقة لذا بادرت الى السيطرة على ليبيا وتواجدت في العراق وسورية .

رابعا/الصراع الايديولوجي

١ / الخليج ومصر والاردن والغرب وامريكا

قوتهم وقرارهم ونزع سلاحهم وتفريق كلمتهم والعمل على تعميق الهوة بينهم وبين قواعدهم الشعبية الا ان الدراسات والمتابعات الميدانية تؤكد ان كفة الاسلاميين هي الراجحة في العراق الان ومستقبلا كون الكفة الاخرى - العلمانية - تعاني من اختلالات كبيرة وهي :

١- كونها مازالت في طور التكوين .

٢- وتعاني من التصدعات .

٣- وهي ظاهرة طارئة لم تنسجم مع ثقافة المجتمع العراقي بفعل ممارساتهم الصادمة خلال التظاهرات

٤- وايضا هي ثقافة غير اضحة ولم تتبلور كونها فاقدة الى الوحدة والقيادة والى الاحزاب التي تنظم حياتها ومستقبلها السياسي .

٥- وكل مصدر قوتهم هو الخارج وليس الداخل ولا يمكن للخارج ان يوسس اي مشروع الا اذا توفرت له ظروف داخلية وهي غير متوفرة واقعا ، ولكن يحتاج المشروع الشيعي ان يلتفت اكثر من اي وقت مضى

النتيجة

ان المستقبل الشيعي في العراق يكون راجحا بكفته الداخلية الاسلامية وموكدا ان المرجعية لا تفرط في مستقبل الشيعة . ومن

امريكا - الخليج) وسيكون الصراع - كما قلنا - بين محورين اسلامي وغربي واما الروس والصين بلا اشكال لا يوجد لديهم استعداد ان يدافعوا الا عن مصالحهم ويتوقف موقفهم على قدرة المحور المقاوم على النهوض لتكون سائدة له بقدر ما يرتبط بمصالحها .

ثالثا : النتائج

١- في ظل الروية المتقدمة سوف يشهد العراق تجاذبات داخلية وخارجية والمنتصر هو المستعد والماسك بالارض بوعي عميق للمستقبل اي ان العراق سوف يشهد صراعا داخليا بين قواه الشيعية والسنية وبين من يريد ان يتجه الى الغرب او الى المحور الاسلامي .

وهذا التصدع هو الذي يرسم السياسة الخارجية والداخلية الان ومستقبلا فحينما تكون كفة القوى الاسلامية في العراق هي الاقوى بلا اشكال هي من تقرر علاقات العراق الخارجية وحينما تضعف يكون مسير العراق نحو المحور الغربي هو المتقرر وبهذا يمكن ان يفسر التواجد الاوربي وممثلة الامم في العراق وزيارة ماكرون ومن قبله وزير خارجيته وزير جيوشه

٢- ولاجل ما تقدم نجد ان الخط المعادي يعمل على ا فراغ الشيعة في العراق من عناصر

المؤكد لدينا ان الخط الاخر العلماني لم تعتمده المرجعية كمثل الى الشيعة بنحو مطلق ، وان اخفاقات الكاظمي واضحة في منهجها وخطورتها وابتعادها عن النجف ومصالح الشيعة ، وبالتالي ان العراق يمثل بهويته السياسية وطبيعته ووجوده الانتماء الى خط التشيع الاسلامي الذي يمكن ان يتكامل مع الخط الشيعي الاسلامي في المنطقة والذي يزيده قوة ويمكنه ان يحدد الانتماء القادم .

الا ان النتيجة تحدها حضور الاسلاميين الميداني في القرار والانتخابات القادمة وقوتهم واستعدادهم ورص صفوفهم للاستعداد الى المستقبل وان لا ينظروا الى الامور والتزاحم الدولي والاقليمي ومشاريعه بنظرة سطحية . وان الانتخابات القادمة فيها يفرق كل امر سياسي ويحدد مسارات العراق .

✍ في فكر أعلام الحوزة

محاضرات الإمام الخامنئي دام ظلته

أهداف النهضة الحسينية

إن المخاطر التي تهدد الإسلام بوصفه ظاهرة كسائر الظواهر الأخرى ، قد تمّ رصدتها قبل أو مقارناً لوجودها ، وقد تمّ رصد الوسائل الدفاعية في ذات وجود الإسلام وكيانه بغية صدّ تلك المخاطر . كما هو الحال بالنسبة إلى الجسد السالم الذي يزوّده الله بالقوى الدفاعية ، أو مثل الجهاز السالم الذي يصمّمه المهندس ، ويصنع إلى جانبه أدوات إصلاحه . وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى الدين الإسلامي بوصفه ظاهرة من الظواهر ، وهو لذلك عرضة لتهديد جملة من المخاطر ، وهو لذلك يحتاج إلى أدوات دفاعية . وقد زود الله تعالى الدين الإسلامي بهذه الأدوات الدفاعية . ولكن ما هي تلك المخاطر ؟ يمكن لنا أن نذكر نوعين رئيسيين من تلك المخاطر ، النوع الأول : يتمثل بـ (العدو الخارجي) ، والنوع الثاني : يتمثل بـ (الاضمحلال الداخلي) .

أما العدو الخارجي فهو ذلك العدو الذي يستهدف وجود النظام ومنظومته الفكرية وبنيتها التحتية العقائدية وقوانينه وكل شيء فيه من الخارج بمختلف أنواع الأسلحة . وعندما نقول من الخارج لا نعني بذلك أن الهجوم يحصل بالضرورة من خارج الحدود الدولية . بل نعني بذلك من خارج النظام حتى ولو كان من داخل الوطن . إذ هناك من أبناء البلد من يعتبر نفسه غريباً عن النظام ، ويرفعون راية الحرب ضده ، ويبارزونهم بالمخالفة ، ويسعون إلى القضاء عليه ، بكل ما أوتوا من قوّة ، بالسيف

عدم اعتقاده وبسبب عدائه للنظام . وكذلك لمواجهة التفكك والاضمحلال الداخلي ، هناك الكثير من التعاليم الأخلاقية القيمة والسامية ، فهي تعرّف الإنسان بعالم الدنيا بشكل حقيقي وواقعي ، وذلك إذ يقول تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَأَلَهُوْا وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢) . بمعنى أن هذه الأموال وهذه البهارج وهذه المتع الدنيوية ، وإن كانت ضرورية ، وكنتم مضطرين إلى الاستفادة منها ، وكانت حياتكم وثيقة الصلة بها ، ولا يمكن الشك في ذلك أبداً ، ويجب عليكم أن تعملوا على توفيرها ، ولكن عليكم أن تدركوا بأن إطلاق العنان لهذه الأمور ، والانغماس فيها واتباعها بشكل أعمى ، بحيث يتم تجاهل ونسيان الأهداف الرئيسة ، يعتبر في غاية الخطورة .

إن أمير المؤمنين عليه السلام هو بطل جميع حروب الإسلام بلا منازع ، وعندما يخطب ويتحدث ، يتوقع المرء أن يدور نصف كلامه - في الحد الأدنى - حول الجهاد والحرب والقتال

وبالأسلحة النارية ، والأسلحة المتطورة ، والضحخ المادي والإعلامي والمالي وكل ما يملكون .

وأما النوع الثاني ، فهو يتمثل في آفة الاضمحلال الداخلي ، أي من داخل النظام وهذا الأمر لا ربط له بالغرباء عن النظام ، وإنما يرتبط بأولئك الذين يُعتبرون جزءاً من النظام ! فإن المسؤولين في النظام قد يبتلون بأفة آليات النظام الذي ينتسبون إليه بسبب التعب ، أو الوقوع في الخطأ ، أو عدم فهم الطريق الصحيح ، أو لغلبة الأهواء النفسية ، أو الانهيار أمام بريق المطامع والأموال . وهذا الخطر بطبيعة الحال أشد بكثير من خطر العدو الأول .

إن هذين النوعين من العدو - العدو الخارجي والعدو الداخلي - يمكن تصور عروضة لكل نظام ولكل كيان ولكل ظاهرة . وقد رصد الإسلام علاجاً لمواجهة كلتا هاتين الآفتين ، وذلك من خلال التأسيس لمفهوم الجهاد . والجهاد لا يخص العدو الخارجي فقط . فقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ (١) . فالمنافق شخص يعيش داخل منظومة النظام . ولذلك يجب جهاد جميع هؤلاء الأعداء . فالجهاد يمارس ضدّ العدو الذي يروم الهجوم على النظام بسبب

مستوى قتال العدو الداخلي . وهو الذي يتمثل بجهاز الخلافة الفاسد والمتشبه بالدينيا والمتمسك بالسلطة ، وهي السلطة التي أراد النبي الأكرم ﷺ توظيفها لصالح نجاة الناس ، ولكن هؤلاء الفاسدين أرادوها لحرف مسار الإسلام ، وعلى خلاف النهج الذي رسمه رسول الله . وعلى العدو الداخلي أيضاً ، حيث كان المجتمع آنذاك متجهماً بشكل عام نحو الفساد الداخلي .

وأما النقطة الثانية ، والتي هي أهم من وجهة نظري . فقد مضت حقبة من الزمن . وتمّ تجاوز المراحل الصعبة من بداية الجهود . وقد تمّ القيام بالفتوحات . وتمّ الحصول على الكثير من الغنائم . وأصبحت المساحة الجغرافية واسعة للغاية . وكان العدو الخارجي قد تمّ دحره على جميع الجبهات . وتمّ توزيع الغنائم . وأصبح بعض المسلمين من الثراء بحيث أخذوا يكسرون ما عندهم من الذهب بالفؤوس . وظهرت طبقة من الأرستوقراطيين . بمعنى أن الإسلام بعد أن قضى على الطبقة الأرستوقراطية الجاهلية ، ظهرت طبقة أرستوقراطية جديدة . وبدأ البعض يمارس الأعمال الشنيعة باسم الإسلام ، وأنه الصحابي الفلاني الكبير ، أو أنه ابن الصحابي الفلاني ،

والبطولة والاستبسال في ساحات الوغى ، ولكن الذي يفاجئ قارئ نهج البلاغة هو أن جل الروايات والخطب المأثورة عن أمير المؤمنين في نهج البلاغة مشبعة بالحديث في الأعم الأغلب حول الزهد والتقوى والأخلاق زاحتقار الدنيا ، وامتداح القيم المعنوية والإنسانية السامية .

وقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مزيجاً من هذين الأمرين ، بمعنى أنها كانت تمزج بين جهاد العدو ، وجهاد النفس في أعلى مراتب الجهاد الذي تجلى في واقعة عاشوراء . بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كان يعلم بأن هذه الحادثة سوف تقع ، وإنه ينبغي أن تضرب للناس المثل الأعلى ، وأن هذا المثل الأعلى يجب على الناس أن يتأسوا به . كما يظهر هناك في بعض البلدان شخص رياضي محترف في حقل من حقول الرياضة ، ويحصل على المرتبة الأولى في البطولة ، ويصبح بطلاً قومياً ويشجع سائر المواطنين ليحذوا حذوه ، وبطبيعة الحال فإن هذا مجرد مثال نبتغي من ورائه تقريب الأذهان فقط ، ولا يمكن له أن يمثل الحقيقة بجميع أبعادها . فقد كانت واقعة عاشوراء ملحمة عظمى قلّ نظيرها على كلتا الجبهتين ، وعلى مستوى قتال العدو الخارجي ، وعلى

بن أبي وقاص وغيرهم من الذين كان كل واحد منهم يحمل جبلاً من الإنجازات في بدر وأحد وحنين ، أصبحوا في الصفوف الأولى من الرأسماليين ، وعندما مات أحدهم وأرادوا تقسيم تركته بين الورثة ، اضطروا إلى تكسير ما يملكه من سبائك الذهب بالفؤوس كما يكسر الحطب لكثرتة ، وهذا كله مثبت في التاريخ ، وليست من المسائل التي يمكنك القول بأنها من مختلقات الشيعة . لقد كانت الأموال التي خلفها هؤلاء مبالغ أسطورية^(٤) .

وهذا هو الذي نعنيه عندما نقول فساد النظام من الداخل . بمعنى أن يظهر أفراد في المجتمع ، ويبدأون بنقل أمراضهم الأخلاقية المعدية - من حب الدنيا والشهوات وهي أمراض قاتلة للأسف الشديد - إلى المجتمع بالتدريج . وفي مثل هذه الحالة هل كان يمكن لشخص أن يتجزأ على الاعتراض ومخالفة نظام يزيد بن معاوية ؟ ! في مثل هذه الظروف بدأت ثورة الإمام الحسين الكبرى ، حيث حارب العدو ، وحارب الركون إلى الدعة والفساد ، والضلال بين المسلمين ، وهذا في غاية الأهمية^(٥) .

أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام

ربما لو دقق المرء في حركة الإمام

أو لأنه ابن لأحد أقارب النبي ، وقد أثبت التاريخ أسماء بعض هؤلاء . وبدأ بعض الأفراد يتجاوزون مقدار السنة في تعيين المهر لبناتهم ، والذي كان على عهد رسول الله ﷺ ، وأمير المؤمنين عليه السلام ، والمسلمين في صدر الإسلام ، يقدر بأربعمئة وثمانين درهماً ، وأخذ يطالب بما مقداره ألف ألف دينار ، وألف ألف مثقال من الذهب الخالص ! فمن هؤلاء ؟ إنهم عبارة عن ابن الصحابي الفلاني ، مثل : مصعب بن الزبير ومن هم على شاكلته^(٣) .

بدأت الأحداث بعد أقل من عقد على رحيل رسول الله ﷺ . ففي البداية أخذ السابقون في الإسلام - الأعم من الصحابة والذين شاركوا في حروب الرسول - يتمتعون بالامتيازات المالية ، وأضحى لهم نصيب في بيت المال أكثر من نصيب الآخرين . حيث قيل إنه لا يصح أن يتساوى هؤلاء مع غيرهم في العطاء ! وكانت هذه اللبنة الأولى المثلة في بناء صرح الإسلام بعد رسول الله ﷺ ، حتى وصل الأمر إلى أواسط عهد عثمان . وفي عهد الخليفة الثالث ، بلغ الوضع بأن أصبح البارزون من كبار الصحابة من كبار الرأسماليين في عصرهم ! بمعنى أن كبار الصحابة من أمثال : طلحة والزبير وسعد

هو الداعي إلى ثورتك ؟ وهذا هو السؤال الرئيس الذي يكمن فيه الدرس المحوري أيضاً . لا أقول إن هذا الأمر لم يسبق لشخص أن قاله . بل للإنصاف هناك الكثير ممن رصد هذه المسألة ، وتمّ الحديث عنها كثيراً . والذي نريد قوله في هذا الإطار هو شيء جديد .

هناك من يحلو له القول : إن الحسين عليه السلام أراد من وراء نهضته أن يطيح بيزيد وأن يحل محله ، ويتولى بنفسه تشكيل السلطة . هذا هو هدف الإمام الحسين من وراء ثورته . وهذا الكلام إنما يرصد نصف الإجابة الصحيحة ، ولا أريد أن أصفه بأنه خاطئ . ولكننا نقول لو كان هدف الإمام الحسين عليه السلام منحصرأً باستلام السلطة وتشكيل الحكومة المحمدية والعلوية فقط ، فإن سلوك الإمام الحسين طوال مسيرته إلى كربلاء لا تساعد على هذا الرأي . إذ لو كان الهدف منها استلام السلطة فقط ، فإنه يتعيّن على صاحب هذا الهدف أن يسير باتجاهه إلى الموضوع الذي يرى فيه إمكانية الوصول إلى السلطة ، وأما إذا تبين له أن الوصول إلى هذه الغاية مع كثرة العدو وقلة الناصر والعدة والعدد ، فعليه أن يرجع ، وأما إذا واصل مشواره إلى حد التضحية بجميع أصحابه وأهل بيته ونفسه ، فلا بد أن يكون قد هدف إلى أمر آخر يتخطى

الحسين عليه السلام - منذ أن خرج من المدينة متوجّهاً إلى المدينة ، ومن ثم نحو العراق ، حتى توجّ مسيرته بالشهادة - يمكنه الحصول على عشرات الدروس والعبر ، بل يمكنه الحصول على مئات الدروس والعبر . إذ يمكن لكل إشارة صدرت عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام أن تحمل درساً وعبرة لنا يمكن توظيفها في التاريخ والبلاد وتربية الذات وإدارة المجتمع والقرب من الله سبحانه وتعالى . من هنا فإن الإمام الحسين بن علي عليه السلام يضيء الدنيا كالشمس في سماء المقدسين في العالم . تصوّروا الأنبياء والأئمة والشهداء والصالحين . فإذا كان هؤلاء مثل الأقمار والنجوم ، فإن الإمام سيكون بينهم هو الشمس الساطعة . وإذا تجاوزنا كل تلك الدروس والعبر ، فيمكن التركيز على واحد من الدروس الرئيسة والجوهرية والمحورية في حركة الإمام الحسين عليه السلام ، يمكن بيانه ضمن السؤال الآتي : ما هو سبب ثورة الإمام الحسين ؟ ففي الإجابة عن هذا السؤال درس في غاية الأهمية ! قيل للإمام الحسين عليه السلام : إن لك في المدينة ومكة حرمة ، ولك في اليمن شيعة ، فاذهب إلى مكان لا يكون لك فيه شأن مع يزيد ، ولن يكون ليزيد شأن معك . وعش حياتك ومارس دورك في العبادة والدعوة ! فما

مجرد استلام السلطة .

وفي المقابل هناك من أنكر هذا الكلام بالمطلق ، وقال : إن هدف الإمام الحسين لم يكن هو الحصول على السلطة أبداً ، وإنما هو منذ البداية كان قد وُطن نفسه على الشهادة ! وقد كان هذا الكلام شائعاً وسائداً على كثير من الألسنة لفترة من الزمن ، وهناك من صاغه في كلمات شعرية وأدبية . وقد وجدت بعض علمائنا الكبار يقول ذات الشيء أيضاً . من ذلك التعبير القائل : إذا لم نكن نستطيع أن نفعل في حياتنا شيئاً ، فمن الأفضل أن نفعل شيئاً من خلال موتنا واستشهادنا ! ولكن ليس في تعاليمنا الدينية والنصوص الإسلامية شيء من هذا القبيل . بل الموجود في نصوصنا الدينية من الكتاب والسنة هو أن على الإنسان أن يسعى إلى تحصيل هدف مقدس واجب أو راجح ، فإن قتل في هذا السبيل كان شهيداً . هذا هو معنى الشهادة الصحيح في الإسلام . وأما أن تكون الشهادة هي الهدف فهو أمر لا يرتبط بتلك الحادثة الكبرى من قريب أو بعيد . نعم يمكن القول بأن هذا الكلام يحمل شيئاً من الحقيقة لا كلها . إذن باختصار : لا يمكن لنا أن نقول بأن الحسين عليه السلام قد انتفض لكي يستلم السلطة ، ولا يمكن القول بأنه ذهب لكي

يستشهد . ومن وجهة نظري فإن الذين قالوا بأن هدف الإمام عليه السلام هو (الحكم) ، أو (الشهادة) قد خلطوا بين الهدف والنتيجة . فإن الحكم أو الشهادة لم يكونا هما الهدف . فقد كان الإمام الحسين عليه السلام يهدف إلى شيء آخر ، غاية ما هنالك أن الوصول إلى ذلك الهدف كان يحتاج إلى حركة ، وإن تلك الحركة قد ترتب عليها واحدة من نتيجتين هي الحكم أو الشهادة . وبطبيعة الحال فإن الإمام الحسين عليه السلام قد أعدّ العدة لكليهما ووطن النفس عليهما ، فكان يمهّد للسلطة ، كما كان يمهّد للشهادة ، وأياً كانت النتيجة فقد كان الهدف صحيحاً ، وليس فيه أي إشكال ، ولكن لم يكن أيٌّ منهما هو الهدف ، وإنما هما نتيجتان ، والهدف شيء آخر .

فما هو الهدف ؟ سأذكر هذا الهدف في جملة مختصرة ، ثم أتوسع في توضيحها . وذلك بأن نقول : إن هدف الإمام الحسين عليه السلام عبارة عن القيام بواجب عظيم من واجبات الدين ، وإن هذا الواجب لم يقم به أحد قبل الإمام الحسين عليه السلام ، حتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وحتى الإمام علي عليه السلام ، وحتى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام . لقد كان هذا الواجب يحضى بأهمية قصوى في البناء الكلي

هو الذبيح العظيم ، ولكن الحقيقة هي أن ظروف هذا الأمر لم تتوفر لا قبل عصر الإمام الحسين ولا بعده على طول حياة الإمامة الذين جاؤوا بعده إلى مرحلة الغيبة .

إذن فالهدف كان هو القيام بهذا الواجب ، وفيما يلي سنشرح ماهية هذا الواجب . لقد تقدّم أن ذكرنا أن القيام بهذا الواجب كان ينتهي تلقائياً وقسراً إلى واحدة من هاتين النتيجتين ، فقد كان هذا الواجب إما يؤدي إلى السلطة والحكم ، فيها ونعمت ، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام مستعداً لتولي السلطة من أجل إحقاق الحق وإقامة العدل ، وإبطال الباطل ودفع الظلم ، تماماً كما كان هو الحال بالنسبة إلى إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعهد الإمام علي عليه السلام . وإن لم يؤد هذا الواجب إلى السلطة ، وانتهى إلى استشهاد الإمام الحسين ، كان الإمام الحسين على أتم الاستعداد ليقوم بهذه التضحية ؛ فقد خلق الله سبحانه الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمة بشكل يستطيعون معه تحمّل مثل هذه المسؤولية العظيمة ، وهو ما كان بالفعل . وبطبيعة الحال فإن أحداث كربلاء بدورها أحداث عظيمة . وفيما يلي نوضح المسألة بشكل أوسع .

للمنظومة الفكرية والعملية للإسلام . وعلى الرغم من أهمية هذا الواجب ، إلا أنه لم يقدّم به أحد قبل الإمام الحسين عليه السلام ، وسأذكر سبب ذلك . لقد تعيّن على الإمام الحسين أن يقوم بهذا الواجب ليكون درساً على طول التاريخ . فكما أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قام بتأسيس الدولة الإسلامية ، وأصبح تأسيسه لهذه الدولة درساً في تاريخ الإسلام ، وذلك لأن النبي لم يكتف بتأسيس الدولة ، وإنما بيّن أحكام هذه الدولة . أو أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاهد في سبيل الله ، وهذا درس في تاريخ جميع المسلمين ، بل في تاريخ البشرية بأسرها . فكان يتعيّن على الإمام الحسين عليه السلام أن يقوم بهذا الواجب ليكون درساً عملياً لجميع المسلمين على طول التاريخ .

والآن يأتي السؤال القائل : لماذا قام الحسين عليه السلام بهذا الأمر ؟ الجواب : لأن ظروف القيام بهذا الأمر قد توفّرت في زمنه عليه السلام . فلو أن الظروف لم تنتهياً في عصر الإمام الحسين ، بأن توفّرت في عصر الإمام علي الهادي عليه السلام ، لكان الإمام الهادي هو من قام بهذا الأمر ، ولو أن ظروف هذا الأمر قد تهيأت في عصر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، أو الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، لكان أحد هذين الإمامين عليه السلام هو من قام بهذا الأمر ، ولكن

الحكومة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ، وتمّ التأسيس للاقتصاد الإسلامي ، وأقيم الجهاد الإسلامي ، وفرضت الزكاة الإسلامية ، وأصبح الحكم والمجتمع إسلامياً . وكان مهندس هذا الخط ومطبّقه هو رسول الله ومن يخلفه . وكان هذا الخط واضحاً ومحدّداً . ويتعيّن على الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي أن يسير على هذا الخط لكي ينتهي به إلى الكمال ، ويغدو الناس صالحين وعلى مستوى الملائكة ، ويزول الظلم ولا يبقى له من أثر في المجتمع ، كما يزول القبح والفساد والاختلاف والفقر والجهل . ويصل الإنسان إلى السعادة القصوى ، ويصبح عبداً صالحاً لله عزّ وجل . لقد أرسى الله قواعد هذا الإسلام على يد رسول الله ﷺ ، وعمل رسول الله على تطبيقه على المجتمع في عصره . ونعني به مجتمع المدينة المنورة ، ثم اتسع ليشمل مكة وبعض المدن المجاورة الأخرى . وهنا يأتي السؤال القائل : لو أن هذا القطار الذي أسس له رسول الله ووضع على هذه السكة تعرّض لحادث ، وانحرف عن مساره ، وخرج عن سكوته ، فما هو الموقف ؟ وما هو الحكم لو انحرف المجتمع ، وحصلت خشية من أن يؤدي هذا الانحراف إلى زوال الإسلام واضمحلاله بالكامل ؟

إن النبي الأكرم ﷺ وكل نبي يبعثه الله إلى هداية الناس يأتي بمجموعة من الأحكام ، وإن هذه الأحكام منها ما هو فردي ، أي يرمي إلى أن يعمل الفرد من خلاله إلى إصلاح نفسه ، ومن هذه الأحكام ما هو إجتماعي ، يهدف إلى إصلاح عالم البشرية وإعمار الدنيا ، وإقامة المجتمع الإنساني . وهذه هي مجموع الأحكام التي نطلق عليها اسم (النظام الإسلامي) . إذن نزل الإسلام على القلب الطاهر لرسول الله ﷺ . ونزل معه وجوب الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والإنفاق ، والحج ، وأحكام الأسرة ، والروابط الفردية ، والجهاد في سبيل الله ، وإقامة الدولة ، والاقتصاد الإسلامي ، والعلاقة بين الحاكم وأبناء الشعب ، ومسؤولية الناس في قبال الحكومة . هذه هي مجموع الأحكام التي أنزلها الله على قلب نبيه ، وقد بلغها النبي إلى الناس ، وقد روي عنه ﷺ أنه قال : « يا أيها الناس ، والله ما من شيء يقربكم إلى الجنة ، ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به » (٦) .

فقد بين النبي الأكرم ﷺ كل ما من شأنه إسعاد الإنسان والمجتمع . ولم يكتف ببيانه فحسب ، بل وعمد إلى ممارسته بنفسه وطبقه على المستوى العملي . إذن فقد أقام رسول الله

يستطيع القيام بهذا الحكم الإلهي . كلا ، لأن امتثال هذا الحكم مشروط بما لو تعرّض المجتمع للانحراف ، وكان ذلك الانحراف بحيث يؤدي إلى انحراف أصل الإسلام . وإن انحراف المجتمع في عهد رسول الله ، وفي عهد أمير المؤمنين ، لم يكن قد بلغ هذا المستوى . وفي عهد الإمام الحسن عليه السلام ، حيث كان معاوية على رأس السلطة ، وإن كان الكثير من معالم هذا الانحراف ظاهرة ، ولكنه مع ذلك لم يصل إلى تلك الدرجة التي يُخشى معها على الإسلام . إن أهمية هذا الحكم الذي اضطلع به الإمام الحسين عليه السلام لا يقل عن إقامة الدولة الإسلامية نفسها ، وذلك لأن الحكم يعني إدارة المجتمع ، فإذا فسد المجتمع بحيث بلغ الأمر بأن يخاف على أصل الإسلام فما هو جدوى حكم هذا المجتمع ؟ وربما أمكن القول بأن أهمية هذا الحكم أكبر من أهمية الجهاد مع الكفار ، وربما أمكن القول بأنه أهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الاعتيادي في المجتمع الإسلامي ، بل وربما أمكن القول بأنه أهم من العبادات الإلهية الكبرى من قبيل الحج ؛ لأن هذا الحكم يعمل على إحياء الإسلام ، بعد أن يكون قد أوشك على الانهيار والزوال .

هناك نوعان من الانحراف . فأحياناً يبتلي الناس بالفساد ، وهذا الأمر يحدث كثيراً . إلا أن أحكام الإسلام لا تزول ، ولكن عندما يفسد الناس قد تفسد الحكومات بتبعهم أيضاً ، وقد يفسد العلماء والخطباء أيضاً . وأساساً فإن الدين الصحيح لا يصدر عن الفاسدين ، وإنما يعمد الفاسدون إلى تحريف القرآن والحقائق أيضاً ، ويجعلون الحسن قبيحاً ، والقبيح حسناً ، ويظهرون المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً . والخط الذي أقامه الإسلام على هذه الجهة ، يعمدون إلى حرفه عن مساره بمقدار ١٨٠ درجة ، فلو أصيب النظام والمجتمع الإسلامي بمثل هذه الآفة فما هو الحكم الشرعي ؟ وبالطبع فإن النبي قد حدد الموقف من هذه الظاهرة مسبقاً ، فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ ^(٧) . وكثير من الآيات والروايات الأخرى ، من قبيل هذه الرواية التي سأرويها لكم عن الإمام الحسين عليه السلام ، وهي الرواية التي رواها الإمام الحسين عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله . ولكن هل كان النبي الأكرم نفسه

الذي يجلس على قمة السلطة ، خلافاً للمواطن العادي ، فإنه لا يؤثر إلا على دائرة ضيقة تحيط به فقط ، وبالإمكان تحجيمها والسيطرة عليها ، وأما الذي يجلس على أعلى هرم السلطة فإن مساحته تأثيره - سلباً وإيجاباً - تشمل كافة المجتمع .

إذن في زمن الإمام الحسين عليه السلام تولى شخص يزيد خلافة المسلمين بعد أبيه معاوية بن أبي سفيان ، وكانت الأرضية مناسبة للقيام بالحكم الشرعي المرصود من قبل الله في مثل هذه الحالة . فماذا نعني بأن الأرضية كانت مناسبة ؟ هل معنى ذلك أنه لم يكن هناك خطر القتل على من يقوم بهذا الحكم ؟ كلا ، فالخطر موجود وقائم . أفهل يعقل أن لا يكون هناك خطر على من يخرج على رأس السلطة ؟ إذن الخطر قائم . وعليه فإن الذي نعنيه بأن الوقت كان مناسباً ، هو أن مناخ المجتمع الإسلامي كان بحيث يستطيع استيعاب رسالة الحسين عليه السلام ، ونقلها عبر التاريخ لتلامس مشاعر جميع الأحرار في العالم على مرّ التاريخ . ولو أراد الإمام الحسين أن يقوم بهذا التكليف ، لدفن ودفنت ثورته معه ، وهذا يعود إلى طبيعة الحكم في عهد معاوية . حيث كانت السياسة التي اتبعتها معاوية بحيث لا تدع للناس سماع

فمن الذي يجب أن يقوم بهذا الحكم ؟ إنه أحد خلفاء النبي ، إذا كان في ظرف حصل فيه مثل هذا الانحراف ، وكان الوقت مناسباً ؛ لأن الله لا يأمر بحكم لا جدوى منه . ، وطبعاً عندما نقول يجب أن يكون الوقت مناسباً ، لا نعني بذلك أن لا يكون هناك خطر يترتب على ذلك الحكم ، بل نعني بذلك أن يترتب أثر على الإتيان بذلك الحكم ، وهو إحداث الهزة في ضمائر الأئمة ، ويؤدي إلى صحتها ، وإتقادها من سباتها . هذا هو التكليف الذي كان يتعين على شخص واحد أن يقوم به . وهذا الانحراف قد تحقق في زمن الإمام الحسين عليه السلام ، وتحقق الوقت المناسب أيضاً . فالانحراف قد حصل ، وذلك لأن الذي استخلف بعد معاوية هو شخص مستهتر بكلّ القيم الدينية ، ولم يكن يراعي حتى المظاهر الإسلامية ، فكان يُجَاهر بشرب الخمر ، ويتظاهر بالفجور ، وينشد أشعاراً يعلن فيها عن كفره واستهانتة بالإسلام والقرآن . ومع ذلك يريد أن يحكم باسم الإسلام ، ومثل هذا الشخص إذا جلس على رأس السلطة فإنّ فساده سيعم المجتمع بأسره ، ويكون بمنزلة الماء الآسن الذي تنتشر رائحته الكريهة في كلّ مكان ويلوث المجتمع الذي يحكمه بأسره ، وهذا هو شأن الحاكم الفاسد

عامة الناس ، بل كانوا من العلماء بأجمعهم ، عندما قالوا للإمام الحسين بأن في ما يرومه خطر عليه ، فإنهم يعنون بذلك أن التكليف يرتفع مع احتمال الخطر . وهذا يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون أن هذا النوع من التكليف لم يكن ليرتفع باحتمال الخطر ، وإنما هو تكليف محفوف بالخطر على الدوام .

إن الأمر الذي حصل في عصر الإمام الحسين عليه السلام ، قد حصلت نسخته المصغرة في زمان إمامنا الراحل عليه السلام . مع فارق أن تلك الأحداث أدت إلى استشهاد الإمام الحسين ، وهذه الأحداث أدت إلى تمكن الإمام الراحل من إقامة الحكم ، وليس هناك من فرق في ذلك ، فقد كان هدف الإمام الحسين وهدف إمامنا الراحل واحداً . وهذا الأمر يُشكل أساساً للمعارف الحسينية ، وإن المعارف الحسينية تشكل الجزء الأعظم من تعاليم الشيعة ، وهذه دعامة هامة ، وهي واحدة من دعائم الإسلام .

إذن أصبح الهدف إعادة المجتمع الإسلامي إلى مساره الصحيح ، وذلك عندما يكون هذا المسار قد انحرف بالكامل ، وإن جهل وظلم واستبداد وخيانة البعض ، أخذت تعرض المسلمين للانحراف ، وكانت الأرضية مناسبة . وبطبيعة الحال فإن مراحل التاريخ عبارة عن

قول الحق ، ولذلك كان الإمام الحسين عليه السلام إماماً على مدى عشر سنين في عهد معاوية ، ومع ذلك لم يعلن الثورة ، وقبله كان الإمام الحسن عليه السلام ، وهو بدوره لم يقم بالثورة أيضاً ، وذلك لأن الوقت لم يكن مناسباً ، لا لأن الإمام الحسن أو الإمام الحسين لم يكونا أهلاً للقيام بهذا الحكم . فلا فرق بين الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام ، ولا فرق بين الإمام الحسين والإمام زين العابدين عليه السلام ، كما لا فرق بين الإمام الحسين والإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري . وطبعاً عندما قام الإمام الحسين بهذا التكليف حصل على مرتبة أعلى من سائر الأئمة ، فهو سيد الشهداء وثأر الله ، ولكن من حيث الإمامة فكلهم على درجة واحدة ، ولو أن كل واحد من الأئمة عاش ظروفًا شبيهة بظروف الإمام الحسين عليه السلام ، لقام بما قام به الحسين عليه السلام ، ولحصل على المقام الذي حصل عليه الإمام الحسين عليه السلام .

إذن وجد الإمام الحسين عليه السلام نفسه وجهاً لوجه أمام هذا الانحراف ، وعليه يكون قد تعيّن عليه القيام بهذا التكليف ، وكان الوقت مناسباً أيضاً ، وعليه لم يبق هناك من عذر . ولذلك نجد عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن الحنفية ، وعبد الله بن عباس ، مع أنهم لم يكونوا من

والنهى عن المنكر ، بل إن الإمام الحسين عليه السلام هو المصداق الأكبر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكما تقد أن ذكرنا فإن هذا الأمر يؤدي أحياناً إلى الوصول إلى الحكم - وكان الإمام الحسين مستعداً لذلك - وأحياناً يؤدي إلى الاستشهاد - وقد كان الإمام الحسين مستعداً لذلك أيضاً - فما هو دليلنا على ذلك ؟

هذا ما ندركه من كلمات الإمام الحسين عليه السلام نفسه . وقد اخترت بعض الكلمات التي قالها الإمام الحسين عليه السلام ، وهي تلخص كل ما قاله في هذا الأمر . وكانت الكلمات الأولى في المدينة ، عندما استدعى الوليد - وكان والياً لمعاوية على المدينة - الإمام الحسين عليه السلام ، وقال له : لقد رحل معاوية عن الدنيا ، وعليك أن تباع ابنه يزيد . فقال له الإمام الحسين عليه السلام : حتى يصبح الصباح « وننظر وتنظرون أينما أحق بالبيعة والخلافة » . وفي اليوم التالي صادف مروان بن الحكم ، الإمام الحسين في بعض سكك المدينة ، وقال له : يا أبا عبد الله ، إنك تعرّض نفسك للقتل ، فالأولى أن تباع يزيد ؟ فقال له الإمام هذه العبارة : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت

أوقات مختلفة . فأحياناً تكون الظروف متوقّرة ، وأحياناً لا تكون متوقّرة ، وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام كانت الظروف متوقّرة ، وفي عصرنا كانت الظروف متوقّرة أيضاً ، وقد قام إمامنا الراحل بذات الموقف . والهدف كان واحداً ، غاية ما هنالك أن هذا الهدف قد يؤدي إلى الحصول على السلطة ، أو يؤدي إلى الاستشهاد ، ولكن التكليف يبقى على وجوبه ، وإن للاستشهاد ثماراً أيضاً كما للحصول على السلطة فوائد من نوع آخر .

وهذا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام ، غاية ما هنالك أن الإمام الحسين كان هو أول من قام بهذا التكليف على وجه التاريخ ، فلم يحدث أن قام شخص قبله بهذا التكليف ، إذ لم تتوفر الأرضية لمثل هذا التكليف ، حتى في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، ولا في زمن أمير المؤمنين عليه السلام ، وإذا توفرت الأرضية لم يكن التوقيت مناسباً ، وأما في عصر الإمام الحسين فقد توفّر كلا الأمرين . إذن يمكن القول بأن الإمام الحسين عليه السلام قد خرج ليقوم بذلك الواجب العظيم الذي هو عبارة عن تجديد بناء النظام والمجتمع الإسلامي ، أو الوقوف بوجه الإنحراف الكبير الذي طال المجتمع الإسلامي ، وذلك من خلال الأمر بالمعروف

أمّة جدي» ، إذن العنوان الرئيس الذي يطرحه الإمام الحسين عليه السلام هو (الإصلاح) ، وهذا هو الواجب الذي لم يقم به أحد قبل الإمام الحسين ، وكان هذا الإصلاح يتم عبر (الخروج) والثورة . وهذا ما صرّح به الإمام في وصيته تقريباً ، بمعنى أنه قال : إننا نروم الخروج بغية الإصلاح ، وليس بالضرورة أن يؤدي ذلك إلى الوصول للسلطة ، وليس بالضرورة أن يؤدي إلى الاستشهاد ، وإنما لمجرّد الإصلاح أيّاً كانت النتيجة ، والإصلاح طبعاً - مهما كانت النتيجة - ليس بالشيء الهين . ثم يواصل الإمام الحسين عليه السلام كلمته قائلاً : « أريد أن أمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي »^(٩) . أي أن هذا الإصلاح هو مصداق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي مكة كتب الإمام الحسين كتابين ، واحداً إلى رؤساء البصرة ، والآخر إلى رؤساء الكوفة ، ومما جاء في كتابه إلى رؤساء البصرة : « وقد بعثت إليكم رسولي بهذا الكتاب ، وإنني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت ، فإن تجيبوا دعوتي ، وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد »^(١٠) . أي أنه يريد العمل بذلك التكليف

الأمّة براع مثل يزيد »^(٨) . فلم تكن المسألة تتعلق بشخص يزيد ، بل كما هو صريح تعبير الإمام الحسين عليه السلام ، أي شخص مثل يزيد ، فالإمام يريد أن يقول إن كل ما حصل حتى الآن رغم ما فيه من الإشكالات إنما كان ممكن تحمّله ، وأما الآن فأضحى نفس الإسلام والنظام الإسلامي على المحك ، وإنه بخلافة شخص مثل يزيد ، سينتهي هذا الإسلام إلى الزوال ، لأن خطر الانحراف أصبح خطراً جاداً ، وأضحى يهدد أساس الإسلام ، وينذر بالقضاء عليه .

وقد كانت هناك كلمات للإمام الحسين عليه السلام ، قالها لمحمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة المنورة ، وعند خروجه من مكة المكرمة أيضاً ، وقد قالها الإمام وكتبها لأخيه محمد بن الحنفية على سبيل الوصية ، ومما جاء فيها بعد الشهادة لله بالوحدانية : « إني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً » بمعنى أنه يريد أن يقول : لا يشتهن أحد ، ولا تشيعن الأبواق الإعلامية ، بأنني من الذين يخرجون من هنا وهناك وليس لديهم من هدف سوى الحصول على السلطة ، للتفاخر ، والظلم ، والفساد ، فهذا ليس من شيمتنا ، « وإنما خرجت لطلب الإصلاح في

(بيضة) ، وكان الحرّ بن يزيد الرياحي يرافقه ، حتى بلغ هذا المنزل ، وهناك - ربما قبل الاستراحة أو بعدها بقليل - وقف الإمام الحسين عليه السلام ، وخطب جيش العدو قائلاً : « أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، ولم يغيّر بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » ، فالذي لا يغير ما يقوم به الحاكم الجائر الذي يمثل يزيد مصداقه الأبرز ، بقول ولا فعل ، كان حريماً أن يدخله الله في نفس العذاب الذي يستحقه ذلك الحاكم الظالم . هذا هو التكليف الذي حدده رسول الله لمثل هذه الحالة ، وعندما تعرّض الإسلام للانحراف . وقد استند الإمام الحسين عليه السلام في حركته إلى هذا الدستور الصادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

إذن اتضح أن التكليف كان عبارة عن (التغيير بالقول والفعل) . فإذا واجه الفرد المسلم مثل هذه الواقع - وكان الظرف مناسباً بطبيعة الحال - وجب عليه أن يغيّر هذا المنكر بالقول والعمل ، أيّاً كانت النتائج ، سواء تحقق النصر الظاهري أو انتهى الأمر بالاستشهاد ،

الكبير الذي هو إحياء الإسلام ، وسنة النبي ، والنظام الإسلامي . ومما جاء في رسالته إلى أهل الكوفة : « فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحق ، الحابس نفسه على ذلك لله ، والسلام » . وهذا يعني أن حاكم المسلمين لا يمكن أن يكون من أهل الفسق والفجور والخيانة والفساد والبُعد عن الله . بل يجب أن يكون عاملاً بكتاب الله ، بمعنى أن يكون عاملاً ، وليس جالساً في زاوية من زوايا بيته ، مكتفياً بالذكر والدعاء ، بل يجب أن يعمل على إحياء العمل بكتاب الله في المجتمع ، وأن يأخذ بالقسط والعدل ، ويجعل الحق هو القانون في المجتمع « الدائن بدين الحق » ، وأن يتجنّب الباطل ويتعد عنه « الحابس نفسه على ذلك لله » ، ويبدو أن معنى هذه العبارة : أن يبقى ثابتاً على الخط الإلهي المستقيم مهما كلف الأمر ، وأن لا يقع فريسة للأهواء الشيطانية والمادية . إذن نجد الإمام الحسين عليه السلام في هذين الكتابين يحدّد الهدف من ثورته وخروجه .

وهنا خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة المكرمة . وكان للإمام الحسين في أثناء طريقه إلى كربلاء ، كلاماً يختلف في نبرته كلما حلّ في منزل من المنازل . وفي منزل باسم

ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً حقاً» إلى آخر خطبته^(١٣).

إذن خرج الإمام الحسين عليه السلام من أجل القيام بهذا الواجب. وهذا الواجب موجّه لكافة المسلمين على طول التاريخ. وإن هذا الواجب يقول: كلما رأيتم نظام المجتمع الإسلامي عرضة للفساد الجذري، بحيث كان ذلك الفساد يهدد وجود الإسلام بالكامل، وجب على المسلم - في ظل ظروف مناسبة، وعلمتم أن الثورة والخروج والقيام بهذا الواجب سينقذ الإسلام - أن ينتفض لتغيير هذا الواقع، ولا تدخل في شروط هذا الواجب عدم الخوف من القتل أو التعرض للأذى، فهذه لا تدخل في جملة الشروط. ولذلك خرج الإمام للقيام بهذا الواجب على المستوى العملي ليكون درساً لجميع المظلومين من أصحاب المبادئ والدفاع عن الأصول والثوابت عبر التاريخ^(١٤).

لقد قام الإمام الحسين عليه السلام بأمر صعق فيه وجدان الأمة. من هنا فإنكم تشاهدون سلسلة عارمة من الثورات تواترت بعد استشهاد الإمام الحسين، وإن هذه الثورات رغم قمعها، ولكن هذا ليس مهماً، فإن قمع هذه الثورات رغم مرارته، ولكن الأمر من ذلك أن يبلغ الأمر بالمجتمع مرحلة لا يستطيع أفرادها أن يقوموا

ففي كلتا الحالتين سوف يؤدي القيام بهذا الواجب إلى إحدى الحسنيين. هذا هو التكليف الذي حدده رسول الله، وقال عنه الإمام الحسين: «وإني أحقّ بهذا»^(١١). وذلك لأنه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان النبي قد أوجب هذا على أحاد المسلمين، فمن البديهي أن يكون الإمام الحسين بن علي عليه السلام - وارث علم النبي وحكمته - أحق من سائر المسلمين بالقيام بهذا الواجب. وبذلك يكون الإمام الحسين قد بين السبب من ثورته وموقفه وحركته.

وفي منزل (عُذَيْب) حيث التحق بمعسكر الإمام الحسين أربعة أشخاص، قال الإمام الحسين عليه السلام: «أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قتلنا أم ظفرنا»^(١٢)، وهذا دليل آخر على ما ذكرناه من عدم الفرق في ما ستؤول إليه النتيجة، فالمهم بالدرجة الأولى هو أداء التكليف، سواء أدى إلى النصر والحصول على السلطة، أو أدى إلى الاستشهاد والفوز بالجنة والرضوان وتغيير الواقع وصعق الأمة، وتعبيد الطريق أمامها لتعيش في عزة وكرامة. وقال في الخطبة الأولى بعد الوصول إلى كربلاء: «قد نزل من الأمر ما قد ترون». ثم قال: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه،

الزبير ، وابن عمر ، وأبناء خلفاء الصدر الأول من الإسلام ، ولم يُبدِ أيّ واحد منهم استعداده لنصرة الإمام الحسين عليه السلام . وهذا يُثبت أنه حتى ما قبل مقتل الإمام الحسين كان السببات والشلل قد أصاب أطراف الأمة ، وطال حتى الخواص من المسلمين ! وأما بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، نجد حياة جديدة قد نفخت في جسد الإسلام الذي شارق على الموت . وهذا هو الدرس المهم الذي يتعيّن علينا أن نتعلمه من كربلاء ، وهذا هو مكن عظيمة هذه الواقعة .

من هنا كان الإمام الحسين عليه السلام هو « الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته » ، ومن هنا نجد الإمام الحسين عليه السلام قد « بكته السماء ومن فيها ، والأرض ومن عليها » . ومن هنا فإنكم اليوم تنظرون إلى الإمام الحسين بن علي عليه السلام بوصفه منقذ الإسلام ، وتعتبرونه حصن الإسلام الحصين^(١٥) .

بأي ردّة فعل تجاه الظلم ، فهذا هو الخطر الأكبر .

ويمكن لنا إحصاء تلك الثورات ابتداءً من واقعة الحزّة الشهيرة في المدينة المنورة ، إلى الثورات التي أعقبتها وصولاً إلى ثورة التوابين وثورة المختار بن يوسف الثقفي ، وصولاً إلى نهاية حكم بني أمية ، ومجيء حقبة بني العباس ، حيث كانت هناك على الدوام ثورات شعبية تستمد عنفوانها وحيويتها من دماء أبي الأحرار الإمام الحسين بن علي عليه السلام ، فلو أن الإمام الحسين لم ينتفض على ذلك الواقع المرّ ، لما تحركت ضمائر الناس ، ولبقت الأمة على سباتها . لماذا نقول إن روح الشعور بالمسؤولية في الأمة كانت ميتة ؟ إن دليلنا على ذلك هو أن الإمام الحسين عندما خرج من المدينة المنورة - وهي مركز لكبار المشاهير من الذين ترعرعوا في أحضان الإسلام - إلى مكة المكرمة ، وكان هناك ابن عباس ، وابن

الهوامش :

- [١] بتاريخ : ٦ / ١١ / ١٣٧١ ش .
- [٢] بتاريخ : ٢٠ / ٣ / ١٣٧١ ش .
- [٣] بتاريخ : ٦ / ١١ / ١٣٧١ ش .
- [٤] الكافي ، ج ٢ ، ص ٧٤ .
- [٥] المائة : ٥٤ .
- [٦] بحار الأنوار ، ج ٤٤ ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .
- [٧] بحار الأنوار ، ج ٤٤ ، ص ٣٢٩ .

- [٨] بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٤٠.
- [٩] بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨٢.
- [١٠] أعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٩٧.
- [١١] بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٨١.
- [١٢] بتاريخ: ١٩ / ٣ / ١٣٧٤ ش.
- [١٣] بتاريخ: ٦ / ١١ / ١٣٧١ ش.

أ . م حيدر محمد هناء الشلاه
باحث من العراق . كلية العلوم الإسلامية

الحكمة القيادية للمرجعية في معالجة القضايا المصيرية للبلاد - الإمام السيستاني نموذجاً -

الحمد لله الواحد الاحد المتفرد الصمد والصلاة والسلام على الرسول محمد ، وعلى اله المدد ،

وبعد :

فأن البحث الحالي يهدف إلى التعرّض لقضية في غاية الأهمية ، ألا وهي الحكمة القيادية
وأثارها البالغة في مصير الأمة ، والحفاظ على دينها ، ودمائها وكافة حقوقها وكيانها ومستقبلها .

ولتحقيق هدف البحث فقد اختار الباحثان مواقف تتجلى فيها الحكمة في كيفية تعامل السيد
السيستاني مع الأحداث المعاصرة ، وما لها من آثار كبيرة في حفظ الرسالة الإلهية من الضياع ،
وحقن دماء المسلمين ، في وقت تكالبت فيه قوى الشر والطغيان من أجل النيل من الإسلام
والمسلمين ، بإشاعة الفتن والأباطيل والشبهات وغير ذلك ، فضلاً عن إظهار الإسلام للغير بصورة
قبيحة مشوهة .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكوّن من تمهيد ومبحثين ، وخاتمة ، أمّا التمهيد فقد بيّنا فيه
مفهوم الحكمة وتنقيماتها ، والقيادة وسماتها ، وفي المبحث الأول : اسم السيد السيستاني ونسبه ،

يَسَاءَ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾ ، وفي وصف الحكمة قال الامام علي عليه السلام : " من الحكمة ان لا تنازع من فوقك ، ولا تستذل من دونك ، ولا تتعاطى ما ليس في قدرتك ، ولا يخالف لسانك قلبك ، ولا قولك فعلك ولا تتكلم فيما لا تعلم ولا تترك الامر عند الاقبال وتطلب عند الادبار ^(٤) أما في وصف الحكيم فعنه : " الحكيم يشفي السائل ويوجد بالفضائل ^(٥) ويقع ضمنها سبع صفات ^(٦) :

١ . صفاء الذهن : هو استعداد النفس لاستخراج المطلوب ^(٧) ، وهو ازالة كل الصور الذهنية التي لاصلة لها بسلسة الفكر والتي تشتت التركيز ^(٨) ويستشهد بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٩) ، يرى الباحثان : أن استلام النور الالهي يسبقه انفتاح قلبي وقبله صفاء ذهني من المعكرات السلبية .

٢ . جودة الفهم : وهي سرعة انتقال النفس من الملزوم إلى اللازم ^(١٠) ، وعرف بأنه : فن ادراك ما تقرأ ^(١١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : من فهم ، علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ^(١٢) .

٣ . الذكاء : وهو سرعة انقذاح

ونبذة عن حياته ، وجاء المبحث الثاني : لبيّن مواقف السيد السيستاني رحمته الله وحكمته في معالجات المشكلات المعاصرة ، أمّا الخاتمة فقد عرض فيها الباحث لأهم نتائج البحث ، وقد بذل الباحثان جهدا في الحصول على المصادر والمراجع المهمة التي أفاد منها الباحث ، وختاماً نرجو ان نكون قد وقفنا في عرض صورة مشرفة من صور الإسلام الأصيل ، وندعو الله تعالى أن يسدد خطانا إن كان صدر متآ خطأ أو سهو إنّه نعم المولى ونعم النصير .

الحكمة في اللغة والاصطلاح

لغة : الحِكْمَةُ : ما أحاط بحنكي الفرس ، سُمّيت بذلك ؛ لأنّها تمنعه من الجري الشديد ، وتُذلل الدّابّة لراكبها ، حتى تمنعها من الجحاح ، ومنه اشتقاق الحِكْمَةِ ؛ لأنّها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل .

وأحكَمَ الأمرُ : أي أتقنه فاستحكّم ، ومنعه عن الفساد ، أو منعه من الخروج عمّا يريد ^(١)

أصطلاحاً : الحِكْمَةُ : معرفة افضل الاشياء بأفضل العلوم ، وهي وضع الشيء من قول أو فعل في أحسن مواضعه ، وهو الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه ^(٢) قال تعالى في اهمية الحكمة وعظمتها : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ

ولا يمكن ملاحظته مباشرة ، ولكن يستدل عليه من أداء الفرد ، وبنشأ نتيجة الممارسة^(١٨) ، و التعلم الموجه بالهدف يعني أن المتعلم الماهر يبذل قصارى جهده لبلوغ هدفين يتمثلان في فهم معنى المهمات التي بين يديه وضبط تعلمه ، بالإضافة لذلك فقد يضع المعلم النموذجي في سياق تعليمه عددا من الأهداف الخاصة بالمهمة ، وإن التعلم يتأثر بالعوامل النمائية للمتعم مما يؤدي إلى فوارق متباينة في البنى المعرفية بين المتعلمين ويشير (جونز و آخرون ، ١٩٨٨) أن الطلبة المتخلفين في التحصيل يحتاجون إلى فرص متنوعة للتدريب على المهارات و تطبيقها في ظروف مختلفة ، على أن يكون ذلك مصحوبا بتغذية راجعة تصحيحية^(١٩) ، ويستشهد السيد الاملي عليه السلام بالآية الكريمة : قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾^(٢٠) ، نجد مما تقدم أن السيد الاملي ربط بين صفة الحكمة وسرعة التعلم ، ويستنتج الباحثان من ذلك أن السيد يريد أن يوصل فكرة بأن صاحب الحكمة يجب أن يكون على قدر عالي من التعلم والذكاء و الذي عبر عنه بسهولة التعلم .

٦ . الحفظ : و هو ضبط الصّور

النتائج^(١٣) ، وعرف على انه : القدرة الكلية العامة على القيام بفعل مقصود ، والتفكير بشكل عقلائي ، والتفاعل مع البيئة بكفاية فالذكاء قدرات الفرد في عدة مجالات ، كالقدرات العالية في المفردات والأرقام ، والمفاهيم وحل المشكلات ، والقدرة على الاستفادة من الخبرات ، وتعلم المعلومات الجديدة فالشخص الذكي هو :

- أ . أقدر على التعلم و أسرع فيه .
- ب . أقدر على الاستفادة مما يتعلمه .
- ت . أسرع في الفهم من غيره .
- ث . أقدر على التبصر في عواقب أعماله .
- ح . أقدر على التصرف الحسن و اصطناع الحيلة لبلوغ الهدف^(١٤) .

٤ . حسن التصور : البحث عن الأشياء بقدر ما هي عليه^(١٥) ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : "من تبصر الفطنة ظهرت له الحكمة"^(١٦) ، يرى الباحثان : أن المراد بحسن التصور هو البحث عن حقيقة الخبر أو المعلومة كما هي من غير زيادة أو نقصان .

٥ . سهولة التعلّم : و هي قوّة النفس على إدراك المطلوب^(١٧) ، يعرف التعلم عموما ، بكونه عملية تغيير ، شبه دائم في سلوك الفرد

ربط جميل بأن الذي يتذكر هم أولو الالباب أي اصحاب العقول ، وتعد الذاكرة عاملا مشتركا في كل أنواع التعلم ؛ لأنه إذا لم يتمكن الفرد من تذكر شيء عن خبراته ؛ فإنه لن يتمكن من تعلم شيء آخر ؛ وسوف تصبح الحياة عددا من الخبرات الوقفية ؛ التي لا تتصل مع بعضها إلا بقدر ضئيل ؛ لا يمكنه مواصلة الحديث مع الناس في موضوع ما ؛ لأن الأفكار عندئذ ستكون غير مترابطة ؛ ولكي يتمكن الفرد من الاتصال بالآخرين ؛ فلا بد من تذكر الأفكار التي يمكن من خلالها التواصل مع الآخرين ؛ وربطها معا في جمل تعبيرية قادرة على إيصال المعنى بسهولة ويسر^(٢٧) .

يرى الباحثان أن السيد الاملي عليه السلام قد فصل بين صفتي الحفظ والاستظهار وجعلهما متلازمين لطالب الحكمة وهو فصل علمي دقيق قد سبق به علماء النفس فليس كل حافظ للمعلومات يستطيع استظهارها بيسر وسهولة عند احتياجها ويقسم العلماء اشكال عملية التذكر الى :

١- الاسترجاع أو الاستدعاء : - قدرة

الشخص على تذكر الأحداث والخبرات التي تعلمها الفرد في السابق في صورة ألقا أو معان أو حركات أو صور ذهنية والاسترجاع أو

المدركة^(٢١) ، ويستشهد السيد بقول تعالى : ﴿ وَ تَعِيَهَا أذُنٌ وَاَعْيَةٌ ﴾^(٢٢) ، وقوله تعالى : هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ^(٢٣) ، إذ أن الوعي بالشيء يجب أن تسبقه عملية حفظ والا يتم ذلك وفي الاية الثانية مدح لكل أواب حفيظ وهي هنا صيغة مبالغة اي كثير الحفظ .

وتختلف مدة الاحتفاظ بالمعلومات تبعا لنوع الحاسة حيث أن لكل حاسة مسجل خاص بها يسمح على خزن كمية من المعلومات لمدة زمنية معينة وتستلم المسجلات الحسية كميات هائلة من المعلومات في لحظة من لحظات ، إلا أن الكثير من هذه المعلومات تتلاشى بصورة سريعة ، ولا يتم الاحتفاظ إلا بجزء قليل منها ، ويتوقف ذلك على عوامل التمييز منها والانتباه والإدراك فالتمييز يشير إلى عملية مقارنة المعلومات الحسية الداخلة مع المعلومات المخزونة مسبقا في الذاكرة أما الانتباه فيشير إلى عملية توجيه وتركيز الحواس أو الحاسة على مثير معين ، في حين يمثل الإدراك عملية تحويل الإحساسات إلى تمثيلات عقلية معينة^(٢٤) .

٧ . الذّكر : أي التذكر ، وهو استحضار المحفوظات^(٢٥) ، قال الله تعالى : ﴿ وَ مَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٢٦) فالاية المباركة

الاستدعاء يكون على نوعين :

أ- الاستدعاء المتسلسل : فيه يجب تذكر المادة في ترتيب معين (خطوات اشتقاق قانون) .

ب- الاستدعاء الحر : يتطلب استرجاع المعلومات في أي ترتيب كان مثل (اختبار المقال) التي لا ترتبط بمواد حسية ، وتحتاج إلى معلومات كاملة^(٢٨)

٢- التعرف : - يتطلب من المتعلم التعرف على ما تم تعلمه كما هو الحال في اختبارات الاختيار من متعدد والتعرف أيسر وأسهل من الاستدعاء أو هو شعور الفرد ان ما يدركه الآن جزء من خبراته السابقة ، وانه معروف ومألوف لديه وليس شيئاً غريباً عنه أو جديد عليه^(٢٩) .

٣- الاحتفاظ أو إعادة التعلم أو درجة الوفر : - يشير إلى أن الفرد يحتفظ بجزء من المعلومات حتى لو فشل في التعرف عليها أو استدعائها لان المعلومات التي تعلمها الفرد في الماضي تصبح قابلة للنسيان بعد فترة من الزمن وخصوصاً مع غياب التدريب والتعزيز^(٣٠) .

القيادة في اللغة والاصطلاح

أولاً : القيادة في اللغة :

تعرف القيادة : بأنها : القود نقيض السّوق ،

يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها ، فالقود من أمام والسوق من خلف ، وجمع قائد الخيل قادة وقواد ، وهو قائد بين القيادة ، والقائد واحد القواد^(٣١) ، وقاد الأمير الجيش قيادة فهو قائد وجمعه قادة وقواد ، وانقاد انقياداً في المطاوعة^(٣٢)

ثانياً : القيادة في الاصطلاح :

تعرف القيادة في الاصطلاح بأنها : « القدرة على التأثير في سلوك الآخرين ، لحملهم على القيام بعمل ما ، بغية تحقيق هدف أو أهداف متفق عليها ، أو القدرة على معاملة الطبيعة البشرية ، أو التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم »^(٣٣) .

وعرفت كذلك بأنها : « الجسر الذي يستعمله المسؤولون ليؤثروا في سلوك المرؤسين وتوجهاتهم ليربطوا بين أهداف الدولة وأهداف الفرد ، وهي في مجملها تحمّل مسؤولية اتجاه المجموعة »^(٣٤) .

أما القيادة الرسالية ، فإنّها ذات خصوصية إذ تحدد بجملة خصائص ، ويمكن تعريفها بأنها : هي نيابة ووكالة عامة عن أمور المسلمين ، ويجب لمن يتصدى لها أن يتحلى بمجموعة

المتعلمين في مجال الخطابة ، والحوار ،
والمناظرة ، والتفاوض ، والتخطيط .

يقول غاردنر : « ما نتعلمه بعد أن نعرف
الشيء كله هو التعلّم الحقيقي ، والقائد هو
الذي يتعلّم كيف يتدبّر وقته بحكمة ، وهو الذي
يتعلّم أن يضع جانباً روتين الكسل والتبّد
والعادات التي تستعبده . القائد الذي يتعلّم أن
الشفقة على الذات ، أو جلد الذات ،
والامتعاض والغيط والاستياء هي مواد سامة ،
القائد هو الذي يتعلّم كيف يصبح حقاً مشاركاً
ومهتمّاً بالآخرين ، كما أنّ القائد هو الذي يعلّم
باستمرار بأنّ لديه ما يعطي أكثر ممّا سبق
وأعطى »^(٣٧)

ويرى الباحثان إن قوة القادة تمنح لهم
طوعاً من التابعين والذين يقبلون توجيهات
القائد من خلال الموافقة المشتركة ؛ فهؤلاء
القادة يمارسون قوة أوّتمت لهم برغبة التابعين
الذين تأثروا بأفكار قادتهم وانجذبوا لها ،
وشاركوهم بقيمهم ومعتقداتهم ، واقتنعوا بأنّ
قادتهم قادرون على أن يمثلوهم بأمانة وأن يثقوا
بهم على ما تعاهدوا عليه والتزموا به .

إنّ مسألة الفرق بين قوة القائد المستمدة
من المنصب ؛ والمستمدة من أتباعه تكمن في
من يتحكم بهذه القوة ، مراراً ما يكون الأتباع

من الصفات أهمها : أن يكون متمسماً بالتقوى ،
وعالمّاً بأمور زمانه ، وشجاعاً ، ومدبراً ، وهذه
الصفات لا يمكن التحلي بها إلا من خلال
الاستلهم من سيرة النبي محمد ﷺ وآله
الأطهار ﷺ ، والأولياء العظام^(٣٥) ، وهذا هو
ما فعله السيد السيستاني الذي استلهم من
سيرة النبي محمد وآله ﷺ أروع القيم ، وأنبأ
السجيا فصار نشيداً للأحرار ، وقدوة للثوار ،
ومناراً للقادة الأبرار .

ثالثاً : أهمية القيادة :

تعد القيادة من أكثر الموضوعات ذات التأثير
في أوساط المجتمعات الإنسانيّة ، وقد دار
حولها الجدل على نطاق واسع من حيث
أهدافها ومنهجيتها الفكرية والقيمية ، فيمكن
للقيادة أن تستعمل لغايات إنسانية نبيلة ، كما
يمكن لها أن تستعمل لغايات التلاعب والتناور
والقمع ، لهذا يمكن القول أن التفكير في
القيادة وفهمها يعد نوعاً من التحديات الفكرية
المركبة الصعبة^(٣٦) .

ويستطيع دارسو القيادة أن يتعلّموا الكثير
عن القيادة من خلال قراءة السيرة الذاتية
لأحسن القادة وأسوأهم ، وهناك فرص لا
تحصى للتعلّم عن القيادة التي تشحذ مهارات

يحافظ على أسرار مؤسسته والتشكيلات التي تحت يديه^(٤٠).

٤- الدافع : ويتضمن الإنجاز ، والطموح ، والطاقة ، والقدرة على التذكر ، والمبادرة .

٥- دافعية القيادة : أظهرت الدراسات أن لدى القادة نوعين من الدافعية نحو القيادة ، وكلاهما يتعلقان بالهيمنة كصفة قيادية ، فتارة تكون الهيمنة قوة دافعية شخصية ، وأخرى قوة دافعية اجتماعية ، فالذين يحملون القوة الدافعية الشخصية يبحث عن القوة بحد ذاتها ، فهؤلاء الأشخاص يستخدمون القوة من أجل الهيمنة على الآخرين ، وربما يعزى ذلك إلى الشك وعدم الثقة بالنفس ، أم صفة القوة الدافعية الاجتماعية ، فهو الذي يستخدم القوة كوسيلة لإنجاز أهداف مرغوبة أو لإنجاز رؤية^(٤١).

٦- النزاهة والاستقامة : مع أن صفة النزاهة أو الصدق فضيلتان يحسن توافرها في الأفراد جميعاً ، غير أن توافرها في القادة له أهميته الخاصة فالاستقامة هي التواصل الحقيقي بين الأقوال والأفعال ، كما أن النزاهة تعني الصدق وعدم الخداع ، إنهما صفتان تشكلان الأساس للعلاقة القائمة على الثقة بين القائد والاتباع .

مصدر القوة ، فهم قادرون على سحب الدعم الذي طالما منحوه لقائدهم طوعاً ، كما يستطيعون أن يزيدوا من دعمهم لهم فيزداد القائد قوة^(٣٨).

رابعاً : شروط القائد :

كثرت الأبحاث النفسية والتربوية على مجموعة من القادة ، من أجل تحديد مقومات القيادة ، وشروط القائد الناجح ، وهناك مجموعة من الشروط التي ينبغي توافرها في القائد ، ومن أهمها :

١- الإيمان بالهدف : ومعنى ذلك أن القائد قبل كل شيء يجب أن يكون مؤمناً بدينه ، وعقيدته إيماناً عميقاً لأن ذلك هو الباعث الحقيقي لأداء التكاليف الملقاة على عاتقه^(٣٩).

٢- العلم والقدرة : إن المراد من العلم هنا ما يتناغم وينسجم مع عمل المدير والقائد ويؤثر في تديره وقيادته بشكل حاسم ، وقسم من هذين الامتيازين المهمين ذاتي في الإنسان ، وقسم يكتسب من خلال التجربة .

٣- الأمانة والصدق : لا تنحصر الأمانة في حفظ الأموال بل الأمانة في كل مقام ومنصب تعد أيضاً مصداقاً لهذا المفهوم الواسع للأمانة ، فالأمين في هذا المورد هو الذي

المسؤوليات والوظائف العشر التي

ينبغي توافرها في القائد : _____

يمكن القول أنّ هناك عشر وظائف أساسية

للمدير ، هي :

١- اتخاذ القرار : يجب على المدير قبل كل شيء ، ومن أجل المهام والوظائف الملقاة على عاتقه ، أن يضع القرارات التي ينبغي العمل بها لتساعده على تحقيق هدفه والوصول إلى مقصوده ، ولذا لا بد له من الاستعانة بالمعلومات والخبرات السابقة ، وكذلك الاستعانة بالمشورة^(٤٣) .

٢- البرمجة والتخطيط : بعد مرحلة اتخاذ القرار ، تبدأ مرحلة التنفيذ والممارسة الميدانية ، وهي مرحلة الحاجة إلى التخطيط ، فبدون عملية التخطيط لا يمكن الدخول إلى ميدان الممارسة والعمل .

٣- التنظيم : الهدف من التنظيم تقسيم العمل في مجموعة من النشاطات بحيث يضمن تنظيم الأمور ، ومن أجل إنجاز عملية التنظيم ينبغي الأخذ بأشكال التخصص العلمي والعملية ، والالتزام الأخلاقي وسائر العناصر التي تدخل في عملية إنجاز المشروع .

٤- إيجاد الانضباط والتنسيق : يجب أن يكون القائد أو المدير قادراً على التنسيق وإيجاد

٧- الثقة بالنفس : تأتي أهمية الثقة بالنفس ، من أهمية القرارات الحاسمة التي تتطلب ثقة عالية من القائد بنفسه .

٨- الاستقرار العاطفي : من صفات القائد المهمة أن يكون متوازناً بزاجه وانفعالاته ، وقد وجد الباحثون في (مركز الإبداع القيادي) أنّ القادة غالباً ما ينحرفون عن الخط السليم عندما يفتقرون إلى الثبات العاطفي^(٤٢) .

إنّ التأمّل والتدبّر فيما مضى من الشروط التي ينبغي توافرها في القائد الناجح - كما توصل إليها علماء النفس والتربية - نجدها وغيرها تتجلى بأبهى صورها في شخصيّة سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام ، فقد كان مؤمناً إيماناً مطلقاً بهدفه ، وعالمماً به قادراً على تطبيقه ، وكان على أعلى درجات الأمانة والصدق ، فلم يهن ولم ينكل ، وكان لديه دافعاً كبيراً ، ودافعية عالية لتحقيق هدف ، والذود عن حمى الإسلام ، وكان في قمة النزاهة ، والثقة بالنفس ، والاستقرار العاطفي ، بل إنّه استثمر العاطفة الجياشة في بلوغ الهدف ، فعندما استمالوه الأطفال والنساء لجلب الماء إلى المخيم تأثر لذلك بشدة ، فكانت نتيجة تأثره أن شدّ عزيمته ، وهجم على أعدائه ، فأزالهم وفتك بهم .

نزر يسير من المواقف القيادية التي تنبىء بصورة واضحة جليّة عن الحكمة والقيادة ، نحاول في هذا المبحث الإفادة من هذه المواقف وربطها بواقعا المعاصر لنجعلها أكثر حيوية من جهة ، ولنضع أمام الإنسانية تجربة واقعية استنار أصحابها بفكر أهل البيت عليهم السلام فكتب لهم التوفيق والنجاح ، ألا وهم ، ولا غرابة في ذلك فعلماء الدين هم أفضل من يفهم حقيقة الأئمة المعصومين عليهم السلام ويدرك فلسفة قراراتهم وحكمتها ، وخير من يمثل علماء الدين ومراجع المسلمين في عصرنا الحالي هو سماحة السيد السيستاني دام ظله ، لذا ارتأينا أن نرى تجليات الحكمة القيادية عند السيستاني دام ظله في ضوء بعض مواقفه القيادية ، وقد توخينا في كل ما طرحناه سابقاً وما نطرحه في هذا المبحث الاختصار ، مراعاة للإيجاز بما يتناسب وطبيعة البحث ، وسنحاول بداية بيان بعض المطالب التي لها صلة بموضوع المبحث ، وذلك فيما يأتي :

المرجعية الدينية :

مفهوم المرجعية : المرجعية من الناحية اللغوية مركبة من المرجع وياء النسبة وتاء المبالغة وأصل كلمة المرجع هو رجع أو الرجوع

الانضباط بين مفاصل المكان الذي يقوده أو يديره ، وذلك من خلال الحفاظ على علاقته مع أفراد الدائرة والذين يعملون تحت إمرته ، ويعمل على تقوية هذه العلاقة بشكل مباشر أو غير مباشر ، فهو يملك دور المنسق ، ولا يمكن أن يتغافل عن هذا الدور المهم ، لأن وجود أفراد جيدين ومفردات جيدة لا يعني النجاح الأكيد ، فالمهم هو إيجاد التنسيق والتركيب الصحيح والمتجانس بين هذه المفردات ، وهذا هو الذي يضمن نجاح العمل .

٥- إيجاد المحرك والدافع .

٦- التفكير بالحل للمشاكل والحوادث غير المتوقعة .

٧- تقييم عوامل النجاح والإخفاق ودراستها .

٨- جمع المعلومات والإحصائيات .

٩- جذب العناصر الصالحة .

١٠- عنصر التشويق والتوبيخ^(٤٤) .

تطبيقات الحكمة القيادية عند السيد السيستاني دام ظله في مواجهة التحديات

بعدما تقدّم الكلام في المبحث الأول عن

أنحاء للشيعة في كل أنحاء العالم ، وهي ترتبط ارتباطاً عقائدياً بالمذهب الشيعي الإمامي^(٥١) ، فهي الحافظة للإسلام وكيان المسلمين وتدافع عن حقوقهم وترعى مصالحهم وتدير المدارس الدينية ومراكز التعليم والثقافة ، وتعد الفقهاء والنواب الحاصلين على أذونات شرعية ، ومراجع التقليد ، كما تنهض المرجعية الدينية بمهمة إعداد القادة الروحانيين القادرين على الوقوف دون انهيار المسلمين وخرابهم في العقيدة والفكر والمحافظة على هويتهم ودينهم والدفاع عنه أمام الحكومات والسلطات ، وتقوم بمهمة تفتيحه المسلمين وتوعيتهم بالدين^(٥٢) .

مرجعية السيد السيستاني رحمته الله عليه : — السيد السيستاني :

هو السيد علي بن السيد محمد باقر بن السيد علي بن السيد محمد ، ولد سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ، ونشأ في أسرة علمية دينية ملتزمة ، كانت من الأسر الحسينية العلوية التي تسكن مدينة أصفهان ، بدأ في الخامسة من عمره بتعلم القرآن الكريم ، ثم دخل (مدرسة دار التعليم الديني) لتعلم القراءة والكتابة ونحوها ، فتخرج فيها متعلماً كذلك فن الخط . وفي عام ١٣٦٠هـ بدأ بتوجيه من والده بدراسة

بمعنى عاد إلى كان من البدء^(٤٥) .

أما من الناحية الاصطلاحية ، وهي : « الجهة المتولية بشؤون الأمة أو الطائفة بإجماعها وبيدها الإدارة لتدبير أحوالها وأوضاعها الدينية »^(٤٦)

أما المرجع الديني : فهو المجتهد العادل الذي يرجع إليه الناس للفتوى لعبادتهم ومعاملاتهم^(٤٧) .

والمرجع الديني في المذهب الشيعي الإمامي يعد نائب الإمام المعصوم في زمان الغيبة الكبرى وهذا الكيان الديني الذي خلفه الإمام الغائب جاء بحسب حديث الإمام المهدي المنتظر^(٤٨) ، « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجة عليكم وأنا حجة الله عليكم »^(٤٩) .

المرجع الأعلى : يطلق لقب المرجع الأعلى على أكبر المجتهدين علماً ومقلدين وخبرة ، وهو حائز على إقرار المراجع والمجتهدين الكبار الآخرين^(٥٠) . واليوم يطلق هذا اللقب بكل جدارة على سماحة السيد السيستاني رحمته الله عليه لكونه يمتلك المؤهلات والاستحقاقات كافة التي تجعله يوصف به .

تمثل المرجعية الدينية في النجف الأشرف أعلى سلطة روحية دينية للشيعة في كل

الحلي^(٥٤) .

وفي أواخر عام (٥١٣٨٠) كتب له أستاذه آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي ، وأستاذه آية الله العظمى الشيخ حسين الحلي شهدائين ببلوغ درجة الاجتهاد ، كما كتب شيخ محدثي الشيعة الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة شهادة أخرى يطري فيها مهارته في علمي الحديث والرجال ، وفي أوائل عام (٥١٣٨١) بدأ بإلقاء محاضراته في (الدرس الخارج) في الفقه في ضوء كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري ، وأعقبه بـ (شرح العروة الوثقى) ، فأتم أبواب فقهية عدة منه .

أمّا في علم الأصول فقد بدأ بإلقاء محاضراته في عام (٥١٣٨٤) وأكمل دورته الثالثة في عام (٥١٤١١) ، وقد سجّلت محاضراته جميعها من عام (٥١٣٩٧) .

إنّ شخصية السيد السيستاني رحمته الله وتوجهاته تشبه إلى حد ما شخصية أستاذه السيد الخوئي وتوجهاته العلمية إذ يمكن القول إنّ مرجعية السيد السيستاني رحمته الله هي الامتداد المماثل لمرجعية السيد الخوئي^(٥٥) . أمّا مؤلفاته فقد بلغت (٤٤) مؤلفاً^(٥٦)

مقدمات العلوم الحوزوية ، وفيها أتمّ كتب المقدمات ومنها كتاب (شرح الألفية) للسيوطي ، و (المغني) لابن هشام و (المطوّل) للتفتازاني و (شرح اللمعة الدمشقية) و (القوانين) ، والسطوح العالية ، ومنها كتاب (الرسائل) و (المكاسب) و (الكفاية) كما قرأ جملة من الكتب الفلسفية منها كتاب (شرح المنظومة) للسبزواري ، و (شرح الإشراف) ، و (الأسفار) و (شرح الإلهام) ، كما حضر بحوث الخارج للمرحوم الميرزا مهدي الأشتياني ، والمرحوم الميرزا هاشم القزويني وذلك عام سنة (٥١٣٦٥)^(٥٣) .

وفي أواخر عام (٥١٣٦٨) هاجر إلى قم المقدسة لإكمال دراسته ، فحضر عند العلمين الشهرين السيد حسين الطباطبائي البروجردي في الفقه والأصول ، والسيد محمد الحجة الكوهكمري في الفقه فقط .

وفي أوائل عام (٥١٣٧١) هاجر من مدينة قم إلى النجف الأشرف ، فوصل إلى مدينة كربلاء المقدسة في ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ، ثم نزل النجف الأشرف فسكن مدرسة البخارائي العلمية ، وحضر بحوث العلمين الشهيرين آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي والعلامة الشيخ حسين

تجليات الحكمة القيادية عند السيد السيستاني رحمته الله

تعد شخصية السيد السيستاني رحمته الله من الشخصيات القلائل التي كوّنت مفصلاً يستدعي التوقف عنده والبحث في طبيعة ومكونات هذا العالم الذي يتمتع بخصائص روحية ومثالية عالية ، طالما حث عليها أهل البيت عليهم السلام حتى جعلت منه عالماً ربانياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، فكان رجل العلم والتقوى ؛ والحكمة والدراية ؛ رجل المواقف الصعبة والثابتة على الحقن رجل الاعتدال في زمن التعصب وإثارة الفتن ، رجل الإسلامية قلباً وقالباً ، مرّ بمختلف المواقف الحرجة فكان السيد الكبير والعالم الصبور النحرير ، والورع المحتسب ، والزاهد التقوي والمحترم لآراء الآخرين ، عشق العلم والمعرفة فقدّس حرية الرأي والكلمة البناءة الهادفة إلى إظهار الحقيقة وجلاء الشبهات ^(٥٨) .

أنّ الوقوف على أعتاب هذه الرموز الكبار والقامات الشامخة من أمثال سماحة السيد السيستاني رحمته الله لا يمكن لمثل هذا البحث الموجز أن يحيط بمواقفه الخالدة ، وآرائه السديدة ، وقراراته السديدة ، ومنجزاته العديدة ، لذا سنكتفي بذكر بعض المواقف التاريخية لهذه

سماته وخصائصه الشخصية والعلمية :

اتسم سماحة السيد السيستاني رحمته الله بجملة خصال كوّنت معالم شخصيته التي استطاعت أن تنفذ إلى قلوب الملايين ، بعد أن عاجلت بخلقها الرفيع وأدبها الرباني العديد من المشاكل التي واجهت الأمة ، وتجاوزت العديد من صراعاتها الراهنة ، ومن أهم سماته الشخصية :

- ١- الانصاف واحترام الراي الآخر .
- ٢- الأدب في الحوار .
- ٣- الخلق التربوي .
- ٤- الورع والتقوى .
- ٥ . الإنتاج الفكري .
- ٦ . الربط بين الفكر الحوزوي والثقافات المعاصرة .
- ٧ . الإبداع والتجديد .
- ٨ . إمامه بمقتضيات عصره .
- ٩ . النظرة الاجتماعية للنص .
- ١٠ . المقارنة بين المدارس الفكرية والفقهية المختلفة ^(٥٧) .

الشخصية العظيمة ومدى تأثيره بفكر ال البيت عليهم السلام .

ومراعاة للاختصار سنكتفي بذكر أربعة مواقف تاريخية لسماحة السيد السيستاني عليه السلام ، جرت عقب أحداث عصيبة كادت تعصف بالأمة الإسلامية عموماً ، والشعب العراقي بنحو خاص ، وهي :

١- المطالبة بكتابة الدستور العراقي وإجراء لانتخابات بعد تغيير النظام في بعد عام ٢٠٠٣ م

بعد السيد السيستاني عليه السلام من المراجع المعتدلين والواقعيين الذين يكيّفون المواقف الدينيّة مع الوقائع السياسية على الأرض ، فهو لم يتعامل مع قوات الاحتلال ورفض لقاء الحاكم المدني في العراق (بول بريمر) على الرغم من إلحاح الأخير وتوسيط عدد كبير من السياسيين العراقيين كان آخرهم مسعود البرزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني ، والوقت نفسه لم يدع إلى مقاومة قوات الاحتلال بالعنف . وإنّما اكتفى بموقف سياسي لا يضعف العملية السياسية التي جرت في العراق بتشكيل مجلس الحكم في ١٣/٧/٢٠٠٣ م ، ولكي يتناغم مع الشعار الأمريكي في العراق لإقامة

الديمقراطية في العراق ، وقد كان على رأس الأهداف التي يروم سماحة السيد السيستاني عليه السلام تحقيقها هو كتابة دستور عراقي بأيدي عراقية ، ورفض رفضاً قاطعاً قبول دستور مستورد من الخارج يحمل أفكار صهيونية استعمارية يهودية بصبغة إسلامية بحجة عدم إمكانية كتابة دستور بأيدي عراقية لأنّ البلد يعيش حالة من الفوضى ولا يمكن حصر أفراده الذين يعوّل عليهم للمشاركة في الانتخابات^(٥٩) ، وهنا تقف على نقطة مهمة ممن أعترض على مطالبة السيد بكتابة الدستور فرغم المشكلات في كتابته الا أنه لو لم يكتب لكبل العراق بدستور مستورد أكثر مشكلات من هذا الذي بين ايدينا .

في ظل هذه الأجواء بادر سماحة السيد السيستاني عليه السلام بحلّه الفريد الفذ وبخطوته الجريئة التي راهن العديد على فشلها لصعوبة تطبيقها في تلك الظروف العصيبة ، وأصر سماحته على ضرورة إجراء الانتخابات ، ولمّا سئل عن آلية حصر أعداد أبناء الشعب العراقي ، فأجاب بأنّ هناك سبيلاً ناجحاً لذلك وهو اعتماد البطاقة التمييزية التي كانت قبل ذلك معتمدة من لدن الأمم المتحدة في برنامج النفط مقابل الغذاء ، وبذلك تكون هذه الإحصائية جاهزة

المخادعة من جهة ، وكتابة البنود التي تتناسب والتشريع الإسلامي - بالقدر المتيقن - من جهة أخرى .

والجدير بالذكر أن سماحة السيد السيستاني عليه السلام كان يعمل بقوتين القوة الأولى ما يمتلكه من خبرة ومعرفة ودراية منبثقة من استيعابه للموروث الكبير من القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين ، ورواياتهم الشريفة ، فضلاً عن ثقافته الواسعة ، واطلاعه الفياض ، والقوة الثانية هي التسديد الإلهي الواضح والمتجلي في دقة قرارته ، وحكمتها وخطورتها ونجاحها .

٢ . إصداره لفتوى الجهاد الكفائي بعد أحداث سقوط الموصل في سنة ٢٠١٤ م ، ومصاديقها في تراث الأئمة عليهم السلام : —

قد لا نبالغ إذا قلنا أنه لم يكن أحد في العالم يتوقع أن سماحة السيد السيستاني عليه السلام هو الذي يبادر بإصدار فتوى يدعو فيها الناس إلى الجهاد الكفائي ، إذ يعد سماحته من أكثر القادة والمراجع الذين يدعون إلى السلم وحققن الدماء ، والابتعاد عن المواجهة التي تستبغ إراقة الدماء ، ولكنه كعادته فاجأ الجميع ، المخالفين قبل المؤلفين ، والأعداء قبل الأصدقاء ، وقد

ودقيقة ومعترف بها عالمياً ولا يمكن ردها ، وبالفعل تم قبولها من الأطراف جميعاً داخلياً وخارجياً .

وفعالاً أجريت الانتخابات وكتب الدستور بأيدٍ عراقية ، وإن كان ما حصل لا يلبي مستوى الطموح ، ولكنه أهون وأفضل بكثير مما أريد له .

نجد حكمة السيد وحسن قيادته تتجلي في أمرين :

الاول : لو لم تجرى الانتخابات لبقيت الحكومات المتعاقبة بدون غطاء شرعي قانوني ولكان العراق عرضة لتدخل دول العالم والامم المتحدة ومجلس الامن بحجية عدم الشرعية . بالاضافة الى ذلك فإنه (دام ظله) اراد أن يربي المجتمع على الاعتماد على نفسه ويصبح هو صاحب القرار ويؤهله لاختيار ممثليه ، ولكن قذارة بعض السياسيين حال دون ذلك .

الثاني : والسيد السيستاني عليه السلام دعا لكتابة الدستور بطريقة تتناغم مع سياسة الطرف الآخر (المحتل الأمريكي) وهي الطريقة الديمقراطية التي تتيح للشعب اتخاذ قراراته بنفسه وبحريته ، فلذا طالب بكتابة الدستور بأيدٍ عراقية ، وبذلك تمكن السيد السيستاني عليه السلام من تحقيق مطلبه بكشف السياسة الأمريكية

خلافة الإمام علي عليه السلام أي قبل تسلّم الإمام الحسن للإمامة ، والقرار الذي اتخذته الإمام علي عليه السلام بقتال أولئك البغاة^(٦٠) ، وواصله بعده ولده الحسن المجتبي عليه السلام ، وذلك حينما أرسل معاوية غارة همجية بربرية بقيادة سفيان بن عوف الغامدي إلى الأنبار ، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك وما تبعه من أحداث ذل وهوان بقوله : « وهذا أخو غامد (يعني سفيان ابن عوف) و قد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبيها وقلائدها ورعتها (أي أقراطها) ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام . ثمّ انصرفوا وافرّين ما نال رجلا منهم كلم ، و لا أريق لهم دم ، فلو أنّ امراء مسلمة مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما ، بل كان به عندي جديرا . فيا عجبا عجبا و الله يميت القلب و يجلب الهمّ ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، و تفرّقكم عن حقكم فقبحا لكم و ترحا ، حين صرتم غرضا يرمى : يغار عليكم ولا يغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله و ترضون »^(٦١) . ثمّ يؤنّب الإمام عليه السلام من تخاذل من القوم عن وماذا حل

توافرت في هذا القرار ما توافرت في غيره من القرارات المصيرية للسيد السيستاني عليه السلام ، وهي اتصافها بالخصائص الآتية :

* عنصر المفاجئة .

* كونه الحل الناجع لمشكلة عصبية تهدد أمن البلاد والعباد .

* كونه الحل الأمثل للحفاظ على وحدة المسلمين وغيرهم .

* الاستجابة الكبيرة والعظيمة من الجميع على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ودياناتهم .

* تعزيز ثقة الأمة بحكمة قيادتها ، وجدارتها بحمل المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها .

لقد كان الواقع الذي يعيشه العراق قبل صدور فتوى الجهاد من المرجعية الدينية العليا ينبيء بحدوث كارثة إنسانية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية ، فقد اجتاحت جماعة همجية باسم الإسلام وقد سيطرت على بعض أجزاء العراق وكانت تعد العدة لاجتياح باقي أجزائه ، فبادر سماحة السيد السيستاني عليه السلام بإصدار فتاواه التي سيبقى التاريخ ينحني لها إجلالاً وإكباراً لما حققته من نصر وعزة وشموخ لا للمسلمين فحسب بل لكل أبناء الشعب العراقي بأطيافه ودياناته المتنوعة ، إنّ هذا الموقف يذكرنا بما جرى في العراق في نهاية

لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا قد عرف أنكم تفعلون ذلك ولكن إنمّا قتلتمكم لأتأمر عليكم فقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون» (٦٣) .

أمّا مجتمعنا العراقي المعاصر فقد أبلى بلاءاً حسناً وكان بقمة الوعي والمسؤولية حينما زحف بكل أطيافه ومناطقه وفئاته العمرية هبة رجل واحد ذي عقيدة صلبة وإيمان راسخ مستجيبة لفتوى قيادتها الحكيمة ومرجعيتها الرشيدة ، المتمثلة بزعيمها سماحة السيد علي السيستاني عليه السلام ممّا جعل العدو المعتدي الغاشم يتقهقر أمام خطواته ، ويجعل الأرض تنزل تحت أقدامهم ، حتى حققوا الانتصارات تلو الانتصارات ، وهم الآن مستمرين بتقدّمهم وصمودهم مادامت وراءهم قيادة حكيمة توجههم ، وعقيدة راسخة تثبتهم وإرادة صلبة تتقدمهم .

والجدير بالذكر أنّ ما ذكرناه في النقطة الأولى حاضر هنا ، وهو يحضر في قرار من قرارات سماحة السيد السيستاني عليه السلام ، تسندها ريكيزتان أساسيتان ، الأولى علمه ومعرفته ودرايته بالأمور ، والثاني التسديد والتوفيق الإلهي الذي لا يخفى على ذي لب في إصدار فتوى الجهاد من جوانب عدة ، منها وند

بهم إثر ذلك ، فيقول : « ألا و إنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا ، و سرّا و إعلانا . و قلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قطّ في عقر دارهم إلاّ ذلّوا ، فتواكلتم و تخاذلتم ، حتّى شنتّ عليكم الغارات ، و ملكت عليكم الأوطان» (٦٤) . وبعد ذلك جهز الإمام علي عليه السلام جيشاً لقتال معاوية واستئصال شره وإنقاذ العباد من فتنه وضلالاته ومؤامراته ، ولكنّ اليد الأثيمة لعدو الله ابن ملجم سارعت باغتياله ، وعن تسلّم الإمامة من الإمام الحسن عليه السلام واصل مشروع إيبه وحشد الجيوش ووجهها لقتال معاوية في معسكر النخيلة ، ولكنّ الخبر التاريخي المؤلم يحدثنا أنّ المجتمع آنذاك لم يثمن وجود قائد حكيم كالإمام الحسن عليه السلام فقابلوا حكمته بالخيانة تارة ، وبالتخلي عنه تارة أخرى ، وبطعنه ثالثة ، وبالتخاذل عنه والتسرّب إلى جيش العدو رابعة وغيرها وغيرها ممّا يطول بيانه ، فكانت عاقبة أمرهم بسبب مخالفتهم لأوامر إمامهم وقائدهم أن رضخوا في الذل والهوان تحت سيطرة معاوية بن أبي سفيان الذي لم يتورع حتى عن إنكار نواياه الخبيثة ضد الإسلام فقال لهم بعد أن استحكم الأمر إليه . وامسك بزمام الأمور ، قام في الناس خطيباً يقول : « ماقاتلكم

التكامل ، والحمد لله رب الأكون ، والصلاة والسلام على أفضل إنسان ، محمد وآله أئمة الإنس والجان .

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية الممتعة التي قضيتها في رحاب سماحة السيد السيستاني عليه السلام وقراراته السديدة والمصيرية ، يمكن أن أثبت أهم النتائج التي استخلصتها من البحث فيما يأتي :

١- أن السيرة العطرة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام هي سيرة معطاء زخارة بالدروس والعبر التي ينبغي لكل قائد من الاطلاع عليها ودراستها دراسة تحليلية واعية ، للاستفادة من مضامينها ، والسير بهديها .

٢- أن المواقف المشرقة والمشرقة التي بدت في سياسة سماحة السيد السيستاني عليه السلام هي امتداد حقيقي لنهج الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام .

٣- أن المواقف المشرقة والمشرقة لسماحة السيد السيستاني عليه السلام تعد دليلاً على صواب فكر أهل البيت عليهم السلام ونجاح سياستهم .

٤- أن القيادة مهما كانت واعية وحكيمة فهي لا تكفي لوحدها في إنجاح المشروع

حكيمته وحسن قيادته في الخطوات الآتية :
* توقيت الفتوى ، فلو أصدرت بعد يوم واحد لكان العدو قد دمر البلاد وقتل العباد .

* الاستجابة الكبيرة التي لاقتها الفتوى من لدن الجميع وتفاعلهم معها .

* إصابتها الواقع كونها البديل الوحيد المناسب الذي كان حلاً ناجعاً للمعضل الذي وقع في المجتمع العراقي .

* وغيرها مما خفي علينا من الأسرار الخفية التي يظهرها لنا المستقبل .

وفي الختام نقول أن البحث وقف على نماذج محددة مراعاة للاختصار وبما يتناسب مع طبيعة حجم البحوث ، ولأننا أردنا أن نبين فكرة رأيها ترتبط بالسياسة البناء التي انتهجها أهل البيت عليهم السلام ، وقد أفاد منها علماءنا الإعلام بوصفهم ورثتهم بالعلم والفكر والموقف والعقيدة ، فهم ينهلون من منبع عذب فرات رسمه لهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إذا قال موصياً أمته : « إني مخلف فيكم الثقيلين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » ^(٦٤)

ونرجو أن نكون قد وفقنا في إيصال فكرة بحثنا ، والله تعالى هو المستعان وعليه

- الفاضلي ، ط ١ ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١١ م .
- ٦- الإمامة والسياسة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧١هـ) ، تحقيق : طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، د . ت .
- ٧- الانتصار ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت ٤٣٦هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران — قم المقدسة ، ١٤١٥هـ .
- ٨- باب مدينة علم الفقه ، علي محمد رضا كاشف الغطاء ، دار الزهراء ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ٩- تاريخ مدينة دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، ج ٥٩ ، تحقيق : علي شيري ، دار فكر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان — بيروت ، ١٤١٥هـ .
- ١٠- تدني مستوى التحصيل والانجاز المدرسي (أسبابه وعلاجه) ، لمعان مصطفى الجلالي ، ط ٢ ، دار وأئل للنشر والتوزيع ، عمان — الاردن ، ٢٠١١ .
- ١١- التعلم نظريات وتطبيقات ، أنور محمد الشرقاوي ، القاهرة ، مكتبة لأنجلو المصرية ١٩٨٣ .
- ١٢- تعليم التفكير (مع الامثلة التطبيقية والاختبارات التفكيرية) ، سيف طارق حسين العيساوي ، ط ١ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠١٤ .
- ١٣- تفسير المحيط الأعظم والطود الأشم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، حيدر بن علي بن حيدر الأملي ، تحقيق وتقديم وتعليق : محسن الموسوي التبريزي ، طهران ، وزارة الثقافة ، ١٣٧٥ ف .

الإلهي من دون وجود قاعدة شعبية تستجيب لقيادتها ، وتمثل لأوامرها وتؤمن بتوجيهاتها ، وما جرى مع مجتمع بعض الائمة عليهم السلام بعدم استجابتهم لإمامهم خير على ذلك ، كذلك ما جرى مع مجتمعنا المعاصر باستجابته للسيد السيستاني دامت له العزة ، مما يدعوننا إلى ضرورة التمسك بهذه القيادة الربانية المستمدة من فكر أهل البيت عليهم السلام .

٥- أن العدوان الغاشم يكون ضعيفاً مادامت الأمة ملتفة حول قيادتها ، مؤمنة بحكمتها وصواب رأيها ، وأنه يكون قوياً ما دامت الأمة متخاذلة متراجعة متقاعسة خانعة .

المصادر والمرجع

- ١- الاخلاق والآداب الاسلامية ، عبد الله الهاشمي ، ط ٢ ، مط دار الاثر للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- ٢- الإدارة والقيادة في الإسلام ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط ١ ، مطبعة سليمان زادة ، إيران — قم المقدسة ، ١٤٣٠هـ . القيادة التربوية ، كمال سليم دواني ، ط ١ ، دار المسيرة ، عمان — الأردن ، ٢٠١٣ م .
- ٣- الإسلام الشيعي والدولة ، محمد رضا جليلي ، ترجمة : د . علي الخطيب ، ط ١ ، دار المحجة البيضاء ، لبنان — بيروت ، ١٩٩٧ م .
- ٤- الأصول العامة للفقه المقارن ، محمد تقى الحكيم ، ط ١ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
- ٥- الإمام السيستاني أمة في رجل ، حسين محمد علي

١٤. علم النفس التربوي (المبادئ والتطبيقات) ، محمد بني خالد ، ، وزيد النج ، ، ط١ ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ٢٠١٢ .
١٥. علم النفس التربوي مفاهيم ومبادئ ، عباس نوح سلمان محمد الموسوي ، ، ط١ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ٢٠١٥ .
١٦. علم النفس المعرفي نظرية وتطبيق ، عدنان يوسف العتوم ، ط٣ ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ٢٠١٠ .
١٧. فن التفكير ، ارنست دمنيه ، ترجمة رشدي السيسي ، راجعه مصطفى حبيب ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
١٨. القراءة السريعة ، روبرت زورن ، ترجمة عبد الله الحطيطي ، مطبعة الرياض ، السعودية ، ٢٠٠٦ .
١٩. القيادة في القرن الحادي والعشرين ، محمد أكرم العدلوني ، مطبعة قرطبة للنشر والتوزيع ، السعودية - الرياض ، ٢٠٠٥ م .
٢٠. لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن أبي مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) تحقيق : عبد الله علي الكبير ، وآخرون ، ط١ ، مطبعة دار صادر ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٠ م .
٢١. مبادئ علم النفس التربوي ، ، عماد عبد الرحيم الزغول . ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان - الأردن ، ٢٠٠٩ .
٢٢. المرجعية الدينية في النجف الأشرف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨ — ١٩٦٨ (تاريخ
- سياسي) ، د. حيدر نزار السيد سلمان ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان — بيروت ، ٢٠١٠ م .
٢٣. المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت ٧٠٧هـ) ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، مطبعة المكتبة العصرية ، د . ت .
٢٤. معجم مصطلحات الإدارة العامة ، إبراهيم بدر شهاب ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت — لبنان ، ١٩٩٨ م .
٢٥. مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط١ ، دار القلم للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٦ م .
٢٦. النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني رحمته الله في المسألة العراقية ، إعداد : حامد الخفاف ، ط٥ ، دار المؤرخ العربي ، لبنان — بيروت ، ٢٠١٤ .
٢٧. نهج البلاغة ، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، جمعه وصححه الشريف الرضي ، شرح : محمد عبده ، ج١ ، ط١ ، مطبعة النهضة ، إيران — قم ، ١٤١٢هـ .
٢٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي ، الحر العاملي ، تصحيح محمد الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .

الهوامش :

- [١] لسان العرب ، لابن منظور ، مادة : حكم
- [٢] الاخلاق والآداب الاسلامية ، عبد الله الهاشمي : ٦٢٤
- [٣] سورة البقرة : ٢٦٩
- [٤] غرر الحكم : ٩٤٥٠ ، عيون الحكم والمواعظ : ٤٧٣ / ٨٦٨١ .
- [٥] غرر الحكم : ٩٩٢ — ٩٩٣ .

- [٦] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٤-٤٤٥
- [٧] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٤
- [٨] فن التفكير ، ارنست دمنيه : ١١٧
- [٩] سورة الزمر : ٢٢
- [١٠] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٤
- [١١] القراءة السريعة ، روبرت زورن : ٦٣
- [١٢] يحتاج تخريج
- [١٣] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- [١٤] تعليم التفكير ، سيف طارق العيساوي : ٣٢
- [١٥] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- [١٦] ينظر : مسألة اللزوم المنطقي في الفكر العربي الاسلامي : ٢ .
- [١٧] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- [١٨] التعلم نظريات وتطبيقات ، أنور محمد الشرقاوي : ٢٣
- [١٩] التعلم نظريات وتطبيقات ، أنور محمد الشرقاوي : ٢٤
- [٢٠] سورة المجادلة : ٢٢
- [٢١] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- [٢٢] سورة الحاقة : ١٢
- [٢٣] سورة ق : ٣٢
- [٢٤] مبادئ علم النفس التربوي ، عماد عبد الرحيم الزغول : ٢٢٩
- [٢٥] تفسير المحيط الاعظم : ٤٤٥
- [٢٦] سورة البقرة : ٢٦٩
- [٢٧] علم النفس التربوي (مبادئ وتطبيقات) ، محمد بني خالد : ٣١
- [٢٨] علم النفس التربوي مفاهيم ومبادئ ، عباس نوح سلمان الموسوي : ١١٣-١١٥
- [٢٩] تدني مستوى مستوى التحصيل الدراسي (اسبابه وعلاجه) ، لمعان مصطفى الجلالي : ١٩٤ .
- [٣٠] علم النفس المعرفي (نظرية وتطبيق) ، عدنان وسف العتوم : ٢٩٢ .
- [٣١] لسان العرب : مادة قود ، وينظر : القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز مادة (قود) .
- [٣٢] ينظر : المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت٧٠٧هـ) ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، مطبعة المكتبة العصرية ، د . ت ، ج ٢ ، ص ٥١٨ .
- [٣٣] ينظر : معجم مصطلحات الإدارة العامة ، إبراهيم بدر شهاب : ٢٤٦ .
- [٣٤] ينظر : القيادة في القرن الحادي والعشرين ، محمد أكرم العدلوني : ١٨ .
- [٣٥] الإدارة والقيادة في الإسلام ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٣٦ .
- [٣٦] القيادة التربوية ، كمال سليم دواني : ١٣ .

- [٣٧] المصدر نفسه ، ص ١٤ .
- [٣٨] المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
- [٣٩] ينظر : الإدارة والقيادة في الإسلام : ١١٥ .
- [٤٠] المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
- [٤١] القيادة التربوية ، ص ٣٩ .
- [٤٢] المصدر نفسه ، ص ٤٠ .
- [٤٣] المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
- [٤٤] المصدر نفسه ، ص ٤٧ — ٥٢ .
- [٤٥] مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني : ٣٤٢ .
- [٤٦] باب مدينة علم الفقه ، علي محمد رضا كاشف الغطاء : ٣٥٨ .
- [٤٧] الأصول العامة للفقه المقارن ، محمد تقي الحكيم : ٣٧٩ .
- [٤٨] المرجعية الدينية في النجف الأشرف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨—١٩٦٨ (تاريخ سياسي) ، د . د . حيدر نزار السيد سلمان : ١٨ .
- [٤٩] وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي : ٣١٢ .
- [٥٠] ينظر : الإسلام الشيعي والدولة ، محمد رضا جليلي : ٣٣ .
- [٥١] التفتيح في شرح العروة الوثقى (التقليد) ، علي الغروي : ١٦ .
- [٥٢] المصدر نفسه ، ص ١٧ .
- [٥٣] الإمام السيستاني أمّة في رجل ، حسين محمد علي الفاضلي : ٧٣ .
- [٥٤] المصدر نفسه ، ص ٧٤ — ٧٥ .
- [٥٥] المرجعية الدينية في النجف الأشرف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨—١٩٦٨ (تاريخ سياسي) ، د . د . حيدر نزار السيد سلمان : ص ١٩ .
- [٥٦] ينظر ، الإمام السيستاني أمّة في رجل ، ص ٨٦ — ٨٧ .
- [٥٧] ينظر ، المصدر السابق ، ص ٧٥ — ٧٦ .
- [٥٨] المصدر نفسه ، ص ٩ .
- [٥٩] النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، إعداد : حامد الخفاف : ٣٧ — ٥١ .
- [٦٠] ينظر ، الإمامة والسياسة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ١٣٠ .
- [٦١] نهج البلاغة ، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، جمعه وصححه الشريف الرضي : ٦٨ .
- [٦٢] المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
- [٦٣] تاريخ مدينة دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن : ١٥٠ .
- [٦٤] الانتصار ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي البغدادي : ٨٠ .

د . منصور مير محمدي
أكاديمي من الجمهورية الإسلامية الإيرانية

خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء والأئمة المعصومين والمرجعيات العامّة في فكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل

إن من بين المفاهيم الرئيسة في المنهج الفكري السياسي لدى سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله المطروحة فيما يتعلق بمفهوم خلافة الإنسان ، هو مفهوم الشهادة ، وعليه سوف نتحدث في هذا البحث عن ضرورة الشهادة وشرائط الشهود وأصنافهم . وفي الفصل اللاحق والأخير سوف تعرّض إلى بحث حدود الشهادة والإشراف من قبل هؤلاء الشهداء ، والاختلاف الرئيس فيما بينهم ، مع الإشارة إلى الخصوصية التي يمتاز بها كل واحد منهم ، كما سوف نبين مسؤولية الإنسان بوصفه شاهداً .

١. مفهوم الشهادة وضرورتها

تعرّضنا في الفصل السابق إلى بحث نظرية « خلافة الإنسان » . ولأهمية هذا الموضوع فإنه

الجزء
الثاني

يحتاج إلى تنمّة ، وتمثل هذه التنمّة بـ « شهادة الأنبياء » .

إن مفهوم « الشهادة » يمثل واحداً من المفاهيم الأساسية في فكر سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام في حقل بناء الدولة ونظام الحكم . وقد ورد شرح معنى هذه المفردة في كتب اللغة بالقول : « شهد : الشهود والشهادة ، الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو البصيرة . . . والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر . . . » ^(١) .

وبشكل عام فإن الشهادة تحكي عن الحضور ، وإن هذا الحضور ينطوي على مشهادة حسية أو عقلية أو بالبصيرة ، وباختصار هي كلام قائم على أساس الحضور والمشاهدة .

وعلى هذا الأساس فإن الشهيد هو الشخص الذي يسجل حضوره في موضع أو بين جماعة بين الناس ، ويمارس دوره في الرقابة والإشراف والمشاهدة ، وإبداء رأيه ونظرته على أساس من تلك المشاهدة . إن هذه المفردة تكتسب مفهوماً سياسياً من وجهة نظر سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام ، وتخرج من الناحية الحقوقية البحتة ؛ إذ يقول سماحته :

« الإشراف على ممارسة الإنسان لدوره في

الخلافة ومسؤولية إعطاء التوجيه بالقدر الذي يتصل بالرسالة وأحكامها ومفاهيمها » ^(٢) .

وعليه فبالالتفات إلى المعنى اللغوي لـ « الشهادة » ، وتعريف السيد الشهيد الصدر عليه السلام لهذه المفردة ، يمكن لنا القول : إن الشهادة من وجهة نظر سماحته تعني : حضور الشاهد في مسرح الرقابة والإشراف على مسار خلافة الإنسان في الأرض . وإن الشاهد أو الشهيد هو الذي يسجل حضوره في رقعة تحقق الخلافة العامة للإنسان ، وأنه يمارس دوره في المشاهدة والرقابة ، ويبيد رأيه ويعمل على بيان الطريق الحق واللاحب . وطبقاً لهذه الرؤية سوف يكون في صلب كل جماعة أو مجتمع شاهد أو شهيد ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ^(٣) .

يقوم أساس هذه الشهادة - من وجهة نظر سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام - على الحيلولة دون انحراف الإنسان عن تحقق هذه الخلافة العامة في الأرض . إن الشاهد يرصد حركة المجتمع الإنساني ، ويعمل على منع الانحراف في الحركة من خلال (الإنذار) ، ويعمل في الوقت نفسه على هداية المجتمع في الاتجاه

صبغة جعل وعرض ، إلا أن هذا الجعل والعرض ليس عرضاً تكوينياً - رغم إعلان التكوين عن ضرورة هذا الجعل والعرض - وإنما هو عرض وجعل تشريعي وقانوني .

إن الله سبحانه وتعالى بحكم حاكميته وسيادته المطلقة على الكون وعالم الوجود ، وبحكم اتصافه بالحكمة على نحو مطلق ، لا يصدر عنه شيء عبثاً . ومن هنا فإنه للحيلولة دون انحراف البشر عن مسار الخلافة العامة ، يعمل على جعل آخر يتمثل في إرسال الشهداء إلى المجتمع البشري ؛ لأنه هو الذي يشرف ويدرك جميع الخصائص والقابليات الذاتية للإنسان بشكل كامل ، ويعرف نقاط ضعفه وقوته . وفي ذلك يقول سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله :

« ما لم يحصل تدخّل رباني لهداية الإنسان - الخليفة - في مسيره ، فإنه سوف يخسر كل الأهداف الكبيرة التي رسمت له في بداية الطريق . وهذا التدخّل الرباني هو خط الشهادة » ^(٦) .

٢. خصائص وشروط الشهادة

لقد عمد سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله من خلال دراسة الآيات المرتبطة بالشهادة في

الصحيح (التبشير) ، ويعيد تذكير الإنسان بمسؤوليته الإلهية ، التي هي إقامة الخلافة في الأرض (التذكير) .

ومن خلال دراسة الخصائص الذاتية والغريزية للبشر ، تتضح ضرورة وجود الشاهد . فالإنسان كائن يجوز عليه الخطأ والنسيان والمعصية والظلم والجور ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ - ^(٤) . وإن هذه الخصوصية تتضاعف أهميتها وتكتسب قيمة أساسية وجوهرية في مجال تحقيق الخلافة والسيادة . خاصة بالنظر إلى قوة احتمال انقلاب القيم الاجتماعية وبلوغها إلى هاوية الانهيار بسبب وقوع الإنسان في الخطأ .

وقال سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله في بيان ضرورة وجود الشاهد :

« وضع الله سبحانه وتعالى إلى جانب خط الخلافة - خلافة الإنسان على الأرض - خط الشهادة الذي يمثل التدخّل الرباني من أجل صيانة الإنسان الخليفة من الانحراف وتوجيهه نحو أهداف الخلافة الرشيدة » ^(٥) .

إن الشهادة عبارة عن تدخل قوة من خارج المجتمع البشري على المجتمع ، من أجل إكمال خط الخلافة . ولهذا كان لهذا الخط

القرآن الكريم ، إلى بيان أربعة شرائط رئيسة للشهداء ، نذكرها على النحو الآتي :

١ - إن الشرط الأول الذي يجب توفره في الشهداء هو « العدالة » . حيث قال سماحته في بيان تعريف العدالة :

« العدالة هي الوسطية والاعتدال في السلوك ، الذي عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٧) « (٨) .

٢ - والشرط الثاني هو العلم والاستيعاب الكامل للرسالة ، والمعرفة الكافية بكتاب الله . ومن خلال أبحاث سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام يتضح أن المراد من العلم والاستيعاب الكامل للرسالة ، معرفة أمرين ، وهما :

أ - العلم برسالة خليفة الله الإنسان ، حيث أن هذا العلم لا يقتصر على السياسة فقط ، بل يشمل كافة فروع المعرفة المتعلقة بالأسس والقواعد الكافية لرسالة خليفة الله الإنسان ، من قبيل : السياسة ، والأخلاق ، والاقتصاد .

ب - معرفة كتاب الله التي لا تقتصر على العلم بأحكام الشريعة والفقه فقط ، بل إن دائرتها أوسع من ذلك بكثير . إن هذا النوع من العلم والمعرفة يجب أن يتصف - أولاً -

بالشمولية ، وأن يكون - ثانياً - معياراً للشهادة على أسس كتاب الله . وقد ورد التعبير عن العلم والمعرفة الكافية بكتاب الله في القرآن الكريم ، بالقول : ﴿ ... بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ... ﴾ (٩) .

٣ - يعتبر العلم والإحاطة بشرائط وأوضاع الزمان ، شرطاً ثالثاً من شرائط الشهداء ، والذي يظهر من خلال مفهوم الرقابة والإشراف على أداء الشهادة . وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٠) .

فهذه الآية تدلّ بوضوح على أن السيد المسيح قد سبق له أن مارس دور الرقابة على أداء المجتمع ولا معنى لحصر الرقابة بمعرفة وإدراك الأوضاع الاجتماعية ، بل إن المطلوب من الرقيب والشاهد ، هو الهيمنة على ما يدور في المجتمع من الأوضاع والأحوال بشكل كامل (١١) .

٤ - الكفاءة واللياقة الذاتية من بين الشرائط التي يجب توفرها في الشهداء . فعلى الشاهد أن يتمكن من إدارة أمور المجتمع وتدير شؤونه بكفاءة وجدارة لازمة ، وأن يكون - بحسب المصطلح - متصفاً بالقدرة السياسية الذاتية . وإذا أراد الشاهد أن يتمتع بالقدرة واللياقة

بمستوى وحجم نشر الرسالة الإلهية ، وأن يكون متصفاً بالعدل كي يتمكن من استيعاب تلك الرسالة على سعتها ، وأن يمارس مسؤوليته ومهامه بعيداً عن الاستبداد ، وأن يكون عالماً بأوضاع زمانه ، وأن يثبت كفاءته وقابليته على أساس من سجايه الأخلاقية وصفاته الروحية العالية .

٣. أصناف الشهداء

قال سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام في معرض الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ (١٣) :

« والأصناف الثلاثة في ضوء هذه الآية هم النبيون والربانيون والأخبار . والأخبار هم علماء الشريعة ، والربانيون درجة وسطى بين النبي والعالم وهي درجة الإمام . ومن هنا أمكن القول بأن خط الشهادة يتمثل : أولاً في الأنبياء ، وثانياً في الأئمة الذين يعتبرون امتداداً ربانياً للنبي في هذا الخط ، وثالثاً في المرجعية التي تعتبر امتداداً رشيدياً للنبي والإمام في خط الشهادة » (١٤) .

الكافية التي يجب توفرها في الشاهد ، يجب - من وجهة نظر سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام - أن يتصف بعناصر أساسية أخرى ، من قبيل : الحكمة ، والتعقل ، والدراية ، والصبر ، والشجاعة .

وهذه الأمور هي التي أرادها الله سبحانه وتعالى من عباده الصالحين في تعاطيهم مع الأحداث المؤسفة وفيما يتعلق بموارد الاختبار وتحمل الصعاب الاجتماعية في سبيل الله ، وربط مسألة الشهادة والرقابة بهذا النوع من الخصال والأمر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَسْئَلُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٢) .

إن الله سبحانه وتعالى يدعو المؤمنين في هذه الآية إلى الصبر في مواجهة المشاكل والأزمات ، ويطلب منهم الصمود والثبات بعزم ، ويعددهم بمقام الشهادة والإمامة والولاية ، شريطة أن يتمكنوا من الصبر في مواجهة هذه المشاكل والصعاب .

وعلى هذا الأساس ينبغي بالشاهد على الخلق والعباد - سواء أكان نبياً أو إماماً أو أي شخص آخر - أن يكون عالماً ، وأن يكون علمه

أ. شهادة الأنبياء

إن أساس هذه الشهادة يقوم على أربعة أركان ، وهي :

١ - العصمة . وقد قال سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام في بيان هذا الركن :

« هناك فارق آخر أساسي بين النبيين والربانيين من الشهداء وبين الأحرار منهم ، وهو أن النبي والرباني - الإمام - يجب أن يكون معصوماً ، أي : مجسّداً للرسالة بقيمها وأحكامها في كل سلوكه وأفكاره ومشاعره ، وغير ممارس - لا بعمد ولا بجهالة أو خطأ - أي ممارسة جاهلية »^(١٥) .

يذهب سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام إلى الاعتقاد بأن النبي والإمام يجب أن يتصف بالعصمة حتى قبل بلوغ مقام النبوة والإمامة ؛ وذلك لأن النبوة والإمامة منصبان إلهيان ، ولا يمكن أن يتصف بهما ظالم لنفسه . وفي ذلك قال سماحته :

« [وعليه] فكل ممارسة جاهلية أو اشتراك ضمني في ألوان الظلم والاستغلال والانحراف تجعل الفرد غير جدير بالعهد الإلهي »^(١٦) .

٢ - الوحي الإلهي . إن النبي من خلال اتصافه بالعصمة يتصل بالعالم الأعلى ، وبذلك

يحصل على الرسالة الإلهية ، لينزل بها إلى الناس .

٣ - التنصيب الإلهي . إن الشهيد الأول وهو النبي ، منصوب من قبل الله سبحانه وتعالى ، وإن لهذا التنصيب صبغة شخصية ، بمعنى أن الله يختار النبي بصفته الشخصية ، لا بصفته العامة ، ويعمل على تعريف الناس به من خلال الوحي .

٤ - الإعجاز . إن إرسال الأنبياء وإن كان ثابتاً من الناحية العقلية والفلسفية ، وكونه مقبولاً من هذه الناحية ، إلا أن عامة الناس لا يستطيعون فهم واستيعاب المباني العقلية والفلسفية ، ومن هنا يعمد النبي إلى اجتراح المعاجز في إطار التعريف بنفسه وهويته ، وإثبات نبوته إلى الناس .

ب. شهادة الأئمة المعصومين (الربانيون)

أما الجماعة الثانية من الشهداء ، فهم الربانيون أو الأئمة الأطهار . فبعد النبي تدخل الثورة مرحلة أخرى ، حيث يجب على نوع آخر من الشهداء أن يضطلعوا بأعباء ومسؤولية مواصلة أهداف النبي ، والحفاظ على الثورة التي لم يتم تطبيق أهدافها في المجتمع بشكل

٢ - التنصيب الإلهي : إن شهادة الإمام ودوره الرقابي قائم على التنصيب الإلهي ، وإن الإمام منصوب من قبل الله - كما هو الشأن بالنسبة إلى النبي - وإن الإعلان عن هذا المنصب إنما يتم بواسطة النبي أو من طريق الإمام السابق . إن هذا الإعلان يمثل جزءاً من رسالة النبي ، وعليه تكون رسالة النبي دون الإعلان عن الإمامة وإبلاغها إلى الناس ، رسالة ناقصة غير بالغة مرحلة الكمال . كما أن لتنصيب الإمام - كما هو حال النبوة - صبغة شخصية أيضاً ، بمعنى أن الإمام يتم تنصيبه باسمه وصفاته الخاصة ، ويقوم النبي بتعريفه إلى الناس من خلال بيان تلك الصفات التي لا تنطبق إلا عليه ، وفي ذلك يقول سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله :

« فالإمام - كالنبي - شهيد وخليفة لله في الأرض من أجل أن يواصل الحفاظ على الثورة وتحقيق أهدافها . . والإمامة ظاهرة ربانية ثابتة على مرّ التاريخ . . وهذا هو الشكل الذي اتخذه رسول الله صلوات الله عليه وآله ؛ فعيّن أوصيائه الاثني عشر من أئمة أهل البيت ، ونصّ على وصيّيه المباشر بعده علي بن أبي طالب عليه السلام في أعظم ملاء من المسلمين » ^(١٩) .

٣ - الإعجاز : كما يعمد الإمام بدوره إلى

كامل ، حيث يقتضي استمرار تلك الأهداف ومواصلتها في المجتمع نقل دور النبي إلى قائد إلهي آخر ، وهو بدوره منصوب من قبل الله بوصفه خليفه في الأرض .

قال سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله في هذا الشأن :

« وهذا القائد الرباني هو الإمام ، ويجب أن يكون معصوماً ؛ لأنه يستقطب الخطيئين معاً ، ويمارس - وفقاً لظروف الثورة - خط الخلافة إلى خط الشهادة معاً » ^(١٧) .

إن أسس شهادة الإمام المعصوم عبارة عن :

١ - العصمة : إن الإمام يتصف بالعصمة - مثل النبي تماماً - وإن هذه الصفة تلازمه حتى قبل بلوغه مقام الإشراف والرقابة والشهادة أيضاً . وفي ذلك قال سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله :

« وعصمة الإمام تعني أن يكون قد استوعب الرسالة التي جاء بها الرسول القائد استيعاباً كاملاً بكل وجوده وفكره ومشاعره وسلوكه ، ولم يعش لحظة شيئاً من رواسب الجاهلية وقيمها ، ولم تدنسه الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسه من المدلهمات من ثيابها » ^(١٨) .

خط الشهادة تمثلت في المرجعية . . وتميّز في هذه المرحلة خط الشهادة من خط الخلافة ، بعد أن كانا مندمجين في شخص النبي أو الإمام ، وذلك لأن هذا الاندماج لا يصح إسلامياً إلا في حالة وجود فردٍ معصوم قادر على أن يمارس الخطين معاً . وحين تخلو الساحة من فرد معصوم فلا يمكن حصر الخطين في فرد واحد . فخط الشهادة يتحمّل مسؤوليته المرجع على أساس أن المرجعية امتداد للنبوة والإمامة على هذا الخط . . وهذه المسؤولية تفرض على المرجع أن يحافظ على الشريعة والرسالة ويردّ عنها كيد الكائدين « (٢٠) .

وعلى الرغم من تصريح سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام في هذه العبارة بأن خط الخلافة والشهادة لا يجتمعان في غير المعصوم ، وعلى الرغم من تخويله حق الخلافة على الأمة وحق الشهادة إلى المرجعية العامة ، إلا أنه يذكر في موضع آخر أن المرجع في المجتمعات الطاغوتية - التي لا يتحمّل فيها الناس مسؤولية القيادة السياسية والاجتماعية - يعمل بالإضافة إلى الاضطلاع بدور الشهادة على تربية الأمة والحفاظ على أهداف الرسالة . وفي ذلك يقول سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام :

اجترح بعض المعاجز أحياناً للتعريف بنفسه . وعليه يكون الإعجاز هو الركن الثالث من أركان شهادة الإمام المعصوم .

ج. شهادة المرجعية العامة

الفئة الثالثة من الشهداء هم الذين يمثلون المرجعية العامة ، أو المرجعية الصالحة ، أو المرجعية الرشيدة . وهذا النوع من الشهادة يتحقق في عصر غيبة الإمام المعصوم ، وهي عبارة عن الرقابة الشرعية والقانونية للمرجعية الصالحة والرشيدة على خط خلافة الأمة الإسلامية ، بمعنى أن خط خلافة الأمة في عصر الغيبة تعود إليه ، بيد أن المرجع الرشيد والصالح يعمل - بوصفه متخصصاً ربانياً وحكيماً صالحاً - على الإشراف على تحقق هذا الخط الذي تختاره الأمة . وفي ذلك يقول سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام :

« كانت غيبة الإمام صدمة مريرة لقواعده الشعبية ، وكان بالإمكان أن تؤدي إلى تفتتها وضياعها ، غير أن الإمام تدرّج في الغيبة علاجاً لآثار هذه الصدمة ، فبدأ بالغيبة الصغرى التي كان يتصل فيها مع الخواص من شيعته حتى أُلّف المسلمون هذا الوضع ؛ فأعلن عن الغيبة الكبرى ، وبذلك بدأت مرحلة جديدة من

أعلى مراحل الفقه والمرجعية ، هي مرحلة المرجعية الصالحة والرشيده ، حيث يمكنها أن تعمل على مواصلة خط شهادة النبي والإمام المعصوم . كما يمكن اعتبار هذه المرجعية « مرجعية عامة » . وإن للمرجعية دورين ، وهما : الدور الإلهي ، والدور السياسي والاجتماعي . وإن دورها الإلهي يتعلق بالرسالة السماوية ، والمحافظة عليها ، وتوسيع رقعتها ومساحتها ، وإن دورها السياسي والاجتماعي يتعلق بالإشراف والشهادة على الأمة في الخلافة العامة . وفي ذلك يقول سماحته :

« وهكذا نعرف أن دور المرجع كشهيد على الأمة دور رباني لا يمكن التخلي عنه ، ودوره في إطار الخلافة العامّة للإنسان على الأرض دور بشري اجتماعي يستمدّ قيمته وعمقه من مدى وجود الشخص في الأمّة وثقتها بقيادته الاجتماعية والسياسية »^(٢٢) .

كما يرى سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله أن حدود دائرة شهادة المرجع العام تكون بمقدار علمه ووعيه وحضوره السياسي بين أبناء الأمة واعتماد أفراد الأمة عليه . وإن مدى قدرة المرجع وفاعليته ، يتوقف على مدى نفوذه وتأثيره على الأمة .

« ما دامت الأمة محكومة للطاغوت ومقصية عن حقها في الخلافة العامة ، فهذا الخط يمارسه المرجع ، ويندمج الخطان حينئذ - الخلافة والشهادة - في شخص المرجع . . وليس هذا الاندماج متوقفاً على العصمة ؛ لأن خط الخلافة في هذه الحالة لا يتمثل عملياً إلا في نطاق ضيق وضمن حدود تصرّفات الأشخاص ، وما دام صاحب الحق في الخلافة العامة قاصراً عن ممارسة حقه نتيجة لنظام جبار فيتولّى المرجع رعاية هذا الحق في الحدود الممكنة ، ويكون مسؤولاً عن تربية هذا القاصر وقيادة الأمة لاجتياز هذا القصور وتسلم حقها في الخلافة العامة »^(٢١) .

يذهب سماحة السيد الشهيد الصدر إلى الاعتقاد بأن الأمة عندما تتحرر من سلطة الطواغيت من خلال قيامها بثورتها التحررية ، يعود خط الخلافة إلى الأمة نفسها ، وإن مسؤولية القيادة السياسية والاجتماعية للأمة تعود إليها من الطريق المنسجم مع الأحكام الإلهية والقواعد الإسلامية .

حدود شهادة المرجعية الصالحة والرشيده

يرى سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله أن

الاختيار الواعي له « (٢٤) .

الاختلاف الرئيس بين شهادة المعصوم وشهادة المرجع

يمكن بيان بعض الاختلافات الجوهرية بين شهادة المعصوم وشهادة المرجع على النحو الآتي :

١. المنصب

إن منصب النبوة وإمامة المعصوم يكون بالجعل التشريعي وتنصيب الشخص المعصوم والمعروف بهويته وصفاته ، في حين أن منصب المرجع يكون بالاكتمال ، ولا يمكن تعيينه بالتنصيب (٢٥) .

٢. العصمة والعدالة

يتصف النبي والإمام بالعصمة المطلقة ، في حين أنه يجب على المرجعية أن تتصف بالعدالة . ويرى سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام أن العدالة قريبة من العصمة ، ولكنها لا تساويها تماماً ؛ لأن المرجع شاهد من قبل الإمام الذي يعتبر هو المثال والقدوة ، وقال سماحته في هذا الشأن :

« هناك فارق آخر أساسي بين النبيين

مبنى انتخاب المرجع العام

إن منصب المرجعية العامة يمكن اكتسابه من خلال المثابرة والجهد المتواصل والخالص والصادق ، خلافاً لما عليه الحال في النبوة والإمامة التي تعتبر ارتباطاً بين الله والنبي وبين الله والإمام ، وبذلك لا يمكن للفرد أن يصل إلى مقام النبوة والإمامة مهما بلغ في الجهد إذا لم يتم تعيينه من قبل الله . وعليه فإن مبنى اختيار النبي والإمام هو النصب الإلهي ، في حين يرى سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام أن انتخاب المرجع العام يكون من طريق اختيار الناس له ، وفي ذلك يقول :

« النبي والإمام معينان من الله تعالى تعييناً شخصياً ، وأما المرجع فهو معيّن تعييناً نوعياً ، أي أن الإسلام حدد الشروط العامة للمرجع وترك أمر التعيين والتأكد من انطباق الشروط إلى الأمة نفسها . ومن هنا كانت المرجعية كخط قراراً إلهياً ، والمرجعية كنجس في فرد معيّن قراراً من الأمة » (٢٣) .
وقال في موضع آخر :

« المرجع الشهيد معيّن من قبل الله تعالى بالصفات والخصائص ، أي بالشروط العامة في كل الشهداء التي تقدّم ذكرها ، ومعين من قبل الأمة بالشخص ؛ إذ تقع على الأمة مسؤولية

٤. آلية وأدوات تحقق الإشراف والرقابة

إن آلية وأداة رسالة وشهادة النبي ، تكمن في الوحي والإعجاز . إن النبي يتمتع بالعلم الإلهامي والإعجاز ، أما المرجع العام فليس لديه من وسيلة سوى الاجتهاد ، والذي يتم بيانه من طريق الفتوى أو الحكم^(٢٩) .

٥. مسؤولية الشهداء

يذكر سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام ثلاثة أدوار ومهام رئيسة للإنسان الشهيد ، وإن كل واحدة من هذه المهام تعتبر وسيلة تساعد الإنسان على ممارسة دوره في خالفته الإلهية على الأرض . وقد عمد سماحته إلى بيان هذه الأدوار الثلاثة في معرض حديثه عن الدور المشترك بين مختلف أصناف الشهداء ، وذلك على النحو الآتي :

١ . شمولية الرسالة السماوية ، والمحافظة عليها ، وعلى حدّ تعبير القرآن الكريم : ﴿ ... بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ... ﴾^(٣٠) .
إن شمولية الرسالة والخطاب السماوية والعمل على صيانتها والمحافظة عليه ، تعدّ من أهم وظائف ومسؤوليات الشهداء . إن النبي يستلم الرسالة الإلهية من طريق الوحي

والربانيين من الشهداء وبين الأبحار منهم ، وهو أن النبي والرباني - الإمام - يجب أن يكون معصوماً . . ومن هذه المواصفات العدالة بدرجة عالية تقرب من العصمة . . ولكن هذه العدالة ليس من الضروري أن تبلغ إلى درجة العصمة ، ولا أن يكون المرجع مصوناً من الخطأ بحال من الأحوال . ومن هنا كان هو بدوره بحاجة إلى شهيد ومقياس موضوعي : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾^(٢٦) «^(٢٧) .

٣. حدود الإشراف والرقابة

إن إشراف المعصوم يشمل دائرة واسعة للغاية ، وإن إطاعته تكون مساوية لها في السعة ، أما إشراف المرجع العام ، فيكون بحجم علمه وإدراكه وعدلته وحضوره السياسي في الأمة . ويرى سماحة السيد الشهيد الصدر عليه السلام أن دور المرجع العام لا يتعدى الإشراف والرقابة^(٢٨) .

وسلامة طريق البشر^(٣٢) :

يذهب سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله إلى اعتبار الشاهد ملاذاً فكرياً وتشريعياً من الناحية الأيديولوجية ، حيث يراقب مسار الأمة ، ويعمل على تليق ذلك بأيديولوجيته ورسالته الدينية التي تولى مسؤولية المحافظة عليها . كما يعمل على الحيلولة دون جميع أنواع الانحراف ، وفي مواجهة الانحرافات يعمل على تقويم مسار الناس وهدايتهم إلى الطريق والاتجاه الصحيح .

يرى سماحة السيد الشهيد الصدر رحمته الله أن الشهداء الثلاثة (النبي والإمام والمرجع) يشتركون بشكل عام في تولي هذه المسؤولية ، وإن كانوا يختلفون في بعض الجزئيات والتفاصيل أيضاً . وفي ذلك يقول سماحته :

« فخط الشهادة يتحمل مسؤوليته المرجع على أساس أن المرجعية امتداد للنبوة والإمامة على هذا الخط . . وهذه المسؤولية تفرض على المرجع :

١ - أن يحافظ على الشريعة والرسالة ويردّ عنها كيد الكائدين وشبهات الكافرين والفاسقين .

٢ - أن يكون هذا المرجع في بيان أحكام الإسلام ومفاهيمه مجتهداً .

والارتباط بالعقل الكل . وإن قدراته وعصمته تمثل أداة المحافظة على هذه الرسالة . إن النبي أو الشاهد الأول يعمل - مضافاً إلى تسلمه للرسالة والمحافظة عليها - على إبلاغها إلى الناس وتربيتهم من خلالها . والشاهد الثاني المتمثل بالإمام المعصوم ، يعمل على مواصلة خط النبي ، مع فارق أن مرحلة الوحي وإنزال الرسالة قد بلغت في عصره نهايتها . وبطبيعة الحال يبقى الإمام المعصوم متصلاً بالعقل الكل أو العفل الفعال ؛ إذ أنه من خلال اتصافه بالعصمة يقف على أعلى مراتب الإنسانية وأسمى درجات السعادة . وأما الشاهد الثالث وهو المرجع فيعمل على إدراك الرسالة واستنباطها ، وبذلك يعمل على حمايتها والدفاع عنها .

٢ - الرقابة والإشراف على الأفراد الذين يريدون ممارسة دورهم في الخلافة ، وقبول مسؤوليتهم في القيادة على المستوى المرتبط بالرسالة ، وتقتضيه أحكامها ومفاهيمها^(٣١) :

إن الشاهد يشرف على سلوك الأمة التي تسعى إلى تحقيق خلافتها العامة على الأرض .

٣ - الحيلولة دون الانحراف ، والإمساك بكل السبل والتدابير الممكنة لإنقاذ الأمة ،

٣ - أن يكون مشرفاً ورفيقاً على الأمة ،
وتفرض هذه الرقابة عليه أن يتدخل لإعادة
الأمور إلى نصابها إذا انحرفت عن طريقها
الصحيح إسلامياً وتزعزت المبادئ العامّة
لخلافة الإنسان على الأرض» (٣٣) .

الهوامش :

- [١] الراغب الإصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
- [٢] محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ص ٢٠ .
- [٣] النساء : ٤١ .
- [٤] العصر : ٢ .
- [٥] محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ص ٩ .
- [٦] المصدر أعلاه ، ص ١٩ - ٢٠ .
- [٧] البقرة : ١٤٣ .
- [٨] محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، المطبوع ضمن كتاب (الإسلام يقود الحياة) من المجموعة الكاملة لتراث الشهيد الصدر ، ج ٥ ، ص ١٣٩ .
- [٩] المائدة : ٤٤ .
- [١٠] المائدة : ١١٧ .
- [١١] انظر : محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ص ٢٤ .
- [١٢] آل عمران : ١٤٠ .
- [١٣] المائدة : ٤٤ .
- [١٤] محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ص ٢٠ .
- [١٥] المصدر أعلاه ، ص ٢٢ .
- [١٦] المصدر أعلاه ، ص ٢٢ .
- [١٧] المصدر أعلاه ، ص ٤١ - ٤٢ .
- [١٨] المصدر أعلاه ، ص ٤٢ .
- [١٩] المصدر أعلاه ، ص ٤٢ .
- [٢٠] المصدر أعلاه ، ص ٤٨ .
- [٢١] المصدر أعلاه ، ص ٤٩ .
- [٢٢] المصدر أعلاه ، ص ٥١ .
- [٢٣] المصدر أعلاه ، ص ٢١ - ٢٢ .
- [٢٤] المصدر أعلاه ، ص ٤٨ .
- [٢٥] انظر : المصدر أعلاه ، ص ٢١ - ٢٢ .
- [٢٦] الحج : ٧٨ .

- [٢٧] محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ص ٢٢ - ٢٣ .
[٢٨] انظر : المصدر أعلاه ، ص ٥٧ .
[٢٩] انظر : المصدر أعلاه ، ص ٤٨ .
[٣٠] المائة : ٤٤ .
[٣١] انظر : محمد باقر الصدر ، خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ، ص ٤٨ .
[٣٢] انظر : المصدر أعلاه ، ص ٢٠ - ٢١ .
[٣٣] المصدر أعلاه ، ص ٤٨ .

حسين جلوب الساعدي
باحث وأكاديمي من العراق

ثورة ١٩٣٦ في الفرات والجنوب حركة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لمواجهة الحكم الطائفي

ظهرت النزعة الطائفية لإدارة الدولة العراقية منذ بداية تأسيس الدولة وبتشكيل أول حكومة مؤقتة التي عملت على أقصاء وتهميش الشيعة في الإدارة والحكم والتعليم والجيش والأوقاف فرض التجنيد والضرائب والنظام الإقطاعي وحرمانهم من ادنى الحقوق السياسية .
وتأسس في العراق نظام الحكم الطائفي الذي يعتمد على الأقلية السنية مع هامش للمشاركة الكردية والحرمان التام للأكثرية الشيعية .

وكانت النزعة الوطنية التي يتمتع بها الشيعة منذ بداية حركة الجهاد ١٩١٤ و ثورة العشرين ١٩٢٠ ومحاربة الوهابية ١٩٢٢ ورفض الاتفاقية البريطانية عام ١٩٢٣ والمبادرة لدعم تأسيس الدولة العراقية على أساس المساواة والاستقلال والدستور البرلمان وكان الطرف الآخر المشيع بالنزعة الطائفية الحاقدة التقى مع التوجه البريطاني الذي يحمل الثأر والانتقام للشيعة لمواقفهم الهنيدة برفض الاحتلال فتدفعهم لدعم الأقلية واضطهاد الأكثرية على أساس نظام الحكم الطائفي .
ورغم محاولات سياسيي الأكثرية في الحد من غلواء الهيمنة الطائفي ذهبت مساعيهم أدراج

سنية ، مؤسسة على انقاض الحكم العثماني ، وهذه الحكومة تحكماً قسماً كديماً أكثريته جاهلة ، بينه أشخاص ذووا مطامح شخصية يسوقونه للتخلي منها بدعوى أنها ليست من عناصرهم . وأكثرية شيعية جاهلة متنسبة عنصرياً الى نفس الحكومة ، ألا ان الاضطهادات التي كانت تلحقهم من جراء الحكم التركي ، الذي لم يمكنهم من الاشتراك في الحكم ، وعدم التمرن عليه ، والذي فتح خندقاً عميقاً بين الشعب العربي المنقسم الى هذين المذهبين ، كل ذلك جعل مع الأسف هذه الأكثرية ، او الأشخاص الذين لهم مطامح خاصة الدينيون منهم ، وطلاب الوظائف بدون استحقاق ، والذين لم يستفيدوا مادياً من الحكم الجديد . يظهرون بانهم لم يزالوا مضطهدين لكنوهم شيعة ، ويشوقون هذه الأكثرية للتخلي عن الحكم الذي يقولون بانه سيء لم يزالوا مضطهدين لكونهم شيعة ، ويشوقون هذه الأكثرية للتخلي عن الحكم الذي يقولون بانه سيء بحت ، ولا ننكر ما لهؤلاء من التأثير على الرأي البسيط الجاهل^(٢) .

ويقتررب الملك فيصل من وضع الحلول لمعالجة تهميش الشيعة ورغم انه الاعلن الرسمي بوجود قضية التمييز الطائفي لم يستطع

الرياح فأزداد الوعي لخطورة هذا التوجه الموروث عن الدولة العثمانية في إدارة الدولة . وادرك الملك فيصل الأول خطورة الأمر بعد ان وقع أسيراً للسياسة الطائفية وحاول تصحيح الأمر وإصلاحه من خلال مذكرته التي وجهها للقادة السياسيين لتدارك الأمر حيث تعد أول وثيقة إصلاح وطني في تاريخ العراق المعاصر .

فقد ادرك الملك فيصل الأول بعد اثني عشر سنة كما جاء في مذكراته : (أن معظم الجزء الأوسط والجزء الجنوبي من مملكته الناشئة يعيش العزل المذهبي . ويعيش معظم الجزء الشمالي تحت العزل العنصري فترأى له ان انفجاراً سيقع لا سيما وقد ترامى الى سمع الملك وبصره ان المتضررين بالعزل المذهبي (الشيعة) والمتضررين بالعزل العنصري (الأكراد) اخذوا يشتركون في مجلس النواب وعلى صفحات الجرائد في وجهات نظر متقاربة إزاء القضايا الداخلية الراهنة فتحرك الملك وعلى غير المتوقع نحو محاولة أثمرت عن توجيه مذكرة الى عدد محدود من السياسيين تناول فيها موقف الحكم من الشيعة والأكراد^(١) .

حيث يعترف في الفقرة الثالثة من المذكرة بالقول : (العراق مملكة تحكّمها حكومة عربية

معلوم ، فعلينا ما دما غير قادرين على تقسيم الأوقاف فيما بينهم ، ان نفتكر في إيجاد أوقاف خاصة ، ومن رأيي ان ذلك ممكن بالطريقة التي كانت تشبث بها غير ان الظروف حالت بيني وبين تحقيقها (٣) .

ويشير الى قضايا الجيش والضرائب ومشكلة الأراضي والأقطاع والتعليم والإدارة اللامركزية والأعلام والفصل بين السلطات في تشخيص لواقع إدارة النظام الطائفي المهيم على مفاصل الدولة الذين استكثروا مقترحات الملك فيصل وانكر بعضهم ان يكون الأكراد والشيعية مضطهدين ، الذي عبر عن هذا الفريق ناجي السويدي بالقول : (ظهرت الحكومة بالصبغة العراقية المحضه وكانت أعمالها ومظاهرها خالية من طابع قوم او دين او مذهب خاص او تأثير خارجي) .

ويؤكد ان لا تمييز في التوظيف وإدارة الدولة بالقول : (وأما التوظيف في الحكومة او حق الانتخاب للمجالس التشريعية والمحلية ، فيجب ان يكون بعيداً عن فكرة الطائفية او المذهبية وان يكون منوطاً بالكفاءة والمقدرة الشخصية وبشقة جمهور الناخبين فقط ، وان الحكومة ارفع من ان تمارس وظائفها من اجل منفعة شخص او طائفة على حساب او ضرر

ان يخفي هويته المذهبية في مهاجمته للشيعه والأكراد في وصفهما أكثر جاهلة عديمة الخبرة والتمرس في الإدارة وحتى الحلول وما وصفه بمطمئنة الشيعه لا ترتقي لمستوى الأنصاف في إعطاء دورهم الحقيقي كأكثرية وإنما طمأنة شكلية لمعرفة بان ساسة النظام الطائفي لا يروق لهم حتى هذه الوعود البسيطة لذا طرحها بأسلوب الإرضاء وليس الأنصاف فيقول : (علينا ان نطمئن معنويات إخواننا الشيعية بالكيفية الآتية :

١- إعطاء التعليمات الى قاضي بغداد (كما عمل) ان يسعى لتوحيد أيام الصيام والإفطار وهذا ممكن وشرعي .

٢- تعمير العتبات المقدسة ، حتى يشعروا بان الحكومة غير مهملة لتلك المقامات ، التي هي مقدسة لدى الجميع ، والتي هي كذلك من الآثار التاريخية التي تزين البلاد ، فعلى الحكومة من كل الوجوه محافظتها من الخراب .

٣- أن رجال الدين من الشيعة ليس لهم أي ارتباط مع الحكومة ، وهم في الوقت الحاضر أجنب عنها ، خاصة حيث يرون ان رجال الدين السنيون ، يتمتعون بأموال هم محرومون منها . والحسد (خاصة في الطبقة الدينية)

شخص آخر او طائفة أخرى) (٤) .

الدولة وادراك الملك فيصل لعمق الأزمة بان العراق تتجاذبة أفكار ومنازع متباينة ومتنوعة عرقياً ودينيّاً ومذهبياً وسياسياً وان الحكومة عربية سنية .

واثرها في طبيعة الإدارة وتكوين مؤسسات الدولة التي اصطبغت بطابعها السني الطائفي وبعد ان دون مذكرته توفي الملك فيصل في ١٩٣٣/٩/٧ وأثيرت حول وفاته شبهات بين الاغتيال والموت الطبيعي (٦) .

وقد كان لوجود الملك فيصل اثر كبير في توازن القوى المتنافسة في العراق وبعد وفاته تنامت حركة الوعي في ادراك حجم الإدارة الطائفية في العراق .

وبالرغم من ذلك كان الساسة الشيعة يأخذهم المشروع الوطني في بناء الدولة العراقية في مقابل التوجه القومي والطائفي المسيطر على إدارة البلاد وكانوا متأقلمين مع هذا الوضع ولم يكن لهم أي مطلب بأنصافهم في المناصب الوزارية على اعتبارهم يشكلون الأغلبية من أبناء الشعب ، بل ان عدداً من السياسيين الشيعة شكلوا أحزاباً سياسية ، او اشتركوا في تشكيل بعض الأحزاب ولم تتضمن كل مناهج الأحزاب فقرة بأنصاف أبناء الأغلبية الشيعية في المناصب الوزارية والإدارية ، بل لم

وبعد ستة شهور توفي الملك فيصل الأول على كتابة مذكراته وتحولت وصيته (المذكرة) من التزام الحكمة والتدبير في مواجهة الواقع المذهبي والعنصري للشعب العراقي الى مجازر دموية شملت مناطق بارزان وسنجار والدغارة وعفك وسوق الشيوخ والرميثة والمشخاب ، وكان المشرفون عليها هم الساسة الذين خصهم الملك بمذكرته ، كياسين الهاشمي ورشيد علي الكيلاني وجعفر العسكري وجميل المدفعي وحكمت سليمان (٥) .

فقد تنامى الوعي في ادراك مشكلة الحكم في العراق لتكون ثورة الفرات وميثاق الشعب الذي يعكس وعي المرجعية وحضورها في رعاية قضايا الأمة وتلاحم العشائر العراقية معها رغم أنها لاقت القمع والاضطهاد والقتل والترويع ألا أنها ساجلت وعياً سياسياً وحضوراً تاريخياً في وجدان الأمة لأدراك حجم الأزمة الطائفية والمبادرات الوطنية لمواجهة التمييز الطائفي التي تأتي في مقدمتها ثورة ١٩٣٦ في العراق .

ثورة ١٩٣٥ وميثاق الشعب :

بعد الأحداث المتقدمة وسياسة الدولة والنزعة الطائفية والشعارات القومية في إدارة

المدن واستبعاد كبار الشيوخ وزعماء العشائريين المتنفذين عن المجلس ، لكنه ضم عدداً من صغار الشيوخ والسراكيل وهو ما أدى الى انقسام القبائل وتفرق كلمتهم مما دفع البعض منهم لا سيما ممن حرم من عضوية المجلس الى تحريض اتباعهم على حمل السلاح بوجه الحكومة والانضمام آل المعارضة في بغداد وكان من بين أخطاء علي جودت الأيوبي أبعاده عن المجلس النيابي بعض العناصر العشائرية البارزة في حزب الإخاء ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين السيد علوان الياسري والسيد محسن أبو طبيخ والشيخ عبد الواحد الحاج سكر والذي اعتبر أبعاده إهانة كبيرة له عندما اقدم رئيس الوزراء على شطب اسمه من قوائم المرشحين لعضوية مجلس النواب^(٩) .

ولعل استبدال شيوخ العشائر البارزين ممن شارك بثورة العشرين واطلع على دهايز السياسة بجدد من صغار الشيوخ والسراكيل هو جزء من مواجهة الوعي الجديد لأجراء عملية الاستبدال بجدد يسايرون السياسة الطائفية القائمة في الدولة .

ويظهر بعد الصراع بين اطراف الحكم الطائفي وكان اكثر الزعامات العشائرية في الفرات الى جانب ياسين الهاشمي حاول جودت

تكن مطلب من مطالب الأحزاب او هدفاً من أهدافها^(٧) . وكان الشيخ كاشف الغطاء مدركاً للجزلة المذهبية التي يعيشها وسط وجنوب العراق وكيف ان الفئة الحاكمة في بغداد مارست منذ عام ١٩٢١ سياسة التمييز الطائفي بين العراقيين في مسألة التوظيف وتوزيع المناصب في الغالب على أساس طائفي^(٨) .

ففي الأربعة عشر سنة الممتدة ١٩٢١ - ١٩٣٥ تشكلت في العراق (٢١) وزارة من قبل أبناء السنة فقط ولم يكن للشيععة وزارة منها وكانت حصتهم وزير واحد فقط في كل وزارة .

وفي أجواء هذا الوعي الذي أثارته مذكرة الملك فيصل ووعي مرجعية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ظهر الصراع بين حكومة جودت الأيوبي وجماعة حزب الإخاء بقيادة ياسين الهاشمي والذي يضم سياسيين من الشيعة وبعض زعماء العشائر الذين حاول علي جودت الأيوبي أبعادهم عن مجلس النواب .

لهذا تولى الأيوبي بنفسه وزارة الداخلية وقام بحل المجلس في ٤ أيلول عام ١٩٣٤ والدعوة للقيام بأجراء انتخابات في يوم ١٥ من الشهر نفسه لمجلس جديد حسب الطرق المألوفة التي تميزت بتدخل حكومي واسع النطاق اسفر عن فوز مرشحي الحكومة وزيادة ممثلي سكان

وكان يتمتع بنفوذ كبير وسلطة واسعة بين القبائل وسكان المدن وعند الحكومة بشكل خاص حيث كانت ترجو مودته وتقي غضبه ، فعقد عبد الواحد الحاج سكر اجتماعاً في داره في النجف الأشرف مع مجسن أبو طيبخ وعلوان الياسري وشيوخ آخرين ، في ١ كانون الثاني ١٩٣٥ ، ووجهوا رسالة الى الشيخ محمد آل كاشف الغطاء طالبين منه الدعوة الى عقد مؤتمر يضم شيوخ العشائر يعقد في النجف الأشرف تحت رئاسة الشيخ آل كاشف الغطاء لبحث المشاكل التي تعاني منها منطقة الفرات الأوسط ، ومؤكدين حرصهم على تحقيق الإصلاح^(١١) .

وافق الشيخ على الاجتماع مع شيوخ العشائر وفعلاً تم عقد المؤتمر في ١١ كانون الثاني ١٩٣٥ بحضور اكثر من ١٥٠ رئيساً من القبائل لمناقشة الإصلاحات المطلوبة^(١٢) .

وبعد ان حصل المجتمعون على دعم لموقفهم من خلال الاجتماع مع الشيخ كاشف الغطاء فانهم سافروا الى بغداد استرحام للملك يوم ١٤ كانون الثاني ١٩٣٥ تضمن :

- ١- ضرورة استقالة الوزارة القائمة لتحل محلها وزارة اكثر تمثيلاً للشعب .
- ٢- ضرورة حل البرلمان لان الانتخابات

الأبويي تشكيل مجموعة أخرى منافسة لهم وحاول الهاشمي استغلال الواقع الشيعي في صراعة مع الأطراف الأخرى لذا فكر الزعماء الاخائيون (ياسين الهاشمي وحكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني) في استغلال شكاوى العشائر وتذمرهم ، وكان حكمت سليمان او من اقترح إثارة العشائر ضد الحكومة ، واخذوا يعقدون اجتماعاتهم في منطقة الصليخ (شمال بغداد) حيث منزل حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني ، وحرروا ميثاقاً أكد على ضرورة القيام بعمل مناهض لحكومة علي جودت الأبويي ، وتقرر تكليف عبد الواحد الحاج سكر شيخ عشيرة الفتلة ، وزعيم الاخائي البارز في الخروج على الحكومة في منطقة الديوانية ، وقد وجد عبد الواحد ان تمرده على الحكومة قد يحقق له ثلاث أهداف أولاً تقديم المعونة لحزبه الإخاء الوطني ، وثانياً الاحتجاج على الحكومة التي لم تنصفه في نزاع حول أراضي يديها ، وأخيراً المطالبة بالإصلاحات العامة في منطقة الفرات الأوسط ، ويبدو ان الهجف الثالث كان يريد من خلاله كسب تأييد العشائر في منطقة الفرات الأوسط وكذلك كسب تأييد المرجعية الدينية لحركته مما يضفي عليها الصفة الشرعية^(١٠) .

تحرير عشائريهم على الانتفاضة وزادت خطورة الوضع في شهر شباط بسبب لانتشار الانتفاضة في جميع أنحاء المنطقة الواقعة الى الجنوب من الحلة ، وزاد الأمر سوء ان قام احد عشر عينا من مجموع عشرين عينا بمقاطعة جلسات مجلس الأعيان للضغط على الحكومة مما اضطر علي جودت الأيوبي الى تقديم استقالة وزارته في ٢٣ شباط ١٩٣٥^(١٤) .

وعهد الملك غازي الى جميل المدفعي بتشكيل وزارتهن فسارع عبد الواحد الحاج سكر بإعلان مناهضته للوزارة الجديدة مصرحاً بأنه لا يطمئن الى رئيس وزرائه برعاية علي جودت الأيوبي^(١٥) فاعلن الانتفاضة في شباط ١٠٣٥ وقام عشائر الفتلة والأقرع بقطع الجسور والسيطرة على بعض المراكز وادركت حكومة المدفعي الخطورة فأرسلت الى المرجعية للتوسط واكد الشيخ رفضه لوقوع الحرب وإراقة الدماء .

ونتيجة تدهور الوضع وامتناع بعض القادة من ضرب مناطق الانتفاضة قدم جميل المدفعي استقالته بعد مرور احد عشر يوماً عليها في ١٥ آذار ١٩٣٥ .

وتم تكليف ياسين الهاشمي بتشكيل الوزارة . فانسحب عبد الواحد الحاج سكر من

الآخيرة لم تكن شرعية .

٣- وجوب احترام القوانين وتطبيقها بصورة صحيحة .

وحاول الشيوخ المؤيدين لعلي جودة الأيوبي أمثال (علوان الحاج سعدون شيخ بني حسن ، وداخل الشعلان شيخ آل إبراهيم ، ومرزوك العواد شيخ العوابد ، ورابع العطية شيخ الحميدات) كسب تأييد الشيخ كاشف الغطاء ، فتوجهوا الى الشيخ طالبين منه الوقوف الى جانبهم وتوحيد صفوفهم ، فطلب الشيخ من المعارضين والمؤيدين الحضور عنده فحضر الجانبان ، وعندما طلب رأي كل جهة ابدى مؤيدو الوزارة استعدادهم للاستقالة من عضوية مجلس النواب بشرط ان يستقبل معارضو الحكومة من مجلس الأعيان فرفض الآخرون وفشل الاجتماع ووصلت الأزمة الى ذروتها بعد ان رفضت وزارة علي الأيوبي الاستقالة ، وكادت ان تنشب مواجهه وقتال بين العشائر المؤيدة للحكومة والمعارضة لها ، فتصدى الشيخ كاشف الغطاء لتلك الفتنة واصدر فتوى بتحريم القتال بين العشائر لما يسببه ذلك من ضرر على البلاد ، وإراقة للدماء ونهب الأموال واضطراب الأمن^(١٣) .

ألا ان ذلك لم يمنع معارضي الوزارة من

وفي يوم ٢٣ آذار ١٩٣٥ قصد بعض المحامين المرجع الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء واجتمعوا به واقترحوا عليه ان يكتب ميثاق يتضمن مطالب الشعب في الإصلاح ويوقع عليه شيوخ العشائر ويرفعه سماحته الى الحكومة مباشرة فيكون وثيقة ناطقة بتبرم الشيعة من الأوضاع السائدة وما تتطوى عليه من إجحاف بحقوق الأكثرية الشيعية ، وقد وافق الشيخ على المقترح وتعاون ثلاثة محامين على كتابة الميثاق هم ذبيان الغبان ، ومحمد عبد الحسين ، ومحمد أمين الجرججي ، وقد تضمن الميثاق كل المطالب التي تخص عامة الشعب وبما فيهم الشيعة^(١٧) .
ولإعطاء صورة كاملة عن طبيعة مواد الميثاق ومطالبة نقل نص الميثاق :

نص الميثاق

نحن الموقعين بذيلة أدناه من زعماء القبائل في الفرات الأوسط ، قد رفعنا مطالبنا المشروعة التي كان جل الغرض منها إصلاح المملكة العراقية ، حتى يتقدم العراق الى مصاف الأمم الراقية ، ويمشي الى الأمام على أقدام العدل والمساواة بين سائر طبقات وعناصره ، ويبرهن على أهليته للاستقلال تحت لواء صاحب

منطقة الاضطرابات ثم توجه مع عدد من شيوخ العشائر الى بغداد لإعلان الولاء .

يصف الشيخ كاشف الغطاء هذا التحول في الموقف في مذكراته ويقول : (واضطر المدفعي الى الاستقالة وكان المقرر والذي أعطى عليه الثائرون كأبو طيخ وعبد الواحد ، العهود انه لو سقطت الوزارة الحاضرة تكون الوزارة شعبية بمعنى انه يستشار فيها علماء الشعب ، وزعماءه فيعطون رأيهم الى الملك فيعينهم .

ولكن ما ذاع خبر استقالة المدفعي وكان مدة وزارته هذه المرة اثني عشر يوماً ألا وأذيع معها ان الهاشمي تقلدها والكيلاني وزير الداخلية فيها ، وما كان من الثائرين ألا البشر والمسالمة كانه قد حصل كل شيء وكان الحركة لم تكن ألا لهذه الغاية ، فالقوا السلاح ، واجتمع عبد الواحد ، والحاج شعلان في الديوانية ، يريدون الرواح الى بغداد ، وكوفد يباركون للوزارة الجديدة^(١٦) .

فقد كان الشيخ كاشف الغطاء يدرك ان حركة المنتسبين لحزب الإخاء تنصيب ياسين الهاشمي وليس طلب الإصلاح ومعالجة النزعة الطائفية في إدارة الدولة لذلك واصل مطالبه بالإصلاح في تحديد المطالب من خلال إصدار ميثاق الشعب .

لم يفرق بين أبناء البلاد كما نصت المادة (السادسة) من القانون الأساسي ، فلإيجاد الاستقرار والطمأنينة في نفوس الشعب ، ورفع التفرقة بين أبناء الأمة يجب ان يساهم الجميع في مجلس الوزراء ، وفي مجلس الأمة ، وسائر وظائف الدولة ، كما يساهم في الجندية والضرائب .

المادة الثانية : ان طريقة الانتخابات الحاضرة أسوء استعمالها حتى اصبح مجلس الأمة لا يمثل الشعب تمثيلاً صحيحاً وضماناً لدفع التلاعب ، من ناحية الحكومة ، نرى وجوب تعديل قانون الانتخاب على أساس ضمان الحرية المطلقة ، بوضع القيود التي تمنع الحكومة من التدخل المباشر وغير المباشر وان يكون الانتخاب بدرجة واحدة ، واعتبار كل لواء منطقة انتخابية مستقلة .

المادة الثالثة : لما كانت المادة ٧٧ من القانون الأساسي تنص على وجوب تعيين القضاة الشرعيين من مذهب أكثرية السكان في حين ان سلطات القضاء الشرعي منحت للحكام من مذهب أقلية السكان ، فطلب تطبيق أحكام المادة المذكورة من القانون الأساسي مع لزوم تدريس أحكام الفقه الجعفري في كلية الحقوق العراقية .

العرش الهاشمي دامت شوكته ، قد رفعنا مطالبنا الى سماحة زعيمنا الروحاني المصلح الأكبر حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء دام ظله ، كي يتقدم بها الى مليكنا المعظم صاحب الجلالة غازي الأول وحكومته الموقرة ، ويطالب بإنجازها ، وسماحته هو الممثل لنا جميعاً ، والمفوض فيها ، والنافذ أمره علينا فيما يعود الى مصالحنا ، وقد أعطينا هذا الميثاق شاهداً وحجة علينا ، مع الالتزام والتعهد منا جميعاً على محافظة مصالح الأجانب في البلاد ، وتامم الرعاية للمعاهدات الدولية ، مع المثابرة على المطالبة بإنجاز تلك الموارد الإصلاحية ، وتحقيق رغائبنا القانونية ، مهما كلفنا الأمر ، وللبيان حرر :

المادة الأولى : لقد تمشت الحكومة العراقية منذ تأسيسها حتى اليوم ، على سياسة خرقاء ، لا تتفق ومصالح الشعب ، واتخذت سياسة التفرقة الطائفية أساس للحكم ، فمثلت أكثرية الشعب بوزير واحد او وزيرين ، ممن يسايرون السلطة في سياستها (على الأكثرية) وعلى مثل هذا الأساس تمشت في سياسة التوظيف ، فظهرت التحيز صريحاً في انتفاء الموظفين وأعضاء مجلس الأمة ، بينما القانون الأساسي

البنك الزراعي الصناعي ، وتمليك الأراضي لأربابها من غير بدل .

المادة الثامنة : الغاء ضريبيتي الأرض والماء ، واستبدال ضريبة الكودة على المواشي بضريبة استهلاك وعدم فرض الضريبة على الآلات الرافعة .

المادة التاسعة : ان وظائف إدارة الدولة في تضخيم مستمر بسبب عدم استقرار الملاك ، وان رواتب الموظفين في تزايد بصورة لا تتناسب مع الوضع الاقتصادي ، ومع مستوى المعيشة ، كما ان الموظفين قد تمادوا بالاستهتار بمصالح الشعب بعدم رعاية القوانين ، فيجب اتخاذ تدبير سريع لاستبدال موظفي الدولة ، المعروفين بسوء السلوك والسمعة ، وتخفيف من نفقات الدولة بتخفيض رواتب الموظفين الضخمة الى الحد المعقول ، وتخفيض رواتب التقاعد المدني والعسكري .

المادة العاشرة : ان معظم مؤسسات الدولة الصحية ، والعمرائية والتهديبية لم تراعى في توزيعها النسبة العادلة بين أبناء الشعب ، وخاصة في المنطقة الجنوبية من العراق كما يجب وضع الأنظمة والقوانين لمنع تفشي الأمراض الاجتماعية ، والأخلاقية ، وتهذيب مناهج المعارف وجعل الدروس الدينية كسائر

المادة الرابعة : لما كانت محكمة التمييز العراقية المرجع الوحيد لمحافظة أرواح وأموال الشعب وقد سبق ان مثلت الطائفتان : المسيحية والإسرائيلية والعناصر الأخرى فيها ، فعليه نطلب ان يكون في كل فرع من فروع المحكمة المذكورة عضو شيعي لتطمئن النفوس بأحكام الحاكم .

المادة الخامسة : لما الصحافة لسان الشعب الناطق ، فيجب اطلاق الحريات الكاملة للصحافة ، ورفع القيود الإدارية ، وحصر المسؤوليات بالمراجع القضائية ، تمثيلاً مع روح المادة ١٢ من القانون الأساسي .

المادة السادسة : لما كانت الأوقاف العامة أوقافاً إسلامية خصصت لخدمة الشرع الشريف ، واعاشة المتفرغين لهذه الخدمة وما يتفرع عنها ، غير ان سياسة الحكومة اتجهت الى نواحي أخرى وأصبحت مواردها تصرف على تشكيلات الأوقاف الإدارية ، واهملت دور العلم ومساجد العبادة ، فعليه يجب الإقلاع عن هذه السياسة في إدارة الأوقاف العامة وصرف مواردها على المؤسسات الإسلامية بصورة عامة .

المادة السابعة : تعميم ، وتعديل لجان تسوية الأراضي التي يتم بواسطتها الاستقرار الزراعي ، كما نطلب الإسراع في تنفيذ قانون

أخذ الرؤساء من مختلف الأنحاء يتوافدون على مدينة النجف للتوقيع على الميثاق^(١٩) .

وكان وفاء الحاج صلاح الموح وخوام عبد العباس يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في مذكراته :

وفاء الحاج صلال وخوام وغيره من العشار

(وطلبنا منهم التوقيع في الميثاق فلم يوافقوا فخالقهم الزعيم الحاج صلال الفاضل (وفاء بعهدته) فحضر النجف أخريات ذي الحجة مع جماعة من رؤساء آل غانم ، والمخاضير ، وغيرهم من قبائل عفاك ووقع في الميثاق اكثر من مائة رئيس ، ثم تلاه في الوفاء والثبات على العهد الزعيم خوام آل فرهود ، فحضر هو وجميع سراكيه ، ورؤساء آل أزرج ووقعوا في الميثاق واستأذني في الذهاب الى بغداد ، وكذلك لما أحسوا بعد رغبتني لم يذهبوا ، وهذه في الحقيقة مما يشكر لهم ، فأنهم ثبتوا على مقاومة الخائنين ، ولم يميلوا مع الأطماع كأصحابهم الذين نكثوا يمينهم ، وخانوا عهدهم)^(٢٠) .

أخذت الأمور تتجه باتجاه الحديدية والجديية أكثر فاكتر الوضع ينذر بالويل والثبور خصوصاً

الدروس ذات درجة في الامتحان والسعي وراء صيانة الأخلاق بمنع البغاء والتجارة ببيع الخمر والقمار وكل ما يؤدي الى فساد الأخلاق .

المادة الحادية عشر- : عدم التعرض لمن اشترك في الحركات الوطنية من أبناء الشعب او من موظفين وأفراد الجيش والشرطة .

المادة الثانية عشر : توقف أحكام القوانين التي تعارض هذه الطلبات واستبدالها بما يضمن تنفيذ الطلبات المتقدمة . أهـ^(١٨) .

فقد جمع الميثاق بمواده الاثني عشر قضايا الإصلاح الأساسية وفي المادة (١) ركزت على النزعة الطائفية وحرمان الأكثرية من المشاركة في إدارة الدولة في المادة (٢) على الانتخابات والتلاعب بها . وهكذا جاء الميثاق جامع لقضايا القضاء وحرية الصحافة والأوقاف وتسوية الأراضي والوظائف والعمران .

التوقيع على الميثاق :

بادر شيوخ العشار للتوقيع على هذا الميثاق ويسجل الشيخ كاشف الغطاء في مذكراته يصف فيها سير أحداث التوقيع انقلها لما لها من الأهمية التاريخية لتقييم الأحداث وما رافقها من مواقف لشيوخ العشار .

أيد الميثاق عدد كبير جداً من العشار حيث

الشهد . سلمان الصكبان . حاج مظهر الصكب .
 فرهود المحمد . إسكندر المرهون . حاج حمود
 البدن . عباس علوان . حاج صدام العواد . حسن
 الشمخي . فواز العيقان . احمد العنبر . حاج
 ضيدان الحسين . هادي العبد رضا . يوسف
 نجارنه . عبد الرضا أبو خليل . فيصل الطاهر .
 حاج جاسم الصعب . موجد السماوي . ضاحي
 الحمود . كربلا عبد المهدي آل قنبر . كربلا
 محمد رشيد . كربلا علوان الحاج عبد العزيز .
 بلعوط المحسن . سيد مهدي سيد علي . عواد
 الحاج جاسم . مزهان العلي . حاج عبد العباس
 العواد . عبد آل غافل . كاظم آل باوة . احمد
 الجبار . اعطوي المحمد . رشيد الفدعم . عزيز
 البندر . جاسم المحمد . كاظم الهدهود . متعب
 المحمد . محمد العباس . حاج فرهود الستار .
 فرمان العويد . حسين الزويد . محي المواسي .
 محمد العبد الله . سيد نور أبو ببيعة . كربلا
 عباس الكريم . حاج رايح العطية . حاج داخل
 شعلان . السيد حسن السيد عبد علي الاعرجي .
 حسون الفرهود . جري آل ضيدان . حنون العبد
 العباس . عبد المجهول^(٢١) .

وفي بداية محرم وقع زعماء المجرة وسوق
 الشيوخ على الميثاق كما جاء في مذكرات
 الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (وفي أوائل

بعد ان نشرت الصحف الميثاق فراح الناس بين
 معارض ومؤيد . وضمن هذا الأجواء . . بدا
 الشيخ خوام جوله جديدة كانت تستهدف حشد
 المؤيدين للميثاق وبالفعل تم عقد مؤتمر في
 كربلاء . . تم فيه التوقيع على الميثاق في
 حضرة سيدنا العباس عليه السلام وصدر البلاغ التالي :
 (نحن الموقعين والواضعين أختامنا ادناه
 قد اقسما بسيدنا العباس عليه السلام اننا نحرص كل
 الحرص على تأييد العرش الهاشمي وأعلاء شأن
 البلاد وصيانة حقوقه وأبنائه . واننا (متحدين)
 ونقاوم كل من أراد بأحدنا او مجموعنا سواء
 خلاف العدل والحق او بالدوافع الشخصية ونؤيد
 مطالبنا التي اتفقنا عليها عند حجة الإسلام
 الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء) .

خوام الحاج عبد العباس . سلمان البراك .
 نايف الجريان . حنتوش الهميص . سيد جعفر أبو
 طيخ . السيد نور السيد عزيز الياصري . شعلان
 السلطان . بدر كاظم حجاب . كاظم الصراخ .
 حاج مرزوك العواد . عبد المحسن الجريان .
 فرهود المشير . حاج صلال الفاضل . حمود
 الحمادي . كاظم منذور . عبد الكريم آل حمود .
 حاج محمد العبودي . مناخي الحاج طرقة .
 غزي الحمد . علوان الحاج سعدون . دوهان
 الحسن . غزاي الوارد . بدر الشخير . شعلان

التوقيع عليه وكانت ذريعتهم في معارضة الميثاق انه يؤدي الى التطاحن الطائفي والى تفتيت الوحدة الوطنية ، ولا يأتي من وراءه إلا الضرر الفادح^(٢٣) ، وهذا نفس رأي السير البريطاني في العراق السير كلارك كير ، الذي وصف مطالب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بانها طائفية ، وان رجال الدين استغلوا مشاعر العشائر ، وان العلاقة التي تربط علماء النجف بعشائر الفرات الأوسط ما هي إلا علاقة منفعية ومصالحية وليست روحية ، وقد ساندت الحكومة البريطانية بقوة وزارة الهاشمي وناوأت كل من يقف ضدها^(٢٤) .

وقد قام عبد الواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعلوان الياسري في ٨ نيسان بأرسال جعفر أبو التمن الى الشيخ كاشف الغطاء لمحاولة إقناعه بتخفيف بعض مطالب الميثاق ، إلا ان الشيخ كاشف الغطاء اصر على موقفه ورفض التنازل عن بعض بنود الميثاق^(٢٥) .

وأخذت مساحة تأييد الميثاق يتسع في الفرات الأوسط والجنوب وتوالت برقيات التأييد للميثاق وازداد الوعي بقضايا الإصلاح ورفض النزعة الطائفية في الحكم واحرج ياسين الهاشمي الذي يرفض هذه الإصلاحات بعد ان كان محرصاً للثورة وأخذت المرجعية دورها في

محرم جاءني وفد كبير من زعماء المجرة ، ورؤساء قبائل سوق الشيوخ من حجام وخيكان وآل حسن ، وغيرهم وهم زهاء ثلاثين زعيم ، الحاج فرهود الفندي ، وريسان القاصد ، وحمود آل مزيعل ، وكانوا قد تحالفوا أيضاً ووقعوا في الميثاق قدر مائتين من أصحابهم ، ووضعوا صك اليمين والمخالفة عندنا بتواقيعهم ، وبعد ان اخذوا الإجازة منا والتعاليم سافروا الى بغداد ، لمقابلة الوزارة ولما قابلوا الهاشمي ، والكيلاني اغلظوا معهم الكلام ، وجابهوهم بالمثل وقالوا : نحن تحت امر الشيخ وفي طاعته ، ان رضي رضينا وان غضب غضبنا ، وقد وقعنا بالميثاق وجئنا نطالب به . وخرجوا من فورهم الى أوطانهم مستعدين للثورة^(٢٦) .

وبعد تصاعد التأييد والتوقيع على الميثاق وتقويض الشيخ كاشف الغطاء لمطالبة الحكومة بتحقيق المطالب الواردة بالميثاق وبالرغم من ان الميثاق قد طالب بالاصطلاحات العامة التي تصب في خدمة أبناء الشعب العراقي عامة وأنصاف الشيعة ورفع الحيق عنهم ، فقد عارضه بعض زعماء العشائر الشيعية البارزة من أمثال عبد الواحد الحاج سكر ، ومحسن أبو طبيخ ، وعلوان الياسري ، وغيرهم من الشيوخ المناصرين لوزارة ياسين الهاشمي ، ورفضوا

الشيخ خوام العبد العباس ألا ان هاجمت سراي الحكومة في الرميثة وسيطروا على عدد من الأبنية الحكومية وقطعوا سكة الحديد^(٢٨) .

وارسل الشيخ خوام برقية الى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وهو يعلن الثورة يقول فيها : (بعد أعراض إخلاصنا لديكم . . . مولانا خبركم لا أخبرتم بمكروه من خصوص المدة الماضية نحن دعوتنا سلمية وفي مخابراتكم ولم تزل تأمرون بالهدوء والسكون . وفي ٢/صفر الساعة ١١ نهراً أخذ الشيخ الفاضل احمد أسد الله خديعة على حين غفلة من الناس جميعاً . وشاع خبر عند العشائر الساعة الواحدة ليلاً فهاجمت عموم عشائر الرميثة وهجموا على ناحية الرميثة واخذوا المحطة وقطعوا القطار وحاصروا السراي . وأيضاً أتت طيارة وضربت رشاش فضربوها وقتلوا أهلها فيها وأهلها ميتين موت . والان نحن مستعدين للحرب وفي تمام الاتحاد . وان شاء الله هذا أول نصر ببركات دعائكم . . . الخ)^(٢٩) .

وبادر الشيخ خوام بأرسال الرسائل الى رؤساء العشائر يحثهم على الثورة وكان رد الحكومة قوياً حيث أرسلت قطعاً عسكرية وصدرت الأوامر للأمير اللواء بكر صدقي لتولي قيادة قوات

المطالبة بالإصلاح خلاف هوى ياسين الهاشمي وجماعته وأصبحت تمثل آمال الأكثرية المضطهدة والمهمشة ، ورغم توجيهات المرجعية على سلمية المطالبة وتجنب المصادمة والاضطرار للثورة والعصيان .

يقول الشيخ كاشف الغطاء : (وكان الفاضل الشيخ احمد آل أسد الله هو العالم في الرميثة ، وكان يمشي على ضوء تعاليمنا ، ويأمر الناس بالهدوء والسكون وحفظ الأمن ، وعدم تعرض الطرق ، ومحلات الحكومة)^(٣٠) .

ثورة الرميثة :

وقد حاول ياسين الهاشمي الظهور بانه يتجنب المواجهة ولكنه كان يعد لضربة قوية لمركزه قوى المطالبة بالإصلاح .

واذا بالشرطة أقدمت في مساء اليوم الثاني من شهر صفر سنة ١٣٥٤هـ المصادف ٥/نيسان/١٩٣٥ على اعتقال (الشيخ احمد أسد الله) في الرميثة بدعوى انه كان يحرض قبائل الرميثة على عدم احترام السلطة . . فاعتقدت القبائل في هذه الناحية ان هذا الاعتقال جرى بتحريض من السفارة البريطانية وأعاونها^(٣٧) .

فما كان من قبيلة بني زيرج التي يرأسها

(تهوس) وهي تحمل سلاحها . . وكانت الطائرات تقصف ، حيث كان الثوار يتبادلون معها الرصاص . . وفي البداية لم نكن نفرق بين طائرة بريطانية وطائرة عراقية ، ولكن بعد حين اتضحت لنا الفروق .

وبدانا نستشق عيب ثورة العشرين فيها هو (الإنكليزي) يعود ثانية ليحرق زرعنا وبيوتنا ومضائفنا ويدمر مراع ديرتنا . . وفي التاسع من مايس ١٩٣٥ تمكن الثوار من أسقاط احدى الطائرات البريطانية وكان فيها شخصين ، وهما : الطيار (هوكنز) والمهندس (بومان) .

ولقد كان هذا اليوم يوماً مشهوداً في حياة الثوار ، فقد عزز سقوط الطائرة معنويات الثوار ، ولكنه في الجانب المقابل ، اثر تأثيراً سلبياً للغاية ، الأمر الذي أدى بالحكومة الى دفع كل ما لديها من قدرات وطاقات لمواجهة الموقف) .

وما كادت القوات البرية تصل الى المنطقة الثائرة حتى بدا الاشتباك بينهما في قتال ضاري ومتواصل .

ويشرح امديح آل حسن المعارك فيقول :

(بعد القصف الجوي الذي استمر لأكثر من ثلاثة أيام أسقطت خلالها الطائرات اكثر من عشرين قنبلة على منزل الشيخ خوام فقط . وبعد ورود المعلومات عن تحرك الرتلين

الفرات حتى سارع لمواجهة الموقف المتأزم فحشد قطعته في الديوانية والحمزة والحلة والسماوة . . وقسم القوة الى رتلين سميا برتل (الشالجي) ورتل (فهمي)^(٣٠) لحصر منطقة الثوار في أضيق دائرة ممكنة وقد وجهت قيادة العمليات إنذاراً للثوار بوجود التسليم خلال ٢٤ ساعة فان لم يطيعوا فستضطر الحكومة الى تأديبهم باستعمال القوة) ولما لم يستجب الثوار للإنذار . . بدأت المعركة .

كانت المقاومة ضارية جداً . . ورغم ان القصف الجوي بدأ بقصف تجمعات الثوار ومضيف الشيخ خوام بالذات . . ثم قلعة خنيفر التي لجا اليها الثوار . . ألا ان الدلائل كانت تشير الى ان الموقف كان اكبر بكثير من قدرة القوات الحكومية على حسمه بسهولة ويسر . . من هنا أخذت الحكومة تطالب القوات الإنكليزية بالتدخل . ويبدو انه قد تم الاتفاق على معاونة الحكومة بالقصف الجوي . وقد امكن التصدي لطائرتين تم أسقاطهما . وفي اليوم التالي تم أسقاط الثالثة وكانت بريطانية .

يقول امديح آل حسن آل خنيفر : —

(كنت مرافقاً للشيخ خوام . . وكنا في بادى الأمر في المضيف حيث كانت العشاء

والتهميش والصلة الوثيقة مع المرجعية بوجود العلماء فيها (الشيخ محمد حسين آل حيدر والشيخ عبد الحسين مطر) وبينما كان الجيش والطيران البريطاني مشغولاً بقمع الثوار ومطاردتهم في الرميثة والفرات وصلت نسخ من ميثاق الشعب وسماعهم بتدخل المرجعية في تأييد مطالب الثوار .

كانت الحركة الأولى يوم ٩ مايس ١٩٣٥ عندما قام عدد من عشائر بني خيكان بالتقدم نحو العيككة وحاصروها وتمكنوا من السيطرة عليها ، كما هاجمت القبائل مركز قضاء سوق الشيوخ وسيطرت عليه وعلى الحامية يوم ١٤ مايس ولجا موظفو القضاء الى دار العالم محمد حسن حيدر .

ويذكر مدير ناحية الجبايش في تقريره المرسل لوزارة الداخلية قائلاً : (واذا بزورق بخار اقبل من جهة القضاء) المقصود سوق الشيوخ (يحمل ثلاثين شرطياً من أفراد شرطة كرمة بن سعيد بدون سلاح ويرتدون الملابس المدنية ومدير الناحية بالملابس الأهلية تحت حماية مرزا جعفر مرزا عناية الله ، وقد شيع خبر احتلال سوق الشيوخ وكرمة بني سعيد والعيككة وقتل أفراد الشرطة والموظفين وانتحار المعاون وقتل مدير العيككة وأفراد

العسكريين باتجاهنا . . فقد تم إعادة توزيع قطعات الثوار . وانتقل الشيخ خوام الى القلعة لتولي قيادة المعركة من هناك .

وتقدمت القوات الحكومية نحو الرميثة بسندها قصف مدفعي من البر وقصف جوي من الطائرات فاشتبك الفريقان ، الجيش والثوار في معركة قال عنها الحكومة أنها كانت (مقاومات طفيفة) وقال الثوار أنها (كانت حامية الوطيس) . حيث أصيبت احدى الطائرات وهبطت اضطرارياً بالقرب من عفك وكان يستقلها وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني^(٣١) .

وأعلنت الأحكام العرفية في المنطقة ، وانذر المتمردين بوجوب الاستسلام إلا ان الشيخ خوام رفض الاستسلام ، فقامت القطعات العسكرية بضرب الرميثة بالمدفعية وبالطائرات واستخدمت اشد أنواع العنف والقسوة من اجل إخماد الانتفاضة ، وأسفرت العمليات العسكرية بالحاق خسائر بالأرواح والأموال ودخل الجيش الرميثة واخذ الانتفاضة في ١٦ أيار ١٩٣٥ ، والقي القبض على الشيخ خوام^(٣٢) .

الثورة في لواء المنتفق :

كان لواء المنتفق اكثر استجابة في تأييد ميثاق الشعب للوعي المتراكم من الاضطهاد

المخفر فينشغل أفراد الجندمة بشعلة النار القادمة اليهم ليتسنى للمهاجمين اقتحام المخفر ، وكتب الحمداني : وما ان حل الموعد المقرر ليلاً تقدم السيد الشهيد بطل التضحية الفريدة من نوعها الى المركز المذكور ، وعند التقرب منه سكب النفط على البردي المحيط بجسمه واشتعلت النار وهو يمشي التؤدة ، فتوجه رصاص الشرطة على الشعلة بكثافة ، فاستغل المهاجمون هذه الحالة وتسلقوا جدران المخفر وتمكنوا من احتلاله (٣٤) .

وقد استعدت العشائر بالسيطرة على الناصرية وما حولها وكان وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني ووزير الدفاع جعفر العسكري ، وقد عاد وزير الدفاع من الرميثة الى بغداد فكلفته الحكومة بقيادة قوة الى لواء المنتفق لإخضاع القبائل الثائرة هناك ، وقد سبقه وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني الى اللواء على متن طائرة وذلك في ١٨ مايس ١٩٣٥ .

وكان انقطاع سكة الحديد وفيضان الطريق بين الناصرية والشرطة عائقين لهما الأثر في تأخير وصول الجيش ، فاستغل جعفر العسكري الفرصة فاستدعى الشيخ خيون العبيد وكلفة ان ينصح الرؤساء الثائرين بالخلود الى السكنة (٣٥) . وقد نجحت جهود خيون العبيد في منع

شرطته وقتل الحاكم وجرح الطيب ودخالة (طالب الحماية) القائمقام في دار الشيخ محمد حسن حيدر) .

وهكذا نجد الثوار قد سيطروا سيطرة كاملة على سوق الشيوخ ونواحيه في يوم ١٤ مايس ١٩٣٥ ، والاستيلاء على مخافر الشرطة ومراكز النواحي لدرجة ان الحكومة اعترفت صراحة بعجزها عن التصدي والمقاومة وحاولت بذل الأموال واستخدام سياسة فرق تسد المشؤمة لكنها لم تتن عزم الثوار من إعلان سقوط سوق الشيوخ وتسليم القائمقام (علي كمال) نفسه للأهالي وتم اسر عدد من قواته وأفراد الشرطة (٣٣) .

فقد أصبحت جنوب المنتفق سوق الشيوخ والجبايش وكيكة وكرمة بني سعيد والفود والحمار تحت سيطرة الثوار وانهزمت الشرطة والقوات العسكرية أمام بطولة الثوار التي نقل صورة منها احد المشاركين في الثورة (يعقوب الحمداني) ويقول : (حينما تأخر استيلاء العشائر المهاجمة على مخفر العكيكة ، فاجتمع بهم سيد عذافه وعرض عليهم خطة لاحتلال المخفر يكون هو ضحيتها . وخلاصة الخطة ان يلف السيد جسمه بالقصب والبردي ويرشه بالنفط ، ويشعل النيران فيه ، وهو سائر باتجاه

وان يسلم هؤلاء انفسهم من دون قيد او شرط ،
ولكن هذه الوساطة فشلت أيضاً^(٣٦) .

ويظهر من سير الأحداث ان الثوار في
الفرات والجنوب لديهم مطالب واضحة التي
تضمنتها فقرات الميثاق لكن الطبقة السياسية
الطائفية لا تريد التفاوض حول المطالب وإنما
تريد فرض السيطرة واستمرار الظلم
والاضطهاد .

وبعد وصول وزير الدفاع الى الناصرية وأجراء
الاتصالات اصدر بياناً مالاتي :

الى حضرات رؤساء عشائر المنتفك —

بالإشارة الى مقابلي والشيخ منشد الحبيب
الذي دعيناه مع الشيخ موحان الخير الله
والشيخ صكبان العلي وبقية رؤساء الغراف
والشيخ خيون العبيد في سراي الناصرية ابدي
عن لسان الحكومة تليغكم بلزوم المحافظة
على الهدوء والسكينة وعدم الأخلال بالأمن
الى ان تجري المفاوضة بين الحكومة والشيخ
حسين آل كاشف الغطاء عن المطالب التي
ذكرتموها والتي لم تصل الى الحكومة الى الآن
وتقريرها حسب الأصول . واني بلغت القيادة
لإيقاف تحشيد الجيوش في المنتفق وان ترسل
فوراً الى عشائر سوق الشيوخ ليعيدوا أفراد

حدوث اضطرابات وأحداث في الناصرية كما
حدث في سوق الشيوخ ، ولكن وفد الشيوخ
خيون آل عبيد وموحان آل خير الله وصكبان
العلي وغيرهم الذي قصد سوق الشيوخ لأقناع
الثوار بترك المدينة وأعادتها الى سيطرة
الحكومة لم يكلل بالنجاح يقول الحسنی :
وحل الوفد ضعيفاً على الشيخ محمد حسن
حيدر ، وفي اليوم التالي قصد الوفد الشيخ
ريسان الكاصد ، احد رؤساء حجام وأكثرهم
حماساً ، فنصحه بوجوب القاء السلاح وحقن
الدماء وإفساح المجال الى الحكومة لتعيد
احتلال قسبة السوق ، ووعد باستحصال عفو
عام عن المشتركين في الثورة كافة ، فرد الحاج
فرهود الفندي الى الوفد قائلاً : (أن لدى
الثائرين ميثاقاً يجب ان ينفذ أولاً ، لتعاد
السيوف الى أعمادها ، فأخفقت وساطة
الوفد) . كما أخفقت وساطة للشيخ حسن بدر
الرميض .

وفي ٢٥ مايس ١٩٣٥ وصل الى الناصرية
السيد عبد المهدي المنتفكي مع وفد من
الشيوخ واتصلوا بوزير الداخلية فوافق الى
وساطتهم ، كما وافق على إعفاء القائمين
بالحركة باستثناء الرؤساء الثلاثة : ريسان
الكاصد ، وفرهود الفندي ، ومزهر الكاصد ،

بهذا الشأن عسى ان يحصل الاتفاق بينكم وبين الحكومة وتحقن الدماء أما اذا لم تعطنا الحكومة رغائبنا على يدكم فأننا ناثرون ومطالبون بالحقوق الميثاقية مهما كلفنا الأمر فنرجو ان تعطونا رأيكم الأخير حول موقفنا تحريراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٣٨) .

رئيس عشيرة ال ازيرج كاطع البطي ،
رئيس عشائر ال غزي منشد الحبيب ، رئيس
فرقة الحسينات عجيل التولي ، رئيس عشائر
الحسينات عبد الكريم العاتي

وكانت المرجعية حريصة على حفظ الأمن والاستقرار وعدم إراقة الدماء وفي نفس الوقت مصرة على المطالبة بأجراء الإصلاحات اللازمة ، فقد أوفدت الحكومة الحاج محسن شلاش الى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء للتفاوض معه ورسم خطة للتقارب في تنفيذ الميثاق^(٣٩) .

وفي خضم الأحداث ابرق الرجع كاشف الغطاء الى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي في بغداد البرقية الآتية :

بغداد - فخامة رئيس الوزراء

وردتنا بقرينات من بعض وجهاء الناصرية يستمدون فيها إرشاد الرؤساء للخلود الى السكينة ابرقنا وحررنا بطلب الهدوء والأمل

الشرطة وأموري الحكومة الى الناصرية بأقرب وقت ممكن ولا أرى بأساً بان تنتخبوا وفداً ليأتي العاصمة لمقابلة الحكومة .

والمداولة معهم لمعالجة الحالة بصورة مطمئنة للجميع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٣٧) .

وزير الدفاع جعفر العسكري

وبعد اطلاع شيوخ العشائر على بيان وزير الدفاع ارسل الثوار الى المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هذا الكتاب في ١٢ صفر ١٣٥٤ هـ .

والى جانب هذا البيان ارسل الثائرون الكتاب الاتي الى الشيخ محمد الحسين في ١٢ صفر ١٣٥٤ هـ :

مولانا حجة الإسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء دام ظله .

على اثر مقاومتنا للحكومة طلبا لحقوقنا المشروعة في ميثاق الشعب وعلى اثر سقوط بلاد السوق بيد ان إخواننا عشائر سوق الشيوخ وهياج الرأي العام وتحفز النفوس في عشائرتنا حتى همت بالعمل على اثر ذلك حشر وزير الدفاع جعفر العسكري الى لوائنا واضطر للمفاوضة بشأن المهادنة الى مراجعة الحكومة لسماحتكم ومفاوضتها معكم ومراجعتنا لكم

بالإصلاح وها نحن نؤيد ذلك ونرغب ان تقوموا بالإرشاد الى وجوب منع المضاربة والحيلولة دون ما يؤدي الى إراقة الدماء وتخريب الخطوط وقطع المواصلات والطرق العامة . والواجب الشرعي يحتم وجوب تبليغ طلبنا ورغبتنا هذه الى الرؤساء وخصوصاً الى الشيخ منشد وعجيل وكاطع وأعلامهم بأننا لا نرغب بأي حركة تعكر صفو السلام وعليهم ان ينتظروا نتيجة ما نترقبه من وقوع ما يعدون به من المفاوضات ونتنظر منكم جواب كتابنا هذا ودام لكم التوفيق والتأييد والسلام^(٤١) .

الأحد ١٥ صفر ١٣٥٣ هـ

محمد الحسين كاشف الغطاء

وكان للمرجعية الأثر الكبير في أخلاء العشائر الثائرة للهدوء والسكينة .

واتجهت الأحداث لاحتواء الثورة على امل التفاوض حول الميثاق كما جاء في الرسائل المتبادلة بين الثوار والمرجعية ووساطات الحكومة ورغم ذلك بدأت القوات العسكرية بالقصف الجوي على الأهالي وادى الى قتل المزيد من الأرواح وتدمير المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية وتردي الحالة الاقتصادية بحيث أدى القصف الجوي يومي ٢٦ و٢٧/٥/١٩٣٥م على عشائر حجام والنواشي

مساعدتكم على توطيد الأمن والمسارة الى اجراء المفاوضات حسبما أذاعه وزير الدفاع في بيانه لرؤساء عشائر المنتفك وعليهم ان ينتظروا النتيجة مما نترقبه من وقوع ما يعدون به من المفاوضات .

التوقيع (محمد حسين كاشف الغطاء)^(٤٠)

ورأت الحكومة ان كتاباً يصدر من الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى معتمده في الناصرية قد يساعدها في ردع القبائل رؤساء القبائل عن غيرهم بعد ان استفحل أمرهم فكلف رئيس الوزراء السيد صالح جبر بالذهاب الى النجف لمواجهة الشيخ واستحصال الكتاب المطلوب فسافر المتصرف الى النجف في غسق الليل حالاً واتصال بالعلامة كاشف الغطاء في دارة وبين له ضرورة تدخله لإنقاذ الموقف فأجاب الشيخ انه مستعد لمساعدة السلطة بكل ما يقترحه المتصرف ما دامت في هذه المساعدة خدمة عامة ثم ما لبث ان كتب الكتاب التالي فأرسله المتصرف الى الحكومة وارسل منها الى الناصرية بالطيارة .

العلامة الشيخ عبد الحسين مطر أدام الله

تأييده

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبرقنا اليكم وأوجزنا في برقيتنا خطتنا ومشغوليتنا

جانبا ، فلم يستطيعوا بسببها إظهار مقاومة ما ، وعرض الجميع دخالتهم على الحكومة ، عدا ثلاثة رؤساء من عشيرة حجام لاذوا بالفرار ، ودخلت قواتنا هذا الصباح قسبة سوق الشيوخ ، وأتمت أشغال جميع المخافر والمراكز في القضاء المذكور ، وأعيدت المواصلات ، وبهذا تمت الغاية الأولى من حركات التأديب . بغداد ٢ حزيران سنة ١٩٣٥^(٤٤) .

في الوقت الذي اخذ الجيش يركز في ضرباته على هذه العشائر التي بقت لوحدها في الساحة بعد انسحاب العشائر وشيوخها من المعركة . وهكذا أعيدت سوق الشيوخ الى الدولة يوم ٢ حزيران ١٩٣٥م كما أعيدت في نفس اليوم مخافر العكيكة والكرمة . وهكذا دخل بكر صدقي مدينة سوق الشيوخ في الوقت الذي اعلن فيه الملك غازي الأحكام العرفية فيها . واتخذت إجراءات قاسية ضد رؤساء العشائر وأفرادها^(٤٥) .

فأعلنت الحكومة (الأحكام العرفية) في هذه المنطقة أيضاً ، وسأقت القوات النظامية (برأ ونهراً وجواً) فاستردت القسبة في ٢ حزيران وقامت بأعمال تأديبية ، ومحاكمات سريعة ، كلفت المنطقتين اللتين حدث فيهما الاضطراب المار ذكره الحكم بالإعدام على

والمطيرات والشدود الى مقتل ٢٦ وجرح ٢٧ وإبادة أعداد كثيرة من المواشي^(٤٢) .

في الأول من حزيران سيق الفوج الرابع بالسفن الشراعية ، وبعد ان وصل الى الفضلية وجد بعض العشائر المعادية الى تحاول اعتراض تقدمه ، ولكن الرؤساء الذين اتفقوا مع الحكومة لمساعدتها على حل الأزمة استطاعوا تفريق العشائر مما سهل دخول الجيش الى قسبة سوق الشيوخ دون مقاومة ، وقد صاحبوا القوات حتى بلغت قسبة السوق واجتمعوا برؤساء الثورة في دار الشيخ محمد حسن حيدر ، واطلعه على رغبة الحكومة في العفو عن القائمين بالحركة (عدا الرؤساء الثلاثة : مزهر ، وريسان ، وفرهود) ، وهكذا جرى الاتفاق واصطحب الشيخ محمد حسن ٢٥ رئيساً الى الناصرية لإظهار الطاعة وأنهاء الثورة ، فكان دخول السوق سلمياً دون اطلاق رصاصة واحدة^(٤٣) . على اثر ذلك أصدرت الحكومة البيان الرسمي التالي :

(كان لطغيان الفرات ، واستيلاء مياهه على الأراضي والأهوار بصورة لم يسبق لها مثيل تأثير كبير على الحركات التأديبية ، ألا ان القوات المؤلفة من الجيش والشرطة والبواخر المسلحة والطيارات أحاطت بالتمرديين من كل

لإشعال نار الفتنة وأحراج موقف الحكومة وكانت الدعايات ترمي الى :

أ - التحريض ضد التجنيد .

ب - تهيج العواطف الدينية بسبب منع السبايا والمآتم في أيام عاشوراء .

ج - الإشاعة بأن الحكومة تنوي تعميم السفور ولبس القبعة .

٢- طمع بعض الرؤساء في الاستفادة من الصيد في الماء العكر .

وزير الدفاع جعفر العسكري

وكذلك كان قد وجه وزير الدفاع جعفر العسكري كتاباً سريراً برقم ٣٣٩ وبتاريخ ١٩٣٦/٦/٣٠ الى رئيس الوزراء ضمنه تقرير أركان الجيش طه الهاشمي عن أسباب حركة التمرد في الفراتين الأوسط والجنوبي في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، جاء فيه :

تقرير طه الهاشمي - رئيس أركان الجيش -

عن أسباب الثورات

لم تظهر أسباب التمرد بصورة واضحة ولعل المجلس العرفي يستطيع الوصول الى معرفة الأسباب الحقيقية . والواضح من المعلومات التي استقيتها ان التمرد نشأ من أسباب مختلفة لا تربط بينها ، وقد أيد بعضها البعض الآخر ،

(٦٣) شخصاً في تسعة أشخاص ، وابدل في (٥٤) بالأشغال الشاقة ، كما كلفهما الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على ٢١ نسمة ، وبالحكم لمدة تزيد على عشر سنوات على عشر أشخاص ، وعلى (٥٦) شخصاً بالسجن لمدة تتراوح بين سنة الى ثلاث سنوات ، وبالغرامة على ثلاث أشخاص ، وبمصادرة أملاك خمسة أشخاص ، ووضع ٢٦ شخصاً تحت الكفالة لحفظ السلام ، ثم استصدرت الوزارة قانوناً في ٧ أيلول ١٩٣٥ بإعلان العفو العام في المنطقتين المذكورتين ، وفي مناطق أخرى لا علاقة لها بهذه الأعمال^(٤٦) .

وهكذا انتهت اهم ثورة شيعية واعية حاولت الحد من سيطرة الحكم الطائفي في العراق وظلت وثيقة (ميثاق الشعب) اهم وثيقة وطنية للإصلاح .

وبين ميثاق الشعب ومطالب الثوار وقيادة المرجعية يأتي كتاب وزير الدفاع جعفر العسكري المرقم س/ ٢٨٦ والمؤرخ في ٢١ تموز ١٩٣٦ الموجه الى رئيس الوزراء ما يلي :

أسباب الثورة :

١- الدعايات المضرة التي قام بها بعض رجال ومعارضتي الحكومة وقد لعبت أيادي خفية

٢- محاولة بعض الرؤساء والسراكيل الانتقام من زميله الرئيس والسركال والنائب .

٣- اعتقاد بعض الرؤساء والسراكيل بان المشاغبة والقيام بالحركات المعادية تساعده على الحصول على ما يبتغيه من نيابة او مقاطعة او غير ذلك .

٤- سعي الرؤساء المنفيين لإجبار الحكومة على إرجاعهم من المنفى ، وليس من شك في ان من اهم أسباب التمرد سعي القبائل الى التملص من أحكام قانون الدفاع الوطني .

ثم بحث التقرير في مسائل كثيرة منها شدة المقاومة والاتفاقات بين القبائل واستعداد القبائل للتمرد والتدابير العسكرية (الجيش والدرك والشرطة) والإدارة (خاصة شؤون الاستخبارات) والإنشائية (طرق المواصلات ، الأهوار ، والمستنقعات ، الجداول والأقنية ، المخافر) والسياسة الواجب اتخاذها ثم جاء في التقرير :

لا مندوحة من استعمال الشدة مع المتمردين ، والشدة علاج شاف لاستتاب الأمن في مثل هذه المناطق وغير المستقرة ، وقد أظهرت أخطاء سياسة اللين مع القبائل في فرص متعددة ، ولعل العفو العام الذي شمل المتمردين في حادثة القيام بالتمرد في السنة

وشجعت المتمردين على العصيان ، وقد تتلخص الأسباب المذكورة في ما يلي :

أولاً- الأسباب الإدارية :

١- سوء إدارة بعض الموظفين الصغار .
٢- إهمال الموظفين الكبار وتخليهم عن التفتيش والاتصال المباشر مع موظفي الإدارة والرؤساء .

٣- ميل بعض الموظفين الشرطة للتقليل من شأن الحركات العدوانية التي يتظاهر بها الرؤساء والسراكيل من وقت لآخر .

ثانياً- الدعايات المضرة :

١- سعي بعض العلماء واتباعهم الى تضليل الرؤساء والسراكيل .
٢- نشر الدعايات المضرة لحث القبائل على التمرد ومن جملتها قضية السفور ولبس القبعة ومنع المآثم وغير ذلك .

٣- إساءة سمعة الحكومة بنشر أخبار كاذبة .

ثالثاً- الأسباب الشخصية :

١- اتصال بعض المعارضين بالرؤساء وحملهم على المخالفة بالذات او بالواسطة .

وانتهت الثورة بهذا التقييم الذي وصفه نظام الحكم الطائفي ويكون هذا العام عام الأحران كما وصفه المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في مذكراته بالقول :

سنة ١٣٥٤هـ - عام الأحران

وكانت الرابعة والخمسين بعد الألف والثلاثمائة ، التي هي آخر العقد السادس من حياتنا ملها متاعب ، وغصص ، ومصائب علينا ، ولم نجد فيها راحة ساعة واحدة ، بين مزاولة الحكومة ، ومحاولة العشائر ، وغدر هؤلاء وتخاذلهم ، وتصلب أولئك وتشددهم ، وأبنا مضافاً الى تلك الفتن والمحن بالولدين أحراننا ومصائبنا اختطفتها المنية منا في أسبوع واحد وآخر شعبان من تلك السنة على حين كنا في اشد التوجع ، وضيق الصدر من قضايا العشائر معنا ، ولذلك تضاعفت أحراننا وعز سلواننا ، وسميته (عام الأحران) وقلت من مقطوعة :

مصائب في عام عليّ تابعت*** فعامي هذا
كله عام أحران^(٤٨)

المنصرمة مما شجع المتمردين على القيام بالتمرد ، ولذلك يجب معاقبة المسببين لهذه الحركة والذين رتبوا التمرد وقادوا الرجال للقتال ، عقاباً شديداً .

ومن جهة أخرى يجب حرمانهم من الحقوق التي يتمتعون بها ولعل سياسة في هذا الباب أجلاء العشيرة من أراضيها واسكانها في محل آخر مجتمعية او متفرقة ويجب تطبيق هذه السياسة على بني عارض .

ويختتم التقرير بإعطاء نظرة للمستقبل حيث يقول :

"لقد اتضح . . انه يتوقع من حين الى آخر تمرد بعض القبائل في لوائي الديوانية والمنتفك بالرغم من الحركات التأديبية التي قم بها الجيش والشرطة ، وسوف لا تتخلى القبائل عن التمرد إلا اذا جردت من سلاحها ووزعت الأرض بينها توزيعاً عادلاً ، وليس من شك ان تجريد القبائل من سلاحها يتطلب زيادة قوة الجيش إذ ان الجيش بقوته الحالية لا يتمكن من تطبيق خطة جمع السلاح من القبائل بصورة عامة . . ."

العميد رئيس اركان الجيش^(٤٧)

طه الهاشمي

الهوامش :

- [١] الشيعة والدولة القومية في العراق : ٣٢٥ .
- [٢] تاريخ الوزارات العراقية : ٣ / ٣١٦ .
- [٣] تاريخ الوزارات العراقية : ٣ / ٣١٩ .
- [٤] مشكلة الحكم في العراق من فيصل الأول الى صدام : ٣٦٣ - ٣٦٤ .
- [٥] الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ - ١٩٩٠ : ٣٢٩ .
- [٦] الملك فيصل الأول من الثورة العربية الكبرى الى تأسيس الدولة العراقية : ٣١٤ .
- [٧] العمل الحزبي في العراق : ٧٣ - ١٣٠ .
- [٨] دور المرجعية في بناء الدولة العراقية أعمال المؤتمر السنوي لمؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية لسنة ٢٠١٧ ، بحث المرجعية الدينية صمام الأمان في تاريخ العراق انتفاضات الفرات الأوسط سنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ : ٤٨٦/١ .
- [٩] السيد علوان الياسري الزعامة العشائرية والعمل الوطني دراسة في سيرته ومواقفه الوطنية في تاريخ العراق المعاصر ١٨٧٥ - ١٩٥٢ : ٢٨٩ .
- [١٠] دور المرجعية الدينية في بناء الدولة العراقية أعمال المؤتمر السنوي لمؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية : ٢٠١٧ .
- [١١] العراق بين عهدين ياسين الهاشمي وبكر صدقي : ٤٧ .
- [١٢] علوان الياسري الزعامة العشائرية والعمل الوطني : ٣٠٣ .
- [١٣] تاريخ الوزارات العراقية : ٤ / ٥٥ .
- [١٤] السيد علوان الياسري الزعامة العشائرية والعمل الوطني : ٢٩٣ - ٢٩٤ .
- [١٥] دور المرجعية الدينية في بناء الدولة العراقية : ٤٨٧/١ .
- [١٦] عقود من حياتي : ١٨٠ - ١٨١ .
- [١٧] مشكلة الحكم في العراق : ٦٢ .
- [١٨] تاريخ الوزارات العراقية : ٤ / ٩٥ - ١٠٦ .
- [١٩] عبد الواحد الحاج سكر وعلوان الياسري والسيد محسن أبو طيبخ وشعلان العطية
- [٢٠] عقود من حياتي : ١٨٧ .
- [٢١] الشيخ خوام (١٨٨١ - ١٩٦٧) الثائر الأتسان : ١٩٤ - ١٩٦ .
- [٢٢] عقود من حياتي : ١٨٨ - ١٨٩ .
- [٢٣] السيد علوان الياسري الزعامة العشائرية والعمل الوطني : ٣٠٧ .
- [٢٤] دور المرجعية في بناء الدولة العراقية أعمال المؤتمر السنوي لمؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية ٢٠١٧ : ٤٩٨ .
- [٢٥] الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ودوره الوطني والقومي : ١١١ .
- [٢٦] عقود من حياتي : ١٨٣ .

- [٢٧] بخ=حوث عن العراق وعشائره : ٤٥ .
- [٢٨] تاريخ الوزارات العراقية : ٣ / ١٤٢ .
- [٢٩] الشيخ خوام النائر الأنسان : ٢١٠ .
- [٣٠] العراق في الوثائق البريطانية :
- [٣١] الشيخ خوام النائر الأنسان : ٢١١ - ٢١٣ .
- [٣٢] تاريخ العراق المعاصر : ٨٩ .
- [٣٣] الناصرية تاريخ ورجال : ١ / ٣٦٣ .
- [٣٤] النجف الثانية سوق الشيوخ حاضرة العلم والأدب : ٢٣٨ .
- [٣٥] تاريخ الوزارات العراقية : ٤ / ١١٠ .
- [٣٦] النجف الثانية سوق الشيوخ حاضرة العلم والأدب : ٢٤١ .
- [٣٧] تاريخ الوزارات العراقية : ٤ / ٩٩ .
- [٣٨] الناصرية تاريخ ورجال : ١ / ٣٦٥ .
- [٣٩] عقود من حياتي : ١٩٧ .
- [٤٠] تاريخ الوزارات العراقية : ١ / ١٠٤ .
- [٤١] الناصرية تاريخ ورجال : ١ / ٣٦٧ .
- [٤٢] الناصرية تاريخ ورجال : ١ / ٣٧٠ .
- [٤٣] النجف الثانية سوق الشيوخ حاضرة العلم والأدب : ٢٤٢ .
- [٤٤] تاريخ الوزارات العراقية : ٤ / ١١٧ .
- [٤٥] الناصرية تاريخ ورجال : ١ / ٣٧٠ .
- [٤٦] تاريخ العراق السياسي الحديث : ٣ / ١٤٣ .
- [٤٧] مشكلة الحكم في العراق من فيصل الأول الى صدام : ٨٥ - ٨٧ .
- [٤٨] عقود من حياتي : ١٩٨ - ١٩٩ .

د . الشيخ على حمود العبادي
باحث وأكاديمي من العراق / حوزة قم المقدّسة

الدراسة الواعية للنهضة الحسينية

لقد تميّزت النهضة الحسينية المباركة بقائدها الكبير وأهدافها ودوافعها الرسالية المتنوّعة ، فحملت بذلك كل مقومات العظمة والكبرياء ، وكان لها تأثيرها البالغ في هداية المجتمع الإسلامي ، وإيصاله إلى أهدافه الحقيقية التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية والعقل السليم .

وفي هذا الضوء ينبغي أن تُقرأ هذه النهضة العظيمة قراءة واعية ، وتُدرس دراسة جادّة ؛ كي يُمكن الاستفادة منها بالشكل الصحيح والمطلوب . ونرى أن من الضروري في هذا المجال الالتفات إلى جملة من الأمور ، أهمّها :

١- أن تُلاحظ واقعة عاشوراء بما هي مقطع تاريخي ضمن سلسلة حوادث مترابطة يتأثر بعضها ببعض ، ويكشف بعضها عن أسرار بعضها الآخر .

٢- أن يُنظر إلى واقعة عاشوراء بنظرة شمولية ، فلا تُلاحظ الجنبّة العسكرية بمعزل عن المعطيات الفكرية والثقافية ، أو الأخلاقية والفقهية ، وهكذا .

٣- أن تُلاحظ كيفية إدارة الإمام الحسين عليه السلام لواقعة عاشوراء من بداية الانطلاق وحتى الاستشهاد ، كحادثة واحدة ممتدة في عمود الزمان .

٤- أن تُدرس أحوال المجتمع الإسلامي قبل واقعة كربلاء ، بشكل دقيق ، وتُلاحظ الظروف المؤثرة آنذاك ، والتي انبثقت في قلبها تلك الواقعة العظيمة والأليمة .
وسنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على النقطة الأخيرة ، ونُشير إلى بعض ملامح المجتمع الإسلامي قبل واقعة عاشوراء ، منذ نشوء الانحراف وإلى وقت الاستشهاد .

شكر النعمة أو كفرانها

يُعدّ المجتمع الإسلامي - الذي حمل آخر مشاعل الهداية للبشرية - كباقي المجتمعات التي احتضنت الشرائع السماوية السابقة ، من جهة إمكان تعرّضه للانحراف والضياع ؛ من هنا نجد أنّ التعاليم الدينية تؤكّد على هذه الحقيقة وتُحذّر أفراد المجتمع من مواجهة هذه العاقبة السيئة ، قال تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١) ، فهذه الآيات المباركة تُبيّن بوضوح أنّ الإنسان مهما كانت النعمة مُعدّقة عليه ، إلاّ أنّه يبقى في معرض الانحراف والتّيّه ، وفي معرض الغضب والضلال ، وهذه سُنّة إلهية جارية في كافة المجتمعات ، لا ينجو منها إلاّ مَنْ استقام وهداه الله تعالى إلى

الصراط المستقيم .

والمجتمع اليهودي - كما في بعض النصوص الروائية- من مصاديق ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) ؛ مع أنّ الله تعالى قد أنعم عليهم ، كما جاء ذلك في قوله ﴿ : بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) . لكنهم كفروا بنعمة الله تعالى ، وكانوا يحاربون الأنبياء والمرسلين ، فنالهم الغضب الإلهي .
وأما ﴿ الضَّالِّينَ ﴾ فهم النصارى ؛ إذ أنّهم لما أنعم الله عليهم ، تمرّدوا وضلّوا .

هذه هي حال المجتمعات ، فكلما تمسّكت بطريق الحقّ ؛ هداها الله ، وكلما ابتعدت ؛ غضب الله عليهم ، وجعلهم من الضّالّين .

والمجتمع الإسلامي ليس بمعزل عن هذه السنن الإلهية ، فقد أنعم الله عليه بالإسلام وبنبي الرحمة ، فمن شكر كان من المهتدين ، ومن كفر بهذه النعمة كان من الضّالّين أو من المغضوب عليهم ، وعندما نلاحظ حالة المجتمع الإسلامي بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ ؛ نجد أنّ تلك السُنّة قد تكرّرت بأجلى صورها ، وبلغت الانحرافات أقصاها ، وهو ما تتبأ به الرسول العظيم ﷺ ، حينما قال : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ، وذراع بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ

الذي تزعزعت فيه القيم الإسلامية ، وهي تعكس حالة الترف التي صار إليها الصحابة ، بعد أن كانوا لا يملؤون بطونهم من الخبز :

المثال الأول : ما جاء في أحوال طلحة بن عبيد الله ، قال رجل ذات يوم في مجلس سعيد بن العاص - وهو من الولاة الأمويين الذين عيّنهم عثمان - : (ما أجود طلحة !) . فقال سعيد : (إنَّ مَنْ له مثل النشاط لحقيقٌ أن يكون جواداً) . وكانت النشاط ضيقة كبيرة قرب الكوفة يملكها الصحابي طلحة بن عبيد الله ، الذي كان يعيش حينذاك في المدينة ، ثمَّ أُرْدِف قائلاً : (والله ، لو أنّ لي مثله ؛ لأعاشكم الله به عيشاً رغداً)^(٦) .

وبمقارنة بسيطة بين الحالة التي كان عليها صحابة رسول الله ﷺ في زمنه وبين التي عليها طلحة - كما في هذا الخبر - تجد الفرق الفاحش بين الحالين ، فأين حال أصحاب الصفة وغيرهم من هذا الثراء الفاحش ؟ !

المثال الثاني : ما جاء في ذكر أحوال أبي موسى الأشعري والي البصرة ، وهو صاحب الموقف الشهير في قضية التحكيم ، حيث ارتقى المنبر ذات يوم حينما كان والياً على البصرة ، وكان الناس يستعدّون لإحدى الغزوات ، فنادى في الناس وحضّهم على

تبعتموهم^(٤) . وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (لما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض)^(٥) .

المجتمع الإسلامي بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ

عندما نلاحظ حالة المجتمع الإسلامي بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ ؛ نجد أنه قد واجه مجموعة كبيرة من الانحرافات والضلالات ، وهناك شواهد عديدة أثبتتها التاريخ ، تُبين عمق المأساة التي آل إليها المسلمون بعد فقد النبي الكريم ﷺ ، وابتدأت بوادر الانحراف تظهر في عدّة مستويات ، سواء العقائدي منها ، أو الثقافي ، أو الأخلاقي ، أو الاقتصادي ، وهنا نحاول أن نُسلط الضوء على بعض الانحرافات الاقتصادية التي أدت إلى تفكيك المجتمع الإسلامي ، وتقسيمه إلى طبقة غنيّة فاحشة الثراء ، وطبقة مسحوقة تُعاني أشدّ الحرمان ، والشواهد على ذلك كثيرة ، نحاول أن نذكر بعضها توثيقاً لما قلناه ، وخصوصاً ما ظهر من الأمثلة التي برزت في الرّعيّل الأول من الصحابة ، والتي تُبيّن كيف كان حال الخواصّ على امتداد السنوات التي أعقبت رحيل النبي الأعظم ﷺ ، بحيث آلت الأمور إلى المستوى

التي هي الدراهم والدنانير إلى أربعين ألف ألف^(٩). وفي نقل آخر أنّ ميراثه قُسم على خمسين ألف ألف ومائتي ألف ونيّف^(١٠).

كانت هذه أمثلة بسيطة لما كانت عليه أحوال الخواص من الصحابة، ولو نقّب شخص في التاريخ لعثر على آلاف الأمثلة التي تطفح بها المصادر التاريخية، هذا ما يخص الجانب الاقتصادي، وأمّا بقية الجوانب، فإن لم يكن الانحراف فيها أكثر فليس هو بأقل من هذا الجانب.

والملاحظة الجديرة بالذكر: أنّ الأمثلة المتقدمة كلها تُشير إلى حالة الخواص من الأمة، الذين هم من صحابة الرسول ﷺ وعابشوه وعابنوه عن قرب، فهم من الشخصيات البارزة في المجتمع الإسلامي، والسؤال هو: إذا كان هذا حال الخواص في تجميع الأموال والتهافت على الدنيا وملذاتها، فما يكون حال العوام، مع ملاحظة أنّ الناس على دين ملوكهم؟!

ولهذا؛ فإنّ من أخطر الأمور على كل مجتمع هو انحراف الطبقة المتميزة فيه، وهي طبقة الخواص؛ إذ بتبعها تنحرف بقية الطبقات، فيصبحون من المغضوب عليهم أو من الضالين.

والجهد، وذكر شيئاً في فضل الجهاد مشياً، فترك نفرٌ دوابهم وأجمعوا أن يخرجوا رجالة طمعاً في الثواب، إلّا أنّ جماعة آخرين من العقلاء فضّلوا التأمّل ومشاهدة حقائق الأمور، وقالوا: لا نعجل في شيء حتى ننظر ما يصنع؛ فإن أشبه قوله فعله، فعلنا كما يفعل.

ثمّ نقل لنا التاريخ أنه: (لما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً)^(٧). فقد أخرج معه ممتلكاته الثمينة، وهي بهذا الحجم والكم الهائل من النفائس والسلع الثمينة، التي لا يمكنه أن يتخلى عنها، ولا يأمن إن تركها في مكانها أن يعود إليها؛ لأنّ الأمور متغيرة والسياسة متلوّنة، لذلك لم يكن لديه حلٌّ إلّا أن يصطحب أمواله معه، وهي بهذا الحجم والمقدار.

فلما خرج جاءه قوم وتعلّقوا بعنانه، وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب في المشي كما رغبتنا. فضرب القوم بسوطه؛ فتركوا دابّته ومضى^(٨).

وهذا الموقف - كسابقه - باعث على الدهشة والحيرة؛ ويؤكّد عمق المأساة التي يمرّ بها المجتمع الإسلامي على الصعيد الاقتصادي والمالي.

المثال الثالث: ما نقله التاريخ لنا فيما كان يملكه الزبير بن العوّام؛ فإنّه قد قُسمت أمواله

فرض مودة أهل البيت عليهم السلام ، وتحويل ذلك إلى حقد وبُغض ، وقد استخدمت لتحقيق مبتغايا الخبيث والخطير كافة أجهزة الوعظ والإرشاد ، وأجهزة القمع والترهيب والترغيب وغيرها ، بحيث أصبح سبّ علي عليه السلام سنة على منابر المسلمين ، وفرضاً واجباً يُحاسب مَنْ لا يلتزم به .

٢- تعيب - بل وتغيير - إحدى أهم الوظائف الإلهية للفرد المسلم ، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من خلال نشر ثقافة إطاعة الأمير براً أو فاجراً ، من دون أي نقاش أو نقد ، كل ذلك حتى يتسنى لهم تمرير أهدافهم الشيطانية .

٣- نشر الجهل والأمية في المجتمع الإسلامي ؛ حتى يكون عامة الناس من الهمج الرعاع ، الذين لا يمكنهم تحريك ساكن يبطل باطل أو إحقاق حق ، وهم من وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاته ، وهمج رعا ، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق)^(١١) .

وإذا وصل الحال بعامة المسلمين هكذا ، فمن السهل جداً أن يتسلط عليهم باسم الدين من ليس له أي صلة بالدين ، بل هو أبعد ما

حالة المجتمع في عهد الأمويين —

ورث الأمويون مجتمعاً نخرت جسمه وهذت تماسكه الانحرافات على مختلف المستويات ، فبؤاد الانحرافات الفكرية والعقائدية وبروز الطبقة كانت تتنامى وتتسع ، ولم يحاول أحد الوقوف بوجهها ، وإصلاح ما أفسدته السياسات الخاطئة والمُعرضة ، إلا أربع سنوات خاض خلالها الإمام علي عليه السلام ثلاثة حروب داخلية ، وهي وإن كانت مدة قصيرة نسبةً بالزمن الذي نشأت وترعرعت فيه تلك الانحرافات والتحريفات ، إلا أنها كانت مليئة بالإصلاحات والتصحيح في مسار المجتمع الإسلامي .

من هنا ؛ خاض الأمويون وبقيادة ابن أكلة الأكباد حرباً جديدة ضد مبادئ الدين ، ولكن هذه المرة بصورة ممنهجة ومقننة وعلى كافة المستويات ، لتدمير آخر معقل للمسلمين ، وإزالة آثار الدين المبين ، وبذلك تتحقق أُمية الشيطان الرجيم ، في إطفاء نور رب العالمين .

بعض أهداف بني أمية

١- الحط من منزلة أهل البيت عليهم السلام ؛ حيث سخرت السلطة جميع أجهزتها السياسية والاقتصادية ، وسائر إمكانياتها الأخرى لتغيير الحقيقة التي أكد عليها القرآن الكريم ، وهي

مخشيّة، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يُرى... (١٣).

ويقول عليه السلام أيضاً: (والله، لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلاّ استحلوه، ولا عقداً إلاّ حلّوه، وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلاّ دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه، وبالكٍ يبكي لديناه، وحتى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه، وحتى يكون أعظمكم فيها غناء أحسنكم بالله ظناً) (١٤).

فقد أكد عليه السلام بأنّ الأمة ستشهد تلك الأوضاع المأساوية، كنتيجة حتمية لاستسلامها ووقوعها فريسة ولقمة سائغة في أفواه بني أمية، ولعلّ من أسوأ الظروف التي مزّت على الأمة الإسلامية هي فترة هلاك معاوية وتولي يزيد أمر الأمة، وهو شابّ لاهٍ اعتاد مُسامرة القرود، وشرب الخمر، وفعل الفجور، وارتكاب كلّ منكر ومعصية، وهي فترة كفيفة بأنّ تتمحي معها آثار الإسلام ومبادئ الإيمان؛ لأنّ هذه المرّة لم يكن التغيير بصورة ماكرة حذرة كما كان عليها فيما سبق، وإنّما كان بشكل سافر صارخ، وكأنّ الطير على رؤوس هذه الأمة التي تنظر إلى عزّها يتمرّق، وإلى كرامتها تُهان على يد طغمة حاكمة فاجرة، وكاد الأمر أن

يكون عنه، وإلاّ كيف يمكن أن يتصور عاقل أنّ يزيد الفاسق الفاجر شارب الخمر، وفاعل المنكر، وتارك الواجب، يُسمّى بأمر المؤمنين؟! إنّه لشيءٌ عجيب. إلاّ أنّه مع الجهل تكثر العجائب.

وبذلك يمكن توجيه عامّة الناس بسهولة، وركوبهم كطيّة للوصول إلى الغايات الشيطانية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرّقوا لم يعرفوا) (١٢).

هذه بعض الشواهد التي تُبيّن تأسيس بني أمية لحزف المجتمع الإسلامي أكثر فأكثر عن مساره الصحيح، ونحن لا نريد الاستغراق في ذلك؛ لأنّه من الأمور الواضحة لمن نظر إلى التاريخ بعين صافية، وبقليل من الإنصاف.

وقد تنبأ أمير المؤمنين عليه السلام - ببصيرته الصادقة والثاقبة - بحال المسلمين بعد استيلاء بني أمية على الحكم، وتحويل الأمة إلى عبيد وأتباع لهم؛ حيث قال عليه السلام: (وإيّم الله، لتجدنّ بني أمية لكم أرباب سوء بعدي، كالناب الضروس... لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم أو غير ضائرٍ بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنهم شوهاء

البيعة ، وإعلان هذا الرفض فحسب ، وإنّما كان أيضاً لتحريك المسلمين ، وجعلهم يستشعرون المسؤولية ، وإعلان الموقف الشرعي ، ودعوة المسلمين إلى المجابهة والمعارضة ، والتمرد على السلطة الأموية .

فحركة الإمام عليه السلام لم تكن حالة انفعالية يمرّ بها ثائر مظلوم ، وإنّما هي حالة علاج لمجتمع مُهان أهدرت كرامته حكومات ظالمة وسياسات مستبدّة ، أرادت له الخنوع والخضوع ونسيان التاريخ الحافل بالبطولات ، لأمة فتية أريد لها أن تحمل آخر رسالة سماوية في الأرض ، لذلك فهذه الواقعة الأليمة إنّما هي مرحلة مهمّة ، بل من أهمّ مراحل الصراع الدائم بين الخير والشرّ .

خيارات أخرى رفضها الإمام الحسين عليه السلام

ربما يحاول البعض أن يصور لنا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أُجبر على القتال والشهادة ، وأنّه لو لم يُجبر على ذلك لتنحى عن ممارسة العمل الإصلاحية في المجتمع ، مستشهداً ببعض النقولات التاريخية التي فسرها بشكل ناقص وخاطئ ، مع أنّ الأمر ليس كذلك جزماً ؛ لأنّ ثورة الإمام الحسين ثورة إصلاحية ، ابتدأها الإمام عليه السلام لتغيير الواقع

يتحقق ، وما بدأه أبو سفيان وابنه معاوية وجميع ما أسس له بنو أمية كاد أن يُثمر ، لولا أنّ رجال الله - وهم قليلون - قد صدّوا لهذا المخطط الشيطاني ، فكانت كربلاء ، صراع الخير كلّه بوجه الشرّ كلّه .

تشخيص الإمام الحسين عليه السلام للمرض الذي ألمّ بالأمة

بين كلّ تلك التجاذبات والانحرافات والممارسات الظالمة التي مُورست لعقود من الزمن ، وبين جميع تلك المآسي والآهات التي تمرّ بها أمة الإسلام ، نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام - وهو الرجل الإلهي الذي اختارته السماء لقيادة الأمة ، تخليصاً لها من ظلمات الشرّ والبطلان ، وإيصالها إلى برّ الأمان - قد شخّص المرض الذي أخذ ينخر في جسد الأمة ، ووضع له العلاج الناجع ، الذي تمثّل بصرخة مدويّة في أرجاء العالم الإسلامي ، تهزّ ضمائر المسلمين هزّاً عنيفاً ، وتبعث في نفوسهم الحياة والإحساس بالمسؤولية ، وتكسر عنهم طوق الخوف والرعب الذي كان يملأ نفوسهم آنذاك ، وتعيد إليهم ثقتهم بالله ، ثمّ بأنفسهم .

ومن هذا المنطلق ؛ يتضح أنّ إقدام الإمام عليه السلام على الخروج والثورة على النظام الأموي ، والمواجهة والمجابهة لم يكن لرفض

الميرير الذي واجهته الأمة ، والشاهد على ذلك هو وجود الخيارات الأخرى ، التي كان يمكن للإمام عليه السلام أن يختار أحدها ويسلم من القتل ، إلا أنه عليه السلام رفضها جميعاً ، ومن تلك الخيارات :

الخيار الأول : أن يبايع يزيد بن معاوية ، كما طلبوا منه أول مرّة ، وكان يمكن للإمام عليه السلام أن يبايع الخليفة الجديد من خلال واليه في المدينة ، ويحقن دمه ودم أهل بيته ، إلا أن الإمام عليه السلام رفض ذلك أشدّ الرفض ، وقد نقل لنا التاريخ الكلمات الخالدة للإمام عليه السلام بهذا الصدد :

منها : ما قاله عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية : (يا أخي ، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ، ولا مأوى ، لما بايعت - والله - يزيد بن معاوية أبداً)^(١٥) .

ومنها : خطبته عليه السلام يوم عاشوراء في جيش بني أمية ، حيث قال : (ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركز بين اثنتين ، بين السّلة والدّلة ، وهيهات ممّا الدّلة ، يابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجوز طابت وطهرت وأنوف حميّة ونفوس أبيّة ، من أن تُؤثّر طاعة اللّئام على مصارع الكرام)^(١٦) .

ومنها : ما قاله عليه السلام لأخيه عمر الأطرف

عندما دعاه إلى تجنب مجاهدة يزيد : (لا أعطى الدنيا عن نفسي أبداً ، ولتلقين فاطمة أباه شاكياً ما لقيت ذريتها من أمته ، ولا يدخل الجنّة أحدٌ أذاها في ذريتها)^(١٧) .

ومنها : عندما خرج عليه السلام يوم عاشوراء للقتال ، وهو يرتجز ويقول^(١٨) :

والعار أولى من دخول النار *** القتل أولى من ركوب العار

وهذه النصوص تكشف عن عمق النهضة التي أسّس لها الإمام عليه السلام ، وأنّ الأمر ليس شخصياً ، يُكتفى فيه بحفظ النفس ، وإنّما هي مسألة إلهية متجدّرة منذ بداية الخلق ، وممتدّة إلى قيام الساعة .

الخيار الثاني : وهو الخيار الذي اقترحه الأمويون على الإمام عليه السلام ، وهو أن يخرج إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ويترك الساحة السياسية والاجتماعية ، ويتعد عن الكلمات المنذّدة ببني أمية ، حتى لا يكون خطراً على الحكم الأموي ؛ لأنّ الإمام عليه السلام قد وضعهم في موقف محرج ، فإن سكتوا فسوف تفضحهم مواقفه وكلماته عليه السلام المناهضة لهم ، وإن قتلوه فقد باؤوا بعارها وشنارها ، وبتبع ذلك سوف تضعف دولتهم شيئاً فشيئاً . لذلك كان الحلّ الأسلم لهم هو إبعاد الإمام عليه السلام عن الساحة

عليه بنو أمية ؛ لإلغاء دوره ، وتعطيل موقفه عن
خبثٍ ومكر .

إشكال وجواب :

ربما يُدعى ويُقال : إن قول الإمام عليه السلام
المتقدم وهو : (دعوني فلاذهب في هذه
الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر
الناس) - الوارد في كلام ابن سمعان -
يعني أنه عليه السلام أراد أن يعتزل الأمر ويذهب
بعيداً عن دائرة النزاع ، وهذا يعني أنه لم
يكن قاصداً لما وقع ، بل أُجبر عليه ، وإلا
لو خُلي الإمام عليه السلام ونفسه لما ذهب إلى
كربلاء ولما وقعت تلك الحادثة الأليمة .

الجواب : إن الإمام عليه السلام أراد بقوله
هذا إلقاء الحجة على بني أمية وأتباعهم ،
لا أنه أراد أن يعتزل الأمر ، وإلا
فالإمام عليه السلام قد أصرَّ على رفض بيعة يزيد ،
هذا بالإضافة إلى أن الإمام عليه السلام يعلم أن
بني أمية لا يرضون إلا بأن يبايع
الإمام عليه السلام يزيد أو يُقتل ، وهذا ما كشف
عنه الإمام عليه السلام حينما أراد الخروج من
الحجاز إلى العراق بقوله : (وايم الله ، لو
كنت في جحر هامة من هذه الهوام
لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ،

السياسية والاجتماعية .

وبشهد لذلك ما يرويه الطبري عن عقبة بن
سمعان ، وعقبة هذا كان قد رافق الحسين عليه السلام
من المدينة إلى كربلاء ، قال : (صحبت
حسيناً ، فخرجت معه من المدينة إلى مكة ،
ومن مكة إلى العراق ، ولم أفرقه حتى قُتل ،
وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا
بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر
إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ، ألا والله ، ما
أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أنه
يضع يده في يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيروه
إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنّه قال :
دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى
ننظر ما يصير أمر الناس) (١٩) .

فقوله : (ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور
المسلمين) يُشير إلى هذا الخيار .

وما يشهد لذلك أيضاً ما قاله الإمام عليه السلام في
كربلاء ، أمام جيش ابن سعد : (لا والله ، لا
أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفرُّ فرار
العبيد) (٢٠) .

فقوله : (فلا أعطيهم بيدي إعطاء
الذليل) ، أي : لا أعطيهم البيعة ، وهو الخيار
الأول - الذي تحدّثنا عنه - وقوله : (لا أفرُّ فرار
العبيد) هو إشارة إلى الخيار الثاني الذي اقترحه

ووالله ، ليعتدُّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت (٢١) .

وفي رواية أخرى يرويها الشيخ المفيد في الإرشاد عن الإمام عليه السلام بنفس المضمون : (والله ، لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم ، حتى يكونوا أدلّ فرق الأمم) (٢٢) .

فإن قلت : إن هذا يتعارض مع ما تقدم من اقتراح بني أمية على الإمام عليه السلام أن يذهب إلى نجر من شعور الإسلام ؟

قلت : إن الظاهر من اقتراحهم هو أن يتخلى الإمام عليه السلام عن كل شيء ، وأن لا يعارضهم بشيء ، وإنما يكون كباقي النكرات التي تعيش على فتات الولاة والطغاة ، وهذا ما يرفضه الإمام عليه السلام قطعاً ؛ لذلك فهم لا يرضون إلا بقتله عليه السلام .

الخيار الثالث : وهو الخيار الذي اقترحه عليه بعض الناصحين له ، وهو أن يبتعد الإمام عليه السلام عن ساحة المعركة ، وبعثزل الناس ، ويذهب بعيداً إلى اليمن ، أو إلى بعض شعاب الجبال ، ويحتجب عن الناس فيكون قد حقق الغاية ، وهو الامتناع عن البيعة ليزيد ، دون أن يعرض نفسه وأهل بيته وأصحابه للأذى والمهالك من قبل يزيد وولاته وعماله .

يقول ابن الأثير : لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج من الحجاز إلى العراق ، جاء ابن عباس ، فقال : (يا بن عمّ ، إنّي أتصبر ، ولا أصبر ، إنّي أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال . . . فإن أبيت إلا أن تخرج فيسر إلى اليمن ، فإنّ بها حصوناً وشعاباً ، وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس في عزلة . . .) (٢٣) .

وكان ممّن يحمل هذا الرأي أيضاً أخوه محمد بن الحنفية ؛ إذ جاء الحسين عليه السلام عزم على مغادرة المدينة بأهل بيته ، فقال له : (يا أخي ، أنت أحبّ الناس إليّ وأعزهم عليّ ، ولست أدخر النصيحة لأحدٍ من الخلق أحقّ بها منك ، تنحّ ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت ، وابعث رسلك إلى الناس ، وادعهم إلى نفسك ، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقض الله بذلك دينك ولا عقلك . . . قال الحسين : فأين أذهب يا أخي ؟ قال : انزل مكة فإن اطمانت بك الدار فبسيبيل ذلك ، وأن نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال ، وخرجت من بلدٍ إلى بلد ، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس) (٢٤) .

وفي العراق اقترح الطرمّاح بن عدي على

الإمام عليه السلام يريد سحب الشرعية من حكام بني أمية

الشيء الأهم ، والذي كلف الإمام أن يُضحّي بنفسه وأهل بيته وأصحابه وشيعته ، هو إعلان هذا الرفض على الملامن المسلمين ، وهذا الإعلان هو الذي أغضب بني أمية وأثارهم ، فقد اعتبروه تحدياً صارخاً لسلطانهم وحكمهم ، وبداية تزلزل دولتهم .

وكان الإمام الحسين عليه السلام يتوحي من هذا الإعلان مطلباً سياسياً لم يكن يتحقق لولا إعلان الرفض ، وهو إسقاط شرعية خلافة بني أمية في نظر عامة المسلمين .

فقد كانت الخلافة رغم كل السلبيات التي أحاطت بها إلى هذا الحين تتمتع بالشرعية في نظر الأكتريّة من المسلمين ، وكانت هذه الشرعية تمكّن بني أمية من رقاب المسلمين ، وتشلّ عمل ودور المعارضة ، وتُعطي للنظام الأموي قوّة ومقاومة كبيرة . وأخطر من هذا كله ، أنّ هذه الشرعية هي الورقة الرابحة التي كان يلعب بها بنو أمية ؛ بحيث مكنتهم من إدخال الانحرافات الخطيرة في الشريعة الإسلامية ، سواء في الأحكام أو العقائد أو الثقافة العامة أو غير ذلك .

لأجل ذلك فإنّ المجتمع الإسلامي كان

الإمام عليه السلام أن يمتنع عن جيش يزيد بن معاوية بمعاقل طي المنبوعة ، فقال للإمام عليه السلام : (فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به ، حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع ، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا ، الذي يدعى أجاً امتنعنا - والله - به عن ملوك غسان وحمير ، ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر ، والله إن دخل علينا ذلّ قط ، فأسير معك حتى أنزلك القرية) (٢٥) .

إلا أنّ الإمام ردّه هؤلاء جميعاً من دون تردّد ، لا لأنّه كان يشك في صدقهم ونصحهم له ، ولا لأنهم كانوا موضع ارتياب وشك عند الإمام ؛ ولكن لأنّ هؤلاء لم يكونوا يفهمون الإمام ورأيه وموقفه بالشكل الصحيح ، فلم يكن همّ الإمام عليه السلام ألا يبايع يزيد وألا يضع يده بيد ابن معاوية فحسب ، ويقتصر في أمر رفض البيعة على هذا الحدّ السلبي ، الذي كان لا يرفع التكليف الشرعي والمسؤولية عن عاتقه ، بل كان الإمام عليه السلام يصرّ على أن يُترك لشأنه ليذهب - كما يقول عقبة بن سمان في كلمته - في هذه الأرض العريضة مُعلنًا عن رأيه في يزيد ، ورفضه لبيعته ، وعاملاً بتكليفه الشرعي في الحكم الأموي ، وهذا ما كان يرفضه بنو أمية رفضاً قاطعاً .

يعيش المأساة والخطر على مستويين :

الأول : على مستوى حياتهم ونظام أمورهم .

والثاني : على مستوى دينهم ، وهو أخطر وأكبر من الأول بكثير .

فإن الانحراف بدأ يتعمق في الأمة وفي تعاليم الإسلام ، من داخل قصور بني أمية ؛ نتيجة ما يقترفونه من موبقات ، وما يمارسونه من لهُو وفساد وظلم . وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في كلامه مع مروان بن الحكم ، عندما نصحه ببيعة يزيد ، بقوله : (على الإسلام السلام ؛ إذ بُليت الأمة ، براع مثل يزيد . ولقد سمعت جدِّي رسول الله يقول : الخلافة محرمة على آل أبي سفيان) (٢٦) .

وهذا ما عمد إليه الإمام الحسين عليه السلام عندما رفض البيعة ، ورفض أن يُخفي موقفه السليبي ، ويعتزل الوسط السياسي إلى بعض الشباب والوديان والجبال ؛ ليسلم بنفسه وأهل بيته وأصحابه من ملاحقة حكام بني أمية .

الشواهد على سحب الشرعية من بني أمية

أولاً : إن الإمام عليه السلام خرج من المدينة إلى مكة سائراً على الجادة التي يسلكها الناس ،

وهي الطريق العام والرسمي بين البلدين ، فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل : لو عدنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة ، كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي ، فإننا نخاف أن يلحقنا الطلب ، فقال له الحسين عليه السلام : (لا والله يا بن عمي ، لا فارقت هذا الطريق أبداً ، أو أنظر إلى آيات مكة ، أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى) (٢٧) .

ثانياً : الكيفية التي دخل بها عليه السلام مكة ، فإنه دخلها بصورة علنية ، متحدياً بذلك سلطان بني أمية ، وقد وصف الخوارزمي نزول الحسين عليه السلام بمكة بقوله : (وكان قد نزل بأعلى مكة ، ضرب هناك فسطاطاً ضخماً . . . ثم تحوّل الحسين إلى دار العباس ، حوّل إليها عبد الله بن عباس . . . فأقام الحسين مؤذناً يؤذن ، رافعاً صوته ، فيصلي بالناس) (٢٨) . وتجمّع الناس حوله عليه السلام اجتماعاً كبيراً ، يقول ابن أعمش : (دخل الحسين إلى مكة فرح به أهلها فرحاً شديداً ، وجعلوا يخلفون إليه بكرة وعشيّة ، واشتدّ ذلك على عبد الله بن الزبير ؛ لآته قد كان طمع أن يبايعه أهل مكة ، فلمّا قدم الحسين شقّ ذلك عليه . . . لكنه يختلف إليه ، ويصلي بصلاته ، ويقعد عنده ، ويسمع من حديثه ، وهو مع ذلك يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة

وفي الختام :

يجدر التذكير بأنَّ الإنسان لا يقف على التطورات والتحوّلات الاجتماعية إلاّ بعد مرور وقت طويل ، وهذا ما يوجب علينا تَوْحّي أقصى درجات الدقّة والحذر والمراقبة في مسيرة الحياة ؛ لكي لا ننزلق نحو التعلق بأهداب الحياة الدنيا التي هي رأس كلّ خطيئة ؛ لأنّه إذا انعدم الحذر سوف ينحدر المجتمع تدريجياً نحو التخلّي عن القيم ، ويبلغ مرحلة لا تبقى له سوى القشرة الخارجية ، وقد يأتيه على حين غرّة ويفاجئه ابتلاءٌ شديد ، كالابتلاء الذي تعرّض له المجتمع في أيام ثورة الحسين عليه السلام ، ومن ثمّ لا يمكن لهذا المجتمع أن يخرج ظافراً .

علينا أن نستذكر الواقعة الشهيرة التي وقعت لعمر بن سعد ، حينما عُرضت له ولاية الرّيّ ، وكانت الرّيّ في ذلك الوقت ولاية شاسعة وغنيّة ، ولم يكن منصب الإمارة في عهد بني أميّة كمنصب المحافظ في الوقت الحاضر ، فالمحافظون اليوم موظّفون حكوميون يتقاضون مرتّبات ولهمم صلاحيات محدودة ، ولم يكن الأمر حينذاك على هذا النحو ؛ لأنّ الشخص الذي يُنصّب والياً يكون مطلق اليد في التصرف بجميع الثروات الموجودة في تلك

والحسين بن علي بها ؛ لأنّ الحسين عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير (٢٩) .

وكان عمرو بن سعيد الأشدق يومئذٍ عامل يزيد على مكة ، فهاب الحسين عليه السلام ، وهرب إلى المدينة ، وكتب إلى يزيد بأمر الحسين ، يقول الخوارزمي : (وهاب ابن سعيد أن يميل الحجاج مع الحسين ، لما يرى من كثرة اختلاف الناس إليه من الأفاق ، فانحدر إلى المدينة وكتب بذلك إلى يزيد) (٣٠) .

ثالثاً : الكيفيّة التي وقّت بها خروجه عليه السلام ؛ حيث إنّه خرج يوم التروية ، وهو يوم الثامن من ذي الحجة ، فبينما كان الحجاج يتهيؤون للتوجّه إلى عرفات لأداء ركن الحج الأعظم ، كان الإمام عليه السلام متوجّهاً إلى مكانٍ آخر أعظم من عرفة ، ألا وهو مكان النحر المقدّس وفديناه بذبحٍ عظيم .

وقد أثار خروج الإمام عليه السلام في هذا التوقيت انتباه واستغراب عامّة الحجاج الذين كانوا قد أمّوا البيت الحرام من مختلف الأفاق . فهذا ابن بنت رسول الله ﷺ يحلّ من العمرة ، ويغادر مكة في وقتٍ يتوجّه فيه الحجاج إلى عرفات لأداء الحج (٣١) .

إلى غير ذلك من الشواهد التي تُثبت المطلوب .

القيم ، وحينما تضعف هذه المبادئ الأساسية بين أفراد المجتمع ، ترتعد الفرائص عند ذلك ، وأكثر ما يستطيع المرء عمله في مثل هذا الموقف هو أنه يستمهلهم ليلة واحدة للتفكير في الأمر . وحتى لو فكّر سنة كاملة لوصل إلى نفس النتيجة ، ولا تتخذ نفس القرار ؛ إذ لا قيمة لمثل هذا النمط من التفكير ، لقد فكّر ابن سعد في الأمر ليلة ، وأعلن في اليوم التالي عن موافقته على ذلك العرض . إلا أنّ الله تعالى لم يُمكنه من بلوغ تلك الغاية .

فلا بُدّ من اليقظة والحذر في كل وقت ، وقراءة التاريخ والحاضر قراءة واعية ومدروسة ؛ حتى لا تتكرر المأساة .

المدينة ، يتصرّف فيها كيف يشاء ، بعد أن يُرسل مقداراً منها إلى عاصمة الخلافة ؛ ولهذا كان لمنصب الوالي أهمية عظيمة .

لكنّهم شرطوا تولّيه الرّيّ بمحاربة الحسين عليه السلام ، ومن الطبيعي أن الإنسان النبيل وصاحب القيم لا يتردّد لحظة في رفض مثل هذا العرض . وما قيمة الرّيّ وغير الرّيّ ؟ ! فلو وضعت الدنيا بين يديه لما عبس بوجه الحسين ! فما بالك بالنهوض إلى محاربة عزيز الزهراء عليها السلام ، وقتله هو وأطفاله ؟ !

هكذا يقف الإنسان الذي يحمل قيماً ، ولكن حينما يكون المجتمع خاوياً ومجرّداً من

الهوامش :

- [١] الفاتحة : ٧ .
- [٢] أنظر : الطوسي ، محمد بن الحسن ، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار : ج ١ ، ص ٣١٩ .
- [٣] البقرة : ٤٠ .
- [٤] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري : ج ٨ ، ص ١٥١ . وأنظر : الطوسي ، محمد بن الحسن ، الأمالي : ص ٢٦٦ .
- [٥] الكافي ، الكليني : ج ١ ، ص ٣٦٨ .
- [٦] أنظر : ابن الأثير ، عزّ الدين أبي الحسن ، الكامل في التاريخ : ج ٣ ، ص ١٣٨ .
- [٧] ابن الأثير ، عزّ الدين أبي الحسن ، الكامل في التاريخ : ج ٣ ، ص ٩٩ .
- [٨] أنظر : المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٠٠ .
- [٩] أنظر : الحاكم النيسابوري ، المستدرک : ج ٣ ، ص ٣٦١ .
- [١٠] أنظر : ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين ، فتح الباري : ج ٨ ، ص ١٦٣ .
- [١١] محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، الخطبة (١٤٧) : ج ٤ ، ص ٣٥ - ٣٦ .
- [١٢] المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٤٦ .

- [١٣] محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، الخطبة (٩٣) : ج ١ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .
- [١٤] المصدر السابق : ١٩٠ - ١٩١ .
- [١٥] الكوفي ، أحمد بن أعثم ، الفتوح : ج ٥ ، ص ٢١ .
- [١٦] ابن طاووس الحسيني ، علي بن موسى ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ٥٩ .
- [١٧] المصدر السابق : ص ٢٠ .
- [١٨] المصدر السابق : ص ٧١ . أنظر : ابن نما الحلبي ، نجم الدين محمد بن جعفر ، مثير الأحرار : ص ٥٤ .
- [١٩] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري : ج ٤ ، ص ٣١٣ .
- [٢٠] المفيد ، محمد بن محمد ، الإرشاد : ج ٢ ، ص ٩٨ .
- [٢١] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري : ج ٤ ، ص ٢٨٩ .
- [٢٢] المفيد ، محمد بن محمد ، الإرشاد : ج ٢ ، ص ٧٦ .
- [٢٣] ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن ، الكامل في التاريخ : ج ٤ ص ٣٨ - ٣٩ .
- [٢٤] المصدر السابق : ج ٤ ، ص ١٦ - ١٧ .
- [٢٥] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري : ج ٤ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
- [٢٦] ابن طاووس الحسيني ، علي بن موسى ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ١٨ .
- [٢٧] الكوفي ، أحمد بن أعثم ، كتاب الفتوح : ج ٥ ، ص ٢٢ .
- [٢٨] الخوارزمي ، محمد بن أحمد ، مقتل الخوارزمي : ص ٢١٧ .
- [٢٩] الكوفي ، أحمد بن أعثم ، الفتوح : ج ٥ ، ص ٢٣ .
- [٣٠] الخوارزمي ، محمد بن أحمد ، مقتل الخوارزمي : ص ٢١٧ .
- [٣١] انظر : ابن طاووس الحسيني ، علي بن موسى ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ٣٨ .

م . م . سنان سعيد جاسم
باحث وأكاديمي من العراق

المنظومة القيمية والأخلاقية في النهضة الحسينية

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث لیتیم مكارم الأخلاق وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وبعد . .

فإنّ علم الأخلاق من أشرف العلوم إن لم يكن أشرفها ؛ إذ إنّ قيمة المرء في الحقيقة تُقدّر بأخلاقه وأعماله ، لا بجسمه ولا بعلمه ولا بماله ، ففي الحديث النبوي الشريف : « إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »^(١) ، ومن كلام الإمام علي عليه السلام : « قيمة كلّ امرئ ما يحسنه »^(٢) .

وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت **** فإن هُم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا^(٣)

حيث اهتمّت الدراسات الإنسانية والاجتماعية والتربوية بدراسة الأخلاق في الطبيعة الإنسانية عبر التاريخ ، وعلى مرّ العصور ، وحتى الوقت الحاضر ؛ لأنّها ترتبط بالممارسات السلوكية الأخلاقية للإنسان حيثما وُجد ؛ لذلك فقد اهتمّت الأديان السماوية والمذاهب الفكرية الفلسفية بدراستها ، وتعددت حولها الآراء ، واختلفت مناهج البحث فيها ، من حيث تنوع طرق وأساليب عرضها ، والوسائل المتّبعة فيها .

في كربلاء المقدّسة هي منهج مكمل لأخلاق بيت النبوة، امتدت أبعد من ذلك هي النهضة الأخلاقية، لتشمل كافة مفاصل الحياة التربوية والاجتماعية والدينية والأخلاقية والاقتصادية، وأصبحت دستوراً أخلاقياً يقتدي به الثوار الشرفاء في العالم؛ لأنّها تعكس واقعاً أخلاقياً يستفيد منه المفكّرون في عصر العولمة والحداثة، وبالإمكان اعتمادها في بناء منهج تربوي جديد ومعاصر، وفي التقنيات التربوية الحديثة وطرائق التدريس الجديدة.

الحسين عليه السلام قائداً وشهيداً

نشأ الحسين عليه السلام نشأته المباركة في بيت النبوة ومنزل الوحي، رضع درّ الإيمان من أمّه فاطمة البتول عليها السلام، وتغذّى بغذاء التنزيل على مائدة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، ورُقّ العلم زقاً من يد والده الكرار عليه السلام، وورث الشجاعة والنجدة والشمم والإباء من هؤلاء الكرام عليهم السلام؛ فكان عليه السلام مثلاً لكلّ خُلُقٍ فاضل، ورمزاً لكلّ صفة كريمة، وقد بلغ من إباهه وشهامته عليه السلام أنّه لمّا بايع الناس معاوية في العام الذي سموه عام الجماعة، وبايعه الحسن عليه السلام على شروط شرحها التاريخ لم يف له معاوية ولا بواحدة منها. طلب معاوية

وقد بذل العلماء والباحثون في شؤون التربية والقيم الدينيّة والأخلاقية، جهوداً كبيرة متواصلة للتوصّل إلى حلّ المشكلات الاجتماعية في ظل الظروف الراهنة لبناء الإنسان والمجتمع على أسس سليمة وصالحة، ولم تتوقّف هذه الجهود قديماً وحديثاً ولا زالت مستمرة، إلا أنّها لم تتفق على نقاط مشتركة يمكنها أن تكون ميزاناً ومعيّاراً للجميع؛ وذلك لاختلاف العلماء والمفكرين في عقائدهم الفكرية، ودراساتهم للتاريخ والمجتمع، وفي واقعنا الإسلامي تعتبر القيم الأخلاقية والمفاهيم التربوية من أصول الدين المبني على علاقات إنسانية طيبة في التربية والتعليم، وقال الحكماء: «إنّ اعتدال الإنسان في الأخلاق قد يكون السبب وحده في سعادته»، ولقد جعل رسول صلى الله عليه وآله الأخلاق أساس الدين بقوله: «الدين حُسن الخلق»^(٤). بل ذهب عليه الصلاة والسلام وآله الكرام أبعد من ذلك، فقد جعل مكارم الأخلاق الغاية من بعثته الشريفة: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٥).

وتعتبر النهضة الحسينية هي امتداد لفكر الرسول صلى الله عليه وآله ومنهجه الأخلاقي، حيث تعتبر الملحمة الحسينية التي سَطّرت بأنامل أخلاقية

البيعة من الحسين عليه السلام ، فامتنع ولم يبايع ، واكتفى منه معاوية بالسكوت والسكون ، ولما آل الأمر لولده الفاجر يزيد ترفع الحسين عليه السلام عن بيعته ، وشرح للناس مساوئه ، حتى إذا كان من أمر الكوفيين ما كان وخرج عليه السلام من الحجاز إلى العراق ، وأخذ الطريق الأعظم في سيره فقيل : لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير ؟ فأجاب : « لا والله ، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ »^(٦) . فأبت نفسه الكريمة أن يفارق الطريق المألوف عزّة وإباء ، وسار فيه بالرغم على الأمويين وأذنايهم .

قصد الحسين عليه السلام الكوفة وعلى وجهه الكريم نور النبوة وأبهة الرسالة ووقار الولاية ، وهيبة الإمامة ، وسيماء جدّه المصطفى بين عينيه ، ونفس أبيه المرتضى بين جنبيه ، في ذلك الموكب تحف به أسرته وإخوته وبنو أعمامه ، وكفالك بموكب يسقي ألف فارس وألف فرس ، مما كان يحمله من الماء ، وذلك عند ملاقاته الحر بن يزيد الرياحي وأصحابه الكوفيين في الأرض القاحلة التي لم يكن فيها ماء ولا كلاء ، نادى الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه : « اسقوا القوم وأرووهم من الماء ، ورشفوا الخيل ترشيفاً »^(٧) .

كان أعداء الحسين عليه السلام على يقين من

إيائه ، وعدم خضوعه لطاغيتهم ، ولكنّهم لما رأوه عليه السلام بقي وحيداً فريداً بينهم بعدما قتلوا أصحابه وإخوته وأولاده وبنو أعمامه أرادوا أن يبزروا أعمالهم أمام الرأي العام من أنّهم لا يريدون قتله ، وإنّ جلّ إرادتهم منه البيعة ليزيد فحسب ، فعرضوا عليه الأمان ، عرض ذلك عليه عمر بن سعد عن عبيد الله بن زياد ، فأبى عليه السلام ذلك ، وقال : « لا والله ، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد »^(٨) . ثمّ خاطب القوم وقال في خطبته : « ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركز بين اثنتين بين السّلة والذّلة ، وهيهات ممّا الذّلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون »^(٩) .

وهكذا كانت عزّة الحسين عليه السلام ، هكذا كان إباء الحسين عليه السلام دعامة قائمة بذاتها ، وعمود من الإسلام وهو محوط بنسب كريم ليس في الدنيا أزكى وأطهر وأطيب منه ما دام الله قد نزّهه وطهره ، ودرج في حجور المصطفى صلى الله عليه وآله والمرضى والبتول عليه السلام ، وترعرع في بيت الرسالة ومهبط الوحي ، وكان ربحانة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في دنياه وسيد شباب أهل الجنة في آخرته ، حاول معاوية أن يقيد الإمام الحسين عليه السلام ببيعة ليزيد ، أو يضمن على الأقل سكوت الإمام الحسين عليه السلام عن يزيد ،

فلم يُعنى بطائل .
وبروي المؤرخون عدّة مواقف للحسين عليه السلام مع معاوية حين أخذ يعدّ الأمر لابنه يزيد من بعده ، وقد أراد معاوية أن يحمل الحسين عليه السلام على البيعة ليزيد بحرمان بني هاشم جميعاً من عطائهم ، حتى يبايع الحسين عليه السلام ، فلم يتحقق له ما أراد حتى مات معاوية والحسين عليه السلام باقٍ على موقفه من الإنكار لبيعة يزيد ، حين مات معاوية وكثير من الناس - وعمامة أهل العراق بنوع خاص - يرون بغض بني أمية وحبّ أهل البيت عليهم السلام لأنفسهم ديناً .
فقد اكتشف المجتمع الإسلامي ما فيه الكفاية من عورات الحكم الأموي ، وذاق طعم عذابه وخبر ألوانه من تعسّفه وظلمه بالأرزاق ، ولم يكن يزيد في مثل تروى أبيه وحزمه واحتياطه للأمر ، ولم يلتزم أسلوب أبيه في الاحتفاظ بالغطاء الديني ، مدلاً على أفعاله وتصرفاته ، ولم يكن بين الحسن والحسين عليهما السلام من جهة وبين يزيد من جهة أخرى أيّ عهد أو ميثاق ، وهكذا ؛ فقد انزاحت بموت معاوية جميع الأسباب التي كانت تحول بين الحسين عليه السلام وبين الثورة والنهضة في عهد معاوية ، لقد كان يزيد من أبعد الناس عن الحذر والحيلة والتروي ، كان إنساناً صغير العقل

متهوراً سطحي التفكير ، لا يهتم بشيء إلا ركبه . وأسلوبه في معالجة المشاكل التي واجهته خلال حكمه يعزز وجهة النظر هذه ، وتدل بعض الملاحظات التي ذكرها المؤرخون عن حياته العاطفية ، إنّ هذا النزق والتهور هي سمات أصيلة في شخصيته ، ونشأة يزيد المسيحية جعلته أضعف ما يمكن بالعقيدة التي يريد أن يحكم الناس باسمها - أعني الإسلام - وحياة التحلّل التي عاشها قبل أن يلي الحكم ، وقد جعل تلهُف يزيد على أخذ البيعة له من كبار وزعماء المعارضة له وعلى رأسهم الحسين عليه السلام ، فقد كان أكبر همّه حين آل الأمر إليه بعد موت أبيه ، هو بيعة نفر الذين أبوا على معاوية بيعة يزيد ، فكتب إلى الوليد بن عتبة والي المدينة كتاباً يخبره بموت معاوية ، وكتاباً آخر جاء فيه : « وأما بعد ، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذاً ليس فيه رخصة ، يبايعوا والسلام »^(١٠) .

وقد أثر أن يتخلّص من الوليد بالحسن

حين دعاه إلى البيعة ، وقال له : « مثلي لا يبايع سراً ، ولا يجتأز بها منّي سراً ، فإذا خرجت للناس ودعوتنا للبيعة معهم كان الأمر واحداً »^(١١) .
ما كانت هجرة الحسين عليه السلام إلا لمحض

الدعوة الإصلاحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودلّ على هذا صريح قوله عليه السلام : « وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي رسول الله » ^(١٢) . هاجر إلى مكة المكرمة وهي مهبط الوحي ومبعث الرسالة ، وفيها موسم الحج العام ، ويجتمع فيه كل عام من البلاد الإسلامية جمع غفير ، فقصدها لبيتّ هناك دعوته وينشر رسالته ، فيحملها عنه كل مسلم ، ويبلغ بها الجهات النائية لينقذ الإسلام من الهوّة التي أنزلها به الأمويون وأتباعهم ، فإنّ معاوية ابتدع في الدين وشق عصا المسلمين ، ووضع الأحاديث الكاذبة ، وجعل أمر الأمة الإسلامية بيد رجال ذوي مطامع قادهم إلى الشهوات لا إلى الدين ، لم تتنهم عن ذلك خشية من الله .

أيزيد يتقلّد زمام الخلافة ؟ ! ما أعظمها من محنة ! ليقف أبو الأحرار في وجه جيش الشرك الذي يريد القضاء على الدين الإسلامي ، ويطلب يوماً بيوم بدر ، وفتحاً بفتح مكة ، وهيئات صرخ أبو عبد الله عليه السلام صرخة الحق ، ونشر راية الإخلاص ، ووقف محامياً عن دين جدّه ، الذي تحمل الأذى في نشره وإبلاغه

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(١٣) .

قتل الحسين عليه السلام فأكبر الناس مقتله واستعظم الجميع تلك الحادثة ، واستبشع الكل تلك المجزرة حتى الذين اشتركوا في ذلك الإثم وأشهروا السلاح على آل الرسول أحجموا عن الإقدام ، وأعظموا حرز رأس الإمام من أجل ذلك ، خشى خلفاء بني أمية ثورة الناس عليهم ، واتخاذ أعدائهم لتلك الحادثة المروعة سلاحاً عليهم ، فخنقوا كل صوت ارتفع بالشكوى ، ولم يكفهم ذلك ، بل جعلوا من شتم الحسين عليه السلام وأشياعه على المنابر قبل كل صلاة وبعدها سنّة يتوارثونها خلفهم عن سلفهم ، محاولين بذلك ستر تلك الجريمة ، وإلقاء التبعة على المقتول ، وإفهام السدج والبسطاء أنّه قتل بحق ؛ لئلاّ ينتهبوا إلى فظاعة الجريمة وجسامة الذنب بلا ريب .

القيّم : معناها ومفهومها وأهميتها

لمحة تاريخية

يعود تاريخ القِيم إلى قدم الإنسان ، فقد غرست الجماعات الاجتماعية في نفوس صغارها قيمها وأراءها عن الصواب والخطأ ، وإن نقل القِيم هي جزء من حياة الإنسان ، فالأفراد أو الجماعات يعلمون الخلف السلوك المناسب والسلوك الطيب أو غير الطيب أو غير المرغوب فيه ، هذا التعليم يكون شعورياً أو لا شعورياً ، « ويتفق الفلاسفة - ومنهم إفاطون وسقراط وأرسطو - منذ القدم وحتى الآن على أنّ الهدف من التعليم هو جعل الإنسان ذكياً وطيباً » ، وفي القرن التاسع عشر أصبحت القيمة مبحثاً أساسياً من مباحث الفلسفة يعرف بمبحث القِيم ، وكان ذلك على يد الفيلسوف الألماني نيتشه والبراجماتيين ، حسب ما أجمع عليه أغلب مؤرخي الفلسفة كمبحث قائم .

ويُطرح سؤال هنا : هل كان مبحث القِيم موجوداً قبل القرن التاسع عشر كمبحث قائم بذاته ، أم كانت تطاله دائرة الإنكار ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول : إنّ القِيم قديمة بقدم الإنسان نفسه ، ولكنه لم يجعل لها الصدارة في أقواله أو تفكيره ، رغم ما لها من أهمية في حياته ، لذلك في الفلسفات القديمة للقِيم لا نعث على مشكلتها المحورية .

إنّ الفلاسفة القدماء عالجوا مشكلات تندرج تحت مبحث القيمة ، مثل : الخير والصواب والالتزام والفضيلة ، فإذا رجعنا إلى فلسفات الإغريق - مثلاً - وجدنا هذه القِيم موجودة ضمناً في فلسفاتهم ، فقد اهتم سقراط بالفلسفة عامة والأخلاق خاصة ، كما ونجد القيمة في فلسفة إفاطون في حديثه عن الخير الأقصى تتويجاً لعالم المثل ، ونراها عند أرسطو في محاولته تنسيق الكائنات على أساس غائي ، وعليه ؛ فإنّ القيمة لم تحتل مكان الصدارة في فلسفات الإغريق ، أمّا العصور الوسطى ، فنجد القيمة في فلسفة توما الأكويني تندرج تحت اسم الخير الأقصى أو الكمال ، وتحتل القِيم مكاناً بارزاً في الفلسفات الإسلامية متمثلة في فكر الفارابي وابن سينا ، وفي التفكير الأخلاقي عند ابن مسكويه والغزالي وفلاسفة الصوفية ، وكان همهم أن يقيموا سلماً هرمياً للقِيم على أساس ديني ، بحيث ينظر للقيمة على أنّها تشكّل الأساس العام لكلّ مجالات العلوم والمعرفة الإنسانية .

أمّا في العصر الحديث ، فالآن خير ما يعبر عن فلسفة القِيم مذهب كانت ، فالبعض يعدّه فيلسوفاً للقيمة على الأصول ؛ لأنّه يؤكّد على أنّ عالم القِيم عالم مغلق على ذاته بالنسبة

تصورات توجّه أفعال الأفراد في المجتمع وتحكم سلوكهم وتكتسب صفة العمومية لديهم .

مفهوم القيم

لسان العرب عرّف القيمة بأنّها : مفرد القِيم ، « والقيمة : ثمن الشيء بالتقويم ، تقول : تقاوموه فيما بينكم ، ويُقال : كم قامت ناقتك ؟ أي : كم بلغت ؟ . . . والاستقامة التقويم ، لقول أهل مكّة : استقمت المتاع ، أي : قومتهن ، وفي الحديث الشريف : يا رسول الله ، لو قومت لنا . . . فقال : (الله هو المقوم) . لو سعت لنا ، وهو من قيمت الشيء ، أي : حددت قيمتها »^(١٤) . فإنّ كلمة قيمة في اللغة العربية مشتقة من القيام ، وهو تقيض الجلوس ، والقيام بمعنى آخر هو العزم .

وللقيم مفاهيم متعدّدة ، منها : —

المفاهيم التي يتبنّاها الأفراد لتحديد ما هو مرغوب فيه ممّا يؤثّر أخيراً في عملية انتقائهم واختيارهم للمثيرات للخارجية .

معتقدات أساسية بموجبها يفضل سلوك معيّن على سلوك آخر على مستوى شخصي أو اجتماعي .

للعقل الخالص ، وليس مقفلاً بالنسبة للعقل العملي ؛ ولذا كانت فلسفة القيم هي وراثته التراث الكائني ، إنّ القيم تمثّل جانباً رئيسياً من ثقافة أيّ المجتمع ، فهي تمثّل لبّ الثقافة وجوهرها ، وأنّ القيم يمكن أن تُحدّد وتُنظّم النشاط الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع .

إنّ مفهوم القيمة من المفاهيم التي أهتمّ بها الكثير من الباحثين في مجالات مختلفة كالفسلفة ، والتربية ، والاقتصاد ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس وغير ذلك من المجالات ، وما يهّمنا هو مفهوم القيمة في علم النفس ، فقد اهتم علماء النفس الاجتماعي بكلّ جوانب سلوك الفرد في المجتمع ، فعلم النفس الاجتماعي يركّز عناية على سمات الفرد ، واستعداداته واستجاباته ، فيما يتّصل بتعاملات مع الآخرين ، فموضوع القيم من المواضيع الأساسية في علم النفس الاجتماعي ؛ ذلك لأنّ القيم تُعد من المحددات المهمة للسلوك الاجتماعي ، إذ إنّ لكلّ مجتمع من المجتمعات فلسفته التي يتعامل بموجبها ، وهكذا نجد أنّ القيم موجّهات لسلوك الأفراد في المجتمع ، وبها يحكم على أفعال الأفراد ، وما هو مقبول اجتماعياً لدى المجتمع وما هو غير مقبول ؛ ولذا عُرّفَت القيم بأنّها : أفكار أو

مهم من ناحية التقدّم والتأخر ، وهي نوع من المعايير والملكات لتشخيص الثمن المادي أو المعنوي للأشياء .

على الرغم من اختلاف التعاريف لمصطلح القيمة اختلافاً واسعاً ، كان هناك إجماع واتفاق على أنّ القيمة مجموعة الأحكام يصدرها الفرد على بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية ، فهي نتاج اجتماعي استوعبه الفرد وتقبّله بحيث نستخدمها كمحكّمات أو مستويات أو معايير ، ويمكن أن تُحدّد إجرائياً في صورة مجموعة استجابات القبول أو الرفض إزاء مواضيع أو أشخاص أو أشياء أو أفكار .

أهمية القيم

القيم تشكّل قضية مهمّة شغلت الفكر الإنساني عامّة والتربوي خاصة ، واهتمّت فيها الديانات والفلسفات والتنظيمات الاجتماعية ، وكانت مركز اهتمام الأنبياء والرسل والمصلحين عبر التاريخ الإنساني ؛ لأنّها تمثّل جانباً رئيساً من الثقافة في أيّ مجتمع ؛ لذلك لا يمكن أن ينهض مجتمع ويزدهر دون أن يعتمد على مجموعة من قيم الأخلاق التي تؤيده وتدعمه ، فإنّ تنمية المجتمع مرهون بتنمية الثروة البشرية فيه ، فالإنسان هو أساس ودعامة

المفاهيم الضمنية أو الصريحة الخاصّة برغبة معيّنة يمتلكها الفرد أو المجموعة ، وتؤثّر في عملية تفضيل خيار معين من بين الخيارات أو الأهداف المتاحة .

وهناك من يرى أنّ القيم معتقدات أساسية حول ما صح أو خطأ .

الأهداف التي يسعى الفرد إلى تحقيقها ، وهي مرجع حكم للأفراد على أنماط سلوكهم .

مجموعة من الأحكام المعيارية المقبولة والخبرات المختلفة .

جمع قيمة ، وتدلّ على أنواع المعتقدات التي يحملها شخص أو مجموعة أو مجتمع ويعتبرها مهمّة ويلتزم بها وتحدّد له عادةً الصواب من الخطأ .

أنّها عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط .

أنّ القيمة تكوين افتراضي يُستدلّ عليه من خلال التعبير اللفظي والسلوك الاجتماعي ، وهي عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط .

أنّها الشيء الذي يدلّ على أهميّة وقيمة أمر

المجتمع ووسيلة تطويره ، وهو أكرم المخلوقات على الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (١٥) .

فالثروة البشرية لا تنمو إلا بواسطة أداة رئيسة هي التربية ، التي تعتبر محور التقدم وحجر الزاوية في كل تطوير وإصلاح ، لأن أي إصلاح أو تغيير لا يستند إلى التربية يزول ويضمحل ، والتطوير واجب وضروري لمسايرة تقدم الحياة ، ولا تستطيع التربية القيام بهذا الدور إلا في ظل التعديل المستمر لنظم التعليم وأساليبه وأدواته ، فعصرنا هو عصر ثورة المعرفة وتفجّرها ، والناس لا ينمون ولا ينضجون فيه إلا بالتعليم والتربية ، كيف لا وتعتبر التربية بأنّها إعداد الفرد للحياة ، بل هي الحياة نفسها ؟ !

ولقد لقيت دراسة القيم اهتماماً كبيراً منذ زمن بعيد على يد العديد من علماء الاجتماع وعلماء النفس ، ورواد الفكر ، والدراسات الإنسانية ، وقد بدأت تعريفات القيمة مجردة عن طريق مفاهيم الخير والكمال والعلو والغايات وما يجب أن يكون عليه ، كما نجد أنّ عدداً من علماء النفس الاجتماعي يعرفون

القيمة من خلال مصطلحات مرتبطة بالمفهوم ، مثل الاهتمامات والسرور ، والتفضيلات ، والرغبات ، والحاجات ، وعوامل الجذب ، وقد اهتمّ الباحثون خلال القرن التاسع عشر بتنوّع ظواهر القيم ونسبتها وتوقفها على الأفراد وحالاتهم ، أكثر ممّا اهتمّوا بوحدها وطبيعتها الميتافيزيقية ، ولقد احتلت نظريات القيمة المكانة الأولى في ألمانيا حوالي عام (١٩٠٠ م) ، وفي إنجلترا وأميركا حوالي (١٩١٠ م) ، أمّا فرنسا فقد ظل الأمر على عكس ذلك ، بالرغم من بعض البحوث الهامة التي نُشرت متفرّقة وكانت متضمّنة لهذا المفهوم .

القيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة التربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها ؛ لأنّها ضرورة اجتماعية ، ولأنّ لها معايير وأهداف لا بدّ أن تجدها في كل مجتمع منظم ، سواء أكان متخلفاً أم متقدماً ، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلّعات ، وفي بعض المواقف الاجتماعية تعبّر القيم عن نفسها في شكل قوانين وبرامج للتنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعي .

معايير لتنمية القيم الأخلاقية في الأساليب التربوية الحديثة

إذا كانت مجتمعاتنا الإسلامية والعربية بحاجة ملحة إلى التقدم العلمي والمعرفي وإلى التطور المادي في مجالات شتى من الحياة ، فإنها أحوج ما تكون إلى الأخلاق المشتقة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وإن ما يصيب المجتمعات بشكل عام من مفاسد ، وما يفسد بين أفرادها من الجرائم والموبقات ، إنما يرجع إلى نقص القيم وخلل في البناء الخلقي أكثر من أن يكون نتيجة نقص في مجالات العلم والمعرفة ، ولما كانت التربية تحتل الدور الأساس في بناء الجانب الأخلاقي للإنسان ووقايته من الأمراض الخلقية التي أصبحت ظاهرة تقتضي تجنيد المؤسسات التربوية لمقاومتها والانتصار عليها .

ونظراً لزيادة الشكوى العامة على جميع المستويات من اهتزاز القيم وضعف المستوى الأخلاقي للطلاب ، بل والأجيال الجديدة بصفة عامة ، وافتقار قسم كبير من المعلمين إلى مواصفات المربي الناجح ، واستجابة للدعوات والاستغاثات التي تنطلق من هنا وهناك ، والداعية إلى العودة إلى أصولنا الإسلامية والحضارية لنبني عليهما مؤسساتنا

التعليمية ولنقف بوجه التيارات الفكرية والعلمانية والاستشراقية الوافدة ، ولتحقيق أهداف مجتمعنا الإسلامي الأصيل ، لما كان مدرسو التربية الإسلامية في مقدمة من يُنتظر منهم تربية الناشئة تربية أخلاقية قوية ، وإنّ قسماً كبيراً من مدرسي مادة التربية الإسلامية لا يربون الناشئة بالقدوة الحسنة في مجال الأخلاق ، فقد أكدت أكثر من دراسة أنّ قسماً من المعلمين لا يجعلون من أنفسهم قدوة حسنة لتلاميذهم ؛ إذ إنّ هؤلاء المعلمين يحدّثون طلابهم في موضوع ولكن ذلك لا يظهر في سلوكهم .

ونظراً لضعف أساليب التدريس المعتمدة من أغلب المدرسين في الوقت الحاضر ، فقد وجد الباحث أنّ هناك مشكلة تستحق الدراسة ، ألا وهي ضرورة استلهاام الأساليب التربوية من حضارتنا الإسلامية الأصيلة ، وعبر عصورها المشرقة ، وبيان فاعليتها في مجال تدريس الأخلاق الإسلامية ؛ وذلك لتكوين جيل قادر على مواجهة الهجمة الغاشمة التي تسعى إلى حجب نور الإسلام عن الإنسانية التعيسة ، ومحاولة صرف بني البشر عن شاطئ الأمان الذي ما زالت تبحث عنه في ظلمات التيه والضياع ، والتقليل من أثر تلك الهجمة

الغاشمة ، وضرورة الارتقاء بالتلاميذ لتمكّنهم من فهم الأخلاق الإسلامية الأصيلة ، وجعلها قيماً ثابتة توجّه بها حياتهم اليومية في البيت والمدرسة والمجتمع .

إنّ الفوز في السباق المعاصر بين الأمم يعتمد على قدرتها على تربية أبنائها تربية تنبع من عقيدتها وقيمها ، وتقي أبنائها من التلوث الفكري ، وتتيح لهم حرية الفكر والتعبير والتطبيق في حدود النظم والقيم المرعية ، وتستثمر أساليب العصر وتقنياته في إطلاق طاقاتهم الإبداعية ، وتكون أجيالاً لا تقنع باستيعاب المعاصر فقط ، ولكنها تتطلّع أيضاً إلى المستقبل لتسهم في صناعته ، فللعلمية التربوية أهمية خاصة في حياة المجتمع والأفراد ، فالمجتمعات بحاجة إلى التربية لتعديل سلوكهم ، وإكسابهم القدرات والمهارات المختلفة ؛ وبذلك تسهم العملية التربوية بتأثير هام وفاعل في تقدّم الأمم والشعوب من خلال بناء الإنسان ليتحمّل مسؤوليته في المجتمع والتربية في فراغ ، ففي العملية التربوية يقوم أفراد إنسانيون بتوجيه أفراد إنسانيين نحو غايات معينة ، مستعملين في ذلك وسائل معينة .

ومن هنا كان تباين النظريات التربوية في المجتمعات المختلفة ، فالتربية الماركسية

تربية مادية تسقط حساباتها كلّ المثل للقيم العليا ؛ لأنها لا تؤمن أصلاً بوجود مثل هذه القيم ، فجّل همّها إعداد الفرد ونموه نمواً متكاملًا ، بحيث يصبح قادراً على مجابهة أيّ تغيير في وسائل الإنتاج ، وفي المجمعات الغربية إذ تسود الديمقراطية تعد المهمة الأساسية للتربية - حسب زعمهم - تسهيل سبل تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع الواحد ، لكن التربية الديمقراطية تربية نفعية في أصولها ؛ لذا فإنّها لا تقيم وزناً للحقائق المطلقة ، وبدلاً من ذلك فإنّها ترى أنّ الخبرة هي محك صدقها أو كذبها .

فالإيمان بالله - حسب المذهب النفعي - حقيقة إذ أدّى إلى نتائج مرغوب فيها كأن يشعر أبناء المجتمع بالتماسك والنتيجة المنطقية لهذه المقدمات : « أن يصبح الدين باطلاً في المجتمع الذي لا يجني أفرادُه فائدة منه »^(١٦) . ولا شك في أنّ هذه المقولة مغلوطة من أساسها ؛ لأنّها تجعل النتائج معياراً للحكم على الأسباب التي أنتجتها ، وترفض أن تكون النتائج تبعاً للأسباب .

وتعدّ التربية الأداة الرئيسة والركيزة المهمة في المجتمعات كافة ، والتي تعتمد عليها في تنشئة وتربية الأجيال وإعدادهم للحياة ، ويزداد

« لقد انتصر معلّم المدرسة الألمانية » . وقال قائل : إنّ فرنسا عندما انهزمت في الحرب العالمية الثانية : « إنّ التربية في فرنسا متخلّفة » .

وقال قائل : إنّ الأميركيّان لما غزا الروس الفضاء بإطلاقهم القمر الصناعي (سبوتنك) : « ما دهى نظامنا التربوي والتعليمي ؟ ! » . فعادوا ينقحون ويطورون . وما نجاح اليابان المبكر - وهي الخاسرة في الحرب الكونية الثانية - في مختلف الميادين التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية بالدرجة الأساس ، إلاّ وهو اهتمامها في التربية والتعليم ، وإلى نظام التعليم ومستوياته الممتازة ، ولما كانت التربية تحتل المهمة الأساسية في بناء الجانب الأخلاقي للإنسان ، ذلك لأنّ الأخلاق الفاضلة هي عنوان صلاح الفرد والمجتمع وسرّ بقائهما واستقامة حياتهما ، ومصدر سعادتتهما .

ولا شك أنّ المجتمع الذي يفتقر إلى الأخلاق الفاضلة بين أفراده هو مجتمع أقرب إلى قطيع الغاب ، سرعان ما يلحق به الدمار والخراب ، ولقد كانت في التاريخ البشري آيات وعبر إذ حمل التاريخ لنا في طياته أنّ أهم أسباب تقويض الأمم القويّة ونهايتها كان في انحلال وتفكك نظامها الأخلاقي .

أثر التربية في الوقت الحاضر نتيجة للخصائص العصرية والحضارية التي يميّز بها عالمنا المعاصر ؛ إذ تهتم الدول جميعاً بالتربية الشاملة من أجل التنمية والنهوض بالحياة الاجتماعية على مستوى الفرد والمجتمع . ولا يمكن للتربية أن تحقق أهداف التنمية الاجتماعية المتوقعة وأهدافها المنشودة إلاّ بنجاح العملية التربوية ، لأنّ التربية عملية اجتماعية ثقافية تستمدّ مقوماتها وأسسها وأهدافها من عقيدة المجتمع ونظمه الاجتماعية ؛ إذ تتولّى بناء شخصيات الأفراد ليقوموا بأدوارهم المستقبلية في المجتمع ، كما أنّ للعملية التربوية أهمية خاصة في حياة المجتمعات والأفراد ، فالمجتمعات بحاجة إلى التربية لتحقيق التنمية بجوانبها المختلفة - الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية - كما أنّ الأفراد بحاجة إلى التربية لتعديل سلوكهم وإكسابهم القدرات والمهارات المختلفة ، وبذلك تسهم العملية التربوية بأثر مهم وفاعل في تقدّم الأمم والشعوب من خلال بناء الإنسان ليتحمّل مسؤوليته في المجتمع ، فالأمم التي اعتمدت التربية والتعليم مدخلاً طبيياً لتقدّم حضارتها وتطويع مجتمعاتها ، حتى قال قائل : إنّ الألمان عندما انتصروا في الحرب السبعينية :

حشو وتكديس لمعلومات لا تعيد في تشكيل الشخصية أو تعديل اتجاهاتها بالشكل الإيجابي المرغوب فيها ، والحاجة الماسة تظهر دائماً (للمربي الناجح) الذي يمكنه القيام بعملية التربية والتعليم معاً ، فيساعد على تكوين الشخصية السوية المتكاملة لا المعلم الذي يقتصر أثره على تلقين الدروس والمعارف ، فالتعليم دور أساس في تحريك المجتمعات الإنسانية عن طريق التنمية الاجتماعية والاقتصادية . فالمفكرون ينظرون إلى التعليم على أنه أهم مصادر إعداد الطاقات الإنسانية المدربة ، هذا إن لم يكن مصدرها الوحيد في إعداد هذه الطاقات .

ومن هنا ؛ جاء اهتمام الأمم المتقدمة بإعداد المعلم وتدريبه لكونه المحرك الأول في المجتمع ، والذي ينفرد في حالات تغيير بنيته حتى قيل : « أعطني معلماً جيداً أعطيك المجتمع الذي تريد » . ومن هنا ؛ فإن المعلم في مراحل التعليم العام بشكل عام والابتدائي بشكل خاص يبقى العنصر الفاعل والمتفاعل في العملية التربوية باعتباره يعمل على تربية وتنشئة الناشئة .

ولذا يُعد المعلم هو حجر الزاوية في عملية التعلم والتعليم ؛ لأن مهماته تتعلق بمختلف

فالتربية هي التي تنقل إلى الأجيال الناشئة أخلاقيات آبائهم وأجدادهم ومثلهم وقيمهم ، وتسهم بطابع خاص يميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى في تصرفاتهم وسلوكهم ، وتعطيهم القدرة على التكيف مع المواقف المختلفة على وفق مقتضيات النظام الأخلاقي السائد في مجتمعهم .

والتربية الأخلاقية في نظر الإسلام يعبر عنها بأنها تنشئة الطفل على المبادئ الأخلاقية وتكوينه تكويناً كاملاً من جميع النواحي ، وذلك التكوين استعداد أخلاقي للالتزام بها في كل مكان وإشباع روحه بروح الأخلاق ، وذلك بتكوين عاطفة وبصيرة أخلاقية ليكون سباقاً للخير أينما كان وحيثما وُجد ، وذلك باستعمال جميع الأسس والطرائق والأساليب التي تساعد على تحقيق وتكوين ذلك الإنسان الأخلاقي وتربيته على الخير ، ولما كانت العملية التعليمية جزء من العملية التربوية التي تهدف إلى التنمية المتكاملة للشخصية الإنسانية بمختلف الأساليب والطرائق ليكون فرداً صالحاً في مجتمعه ، وهي بذلك تشمل جميع الجوانب الروحية ، والعقلية ، والخلقية ، والاجتماعية والوجدانية والجمالية ، والبدنية ، فعملية التعليم إذا زالت عنها السمة التربوية أصبحت مجرد

المختلفة إلى خبرات تربوية ناجحة ، يتفاعل معها المتعلمون ، فتنمو شخصياتهم بجوانبها المختلفة ، المعرفية والمهارية والوجدانية والاجتماعية ؛ لذا فإن مهمة المعلم في التربية الأخلاقية تحتاج إلى إعداد ومران ومعارف يتمكن من خلالهما إيصال المتعلمين إلى المرحلة المطلوبة من التنشئة الأخلاقية التي تتوافق مع عقيدة المجتمع الذي يعيش فيه المعلم .

أما طريقة التدريس ، فهي واحدة من أركان العملية التربوية والتي لا تستغني عنها أي عملية تعليمية ، فإذا تصورنا أن العملية التربوية التعليمية تتطلب مدرساً يلقي الدرس وطالباً يتلقى الدرس ، وبينهما مادة دراسية ، فالطريقة التدريسية تشكل الركن الرابع في هذه العملية ، وإن نجاح التعليم يرتبط إلى حد كبير بنجاح الطريقة ، وتستطيع الطريقة السديدة أن تعالج كثيراً ضعف المنهج وضعف الطالب وصعوبة الكتاب المدرسي ، وغير ذلك من مشكلات التعليم .

وإذا كان المدرسون يتفاوتون بمادتهم وشخصياتهم ، فإن التفاوت بينهم من حيث الطريقة أبعث أثراً وأجل خطراً ، فالعملية التربوية الثلاثة المذكورة بحاجة إلى وسيلة أخرى ينساب

مجالات العملية التعليمية من إدارة وإرشاد تعليمي وفتي ومعالجة مشكلات المتعلم ، وسد الثغرات في المنهج الدراسي ، والتوصل مع أولياء الأمور ومختلف أعضاء المجتمع ، فالمعلم هو الحافظ لتراث الحضارة والمسؤول عن نقله من جيل إلى جيل ، وهو الركن الأساس في العملية التربوية ، إذ يستطيع استغلال كل الفرص في سبيل تهيئة الظروف من أجل تكوين الخبرات والمهارات عند التلاميذ ، وإحداث التغيير في الأفراد نحو الاتجاه الذي يمكنهم من التكيف مع ذواتهم ومجتمعهم ومتغيرات العصر الذي يعيشونه ، فبإمكان الفرد أن يقوم بتأليف الكتب ووضع البرامج التعليمية ، إلا أن ذلك لم يكن ذا فائدة تذكر ما لم يوجد المعلم القادر على تطبيق ذلك في الحياة العملية ، كما أن المعلم في أية مرحلة من مراحل التعليم مسؤول عن تكوين جيل قادر على تحمل المسؤولية لخدمة وطنه ، فالمعلم يؤدي أثراً مهماً في تكوين شخصيات تلاميذه ، ومن ثم تحقيق نموهم الكامل ، ولما كان المعلم عنصراً أساسياً في العملية التربوية ؛ فإن نجاح هذه العملية مرهون بالدرجة الأولى بتوفير معلم جيد الإعداد ، يتمكن من ترجمة مناهج التعليم وبرامجه

وتمكنه من الإقبال عليه بشوق ، ومن استثمار قدراته في مواجهة مشكلاته ، وتنمية القدرات والمهارات والقيم الملائمة لها ، وتطوير شخصية المتعلم . إن طرائق التدريس تؤدّي وظيفة مهمّة وأثراً أساسياً في العملية التربوية ؛ لأنّها تمثّل حلقة الوصل بين المعلم والمتعلم .

والعملية التربوية والتعليمية لا تحقق النتائج المرغوب فيها ، إلا إذا توفّرت طرائق التوجيه والإرشاد والتدريس المناسبة ، وعن طريق مربّ مؤهّل وقادر على توصيل المنهاج الدراسي إلى التلاميذ بطريقة ميسرة ومفهومة ، ولما كان أسلوب التدريس هو الجزء الإجرائي من طريقة التدريس التي يعتمدها المدرس لنقل مادته العلمية وإيصالها ، أو خبرات المنهج إلى التلاميذ كأسلوب المحاضرة وأسلوب المناقشة ، التي يستعملها المدرس ، وهي أساليب مشتقة من الأساليب الإلقائية ، وإنّ مفهوم أسلوب التدريس يمكن أن نعزّفه بأنّه : مجموعة الإجراءات والتدابير أو المسار الذي يسلكه المعلم في عملية التفاعل المتبادل بينه وبين المتعلمين وعناصر البيئة المختلفة ، التي يهيئها المعلم لإكساب طلابه المعارف والمعلومات والخبرات والمهارات والاتجاهات في مدّة زمنية محددة هي الدرس .

عبرها المنهج وخبراته ، وهي طريقة التدريس التي تعبّر عن حالة التفاعل بين المدرس والطالب ، ومن خلال هذا التفاعل يمكن إجراء عملية تقويم للعملية التعليمية كلّها ؛ إذ يتحدّد الأداء الضعيف حتى يمكن تحسينه ، ويمكن الوقوف على الأداء السليم حتى يمكن تدعيمه ، والأداء الخاطئ إن وُجد يُحذف ، ونصل إلى أفضل فاعلية ممكنة للعملية التعليمية ، فالطريقة التي يستعملها المدرس تساعد على إيصال المعلومات والمهارات إلى المتعلم ، وتمكينه من استيعابها وتسهيل العملية التعليمية ، ولكي نوازن بين أفضلية المنهج والطريقة ، يمكن أن نشير إلى القول الآتي : « منهج فقير بمحتواه ، وجيد في طرائقه التدريسية لهو أفضل بكثير من منهج غني بمحتواه وجامد بطرائقه »^(١٧) .

طرائق التدريس تهدف بصفة عامة إلى تنظيم المواقف التعليمية ، بما يؤدّي إلى تنمية القدرة على التحكّم وتمكين المتعلمين من ممارسته اعتماداً على جهودهم الذاتية لتنمية شخصياتهم بجوانبها كافّة ، وهذه المواقف التعليمية تقوم على التواصل الفعّال وحوار نشط بين المتعلم والمعلم بمهام الهداية والتوجيه وتنمية اهتمام المتعلم وبواعثه على التعلّم

الاستغناء عنها ؛ لأنّ من دون طريقة تدريسية يتبعها المعلّم أو المدرس لا يمكن تحقيق الأهداف التربوية العامة والخاصة ، وبما أنّ الطريقة تُحدّد من المدرس أو المعلم معتمداً على قسم الأسس مثل : المادة العلمية ، المرحلة المدرسية ، التلاميذ ، والأهداف وغيرها من العوامل ، وإن تفاعل المعلّم مع التلاميذ يعتمد على الطريقة التدريسية التي يبيّنهما كلّ من المعلّم والمدرس . وهكذا فإنّ طرائق التدريس التي تُتبّع من قِبَل المعلّم وجميع ما لديه من أساليب وأنشطة تعمل على جذب انتباه التلاميذ ، وجعلهم يرغبون في المادة العلمية ويترقّون إليها تُعدّ الأساس في نجاح المعلّم والمدرس في علمه ، وعلى مدى إفادة التلاميذ من عمله .

أما المنهج ، فهو من الأهميّة بمكان ؛ إذ يُعدّ الأداة لتنشئة الأجيال تنشئة صالحة ومساعدتهم على تفتح وتنمية استعداداتهم ، ومواهبهم وقدراتهم ، والمساهمة الفعّالة في تقدّم مجتمعاتهم .

المنظومة القيمية في النهضة الحسينية

جاءت النهضة الحسينية متكاملة المبادئ

يعد قسم من التربويين طرائق التدريس وأساليب التدريس مصطلحين يدلّان على شيء واحد ، في حين يكون الواقع مختلفاً ، فالمدرس في طرائق التدريس يعني بالإجراءات العامة التي يقوم بها المدرس في موقف تعليمي معيّن ، بينما مصطلح الأساليب إجراءات خاصة يقوم بها المدرس .

إنّ سلوك التدريس بحكم طبيعته موجود دائماً في إطار من التفاعل الاجتماعي بين المدرس وطلّبه ، ولهذا فإنّ الأعمال التي يقوم بها المدرس أثناء قيامه بالتدريس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخصائص الشخصية للمدرس ، وإنّ أساليب التدريس تؤثر في تحصيل الطلبة ، فقد أُجريت دراسات أجنبية تناولت هذه العلاقة وأوضحت إحدى هذه الدراسات تأثير سلوك المدرس في تحصيل الطلبة ، وإنّ أسلوب التدريس الواحد ليس كافياً وليس ملائماً لكلّ مهام التعليم ، وإنّ المستوى الأمثل لكلّ أسلوب يختلف باختلاف طبيعة مهمة التعليم .

ومن كلّ هذا يتبين أنّ طرائق التدريس تُعد من الأدوات الفعّالة والمهمة في العملية التربوية ؛ إذ إنّها تؤدّي أثراً أساسياً وفعالاً في تنظيم المواد الدراسية ، وفي تناول المادة العلمية ، ولا يستطيع المعلم أو المدرس

عصر أنّ الفكر من حيث هو تسخير لمملكات العقل وللقدرات الذهنية ، وتحريكها نحو الوصول بها إلى مقاصد وغايات يرصدها العقل ، يخضع للإرادة الإنسانية التي تحكم اتجاهاته وتضبط مساراته ، إن هي نزعت إلى الخير والحق والفضيلة والمصلحة العامة ، أيدها وزكاها ، وإن هي مالت إلى الشر والباطل والرذيلة والمضرة والمفسدة ، قوّمها وردّها إلى الحق والصواب .

إنّ المنظومة القيمية في النهضة الحسينية هي منظومة متكاملة في الأخلاق والدين ، وهي رافد مهم لبناء المجتمع وذلك من خلال الأسس والمعايير التي جاء بها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته ، هي ليست مجرد معركة تاريخية حصلت يمرّ عليها الباحثون والمؤرّخون مرور الكرام ، بقدر ما هي إصلاح مجتمع من خلال إرساء القواعد الأخلاقية الإسلامية فيه ، حيث أثبتت الدراسات التربوية والنفسية المستفيضة الأثر الواضح للنهضة الحسينية في تكوين القيم الأخلاقية والدينية لبناء شخصية الإنسان ، حيث تنعكس على جميع جوانبه الجسدية والنفسية والروحية ، ويسوق الباحثون في علم النفس والتربية أمثلة كثيرة على تأثير النهضة الحسينية على الخصائص والصفات الخلقية كون الارتباط الوثيق بين القيم

والقيم ، تشكّل في مجموعها منهج حياة ملائماً لطبيعة الإنسان ، ومنسجماً مع فطرته السوية ، ومغذياً لروحه ، ومليئاً لمتطلبات الإنسانية الكريمة .

وهي منظومة محكمة النسيج ، مترابطة الحلقات ، تقوم على أركان ثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، لا تتغير بتغيّر ظروف الدهر ، ولكنها تتجاوب مع المتغيرات من دون أن تفقد جوهرها وأصالتها ومشروعيتها ، ولا تتطور مع تطور حياة الأفراد والجماعات ، ولكنها تتفاعل مع التحوّلات التي تطرأ على حياة الإنسان ، من غير انصياع إلى الواقع ، وإتّما بالتكليف مع متطلباته التوجيهية نحو الأفضل وترشيد مساره .

ولمّا كان من خصائص القيم - من حيث هي قيم - الثبات والرسوخ والاطّراد ، فكذلك هي منظومة القيم التي جاءت بها النهضة الحسينية لا تفقد خصائصها ، ولا تتراجع قيمتها ، لا تُبلى مع الزمن ؛ لأنّها قيم جوهرية ثابتة ، مستقرّة بثبات الرسالة الإسلامية واستقرارها وخلودها ، ولأنّها من الثوابت وليست من المتحوّلات ، نزل بها الوحي الإلهي ، وتجسّدت في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ، ولعل من الأمور الواضحة لدى المشتغلين بالفكر في كلّ

الإنسان يحاسب في هذه الدنيا وفي يوم القيامة على سلوكه وأعماله ؛ لأنَّهما أمران يصدران إرادياً عنه ، وغير مفروضين عليه .

والخلق يُعرَّف بحسن التقدير والحكمة ، ويشتمل الخلق على هيئة جميلة . ومن هنا استُعمل للسلوك على نهج مستقيم جميل .

ويُعرَّف إخوان الصفا الأخلاق بأنَّها : « تهيؤ ما في كلِّ عضو من أعضاء الجسد ، ويسهل به على النفس إظهار فعل من الأفعال ، أو عمل من الأعمال ، أو صناعة من الصنائع ، أو تعلُّم من العلوم ، أو أدب من الآداب أو سياسة ، من غير فكر ولا روية »^(٢٠) .

أنواع الأخلاق

تنقسم الأخلاق إلى : أخلاق حسنة ، وأخلاق سيئة ، وكذلك الأفعال التي يمكن تقسيمها إلى : أفعال جيدة ، وأخرى رديئة ، انطلاقاً من الأسس النفسية لهذه الأفعال أو السلوكيات ، وانطلاقاً من الصفات الثابتة للأخلاق التي تنقسم بدورها إلى الصفات الحسنة والقيحية ، وبذلك تكون الممارسات إفرازاً طبيعياً للأخلاق ، وكما يعبر عنها في علم الأخلاق بالفضائل والردائل :

أ - الأخلاق الحسنة : وهي ملكة نفسانية

الأخلاقية والتربوية ، والنهضة الحسينية التي تصلح لكلِّ زمان ومكان ؛ لأنَّ التجديد الذي اعتمده النهضة الحسينية من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم وسنة الرسول محمد ﷺ كان ولا زال منهجاً واقعياً يراعي واقع الإنسان في حسن الخلق والسلوك ، وإسهامه في مقارعة كلِّ ما يفسد الأرض من شرٍّ وظلم .

إنَّ المنهج الشمولي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام راعى فيه كلَّ مفاصل الحياة التربوية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية والفكرية ، وجعل من كرامة الإنسان منطلقاً لتورته .

الأخلاق . . مفهومها أنواعها

في اللغة : « الدين والطبع والسجية »^(١٨) . وفي الاصطلاح : « عبارة عن هيئة راسخة في النفس ، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر ورؤية »^(١٩) . فإن صدرت عن الهيئة الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر هنا الأفعال القبيحة ، سُمِّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً .

وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنية ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها ، وهذا المعنى يؤكِّد أنَّ

يدخلون الجنة بتقوى الله وحسن الخلق» .

ويصرح الرسول ﷺ في حديث بأن الدين هو الخلق الحسن ، وهو الهدف النهائي والغائي من بعثة الأنبياء ، حيث يقول : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »^(٢٦) .

- وجاء في الأحاديث عن الإمام علي عليه السلام تأكيد الصريح والواضح على حسن الخلق في موارد كثيرة ، من جملتها : « حسن الخلق رأس كل بر . . . »^(٢٧) ، « حسن الخلق أفضل الدين . . . » ، « لا قرين كحسن الخلق . . . »^(٢٨) ، « أكرم الحسب الخلق »^(٢٩) .

ب - الأخلاق السيئة : فالخلق السيء (القبيح) : هو - أيضاً - ملكة نفسية راسخة تصدر عنها السلوكيات والممارسات السيئة بسهولة ويسر وعفوية ، وتلك الأفعال التي لا يرضى بها العقل ولا الشارع المقدس أو الدين ، والتي تعكس الصفات البذيئة والأخلاق الرذيلة عند الإنسان .

تناول علم الأخلاق الرذائل الأخلاقية بالبحث والدراسة ، وكذلك الحال بالنسبة للفضائل الأخلاقية ؛ ذلك لأن علم الأخلاق الذي يُعبّر عنه بأنه طب الأرواح والنفوس يجب أن يتناول الآلام من جهة ، ومن جهة أخرى

راسخة تصدر عنها السلوكيات الجيدة بسهولة ويسر ، وتلك السلوكيات المقبولة طبقاً لموازين العقل والدين ، والتي تتطابق مع ما يُسمى في علم الأخلاق بـ (الأخلاق الفاضلة) ، التي تكون عادةً إحدى أبحاث علم الأخلاق ، ويكون اكتسابها من الأهداف الغائية عند كل إنسان في سلم الصعود والسلوك الأخلاقي .

حسن الخلق ، أو الخلق الحسن : هو ما أُكِّدت عليه كثير من النصوص القرآنية ، والنصوص النبوية ، وكذلك النصوص الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام .

- مدح الرسول الأعظم ﷺ في القرآن الكريم بسبب عظمة أخلاقه ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢١) .

- وأكدت الأحاديث النبوية الشريفة المروية على حسن الخلق بصورة خاصة ، فجاء في الأحاديث الشريفة عن الرسول ﷺ : « حسن الخلق نماء »^(٢٢) ، « لا حسب كحسن الخلق »^(٢٣) ، « إن أحسن الحسب الخلق الحسن » ، « البر حسن الخلق »^(٢٤) ، « من سعادة المرء حسن الخلق »^(٢٥) .

- وفي حديث آخر يوصي الرسول الأكرم ﷺ المسلمين بالتخلق بأخلاق الله ، فيقول : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ ، إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

التربويين المسلمين عبر العصور ، والإسلام في تربيته قد أولى عناية خاصة للجانب الأخلاقي في كل ميادين الحياة ، ومن هذه الميادين ميدان التربية والتعليم نفسه ، بل إن الأخلاق مَعْلَم بارز في كل مناحي الحياة الإسلامية ، وقد كان رسول الهدى ونبي الرحمة وحامل رسالة الله إلى الإنسانية كافة صلوات الله وسلامه عليه كما وصفه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣٦) ، وكان خير معلّم عرفته البشرية ، وكان على هذا الخلق العظيم ، ومن خلقه ذلك ما خاطبه به ربّه ﴿ بقوله : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُتُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٣٧) ، وما أخبرنا به تعالى عنه بقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣٨) ، وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٣٩) ، ثم أرشدنا تعالى إلى التأسّي به بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٤٠) .

فهو بخلقه العظيم أُسوة عامّة للمسلمين

يصف لها العلاج الناجع ، ومن هنا ؛ فإنّ الرذائل الأخلاقية في الآلام والأوجاع وعلاجها يكمن في الفضائل .

لم نجد في القرآن الكريم آية تتناول الخلق السيئ بصورة صريحة ، ولكن الروايات والأحاديث النبويّة قد تناولته بشكلٍ صريحٍ لا لبس فيه ، فنقل عن الرسول الكريم ﷺ : « مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ »^(٣٠) ، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : « إِنَّ سَوْءَ الْخُلُقِ لِيُفْسِدَ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلَّ الْعَسَلَ »^(٣١) .

وجاء في الكلمات القصار المنقولة عن الإمام علي عليه السلام أربع وعشرون كلمة تتناول سوء الخلق جاء في إحداها بأنّ : « كُلُّ دَاءٍ يَدَاوَى ، إِلَّا سَوْءَ الْخُلُقِ »^(٣٢) .

وهناك ما يشير في كلمته إلى أنّ سوء الخلق هو سبب التعاسة في الحياة حيث قال : « مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ »^(٣٣) ، و « سوء الخلق نكد العيش وعذاب القبر »^(٣٤) ، ويعلل الإمام عليه السلام كل ذلك بالجهل ، حيث يقول : « الْخُلُقُ الْمَذْمُومُ مِنْ ثَمَارِ الْجَهْلِ »^(٣٥) .

أخلاق مهنة التعليم في الإسلام

حظيت أخلاقيات مهنة التعليم بالذات باهتمام خاص من قِبَل العلماء والمفكرين

من المهن ، ومهنة التعليم بالذات كان لها نصيب كبير من الاهتمام في التربية الإسلامية ، ولا سيما فيما يتعلّق بالأخلاق التي تنتظم من خلالها العلاقة بين المعلّم والمتعلّم والتي استقاها المرّبون المسلمون من هدي نبيّهم .

المنهج التربوي عند الإمام الحسين عليه السلام

يستند المدلول اللغوي لمفهوم التربية إلى مرتكزات نفسيّة وفكريّة وقيميّة ، فالتربية في اللغة مأخوذة من ربّى ولده ، والصبي يربيه ، ربّاه : أي أحسن القيام عليه حتى أدرك . فالتربية بمدلولها اللغوي ، تعني تعهد الطفل أو الابن أو المملوك بالرعاية والتغذية المادية والمعنوية حتى يشب ، ولما لهذه المفردة من أهميّة في الحياة اليومية والفكرية للشعوب ، فقد اهتم الفلاسفة والعلماء بهذا المفهوم ، وجهدوا في سبر أغواره والكشف عن متبنياته الفكرية والعلمية ، وصاغوا له عدداً من التفسيرات التي إن اختلفت في تعابيرها وارتكازاتها ، فجاءت متّفقة في جوهرها ، ونستعرض بشيء من الإيجاز أقوال بعض المفكرين القدامى والمحدثين ، لتبيّن من

أجمعين ، وهو بتعليمه وتربيته في إطار هذا الخلق العظيم أسوة للمعلّمين والمرّبّين بشكل خاص ، ومعنى ذلك أنّ المعلّم المسلم مطلوب منه أن يمارس مهنته مقتدياً بالرسول صلى الله عليه وآله محاولاً أن يقتبس من خلقه وسيرته .

فقد وصفته زوجه عائشة حينما سُئلت عن خُلقه ، فقالت : « كان خلق نبيّ الله القرآن »^(٤١) ، أي : إنّهُ كان متخلقاً بكلّ الأخلاق والآداب الحسنة التي دعا إليها القرآن ، وكان عاملاً بكلّ أوامر الله الواردة في القرآن منتهياً عن نواهيه ، مباحداً لكلّ ما حدّر الله منه في كتابه ، فكان يتحرّك عليه الصلاة والسلام حركة فعلية بأخلاق القرآن ، وهو المعلّم الفذّ الذي أذى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حقّ جهاده ، وأقام أركان المجتمع المسلم ، وأنشأ الدولة الإسلامية ، وأرسى قواعد الأخلاق ، ورَسَخ بنیان التعليم على تلك القواعد ، فهو في ذلك أسوة للعالم والمتعلّم ، بل هو أسوة للناس كافة ، يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٤٢) .

فهو عليه السلام قدوة في حسن الخلق للناس كافة ، من كان منهم في مهنة التعليم أو غيرها

خلالها كنه المنهج التربوي بشكله العام وإطاره الفكري .
عبر أفلاطون عن التربية بأنها : « إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال ، وكل ما يمكن من الكمال »^(٤٣) ، وهو هنا يعتمد على الجانب الكمي من التربية ، وذلك بمزاولة جميع الأنشطة العقلية والبدنية التي يعتقد أفلاطون بأنها قادرة على إكساب الإنسان السلوكيات والأخلاق التي يمكن أن ترقى بالفرد للكمال .
بينما يقول أرسطو : « إنَّ الغرض من التربية هو أن يستطيع الإنسان الفرد عمل كل ما هو مفيد وضروري في الحرب والسلم ، وأن يقوم بما هو نبيل وخير من الأعمال ليصل إلى حالة السعادة ، وهذا يهتم بالناحية المهنية من التربية لما فيه منفعة الفرد وسعادته في الحياة »^(٤٤) ، أي : إنَّ أرسطو ينظر إلى التربية عبر النتائج التي تتمخض عنها في أنها تؤدِّي إلى جعل الإنسان قادراً على العطاء والإنجاز لكل الأفعال التي تكون محطَّ الفائدة للفرد والمجتمع ، وهو بذلك يحاول تصوير التربية على أنها جهد فردي يصبُّ في منفعة المجتمع لإيمانه بضرورة التفاعل بين الفرد والمجتمع .
في حين ينظر جولز سيمون ، الفيلسوف

الفرنسي إلى التربية على أنها « الطريقة التي بها يكون العقل عقلاً حُرّاً ، ويكون القلب قلباً حُرّاً »^(٤٥) ، وهو هنا يركِّز على النظر إلى النواحي الروحية من التربية ، ويعتقد أنها تسهم إسهاماً بالغاً في صناعة الشخصية الفردية المتميزة والمتفردة في المجتمع ، فالتربية - بحسب ما يراه - تجعل العقل حُرّاً ، وهو هنا يشير إلى القدرة على التفكير الموضوعي والتخلُّص من المؤثرات التي تؤثر في الأحكام ، ويكون القلب حُرّاً وهو هنا يشير إلى الحرية العاطفية - بحسب ما يراه - في الميول العاطفية غير المتأثرة بالمشيرات البيئية التي تفيد حرية العاطفة . ويبدو من خلال استعراض الآراء أنَّ إبراز الأفكار تمحورت حول جوانب تبدو أشبه بجوانب مكعب له نفس الجوهر ، وهو ما أشار إليه الغزالي في معنى التربية ، والذي شبه فيه التربية بفعل الفلاح الذي يقلع الشوك ، ويخرج النباتات الضارة من بين الزرع ، ليحسن نباته ويكمل ريعه .
أما ما قاله جون ديوي واصفاً إياها بأنها « عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ، ثمَّ صيِّبها في قالب معيَّنة »^(٤٦) ، أي : تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة .
ومن هنا ؛ جاءت الآراء التي ذكرناها تصوّر

إلا أنّ هذه التربية لا تستند فقط إلى مبادئ نظرية لا صلة لها بالواقع ، بل تتخذ منها طريقاً ومنهجاً يعضده العلم والعمل والإيمان بهدف منفعة العباد وخيرهم .

وكثيرة هي الخطب والكلمات التي تضمّنت الروايات عن الإمام الحسين عليه السلام والتي تدعو إلى طلب العلم وأخذه من مصدره ، كما وتحتّ على العمل حتى لا تبقى التربية مجرد نظريات لا فائدة منها في عالم الواقع .

لذلك فإنّ الإمام عليه السلام يدعم القول بالعمل ، وهذا هو الحقّ الذي يشهد به العمران والتقدّم والتطور الحاصل في المجتمعات ، من ذلك قوله : « العلم لقاح المعرفة ، وطول التجارب زيادة في العقل » ^(٤٧) .

دور النهضة الحسينية في تشكيل القيم الأخلاقية

تعتبر النهضة الحسينية بيئة أخلاقية متكاملة تترك آثارها الملموسة على الإنسان حيث تخلق أجواء تربوية فكرية وسلوكية تؤثر تدريجياً على شخصية الفرد من خلال الالتزام الديني ، وتأخذ أبعادها التربوية لإصلاح المجتمع ومواجهة الضلال الفكري والتعصّب الديني .

التربية في أبعاد وجوانب مختلفة الشكل ، كلّ بحسب ما يراه ، وبالمقابل ننظر في ما روي عن الإمام عليه السلام من أفكار تربوية تفسر حقيقة مفهوم التربية ؛ إذ يرى الإمام الحسين عليه السلام أنّ الإنسان هو غاية الوجود ، ومن أجله خلق الله ما خلق ؛ إذ بعد أن خلق تعالى الكون وربّبه أحسن ترتيب ، ونظّمه أجمل تنظيم ، وأتمّ مرافقه على أكمل وجه ، وجمع فيه ما تشتهي الأنفس ، وتلد الأعين ، أخرج إليه الإنسان ، وأسكنه فيه على أن يكون خليفته في أرضه ، يحيى في كنفها ويعيش من خيراتها ، ويمضي في أقواله وأفعاله ونواياه ومقاصده وفق أحكام الله وإرادته ، مطيعاً ، مدعناً ، شاكراً ، إلاّ أنّه خالف أمر الله ، وسلك بوحى من نفسه الأمارة بالسوء فجذبت الدنيا إليها وحجبت عنه الرؤية السليمة ؛ فبات أسير أوهامه وشهوته .

إنّ ضعف الإنسان أمام إغراء المادة والإيمان بأنّ الشيطان الذي أغواه في الجنة لن يتوانى عن إغوائه مرة أخرى وهو على الأرض ، وبالتالي سوف لن يتمكن من ممارسة الخلافة كما أوجبه الله من كان ضعيف الحجّة ، مسلوب الإرادة ، قليل الإيمان ، هذه الأمور أوجبت أخذه بالتربية والتعليم حتى تستقيم نفسه ، ويقوى على مقاومة الضلالة والفساد .

القيم الإسلامية وقيمها الحيويّة ، وتفوّقها على كلّ القيم الاجتماعية والحضارية الموجودة لدى الأمم الأخرى . ثمّ لا يمكن تبديلها أو تعويضها بأيّ حال من الأحوال ، وتبصيرهم كذلك بأساليب الهجمات المضادة للأخرين بثوابت هذه القيم ودورها في إرساء الحقائق التي لا تطالها الشكوك ، وكذلك بتكوين البصيرة بكيفيّة ايضاح الحق لهم ، لا باستخدام الأساليب الباطلة والوسائل الملتوية واستخدام الطرق الإعلامية على اختلاف أنواعها ومسمياتها ؛ لأنّ هذا الإيمان في غاية الأهميّة لإزالة الشعور بالعجز وبعدم الثقة بالمؤمنين وبعقيدتهم ، وهذا الأمر أيضاً لا يتمّ بالقوّة التعليمية والتربوية والنفسية للخطاب في تنمية الإيمان ورسوخه وتنمية العقول وبناء الشخصية القادرة على الثبات على مبادئها .

وإذا كنّا ننسى ، فلا ننسى العمل على إزالة الخرافات والأفكار المظلمة من عقل المتلقّي بسبب النهضة الحسينيّة ، واستخدام كلّ الوسائل النفسية والتربوية لتثقيف المتلقّين على نحو تستطيع هذه العقول في ضوءها أن تتشرب بالعقيدة المطلوبة إلى أن يصبحوا كما وصفهم القرآن الكريم : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

وبينما أتناول النهضة الحسينية فإنّ شعوراً بالتردد يعتريني ؛ لأنّه مع بساطة الموضوع الظاهرة إلّا أنّه لا يخلو من اللبس والحذر ، ولا سيّما حينما تتدخل فيه الصراعات السياسية ، وحينما يمس مشاعر عدم التسامح والأحكام التقويمية ، ولنا أن نحصي الورق المنشور والمداد المراق والأقلام والأفكار المسموعة والفضائيات والإعلام الملوّث ، وفي الصراعات والجمود الفكري والعصبيات الضيقة ، وتصوير هذه الثقافة من زوايا رؤية تحجب النظرة المتكاملة حتى لا تعطيلها فرصة للظهور بحجمها ووزنها الموضوعي ، وأنت قد تتفق معي بأنّ هذا النزف الثقافي سبب ونتيجة للصراعات السياسية التي تحيط واقعنا .

ونحن لو تعمقنا في الأسباب التي أفرزت هذه الصراعات لوجدناها في هذا المحيط فكرية عقائدية الطابع ، وهذا أقوى مظاهرها ، ومع كلّ ذلك يبقى القول الفصل ثابتاً : « لَمَّا كَانَتِ الْحُرُوبُ تَتَوَلَّدُ فِي عُقُولِ الْبَشَرِ ، فَفِي عَقُولِهِمْ يَجِبُ أَنْ تُبْنَى حُصُونُ السَّلَامِ »^(٤٨) .

إنّ هذا البناء الذي يحصّن العقل والفكر ويحيي الثقافة لا يتمّ إلّا بخطاب حضاري ثقافي أخلاقي ينبع من النهضة الحسينيّة الراقية السامية ، ويسعى إلى تكوين بصيرة بأهميّة

العملية الواقعية ؛ فإنها لا تنهار ولا تتفكك إن شاء الله .

وهذا الأمر يكون روح المواجهة للتحديات وروح الكفاح والمقاومة للتيارات والأفكار الغازية التي تريد احتلال مواطن القوة في الهوية العقائدية والإنسانية ، وهنا تتكوّن روح الخير التي تسعى لترقية الإنسانية إلى ازدهار الثقافة والحضارة والرفاهية ، وقد قيل في هذا الصدد :

« لو بذل الإنسان في السيطرة على جماح نفسه بعض ما يبذله من الجهد في السيطرة على قوّة الطبيعة ، لكان عالماً اليوم عالم طهارة وسعادة » (٥٢) .

وهذا لا يتمّ إلا عندما تسعى تربية النهضة الحسينية وهي تشكّل محددات الهوية من خلال بتّ المرتكزات الأخلاقية ، وحقيقة الأمر هو : لو أنّ الناس بذلوا لتطهير نفوسهم من الشرور والعدوانية كما يبذلون لتطهير المدن ومظهرهم لما رأينا هذه الشرور ، علماً أنّ القذارة الأخلاقية لا تقل إطلاقاً عن القذارة المادية من خلال ما يشتمز منه الإنسان .

الخاتمة

إنّ ما يجري في العالم من أزمة أخلاقية ، وتأثيرها في القيم الإسلامية ، يرجع في الكثير

سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
آثَامًا ﴿٤٩﴾ .

إنّ جوهر النهضة الحسينية هو إشاعة روح التعاطف والتراحم والموّدة ؛ لأنّ الأمة التي لا تسود بين أفرادها هذه الروح لا توجد فيها حياة مطمئنة ، وتتحكّم فيها العلاقات الرسمية والمصالح المادية ، ثم تكون الحياة الاجتماعية جاقّة ومملة لا طعم فيها ، ولهذا أراد الإسلام من أجل هوية واحدة لهذه الأمة أراد بناءها على أساس التراحم والموّدة لدرجة أن تكون الأمة كجسد واحد ، كما قال الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٥٠) ، وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه » (٥١) .

إنّ فعل هذه الروح إذا انتشرت في جسم الأمة وبانت أخلاقياتها السلوكية وتصرفاتها

الفضيلة والخلق القويم ، بعيداً عن الانحلال والتفسّخ ، فالنهضة الحسينيّة ضرورية جداً في بناء شخصية الفرد المسلم .

وفي هذا البحث تناولنا المنظومة الأخلاقية والقيمية ودورها في التربية والتعليم ، وبناء الإنسان المعاصر ، حيث تمثّل التربية والنهضة الحسينيّة وجهان لعملة واحدة ، ولا يأتي النضج الأخلاقي إلا بالتعليم والتثقيف ، وإدراك الواجبات ، حيث قال الرسول الكريم ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر ما حرمه الله عليه » (٥٢) ، وذلك يعني أنّ النهضة الحسينية نهضة أخلاقية غايتها ابتعاد المسلم عن محارم الله ، وذلك بحد ذاته يخلّص الإنسان من الشوائب ويرفعه إلى عالم أسمى ، وهذا ما توخّيته في بحثي ، فإن أحسنت فمن عند الله ، وإن قصّرت ، فأرجو من القراء التصويب . والله من وراء القصد .

من أسبابه إلى اختلاف البيئات الاجتماعية ، وهذا الاختلاف أدى إلى عدم انسجام في المنظومة الأخلاقية القيمة لكلّ مجتمع ؛ ومن هنا لا بدّ أن تكون الصلة قويّة بين القيم الأخلاقية والدين ، وفي هذا الصدد لا بدّ أن نوّكد أنّ الدين مصدر كلّ القيم الروحية والخلقية ، وهو الأساس في توجيه سلوك الفرد والمجتمع والناس ، والتمييز بين الخير والشر ، وبين الصواب والخطأ ، وبكاد يتّفق المفكّرون والعلماء والمربّون على أنّ النهضة الحسينيّة تُعدّ الهدف الأسمى للتربية والتعليم ، فليس ثمة درس يتعلّمه الإنسان ولا عادة يكتسبها دون الرجوع إلى المنظومة الأخلاقية في النهضة الحسينيّة ، حيث تسعى الأخلاق إلى تنمية الوازع الداخلي للضمير الإنساني ، كما تهتم بتزويده بمعرفة الأخلاق القرآنية ، وأخلاق الرسول ﷺ ، ومن هذه الأخلاق المحمدية انبثقت النهضة الحسينية ، حيث أصبحت الدرس الأول ، في تربية الجيل على أساس

فهرست المصادر

القران الكريم .

- ١- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
- ٢- الإرشاد : الشيخ محمد بن محمد الملقب بالمفيد (ت ٤١٣هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لتحقيق التراث ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- ٣- الإسلام بقود الحياة (فصل خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) : محمد باقر الصدر .
- ٤- الأمالي : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ،

- مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة - قم، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٥- الإمامة والسياسة: ابن قتيبة.
- ٦- بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- ٧- البناء الاجتماعي والشخصي: محمد سعيد فرج، الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٩م.
- ٨- البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم: (بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية): عبد الحميد وفاروق عبد السلام الهاشمي، ط ٢، مكة المكرمة، مركز البحوث التربوية والنفسية.
- ٩- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساکر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٠- تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ق ٤هـ)، عن بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٣٦٣ش/١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.
- ١١- تطورات في قيم الطلبة (دراسة تربوية تتبعية لقيم الطلاب في خمس سنوات): محمد إبراهيم كاظم، القاهرة: مكتبة الأملو المصرية، ١٩٦٢م.
- ١٢- تنمية الجانب الأخلاقي والتربوي لدى طلبة الجامعة: رياض أحمد الدباغ، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٧، ١٩٨٩م، العراق.
- ١٣- ثورة الإمام الحسين عليه السلام: محمد مهدي شمس الدين.
- ١٤- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء: أخوان الصفاء (ق ٤)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- ١٥- سيكولوجية الشخصية: سيد محمد غنيم، دار النهضة: القاهرة، ١٩٧٣م.
- ١٦- سمو المعنى في سمو الذات: عبد الله العلايلي.
- ١٧- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ١٨- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٩- عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي (ت ق ٦هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط ١، المطبعة والنشر: دار الحديث.
- ٢٠- الفتنة الكبرى علي وبنوه: طه حسين.
- ٢١- القيم الاجتماعية اللازمة لتلاميذ الحلقة الثامنة من التعليم الأساسي ودور مناهج المواد الاجتماعية في تنميتها: فتحي يوسف مبارك، المجلة العربية للتربية، المجلد (١٢) العدد (١)، ١٩٩٢م.
- ٢٢- القيم والتربية: لطفي بركات أحمد، ط ١، ١٩٨٣م، دار المريخ، الرياض.
- ٢٣- القيم السائدة لدى طلبة جامعة صنعاء (فرع تعز): نبيل صالح سفيان، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٥م.

- ٢٤- الكافي : الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط ٤ ، ١٣٦٥ش ، المطبعة : حيدري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، طهران .
- ٢٥- الكامل في التاريخ : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، المطبعة : دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٢٦- كنز العمال : علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي ، الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، تحقيق : الشيخ بكرى حياني ، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، سنة الطبع : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .
- ٢٧- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ، المعروف بابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ) ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، الناشر : دار صادر ، بيروت .
- ٢٨- مثير الأحزان : نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن غا الحلبي (ت ٦٤٥هـ) ، الناشر : المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
- ٢٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ / ٨١٩٨م .
- ٣٠- مقتل الحسين عليه السلام : أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) ، تحقيق : حسين الغفاري ، المطبعة العلمية ، قم .

الهوامش

- [١] جامعة البصرة/كلية التربية - القرنة -/قسم اللغة العربية ، علوم تربوية ونفسية ، الإرشاد النفسي والبرامج الإرشادية . النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم : ج ٨ ، ص ١١ .
- [٢] الصدوق ، محمد بن علي ، الأمالي : ص ٥٣٢ .
- [٣] شوقي ، أحمد ، الشوقيات .
- [٤] أنظر : الشنقيطي ، محمد الأمين ، أضواء البيان : ج ٨ ، ص ٢٥٠ .
- [٥] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ١٦ ، ص ٢١٠ .
- [٦] المفيد ، محمد بن محمد ، الإرشاد : ج ٢ ، ص ٣٥ .
- [٧] المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٧٨ .
- [٨] الأزدي ، أبو مخنف ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام : ص ١١٨ .
- [٩] ابن غا الحلبي ، جعفر بن محمد ، مثير الأحزان : ص ٤٠ .
- [١٠] ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ : ج ٤ ، ص ١٤ .
- [١١] المصدر السابق : ص ١٥ .
- [١٢] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٢٩ .
- [١٣] التوبة : آية ١١١ .
- [١٤] ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب : ج ١٢ ، ص ٥٠٠ .

- [١٥] الإسراء: آية ٧٠ .
- [١٦] آل عمرو ، محمد بن عبد الله ، مقال : نحو التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية .
http : //www . tarbyatona . net/include/plugins/article/article . php?action=s id .
- [١٧] العتابي ، محمد خضر ، أثر نموذج آشور في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي ،
مجلة الأستاذ ، العدد ٢٠٣ : ص ١٣٥١ .
- [١٨] ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب : ج ١٠ ، ص ٨٥ .
- [١٩] الغزالي ، أبو حامد ، إحياء علوم الدين : ج ٨ ، ص ٩٦ .
- [٢٠] إخوان الصفا ، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا : ج ١ ، ص ٣٠٥ .
- [٢١] القلم : آية ٤ .
- [٢٢] الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد : ج ٨ ، ص ٢٢ .
- [٢٣] الصدوق ، محمد بن علي ، الخصال : ص ٥٢٦ .
- [٢٤] النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم : ج ٨ ، ص ٧ .
- [٢٥] المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين ، كنز العمال : ج ٣ ، ص ١٢ .
- [٢٦] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ١٦ ، ص ٢١٠ .
- [٢٧] الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٢٢٧ .
- [٢٨] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٦٦ ، ص ٤٠٩ .
- [٢٩] الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ : ص ١١٣ .
- [٣٠] ابن شعبة الحراني ، الحسن بن علي ، تحف العقول : ص ٥٨ .
- [٣١] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٢ ، ص ٣٢١ .
- [٣٢] الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٣٧٥ .
- [٣٣] المصدر السابق : ص ٤٣١ .
- [٣٤] المصدر السابق : ص ٢٨٥ .
- [٣٥] المصدر السابق : ص ٤٧ .
- [٣٦] القلم : آية ٤ .
- [٣٧] آل عمران : آية ١٥٩ .
- [٣٨] التوبة : آية ١٢٨ .
- [٣٩] الجمعة : آية ٢ .
- [٤٠] الأحزاب : آية ٢١ .
- [٤١] ابن عساکر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ٣ ، ص ٣٨٠ .
- [٤٢] الأحزاب : آية ٢١ .
- [٤٣] أنظر : مفهوم التربية عند الإمام علي عليه السلام :

https : //www . aqaed . com/ahlulbait/books/imam-nahj .

- [٤٤] المصدر السابق .
[٤٥] المصدر السابق .
[٤٦] المصدر السابق .
[٤٧] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٧٥ ، ص ١٢٨ .
[٤٨] من نص ديباجة الميثاق التأسيسي لليونسكو ، أنظر : <http://ar.unesco.org/node> .
[٤٩] الفرقان : آية ٦٣-٦٨ .
[٥٠] النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم : ج ٨ ، ص ٢٠ .
[٥١] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري : ج ١ ، ص ٩ .
[٥٢] داغستاني ، بلقيس ، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال : ص ١١ .
[٥٣] الرواندي ، قطب الدين ، منهاج البراعة : ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

د . السيد حاتم البخاتي
أستاذ جامعي من العراق / كلية الفقه

النهضة الحسينية بين انتكاسة الأمة وإيقاظها

كثيراً ما تُختزل أهداف الثورات والنهضات وحركات التحرر والاعتناق التي تُثار في وجه الظلم والجور والانحراف ، في لون خاص ونمط مُعيّن من الأهداف والغايات التي تُعلن عبّر الشعارات المرفوعة والنداءات الموجهة ، وتظهر من خلال ممارسات القائمين عليها وأفعال المتصدّين لها ، وكثيراً ما تكون هذه الأهداف المُعلّنة أو المرفوعة محدودة من حيث الزمان والمكان ، ومنصهرة بإطار نظرات وأفق تفكير مَن يرفعها ، وهذا ما تفرضه الظروف الموضوعيّة المرتبطة بحدود إمكانات قادتها وأفق تصوراتهم ، فتأتي أغلب هذه النهضات والانتفاضات - فيما لو نجحت - قليلة التأثير ومحدودة الفاعليّة ، لاسيما إذا ما تقادم عهدها وامتدّ بها عمود الزمان ، فتظل حينئذٍ من ذكريات التاريخ وتراثه القيم التي لا تخلو من فائدة لمن أطلع عليها ودرس تاريخها .

لكنّ هذا التصوّر والانطباع السالف الذكر عن الثورات وحركات الرفض لا ينسحب أبداً على النهضة الحسينيّة المباركة التي قادها الإمام الحسين عليه السلام ، من حيث أهدافها ونتائجها ومعطياتها ، وخرجها عن قيود الزمان والمكان ، وهذا لا غرؤ به ؛ لأنّ قائد النهضة سامي المقام وعالي الهمّة كجده النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ، كما قال الشاعر :

الإصلاح الاجتماعي والديني ، والسياسي والأخلاقي والتربوي ، وغير ذلك .

ولسائل أن يسأل : لماذا حملت النهضة الحسينية كل هذه الأهداف ؟ ما الذي حصل في الأمة ؛ لكي يضطلع الإمام الحسين عليه السلام بهذه المهمة الجسيمة ويدفع هذا الثمن النفيس ؟

وفي معرض الإجابة عن التساؤل نقول : من وجهة نظر الشيعة الإمامية - وقد يُشاركهم غيرهم من المسلمين - إن مسيرة الأمة الإسلامية قد أُصيبت بخلل كبير وانحراف خطير بُعيد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، حينما وُضعت الأمور في غير مواضعها التي أرادها الله تعالى لها ، فُجِعَت مقادير الأمة ومصائر المسلمين في أيدي أناس أقل ما يُقال عنهم : إنهم غير مؤهلين لذلك . ثم أخذت الهوية تتسع والشرح يزداد حينما أصبح طلقاء هذه الأمة رُعاة المسلمين وأمراءهم في عهد الخليفة الثالث ^(٢) ، ولم تسنح الظروف لأمير المؤمنين عليه السلام - عندما آلت إليه الأمور - إصلاح ما فُسد ورثق ما فُتق ؛ لأن الأيدي الأثيمة اغتالته ليمضي شهيد الحق والعدل ، وتُمنى الأمة بأفدح خسارة في تاريخها ، ثم تعمق الجراح وتزداد مأساة الإسلام بتولي معاوية بن أبي سفيان السلطة وقيادة الأمة الإسلامية ، مع

له همم لا تنتهي لكبارها
وهمتها الصغرى أجل من الدهر

أهداف النهضة الحسينية ودوافعها —

إن المتتبع لفصول النهضة الحسينية ومواقفها ، وما بعثته من رسائل من بداية انطلاقها وتحركها من المدينة المنورة بعد موت معاوية ، ومروراً بمكة ، وانتهاءً بكر بلاء ، لا يسعه إلا أن يقرّ بأنّها نهضة شاملة ، ذات نظرة بعيدة وأفق واسع ، وأهداف متعددة الأبعاد والأغراض والغايات الاجتماعية ، والدينية ، والأخلاقية والسياسية ، حارت في معرفة كنهها أبواب المفكرين ، وعجزت عن الإحاطة بها عقول الأعميين .

ولعل أوضح شاهد على الالفة العريضة لأهداف النهضة الحسينية هو ما أطلقه الإمام الحسين عليه السلام في واحد من شعارات نهضته - حينما قال في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية - : (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) ^(١) ، فعنوان الإصلاح ينطبق على كل هذه الأبعاد والأشكال المتعددة لأهداف النهضة الحسينية ، فيشمل كل مظاهر

الأمة جمعاء ، نهضة تُراعي في أهدافها ورسالتها إصلاح كل أشكال هذا الانحراف ، وتكون بمستوى المسؤولية وحجم المهمة ؛ فلهذا كانت أهداف النهضة الحسينية بهذا الحجم الكبير والأبعاد المتعددة ، وبه يتضح جواب التساؤل المتقدم .

بقي أن نعرف الطريقة والأسلوب الذي سلكه الإمام الحسين عليه السلام للوصول إلى هدفه الإصلاحية ، وهو ما نشير إليه فيما يأتي .

أسلوب الإمام الحسين عليه السلام وطريقته في تحقيق الإصلاح

يمكن أن نُذكر عدّة آراء ونظريات تفسّر الطريقة والأسلوب الذي اتّبعه الإمام الحسين عليه السلام في حركته التغييرية ؛ للوصول إلى مبتغاه في الإصلاح العامّ الشامل ، إلا أننا سنقتصر على رأيين رئيسيين في مسألة الأسلوب والآلية والطريقة التي اتّخذها الإمام ، وهما أسلوب الاستيلاء على الحكم ، وأسلوب التضحية والاستشهاد :

الأسلوب الأول : الاستيلاء على السلطة وإقامة الحكم الإلهي

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى إنّ الإمام

أنّها محرّمة على آل أبي سفيان ، كما روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال : (ولقد سمعت جدّي يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان)^(٣) ، ولم يكن يتصوّر أحد من عامّة المسلمين في العقدين الأولين للإسلام أن تقع الخلافة في أيدي أبناء أبي سفيان ، ولكنّها سخرية القدر ، ووهن الأمة وضعف إرادتها .

وليت الأوضاع وقفت عند هذا الحدّ ، بل تعدّت إلى أن يصبح يزيد بن معاوية - الفاسق وشارب الخمر وقاتل النفس المحترمة - خليفة على المسلمين ، عندها دقّ ناقوس الخطر بشدّة ، وأصبحت جهود النبي صلى الله عليه وآله في مهبط الريح ؛ الأمر الذي حدا بالإمام الحسين عليه السلام أن يقول : (إنّ الله وإنّا إليه راجعون ، وعلى الإسلام السلام ؛ إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد)^(٤) ، ويقول : (ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ؛ ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً حقّاً ؛ فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة ، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً)^(٥) .

فهذه الحالة المتردّية التي وصل إليها وضع المجتمع الإسلامي على جميع الأصعدة - الاجتماعية والسياسية والدينية والأخلاقية - تحتاج بطبيعة الحال إلى نهضة إصلاحية متوازنة وحجم الفساد والإفساد الذي أصاب

قبل موته وجدت هناك موجة من الاستياء العام في أوساط المسلمين ، ورفض بعض زعماء المسلمين البيعة ، فرأى الإمام عليه السلام أن الأجواء مهياة لأخذ زمام المبادرة ، وهو من يمتلك كل المقومات المطلوبة في الحاكم الإسلامي ، فأعلن شعاره الأول الذي حمل دلالات واضحة على توجهاته (وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مُفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام ، فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، ومن رد عليّ هذا أصبر ، حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ، وهو خير الحاكمين)^(٨) .

وساعد على ذلك مكاتبة أهل الكوفة له ودعوتهم إياه إلى القدوم واستعدادهم للدفاع عنه ومبايعته بالخلافة ؛ فبعث إليهم مسلم بن عقيل لتقويم الأمور ، والتمهيد للدولة الجديدة التي عاصمتها الكوفة ، كما أنه كان بالإمكان أن يضمن ولاء المدينة المنورة ومكة ؛ فأخذ يدعو كل من لقيه إلى نصرته والالتحاق به ، بل بعث كتباً ورسائل إلى زعماء القبائل يدعوهم إلى الانضمام إليه في حربه ضد السلطة الظالمة ، ومن كتبه تلك ما أرسله إلى زعماء البصرة الذي

الحسين عليه السلام إنما سعى إلى تحقيق أهداف نهضته عن طريق استلام زمام الخلافة الإسلامية ، وإصلاح ما أفسده غيره ، وإعادة الأمة إلى رشدها ووضعها على جادة الصواب ، من خلال السيطرة على أجهزة الدولة ومفاصلها ، واستغلالها في سبيل أسلمة المجتمع بعد أن فقد هويته الإسلامية الحقيقية .

ولم يكن سعي الإمام عليه السلام للحصول على السلطة والحكم هدفاً وغاية شخصية ، بل كان وسيلة وطريقاً لتحقيق أهداف نهضته الكبرى^(٦) ، وهذا ديدنهم في التعامل مع قضية الحكم والقيادة ، وفي هذا الصدد يقول الإمام الحسين عليه السلام : (اللهم ، إنك تعلم أنه لم يكن ما كان ممّا تنافساً في سلطان ، ولا التماساً من فضول الحطام ، ولكن لنُري المعالم من دينك ، ونُظهر الإصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من عبادك ، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)^(٧) .

وبإمكاننا أن نقرب هذه الرؤية من خلال استعراض بعض المعطيات والشواهد التي تصب في صالح من يتبناها ، وهي أنه بعد أن نصّب معاوية ابنه يزيد - الذي لم يكن لائقاً بهذا المنصب ولو بالحد الأدنى - أميراً على المسلمين

جاء فيه : (إني أدعوكم إلى الله وإلى نبيّه ؛ فإنّ السنّة قد أمّيت ، فإنّ تُجيبوا دعوتي ، وتُطيعوا أمري أهدّكم سبيل الرشاد)^(٩) .

هذا ، وممّا يدعم هذا الرأي ما كتبه الإمام الحسين عليه السلام في رسالته الجوابية عن كتاب مسلم بن عقيل ، حين أخبره بأنّ الأمور في صالح أهل البيت عليهم السلام وأنّ أهل الكوفة قد اجتمعت كلمتهم على نصره الحسين وأهل بيته عليهم السلام ، فقال : (أمّا بعد : فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يُخبر فيه بحُسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا ، فسألته الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر)^(١٠) .

بل بناءً على بعض الأخبار أنّ الإمام عليه السلام قد مارس صلاحياته كحاكم سياسي فعلي ، حين صادر - وهو في الطريق - أموالاً بعثها إلى يزيد عامله على اليمن ، قال السيد ابن طاووس : (ثمّ سار حتى مرّ بالتنعيم ، فلقي هناك عيراً تحمل هديّةً قد بعث بها بحير بن ريسان الحميري عامل اليمن إلى يزيد بن معاوية ، فأخذ الهدية ؛ لأنّ حكم أمور المسلمين إليه)^(١١) .

وظل هذا الأمر نُصب عين الإمام عليه السلام حتى بعد أن انقلبت أوضاع الكوفة ، واستشهد مسلم

بن عقيل ، وتفرّق الناس الذين التحقوا به إلاّ ثلّة من خُصّ أصحابه ، فما زال يذكرّ الناس بأنّه أحقّ بالخلافة وأوّل من يزيد بن معاوية ، ويحثّهم على طاعته ، وذلك حين خطب بجيش الحرّ عندما التقى به في الطريق على مقربة من كربلاء ، فقال : (أيها الناس ، فإنّكم إن تتّفوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله عنكم ، ونحن أهل بيت محمد ، وأوّل بوّاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان)^(١٢) .

بل إنّه لم ييأس من دعوة أهل الكوفة - ممّن كتبوا له - إلى نصرته وترك جبهة الباطل ، فعندما وصل إلى كربلاء دعا بدواة وقرطاس ، فكتب إليهم كتاباً جاء فيه : (وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان ، وتولّوا عن طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وإني أحقّ بهذا الأمر ؛ لقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أتتني كتبكم ، وقدّمت عليّ رسلكم ببيعتمكم ، أنكم لا تسلموني ولا تخذلونني ، فإن وفيتم لي ببيعتمكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم)^(١٣) .

ويرى أصحاب هذا الرأي أنّ الإمام كان

للكوفة إلا بعد توثق من القوم وعهود وعقود ،
وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ،
ومبتدئين غير مجيبين . . . ورأى عليه السلام من
قوتهم على من كان يليهم في الحال من قبل
يزيد ، وتشحنهم عليه وضعفه عنهم ، ما قوى
في ظنه أن المسير هو الواجب ؛ تعين عليه ما
فعله من الاجتهاد والتسبب ، ولم يكن في
حسابه أن القوم يغدر بعضهم ، ويضعف أهل
الحق عن نصرته ، ويتفق بما اتفق من الأمور
الغريبة ... (١٥) .

وبغض النظر عما يُورد على هذا الرأي من
إشكالات ؛ فنحن لسنا بصدد محاكمة الآراء
بقدر ما نبتغي عرضاً لهاتين الرؤيتين فقط .

الأسلوب الثاني : طريق التضحية والاستشهاد

هناك من ينظر إلى القضية من نافذة
أخرى ، فيرى أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن
له بدٌّ في تحقيق أهدافه العظيمة إلا ركوب
الصعبة وسلوك طريق التضحية والاستشهاد ؛
لأن (الدنيا قد تعيرت وتنگرت ، وأدبر
معروفها . . . حتى لم يبق منها إلا صباية
كصباية الإناء ، وخسيس عيش كالكلاء
الويل) (١٦) ، فيزيد بن معاوية لا يمتلك ما عند

يرى بعلمه العادي أن هذا الشيء سوف
يتحقق ، فاندفع إلى ذلك ، كما كان النبي صلى الله عليه وآله
يرى أنه سوف ينتصر على الكفار في أحد ،
وكذلك الحال في خروج الإمام علي عليه السلام إلى
معركة صفين ، فالتصدي والتخطيط لاستلام
الحكم من قبل إمام ما ، لا يعني بالضرورة أن
ما حُطط له سوف يتحقق ؛ فالأئمة عليهم السلام لا
يخرجون عن الجانب البشري في عملهم
الاجتماعي والسياسي ، ولا يستخدمون
الوسائل الغيبية إلا في حالات خاصة (١٤) .

وقد نجد هذا الرأي في كلمات السيد
المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء ، فإنه ذكر عدّة
تساؤلات حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام ،
وتحركه من المدينة حتى كربلاء ، منها : أنه ما
المبرر لخروجه إلى الكوفة وهي بيد أعدائه ،
وهو يعلم صنيع أهل الكوفة بأبيه وأخيه ؟ ولماذا
لم يأخذ بنصيحة أصحابه بعدم الخروج ، وإلا
فسوف يُقتل ؟ ثم لماذا لم يرجع بعد علمه
بمقتل مسلم بن عقيل ؟ وغير ذلك من
التساؤلات . فيجيب عنها بقوله : (إن الإمام
متى غلب في ظنه يصل إلى حقه والقيام بما
فُوض إليه بضرب من الفعل ؛ وجب عليه ذلك ،
وإن كان فيه ضرب من المشقة يُتحمّل مثلها ،
تحمّلها ، وسيدنا أبو عبد الله عليه السلام لم يسر طالباً

أبيه من سياسة المراوغة والطرق الملتوية ، وإنما تغلب عليه الحماسة والغباء والغرور مع فقدانه الوازع الديني والأخلاقي ، فقرّر تصفية خصومه ومعارضيه جسدياً ، فكتب إلى عامله على المدينة : (فإذا أتاك كتابي هذا فعجّل عليّ بجوابه ، وبين لي في كتابك كلّ من في طاعتي ، أو خرج عنها ، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي)^(١٧) ، كما كان لا يتوانى في ارتكاب الفظائع والجرائم ، وانتهاك الحرمات والمقدّسات إذا ما حال ذلك دون تربّعه على سدة الحكم ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فإنّ المجتمع الإسلامي قد جفّت فيه القيم الإسلامية الأصيلة ، وتغيّرت فيه المفاهيم ، فأضحى المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والشريف مبعداً مهمّشاً ، والدني مقرباً محترماً ، كما وصف ذلك الإمام الحسين (عليه السلام) (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ؛ ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقاً حقاً)^(١٨) ، وفي قوله (عليه السلام) : (فإنّ السنّة قد أميتت)^(١٩) .

فخطط الإمام (عليه السلام) - ومن ورائه السماء - أن يقوم بعملية التغيير الشامل بتقديم نفسه وأهل بيته وأصحابه قرايين على مذبج الإصلاح ، وحمله عياله وثقله ليلاقوا أهوال السبي ويقاسوا

أنواع المصائب ؛ ذلك ليحدث هزة عنيفة تصعق وجدان الأمة ، وصرخة مدوية تصكّ أذانها ؛ لترجع عن غيها وتستفيق من غفلتها ، وتلتفت إلى ما وصل إليه حالها .

ولعلّ هذا ما كان يلمح إليه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرؤيا التي رآها الإمام الحسين (عليه السلام) عندما زار قبر جده ، قال (عليه السلام) : (يا بني ، يا حسين ، كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي ، وأنت في ذلك عطشان لا تُسقى ، وظمآن لا تُروى ، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي ، ما لهم ؟ ! لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيام ! فما لهم عند الله من خلاق)^(٢٠) .

ثمّ جاءت بياناته (عليه السلام) من بدايات تحرّكه تُشير إلى تصميم على الشهادة ، وبالكيفية التي أرادها وخطّط لها ، ولعلّ أوضح تصريح له بتلك الكيفية عند قوله (عليه السلام) لأُمّ سلمة حين همّ بالخروج من المدينة : (يا أمّاه ، قد شاء الله عزّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً ، وقد شاء أن يرى حرّمي ورهطي ونسائي مشرّدين ، وأطفالي مذبوحين مظلومين ، مأسورين مقيدّين ، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرأ ولا معيناً)^(٢١) .

وهكذا حين أراد الخروج من مكة إلى

ثم بعد كل هذه التضحيات الجسيمة التي بذلها الإمام عليه السلام في سبيل نهضته ، ووقوع هذه المأساة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في شناعتها وبشاعتها ، لنا ولغيرنا أن يتساءل عن التأثير الذي أحدثته عاشوراء في واقع الأمة ومستقبلها .

فهل تمكّنت النهضة الحسينية أن توظف الأمة من غفلتها ، وتبعث الحياة في إرادتها ، بعدما أصابها الوهن والضعف ؟ وهل استطاعت أيضاً أن تُعيد لها بعض مبادئها وقيمها المفقودة ؟ أو أنّ القضية على النقيض من ذلك ؛ فإن الأمة بخذلانها الإمام الحسين عليه السلام وموقفها السلبى والمشين تجاه ثورته ألبسها الله تعالى ثوب الذل والهوان ، وأُصيبت بانتكاسة كبيرة على الأصدعة كافة .

هاتان قراءتان ورؤيتان نحاول عرضهما للقارئ الكريم ، لمعرفة صحّة كلّ منهما وواقعيته .

الرؤية الأولى : انتكاسة الأمة بعد واقعة كربلاء

من سنن الله الجارية في خلقه أن يكون الإصلاح والتغيير والسير نحو الكمال نابغاً من المجتمع البشري نفسه ، ولا يتدخل الله سبحانه

العراق أكد هذا المعنى في كتاب أرسله إلى محمد بن الحنفية وسائر بني هاشم (أما بعد ، فإنّ من لحق بي استشهد ، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح)^(٢٢) . وتوجد شواهد أخرى كثيرة تعضد هذا المعنى .

من هنا ؛ نرى أنّ الذين نصحوا الإمام بعدم الخروج أو الذين اقترحوا عليه أموراً معينة ، لم يفهموا مغزى قرارات الإمام عليه السلام وتصرفاته ، كالتوجّه بكلّ إباء وشجاعة إلى الكوفة التي عُرفت بعدم الوفاء ، وبهذا العدد القليل من الأنصار والأصحاب لملاقاة جيوش بني أمية ، وكذلك حمل الأطفال والنساء ؛ لأنّ أولئك الناصحين والمشفقين أنى لهم معرفة هذا التخطيط الإلهي ، وهذه النظرة الإلهية الواسعة الأفق ، التي لا تصدر إلا من إمام معصوم ، وقائد مرتبط بالسماء .

ونحن سواء قلنا : إنّ الحسين عليه السلام ارتأى أن يُحقّق أهدافه بواسطة استلامه الحكم والسلطة ، أم أنّه اختار سبيل التضحية والشهادة ، فإنّ الإمام عليه السلام لا شك في أنّه سعى لوضع الإصلاح موضع التطبيق ؛ عملاً بتكليفه الإلهي ووظيفته الشرعية ؛ كونه إمام هذه الأمة ، وقائدها الشرعي المسؤول عن مصيرها ودينها ومقدراتها .

وعلى جميع مستوياته السياسية والاجتماعية والدينية والأخلاقية - تثبت بأن المسلمين عاشوا حالة من التراجع والانحدار والابتعاد عن التعاليم الإسلامية .

فعلى المستوى السياسي ، فإنه بعد أحداث كربلاء كانت الدولة الإسلامية مفككة وموزعة بين الأمويين في الشام وبعض المناطق ، والزيبريين المسيطرين على الحجاز والعراق ، بالإضافة إلى الخوارج في بعض مناطق الجزيرة ، ونشبت بين هذه الأطراف نزاعات وحروب انتهت بسيطرة الأمويين وبسط نفوذهم على معظم المناطق في عهد عبد الملك بن مروان^(٢٤) ، ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً ، حتى حدثت الصراعات العائلية على تولي مقاليد الحكم ما أضعف الدولة ، وكذلك ظهور الحركات النضالية والجهادية بين الحين والآخر ؛ ما عجل بسقوط الدولة الأموية على يد العباسيين الذين استغلوا شعار الرضا من آل محمد للتوصل إلى الحكم عبر استقطاب الجماهير الناقمة على الأمويين وضمائمهم ، ولكنهم ما أن تمكنوا من السيطرة على الحكم حتى تنكروا لذلك الشعار ، ولكنهم وإن بدوا أقوى في بداية حكمهم الذي استمر أقل من قرن من الزمن ، ولكنّه في تلك المدّة كان

تكويناً في حصول هذا التغيير والإصلاح إلا في حالات خاصة جداً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(٢٣) ، فكثير من الأمم عانت من الظلم والاضطهاد والانحراف بسبب رضوخها للظلم والطغيان ، وخذلانها للمصلحين وقادة التغيير ، والأمة الإسلامية ليست بدعاً من الأمم ؛ فإنها قد اتخذت سلسلة من المواقف المتراجعة ، كان أولها إحجامها عن نصرته الخليفة الشرعي بعد رسول الله ﷺ ، وعدم وضعه في المكان الذي أراده الله له ؛ ما جرّ عليها الولايات والمصائب ، حتى جاء موقفها المتخاذل تجاه النهضة الحسينية ، فتركت الحسين عليه السلام وحيداً بين أعدائه ، وهو من لبى نداءها حين استصرخته ولهة متحيّرة ، فمُنيت بالذلّة والمسكنة والانتكاسة على المستويات كافة ، ويمكن أن يُستدلّ على حصول التراجع والنكول للأمة الإسلامية بعد واقعة كربلاء بالواقع التاريخي ، وبعض نصوص النهضة الحسينية :

الواقع التاريخي للأمة الإسلامية بعد

عاشوراء

إنّ نظرة إجمالية سريعة وخاطفة للواقع التاريخي للأمة الإسلامية بعد حادثة عاشوراء -

المسلمين لا يختلف عن وضعهم السياسي ، فقد عاش المسلمون بعد واقعة عاشوراء ظروفاً اجتماعية سيئة تمثلت بانتشار الفقر والفساد ، وفقدان الأمن والاستقرار ؛ بسبب الصراعات السياسية ، مضافاً إلى تفشي القمع والقهر والاستبداد من قِبَل حكام الجور وولاة الظلم ، كالحجاج وغيره من ولاة وحكام بني أمية وبني العباس ، فقتل عدداً من الخيبرين والشرفاء ، وزجَّ بعدد آخر منهم في السجون والمعتقلات ، فيما شرَّد بعضاً آخر ، والتاريخ مليء من هذه الشواهد ، كما ساعدت هذه الأوضاع على بروز ظواهر اجتماعية غريبة على المجتمع الإسلامي ، كالتمييز على أساس العرق والقومية ، كما حصل في الدولة الأموية التي ميّزت بين العرب والموالي ؛ ممّا يعني أنّ المسلمين كانوا يعيدون عن تعاليم دينهم ووصايا نبيهم في هذا الجانب .

ولعل أفدح ما أصاب هذه الأمة هو أنّها حرمت نفسها من النبع الصافي للشريعة الإسلامية ، وهم أهل البيت عليهم السلام ، الثقل الثاني مع القرآن الكريم ، اللذين جعلاً أماناً من الضلال متى تمسك بهما مجتمعين ، فراحوا يرتشفون علومهم في الفقه والعقيدة وغير ذلك من كل من هبّ ودبّ ، فلم يزددهم ذلك إلاّ تيهاً

هناك الأمويون في الأندلس ، والأدارسة والخوارج في شمال إفريقيا ، ومع هذا ، فإنّهم سرعان ما أُصيبت دولتهم بالأدواء ذاتها التي أُصيبت به الدولة الأموية ، من الصراعات الداخلية على الحكم والسلطة ، والانشغال بجمع الثروات ؛ فدبّ الضعف بأوصال الدولة العباسية واقتطعت منها أجزاء واسعة وكثيرة ، تعاقبت على حكمها دول عديدة قامت على أسس مذهبية أو قومية ، وكثيراً ما تحدث الصراعات بين هذه الدول ؛ فتخبوا دول وتظهر أخرى ، حتى وصل الأمر أن فقد الخليفة العباسي كلّ صلاحياته في الحكم مدّة طويلة من الزمن ، وأصبح مجرّد اسم ^(٢٥) .

ونتيجة ما كان يُعانيه المسلمون ، من تفكك دويلاتهم ، وتشتت قواهم وتناحرهم ؛ استطاع المغول اجتياح البلاد وإسقاط الحكومة العباسية ؛ وبعدها ظلّ الواقع السياسي للمسلمين في انحطاط وتدهور ، حتى وقع المسلمون فريسة للاستعمار الغربي الذي احتلّ البلاد الإسلامية ، ونهب ثرواتها واستعبد شعوبها ، وأورثها الدمار والخراب ، فأبى ذلّ أكبر من هذا الذي عاشته الأمة الإسلامية في واقعها السياسي .

وأما على المستوى الاجتماعي ، فإنّ حال

إنّ ما تقدّم هو لمحة بسيطة على واقع الأمة الإسلامية بعد عاشوراء ، تبين من خلالها أنّ الأمة فقدت هويتها ودينها ، وأصبحت أمة مفكّكة ضعيفة الإرادة واهية العزيمة ؛ ما مثل انتكاسةً وتراجعاً خطيراً بسبب خذلانها لقادتها الشرعيين ، وتركها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والباطل .

شواهد نصّية على حصول انتكاسة الأمة بعد عاشوراء

في طبّات مواقف الإمام الحسين عليه السلام وبياناته وخطبه ، بإمكان المتابع أن يرصد بعض عباراته التي تدلّ على أنّ الإمام كان يستشرف مستقبل الأمة ، وما يؤول إليه مستقبلها ، من الوقوع في الذلّ والخوف والهوان ، فيما إذا خانت أمانتها وقصّرت في أداء واجبها ، ولم تنصر الحقّ ليس فقط بعدم الوقوف إلى جانب أهله ، بل بنصرة أهل الباطل وتقديم الدعم والعون لهم ، بقتال أهل الحقّ ومناجرتهم وقتلهم ، ففي إحدى المواقف التي يُسجّلها لنا التاريخ حين يصل إلى منطقة في طريقه إلى الكوفة ، يلتقي به رجل من أهل الكوفة يكتنّى أبا هرم ، فيسأله عن السبب الذي أخرجه من المدينة ، فيبادره الإمام بجواب فيه نوع من الشدّة : (ويحك ! يا أبا هرم ! شتموا عرضي

وضلالاً ؛ فبرزت ظاهرة علماء البلاط الذين شرعنوا للحكّام ما يقومون به من ظلم وجور ؛ فكان أن وُلدت أفكار طبقات لتوجّهات الأنظمة المتسلطة وأمزجة حكّامها ؛ فتكوّنت في الواقع الديني للمسلمين مدارس فقهية وعقدية ، اندرس بعضها وظلّ بعضها الآخر حيّاً إلى يومنا هذا .

وإلى جانب ذلك ابتليت الأمة أيضاً بمدارس منحرفة إلى درجة أنّها لا تمتّ إلى الإسلام بصلة ، كحركة الزنادقة والدهريين وغيرهم .

إنّ معظم الحكّام والولاة الذين تولّوا أمور المسلمين كانوا بعيدين جداً عن الشريعة الإسلامية وأحكامها ، فقد كانت قصورهم وبيوتهم تعجّ بمظاهر الفساد الأخلاقي والانحلال الديني ، كمعاقرة الخمر ، وممارسة الفجور ، والضرب بالطنبور ، والرقص والغناء واللهو ؛ فانعكس ذلك بطبيعة الحال على المجتمع الإسلامي الذي تفشّت فيه هذه الظواهر ؛ لأنّ الناس على دين ملوكهم كما يقال ، والشاهد على ذلك : تجد أنّ كثيراً من البلاد التي فُتحت في زمن هؤلاء الطواغيت سرعان ما تعود إلى دياتتها وشركها حين تسنح الفرصة لها ، عندما تضعف سيطرة الدولة على المناطق .

قتلها الحسين عليه السلام سيترككم بمصيرها ومقدراتها أراذلها ؛ حتى يوردوها في مهاوي الردى والهلكة ، ويظل أهل العقل والرأي مقهورين مقموعين ، كما حصل مع قوم سبأ ، بل هم أضل ؛ لأن تلك المرأة كانت تمتلك راحة في عقلها دل عليه تصرفها مع طلب النبي سليمان عليه السلام .

ولكن تبقى المرأة بشكل عام لا تمتلك مقومات القيادة التي تحتاج إلى حزم وقوة وصبر وثبات في المواقف الصعبة والحرجة ، وبما أن المرأة لا تتمتع بهذه الأمور بحكم طبيعة تكوينها ؛ فيصبح تبؤؤ المرأة لمنصب الحكم والقيادة بدل الرجال علامة على ذل وهوان هؤلاء الرجال .

وفي نص آخر يعطينا الإمام صورة تبيّن لنا مدى ما يصل إليه القوم من الامتهان والذل ، عندما يقدمون على قتله وانتهاك حرمة الله ، فيصفهم بأنهم سيكونون أذل من الخرقه التي تضعها المرأة في فرجها أيام حيضها ، وهو ما رواه الطبري وابن عساكر ، عن الإمام الحسين عليه السلام ، قال : (والله ، لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي ، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة)^(٢٨) ، وذكرها في الكامل في

فصبرت ، وطلبوا مالي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت) ، ثم يبيّن له ما سيلاقه من القتل على أيدي هؤلاء ، وما سيحلّ بهم نتيجة ذلك (وإيّم الله ، ليقتلني ، ثم ليُسلطنهم الله ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وليُسلطن عليهم من يذلهم)^(٢٦) .

ويظهر من كلام الإمام - حين وصف الذلّ الذي سيحلّ بهم بأنه شامل - أنهم سيتجزعون مرارة الذلّ على أكثر من صعيد ، سوى ما يعانونه من القتل والتنكيل على أيدي حكام الجور والظلم ، وهذا ما حصل فعلاً وشهده تاريخ المسلمين ، ولا نظنّ أنّ القضية مختصة بمنّ باسروا قتل الإمام عليه السلام ، وإثما يشمل كلّ من علم بثورته ونهضته ولم ينصره خوفاً أو طمعاً ، وكلّ من رضي بذلك ممّن عاصر نهضته أو من الأجيال اللاحقة .

وفي قصة مشابهة لهذه القصة ، يلتقي به رجل يكنى أبا هزة ، ويسأله السؤال ذاته المتقدم ، ويُجيبه الإمام عليه السلام بالجواب نفسه ، ولعلّ القصتين قصة واحدة وحصل تصحيف في الاسم ، ولكن الإمام عليه السلام بعد قوله : (وليُسلطن عليهم من يذلهم) ، يضيف : (حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ ؛ إذ ملكتهم امرأة منهم ، فحكمت في أموالهم وفي دمائهم)^(٢٧) ، وهو ما يرمي إلى أنّ الأمة بعد

الرؤية الثانية : نهضة الحسين وإيقاظ الأمة

في قبال ما تقدّم من قراءةٍ حول مصير الأمة بعد أحداث عاشوراء هناك انطباع مغاير وقراءة تختلف في نظرتها للمجتمع الإسلامي عن القراءة الأولى ، وهي وإن تقبل في حدود معينة أنّ الأمة وقعت في كثير من الكبوات في مسيرتها ، وعاشت في فترات من الركود أو التراجع ، إلا أنّها في الوقت عينه تعتقد بأنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام وأحداث عاشوراء المؤلمة ساعدت الأمة على الاحتفاظ بالعديد من عناصر قوتها وحيويتها ، وجعلتها أمة تنبض فيها روح الرفض والثورة ، ومنحتها الحصانة ضد التيارات والأهواء التي تعمل على انسلاخ الأمة عن دينها وهويتها ؛ وذلك من خلال ما أفرزته عاشوراء من نتائج ومعطيات عديدة .

نتائج ومعطيات النهضة الحسينية – أولاً : نزع غطاء الشرعية عن سلطة بني أمية وبيان أحقية أهل البيت عليهم السلام

إنّ معاوية بن أبي سفيان رغم كلّ سلوكياته وأفعاله المجانبة للحقّ وتعاليم الدين الإسلامي ، لكنّه عمل جاهداً على الحفاظ على صورته أمام المسلمين وتقديم نفسه على أنّه

التاريخ بلفظ : (حتى يكونوا أدلّ من فرام المرأة) ، ثمّ قال : (والفرام خرقة تجعلها المرأة في قبلها إذا حاضت) (٢٩) .

وهذه النصوص لا تحتاج إلى تعليق لبيان دلالتها على ما يُصيب هؤلاء من ذلّ وانحطاط ، جزاء ما عملت أيديهم من انتهاك حرّامات الله بخذلان الحسين عليه السلام ، ثمّ قتله هو وأهل بيته وأصحابه ، وسبي ذراريهم ، وانتهاج قتلهم .

نعم ، وإن قيل : إنّ هذه النصوص ربما تختصّ بالذين باشروا هذه الأعمال ، لكن يمكن أن تعمّ كلّ من هم على شاكلتهم في ذلك الوقت ، من أعوان الظلمة وسلاطين الجور ، وممن سيأتي بعدهم على مرّ الدهور ، وهم كثر طالما تظاهروا على أهل الحقّ من الأئمة والمصلحين والثائرين ، ومارسوا ضدّهم كلّ أشكال الاضطهاد والاستبداد .

وبهذا البيان الذي تقدّم ، ومن خلال ما عرضناه سريعاً من وقائع تاريخية وشواهد نصّية تشهد بمجموعها على صحّة الرؤية ، التي تذهب إلى أنّ الأمة انتكست بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأصابها الوهن والضعف في مجمل تاريخها ، إلاّ من بعض الفترات المضيئة هنا وهناك .

أُمُور المسلمين ، وليس كل من يستولي على الحكم - ولو بالقهر والغلبة - على الأمة أن تطيعه ، وذكر هذه الشروط حين ردّ على كُتُب أهل الكوفة التي وصلته وهو في مكة ، فقال عليه السلام : (فلعمري ، ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، والأخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله) (٣٢) .

وهذه المواصفات أبعد ما تكون عن يزيد وأترابه من بني أمية ، ولا تنطبق إلا على الحسين وأهل البيت عليهم السلام ، فالإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة تبت أركان هذا الأصل الذي جاء به الإسلام وبلغه النبي صلى الله عليه وآله بعد أن كاد بنو أمية أن يطمسوه ويغيروا معالمه بتأسيس ضوابط جديدة للحاكم الإسلامي ، بعيدة عن روح الإسلام ورسالته الحقّة .

وقد أتت النهضة الحسينيّة أكلها في مسألة إسقاط الشرعيّة عن بني أمية ، بعد برهة وجيزة من الزمن حين هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين للهجرة ، وكان قد استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، فقام معاوية هذا خطيباً في الناس مبيّناً عدم شرعيّة خلافة بني أمية ، وأنهم مغتصبون لها من أصحابها الشرعيين ، فقد روى اليعقوبي في تاريخه أنّ معاوية بن يزيد قال في خطبته : (ألا وإنّ جدي معاوية بن أبي

صحابي وكتب للوحي وعامل للخليفة الثاني والثالث على بلاد الشام ، والمُطالب بدم الخليفة عثمان ، وغيرها من الأمور التي انطلت على قطاعات واسعة من بسطاء الأمة ، لكنّه عندما نصّب ابنه يزيد خليفة على المسلمين كان لا بدّ من الوقوف بوجه هذه الخطوة ونزع الغطاء الشرعي عن يزيد وحكومته ، وتقديم البديل الشرعي عنه وهم أهل البيت عليهم السلام ، وهذا ما قاله الحسين عليه السلام للوليد بن عتبة والي المدينة عندما طلب منه البيعة : (أيها الأمير ، إنّ أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله ، وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر ، قاتل النفس المحرّمة ، ملعن بالفسق ، ومثلي لا يُباع مثله) (٣٠) .

هذا وقد أشرنا في بداية المقال إلى ما رُوي عن الإمام عليه السلام من أنّه قال : (ولقد سمعت جدي يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان) (٣١) ؛ فهم طلقاء هذه الأمة ، الذين لم يترسّخ الإيمان في قلوبهم ، وما أسلموا إلا حين رأوا جحافل المسلمين تدخل فاتحةً مكة ومطهرةً لها من بقايا الشرك والأوثان .

وبين الإمام عليه السلام في مناسبة أخرى شروط الحاكم الشرعيّة التي يجب توفرها فيمن يتولّى

وسائر إخوته وأهل بيته كباراً وصغاراً ، وأصحابه ، تطوهم الخيل بحوافرها ، ونساءه يفررن من مكان إلى مكان ، وقد أحرقت الخيام ، وسُلبت النساء ، وأُخذن سبايا من بلد إلى بلد ، مع رؤوس ذويهن هدايا إلى طغاة بني أمية .

إنَّ أبلغ الكلمات وأفصح العبارات ، وأرجح العقول والأفكار لتقف عاجزة عن وصف جانب من جوانب هذه المأساة ، التي لم يأتِ بمثلها التاريخ .

لعلَّ من أهمِّ الوسائل التي أراد الله سبحانه أن يستخدمها في إحداث الإصلاح الشامل هو جانب المأساة في واقعة عاشوراء ، والمظلوم المحقِّ يكسب تعاطف جميع أفراد المجتمع على اختلاف ميولهم ، واتجاهاتهم ، وأعمارهم ، وثقافتهم ، فكيف إذا كانت المظلومية بهذه الصورة التي يعجز عنها الوصف !

فالمأساة لغة تفهمها كلُّ شرائح المجتمع وطبقاته ، وهي تلامس شغاف قلوبهم ، وتخطب وجدانهم وأحاسيسهم ، فتحدث طاقة كامنة تحركهم للاصطفاف إلى جانب مَنْ حصلت له المأساة ، ونصرته والتأثر بأفكاره وأطروحاته ؛ ولذا فقد رأينا بمجرد إسدال الستار على فصول مأساة كربلاء ، حتى انفجر بركان

سفيان نازع الأمر مَنْ كان أولى به منه في القرابة برسول الله ، وأحقَّ في الإسلام ، سابق المسلمين ، وأول المؤمنين ، وابن عمِّ رسول ربِّ العالمين ، وأبا بقية خاتم المرسلين (٣٣) ، ولم يبقَ في الحكم إلا ثلاثة أشهر أو أربعين يوماً - على اختلاف الأقوال (٣٤) - ثم توفي في ظروف غامضة ، وعصفت الاختلافات في الدولة الأموية ، وعاشت فراغاً سياسياً كاد أن يطيح بها لولا تولي مروان بن الحكم مقاليد السلطة في اللحظات الأخيرة .

وقد ظلت الدولة - رغم سيطرتها على الناس بالحديد والنار ، واستمالتها لبعضهم بالمناصب أو الأموال - تقتفر للغطاء الشرعي في حكمها للمسلمين ؛ ما حدا بالدعوة العباسية أن تنجح في رفعها شعار الأحقية بالحكم من بني أمية لقربهم من رسول الله ﷺ ، في إسقاط الدولة الأموية وتأسيس الدولة العباسية على أنقاضها .

ثانياً : دور المظلومية والمأساة في استنهاض الأمة

ما إن أفلت شمس العاشر من المحرم سنة ستين للهجرة حتى استفاقت الأمة على هول المصيبة التي وقعت ، وهي ترى آخر سبط للنبي ﷺ مذبوحاً قد فصل رأسه عن جسده ،

على الجانب المأساوي في حادثة عاشوراء ،
بالإشارة إلى بعض مشاهدتها المؤلمة ، فعن
الإمام الرضا عليه السلام : (إِنَّ المحرّم شهر كان أهل
الجاهلية يحرمون فيه القتال ، فاستحلّت فيه
دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسُبي فيه ذرارينا
ونسأؤنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ،
وأنتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم تُرعَ لرسول
الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا) (٣٧) .

ويؤكّدون كذلك على أنّ مصيبة
الحسين عليه السلام أعظم وأشدّ من المصائب التي
مرّت على أهل البيت عليهم السلام (٣٨) ، وأنّ يوم
الحسين أقرح جفونهم ، وأسبل دموعهم ،
وأذلّ عزيزهم ، بأرض كرب وبلاء ، أورثتهم
الكرب والبلاء ، إلى يوم الانقضاء (٣٩) . وكان
يبدو عليهم الحزن الشديد والأسى ، وتعلو
وجوههم الكأبة في مواسم عاشوراء وذكرى
استشهاد الإمام الحسين عليه السلام . ويحثّون
أصحابهم وشيعتهم أيضاً على إظهار الحزن
والتفجّع على مصائب أبي عبد الله ، والبكاء
حزناً على ما جرى عليه من مصائب وويلات ،
وبيّنوا عظيم الثواب وجزيل الأجر على تلك
الأعمال ، وأمروا بإقامة المآتم والمجالس
الحسينيّة التي تُذكر فيها - إلى جانب الوعظ
والإرشاد - مصائب أبي عبد الله الحسين وأهل

النهضة الحسينيّة في وجه أعدائها ، فالتهمّ
واحدًا بعد الآخر ، بعد انتشار موجة الرفض
وتصاعد وتيرة الكراهية لكلّ ما يمتّ إلى بني
أميّة ودولتهم بصلة ، فلم تدم حكومة يزيد أكثر
من أربع سنوات ، وهلك وهو لا يسيطر إلّا على
أجزاء قليلة من المناطق الإسلاميّة ، التي
استأثرت بها الدولة الزبيرية الممتدة من الحجاز
إلى العراق وأجزاء من الشام .

وهكذا ظلت شعلة النهضة الحسينيّة
متقدّة ، تستمدّ وقودها ممّا أورثته مأساة كربلاء
ومظلوميّتهم من حرارة قلوب المؤمنين ، وهو ما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : (إنّ لقتل
الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد
أبدأ) (٤٥) ، وما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام :
(أنا قتيل العبرة ، لا يذكّرني مؤمن إلّا
استعبر) (٣٦) .

أثر أهل البيت في تجذير المأساة في أعماق الأمة

سعى أهل البيت عليهم السلام على إبقاء ذكرى
الحسين عليه السلام ومأساة كربلاء حيّة في قلوب
المؤمنين ، وفي كل زمان ومكان لإدامة زخم
الثورة الحسينيّة ؛ لتحقيق هدفها في الإصلاح
والتغيير ، فجاء في كثير من رواياتهم التأكيد

الأمة أحسّت بأنها ارتكبت خطأً جسيماً وذنباً لا يُغتنر بترك الحسين عليه السلام وحيداً في مواجهة أعدائه من دون أن تُقدّم له العون والنصرة ومقاتلة خصومه وظالميه .

إنّ الشعور بالذنب وتأنيب الضمير جعل فئة كبيرة من المسلمين تقدم على أفعال أرادت بها أن تخفف عنها الإحساس بهذا الشعور ، ولعلّها تكفّر بذلك عمّا أقدمت عليه ، وأوضح مثال لهذه الجماعة هم التوابون الذين ظهروا في الكوفة ، وصمموا على الثورة ضد الأمويين ، عندما تهيأت الظروف ، يقودهم إحساسهم بالذنب والندم على ما فرّطوا في جنب الإمام الحسين عليه السلام ، قال ابن الأثير : (لَمَّا قُتِلَ الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقته الشيعة بالتلاوم والمنادمة ، ورأت أن قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم نصرته وإجابته ، حتى قُتِلَ إلى جانبهم ، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلاّ قتل مَنْ قتله والقتل فيهم)^(٤٠) .

ونظراً إلى أنّ حركتهم نابعة من شعورهم بالخطيئة والذنب ، ولكي ينصحوا في توبتهم ، رفضوا عرضاً من عبد الله بن يزيد الأنصاري عامل ابن الزبير على الكوفة ، يقضي بإمدادهم

بيته وأصحابه ، ووحشية ظالمهم ؛ كي تبقى مصيبة الحسين عليه السلام غصةً طريةً متجددة تُحرّك في الأمة مشاعر الاستنكار لكل أشكال الظلم والاستبدال والجور على طول التاريخ تأسياً بالإمام الحسين عليه السلام .

وفعلاً كانت مواسم عاشوراء تمثل مصدر قلق وصداع للأنظمة المستبدّة في جميع الأزمنة ؛ لأنّهم يخشون من حصول بيئة مناسبة لحدوث الانتفاضات والثورات على أنظمتهم ، فنراهم يعملون على منعها بكلّ الأشكال والصور ، وهذا ما حصل أيام النظام البعثي المستبدّ الذي حكم العراق ، فحارب الشعائر الحسينية وحاول منع زيارة الحسين عليه السلام ، ومارس الظلم والقهر في حقّ الموالين والمحبيّين لأهل البيت عليهم السلام .

ثالثاً : هاجس الشعور بالذنب وتأنيب الضمير

ومن المعطيات المهمّة التي أفرزتها واقعة عاشوراء ، وكان لها أثر مهم في إيقاظ الأمة واستنهاضها هو ما حصل من شعور كبير بالتنقصير والندم لدى شرائح واسعة من الأمة الإسلامية ، لا من جهة واقع عاشوراء المأسوي وما حصل من مصائب وآلام ، لكن من جهة أنّ

رابعاً : حادثة عاشوراء أعادت تثمين المبادئ الدينيّة

إنّ الإنسان بحكم ما في تركيبته من جانب مادي وأرضي قد يركن إلى حبّ السلامة والدعة ، والتعلّق بما في هذه الحياة الدنيا ، من جاه وسلطة ومال وبنين وملذات أخرى ، فإذا ما وُضِعَ الإنسان المسلم يوماً على المحكّ ، وصار عليه أن يختار إمّا حياته الدنيا بما فيها من مزايا ، وإمّا دينه وآخرته ، وهذا هو الامتحان الصعب الذي لم يجتزه كثير من المسلمين ، كما يشهد بذلك تاريخنا الإسلامي وواقعا المعاصر ، لكن الذي نعتقده أنّ الشيء الأساس الذي يؤدّي بالإنسان المسلم إلى الفشل في مثل هذا الاختبار ليست الجنبه الماديّة والتعلّق بالدنيا ، وإنّما هو غياب الوعي والإدراك الحقيقي لقيمة العقيدة والدين وجعلهما في مرتبة دانية في سلّم أولوياته وحساباته .

إنّ غياب هذا الإدراك والفهم الصحيح لمكانة الدين في حياة الإنسان - الفرد المسلم - تساهم فيه عوامل عديدة ، من أهمّها ترك المنبع الصافي للدين وتعاليمه والأخذ من مصادر شتى ، فتأتي الصورة مشوهة غير واضحة المعالم ، وهو ما كان عليه الأمر حين أقصي أهل البيت عليه السلام عن الساحة الإسلامية ،

بقوّة عسكرية ، فخرجوا حتى وصلوا إلى قبر الحسين عليه السلام ، فبكوا وتابوا على خذلانهم ، ثمّ قرروا المسير إلى الشام لمقاتلة بني أمية^(٤١) .

ثمّ تطوّرت فكرة الإحساس بالذنب والندم إلى فكرة الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام والأخذ بثأره ، فبدأت حركات وثورات تقوم على مبدأ الثأر ، كالحركة التي قادها المختار الثقفي في الكوفة ، التي استطاع من خلالها تصفية رموز وقادة الجيش الأموي الخارج لحرب الحسين عليه السلام وفي مقدّماتهم عبيد الله بن زياد .

نعم ، يمكن القول : بأنّ هذا العنصر الذي أفرزته النهضة الحسينيّة وساهم في خلق ردّة فعل لدى الأمّة على الفساد والانحراف - وإن كانت له فاعليّة - إلاّ أنّه كان محدود الزمان والمكان .

نعم بالإمكان القول : بأنّ شعاريا لثارات الحسين ظلّت ترفعه العديد من الحركات والثورات في الإسلام ، وإلى يومنا هذا ؛ لأنّ الحسين عليه السلام أصبح يمثّل ثورة ضدّ كلّ مظاهر الانحراف والفساد والظلم ، مضافاً إلى الثورات والحركات التي قامت على أسس الإحساس بالندم والخطيئة ، كل ذلك مثل علامة فارقة في التاريخ الجهادي والنضالي ، وأمسى مصدر إلهام للعديد من الثورات وحركات الرفض ، وأنموذجاً قابلاً للاحتذاء والتطبيق في كلّ عهد وزمان .

وقدّم غيرهم على أنّهم مرجعيات دينية للأمة الإسلامية .

ومن العوامل الأخرى هو سعي الحكام والظلمة على ترسيخ حبّ الدنيا وإضعاف الوازع الديني عند المسلمين ، وإبعادهم عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ كي يكونوا في مأمن من غضب الجماهير وثورتها على تصرفاتهم وممارساتهم البعيدة عن الإسلام .

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى الواقع الذي وصلت إليه الأمة في علاقتها الضعيفة بدينها ، والتي لم تكن مستعدة أن تضحي بوسائل عيشها وأسباب رزقها إذا ما هُددت في دينها وعقيدها ، وتعرضت للبلاء والامتحان ، فقال عليه السلام : (إنَّ الناس عبيد الدنيا ، والدين ليعقُّ على ألسنتهم يحوطونه ما دزت معائشهم ، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الديانون)^(٤٢) ، وهو المضمون نفسه الذي ذكره القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^(٤٣) .

فجاءت النهضة الحسينية لتعطي القيمة الحقيقية للعقيدة والدين ، وتثمن المبادئ الإسلامية بشكل عملي وتجسيد حي ،

فأوضحت من خلال أحداث كربلاء وما قدّم فيها من تضحيات وعطاءات أنّ كلّ ما يمتلكه الإنسان المسلم لا يساوي شيئاً إذا ما قيس إلى دينه وعقيدته ، فإذا خسر الإنسان دينه وعقيدته لا يشفع له ما حازه من حطام الدنيا مهما كان عظيماً وكبيراً .

لقد قطع الإمام الحسين عليه السلام الطريق على كلّ من يُقدِّم الذرائع والحجج في أنّه يريد الحفاظ على نفسه ، أو أهله ، أو ماله ، أو عرضه في حال تفریطه بدينه ومبدئه ، فإنّ الإنسان المؤمن وإن كان يجب عليه الحفاظ على نفسه وماله وأهله ، وصيائته عرضه ، ولكن إذا تعارض مع حفظ المبدأ ، عليه أن يبذل ذلك كلّ في سبيل دينه ومعتقده الحقّ ، وقد كان هذا الأمر واضحاً في كلام الإمام عليه السلام مع أصحابه وأهل بيته عندما تجهّز للخروج من مكة ، قائلاً : (مَنْ كَانَ بَاذِلًا فَيُنَا مَهْجَتِهِ ، وَمَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ ؛ فليرحل معنا ، فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)^(٤٤) ، وكذلك يمكننا أن نستظهر وجوب تقديم الدين والمبدأ على المال والنفس والأهل ، ولا أن تكون الأمور معكوسة والأولويات منكوسة من المحاوراة التي حصلت بين الإمام الحسين عليه السلام وعمر بن سعد عشية العاشر من المحرم ، فسأله

ولكن هذه النظرة في تقييم نتائج الصراع قاصرة وغير دقيقة ؛ إذ لا بدّ أن تكون النظرة أكثر بُدأً وعمقاً وشمولاً لكل جوانب المسألة ، فربما تجد جهة ما استطاعت أن تنزل هزيمة عسكرية آتية ساحقة بعدها ، ولكن النتائج في المستقبل في غير صالحها ، فيتحول هذا النصر العسكري إلى كابوس يقصّ مضاجعها ، وتميل كفة النصر إلى صالح المنهزم والمقتول ، وهذا ما أفرزته نتائج نهضة الإمام الحسين عليه السلام ؛ إذ أعطت معايير جديدة وصحيحة لتقويم نتائج الفوز والخسارة في موازين الصراع والمعارك الحاصلة بين الخصوم ، فإنّ النتائج الآتية والأولية توشّر انتصار الجيش الأموي في معركة كربلاء ، وقتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه ، وانتهاك ثقله وسبي حرمه ، لكنّ الطريقة المثلى هي التي أدار بها الإمام الحسين عليه السلام دفّة الصراع والخطوات الصحيحة التي اتخذها منذ بداية نهضته وخروجه من المدينة وتوجهه إلى مكة ، ثمّ العراق ووصوله إلى كربلاء .

بل كان الإمام الحسين عليه السلام واثقاً من تحقيق هذا الانتصار الباهر طبق الموازين ، حين كتب إلى أخيه محمد بن الحنفية ، وسائر بني هاشم : (أمّا بعد ، فإنّ من لِحَق بي

الإمام أن يتقي الله ولا يقاتله ، وهو يعلم من هو الحسين عليه السلام ، وأن يذر هؤلاء القوم وينضمّ إليه ؛ فإنّ فيه رضا الله سبحانه ، فأجابه عمر بن سعد بأنّه يخاف أن تُهدم داره ، وتؤخذ ضيعته ، أو يُقتل عياله ، فتركه الإمام عليه السلام حين وجد أن عمر بن سعد لا يعبأ لدينه وأخرته ، ولا يقدمهما على دنياه ^(٤٥) .

وهكذا كان للإمام الحسين عليه السلام بتسطيره لهذه الملحمة البطولية الفريدة ، أثر واضح في تعميق هذه المفاهيم في وجدان الأمة ؛ ليجعل منها أمة لم تمت فيها معاني التضحية والفداء ، وبذل الغالي والنفيس في طريق الحقّ وحفظ المبادئ والدين ، وظلّت حركات الجهاد والتحرر تستقي قيم التضحية والبذل والعطاء من معين عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام الذي لا ينضب .

خامساً : معايير النصر والهزيمة في نظر الحسين عليه السلام

في الغالب تُحسب نتائج النصر والهزيمة وفق الحسابات المادية والآتية ، وهو فيما إذا استطاع أحد الأطراف إنزال الهزيمة بخصمه من خلال قتله ، أو تدمير معداته ، أو إجباره على الاستسلام ، أو الفرار ، أو الانسحاب ، فإنّ هذا الطرف يعدّ منتصراً حينئذٍ .

استشهد ، ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح (٤٦) .

إنَّ هذه العبارة من الإمام وقعت مورداً للبحث والتحليل ، وهناك بعض التفسيرات لها ، كقول العلامة المجلسي : (قوله عليه السلام : لم يبلغ الفتح . أي : لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع بها ، وظاهر هذا الجواب ذمه ، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيرهم في ذلك ، فلا إثم على مَنْ تخلف) (٤٧) .

ولكننا نظنَّ أنها تفسيرات بعيدة عن مراده عليه السلام ، والأقرب هو ما نحن بصدده من أنه عليه السلام كان يدرك تمام الإدراك أنه سيحقق النصر والفتح العظيم بتحقيق أهداف نهضته من الإصلاح والتغيير ، وزوال دولة الظلم والجور ، وأنهم بشهادتهم سيحققون هذا النصر المؤزر ، وينالون هذه المنزلة العظيمة التي سيُحرم منها مَنْ لم يلتحق بهذه النهضة .

إنَّ إطلالة سريعة لمُجمل أحداث التاريخ تبين وضوح الرؤية التي بينها الإمام عليه السلام في قوله السالف الذكر ، فقد أعطت النهضة الحسينية نتائج باهرة ، فعلى المستوى السياسي لم يتمكن بنو أمية من الاستمرار في الحكم ، سوى حفنة من السنين الممتلئة بالمشاكل والاضطرابات لتنتهي على يد الدولة

العباسية بشعار الرضا من آل محمد عليهم السلام ، وهذا ما تحقق أيضاً في الدولة العباسية ، فقد قامت عدّة انتفاضات وثورات ضدها استلهمت النموذج الحسيني في أسلوبها (٤٨) ، وأما على الصعيد الاجتماعي والديني ، فما زالت النهضة الحسينية إلى يومنا هذا نبع عطاء لا ينضب .

وينبغي الإشارة إلى أن عاشوراء الحسين عليه السلام أحييت بعض القيم والمبادئ النبيلة وأعطتها دفعة معنوية ، ومنها مبدأ الموت في عزٍّ وشرف أحلى من الحياة في ذلٍّ وهوان في ظل الظالمين والمتجبرين (وإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً) (٤٩) ، وكذلك مبدأ الثبات في المواجهة حتى النهاية ، وعدم الجنوح نحو الاستسلام المذلّ أو الفرار المهين ؛ الأمر الذي يفرض التأثير من خلاله احترامه وتقديره على الجميع .

لا شكَّ في أنَّ هناك معطيات ونتائج أخرى ولدتها النهضة الحسينية - غير ما ذكر - ساهمت في استنهاض الأمة وإيقاظها ، وحافظت على روح الرفض فيها لكل أشكال الخنوع والذلّ ، ويشهد لذلك ما تشهده البلاد الإسلامية من مظاهر الصحوّة والنهوض في القرن الأخير من هذا الزمان .

نظرة توفيقية :

الجهة المناوئة لها ؛ فيصيبه الذل والهوان ،
ويبوء بالخيبة والخسران ، ولعلّ هذا حال
الكثيرين في الأمة الإسلامية ، وهذا لا يعني
بأي حال من الأحوال أنّ النهضة الحسينية
كانت السبب في وقوع الأمة في وهاد
الانحطاط والذلّ ، فمثلها في ذلك كمثل
دعوات الأنبياء والرسل فاز فيها قوم وضلّ
وخسر آخرون ، قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ
الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٥٠) .

وفي نهاية المطاف يمكن الملائمة والتوفيق
بين الرؤية الأولى القائلة : بأنّ الأمة باءت بالذلّ
والصغار بعد تخليها عن نصره النهضة الحسينية
والاستفادة منها ، وبين الرؤية الثانية التي
عرضناها آنفاً ، بأنّ نقول : إنّ النهضة
الحسينية - باعتبارها محطة مهمة وأساسية في
المسيرة التكاملية للبشرية - ينتفع بها من
يلتحق بها أو يتزوّد من عطائها ويستفيد من
فيضها ، ويتضرر من يعرض عنها أو يكون في

الهوامش :

- [١] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٢٩ . الخوارزمي ، مقتل الحسين عليه السلام : ج ١ ، ص ٨٨ .
- [٢] أنظر : العصري ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط : ص ١٣٣ .
- [٣] الحلبي ، ابن نما ، مثير الأحزان : ص ١٥ .
- [٤] ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ١٨ .
- [٥] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٨١ .
- [٦] عدّ بعض المفكرين مسألة استلام الحكم من دوافع وأهداف الثورة الحسينية ، في معرض حديثه عن الأهداف والدوافع المتصورة وما هو الصحيح منها . أنظر : الشاهرودي ، محمود ، محاضرات في الثورة الحسينية : ص ٥٠ وما بعدها .
- [٧] الحرّاني ، ابن شعبة ، تحف العقول : ص ٢٣٩ .
- [٨] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٢٩-٣٣٠ .
- [٩] المصدر السابق : ج ٤٤ ، ص ٣٤٠-٣٤١ .
- [١٠] المفيد ، الإرشاد : ج ٢ ، ص ٧٠ . أنظر : البلاذري ، أنساب الأشراف : ج ٣ ، ص ١٦٧ .
- [١١] ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ٤٢ .
- [١٢] المفيد ، الإرشاد : ج ٢ ، ص ٧٩ .
- [١٣] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٨٢ .
- [١٤] أنظر : الشاهرودي ، محمود ، محاضرات في الثورة الحسينية : ص ٥٨-٥١ .
- [١٥] الشريف المرتضى ، تنزيه الأنبياء : ص ٢٢٨-٢٢٩ .

- [١٦] الإربلي ، علي بن أبي الفتح ، كشف الغمة في معرفة الأئمة : ج ٢ ، ص ٢٤٢ .
- [١٧] الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه ، الأمالي : ص ٢١٦ .
- [١٨] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٨١ .
- [١٩] ابن كثير ، البداية والنهاية : ج ٨ ، ص ١٧٠ . الحلبي ، ابن نما ، مثير الأحران : ص ١٧ .
- [٢٠] الكوفي ، ابن أعثم ، الفتوح : ج ٥ ، ص ١٩ .
- [٢١] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٣٢-٣٣١ .
- [٢٢] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ١٥٧ .
- [٢٣] الرعد : آية ١١ .
- [٢٤] أنظر : سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الأموية : ص ٨٩ .
- [٢٥] أنظر : سهيل طقوش ، تاريخ الدولة العباسية : ص ٢٤٣ .
- [٢٦] الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه ، الأمالي : ص ٢١٨ .
- [٢٧] الكوفي ، ابن أعثم ، الفتوح : ج ٥ ، ص ٧١ . أنظر : الحلبي ، ابن نما ، مثير الأحران : ص ٣٣ .
- [٢٨] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري : ج ٤ ، ص ٢٩٦ . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : ج ١٤ ، ص ٢١٦ . وفي رواية : « حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم » . المفيد ، الإرشاد : ج ٢ ، ص ٧٦ .
- [٢٩] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ج ٤ ، ص ٣٩ .
- [٣٠] ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ١٧ .
- [٣١] الحلبي ، ابن نما ، مثير الأحران : ص ١٥ .
- [٣٢] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري : ج ٤ ، ص ٢٦٢ .
- [٣٣] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
- [٣٤] أنظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : ج ٥٩ ، ص ٣٠٢ .
- [٣٥] النوري ، ميرزا حسين ، مستدرك الوسائل : ج ١٠ ، ص ٣١٨ .
- [٣٦] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ٢١٥ .
- [٣٧] الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه ، الأمالي : ص ١٩٠ .
- [٣٨] أنظر : الحرّ العاملي ، وسائل الشيعة : ج ١٤ ، ص ٥٠٣ . (آل البيت) .
- [٣٩] أنظر : الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه ، الأمالي : ص ١٩٠ .
- [٤٠] ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ج ٤ ، ص ١٥٨ .
- [٤١] أنظر : سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الأموية : ص ٧١ .
- [٤٢] الحرّاني ، ابن شعبة ، تحف العقول : ص ٢٤٥ .
- [٤٣] الحج : آية ١١ .
- [٤٤] ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف : ص ٣٨ .
- [٤٥] أنظر : المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٨٨ .
- [٤٦] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ١٥٧ .

- [٤٧] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٢ ، ص ٨١ .
- [٤٨] ومنها على سبيل المثال : ثورة بطل فخ ، وهو الحسين بن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام ، وقد ثار في زمن الهادي العباسي سنة مائة وتسع وستين للهجرة . انظر : الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري : ج ٦ ، ص ٤١٠ وما بعدها .
- [٤٩] ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب : ج ٣ ، ص ٢٢٤ .
- [٥٠] الإسراء : آية ٨٢ .

د . السيّد خالد سيباوي
باحث وأكاديمي / تونس

تغييب القيم وانتهاكها في سياسات الحكم الأموي

مقدمة

لا عجب أن تتجاوز النهضة الحسينية المباركة حدود التاريخ وصفحاته ؛ لأنّ مشروعها الأساس هو إعادة القيم وإحيائها بعد أن غيّبتها اليد الأموية . وعليه ؛ يكون إحياءنا لعاشوراء هو إحياء لتلك القيم في نفوسنا .

وبعبارة أخرى : ليس جمال كربلاء في تعليمنا (أن نحى) ، إنّما جمالها في (كيف نحى) ، وهنا تتحوّل قيم الحرّية والكرامة والعدالة إلى قيمة واحدة هي (التضحية والشهادة) ، تهون عندها النفس والنفيس ، وتحرّز فيها الروح الإنسانية ؛ لتترك ذلك الجسد المبضّع شاهداً على مشروع (تغييب القيم) .

وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله : « وإني لا أرى الموت إلّا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلّا برماً »^(١) .

نعم ، إنّ ما يمكن جعل هذه النهضة خالدة باعتبار كونها مدرسة للثائرين على الظلم بشتّى مستوياته ، رغم كل المحاولات التي تُحاك لتغييب أهدافها ، بدءاً بمظاهر الإجمام التكفيري إلى

ثبت على شيء فهو قائم عليه^(٦) .

العدل والاستقامة : أي : الاعتدال ،
فيقال : استقام له الأمر ، ومنه قوله تعالى :
﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾^(٧) ، أي : في التوجه إليه
دون غيره . وقام الأمر واستقام : اعتدل
واستوى ، وقد تأخذ القيم أحياناً هذا المعنى
للاستقامة . ويُقال : قَوَّمْتُهُ : عدلته ، فهو قَوِّيم
ومستقيم . فيكون القوام هو العدل ، كما في
قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^{(٨)(٩)} .

المحافظة والإصلاح ، كقوله تعالى :
﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾^(١٠) ، وكذلك
قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ ،
أي : ملازماً ومحافظةً .

المفهوم الاصطلاحي

قد يكتنف مفهوم القيم بمعناه
الابستمولوجي هالة من الإبهامات التي تحول
دون إيجاد معنى توافقي لدى المدارس
المختلفة ، لكنّه بلحاظ معناه الأنطولوجي فهو
بديهي بدهاة مفهوم الوجود ؛ لأنّه يحكي تلك
المنظومة القيمية التي تفرزها ثلاثية العلاقة بين
كينونات ثلاث هي : الله ، الإنسان ،
المجتمع .

إنّ (القيمة) بإيجاز هي : الوجود من حيث

مهازل الإعلام المأجور الذي خنفته قيم
كربلاء ؛ لأنّها وبساطة قيم الواقع والفترة التي
تأبى أن يعطيها مؤتمر يقام هنا أو هناك ، أو لقاء
مع شخصيات سمحت لها قيم عاشوراء نفسها
أن تُعبّر عن رأيها ؛ لكنّها أبت إلا التبعية
والخذلان .

تأصيل مفهوم القيم

إنّ كلمة (القيمة) لها حضور في
المجال التداولي اللغوي ؛ كما أنّ مشتقاتها قد
استعملت في القرآن الكريم ، كقوله تعالى :
﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾^(١٢) ؛ حيث يشير المعنى
إلى مفهوم الاستقامة . وكذلك قوله تعالى :
﴿ دِينًا قَيِّمًا ﴾^(١٣) ، أي : له القويمية على
تقويم الاعوجاج عبر آية شرعية ، ألا وهي
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(القيمة) : كلمة مشتقة من (ق.و.م) ؛
بمعنى : ما يقوم مقام الشيء . وقد استُخدم
لُغويّاً لإفادة معانٍ متعددة من قبيل :

قيمة الشيء وثمنه ؛ تقول : تقاوموه فيما
بينهم^(٤) ، وما له قيمة : إذا لم يدُم على
شيء^(٥) . وهي ما يكون به الشيء ذا ثمن أو
فائدة .

الثبات والدوام والاستمرار : فكل من

تلتقي فيها كل الأمم ؛ ألا وهي دائرة قيم الفطرة التي فُطِرَ عليها النوع الإنساني ، والتي تحمل الحثية التكوينية ، من قبيل : الكرامة الذاتية ، حرمة الإنسان ، الحرية ، وغير ذلك . أمّا القيم المتولّدة عن نفس الاجتماع ، فهي وليدة الشراكة في المعطى العقدي والتشريعي ؛ أو الحقوقي والمعرفي وغيرها .

يرادف هذه الكلمة في اللغة الإنجليزية كلمة (ETHIQUES) التي تدلّ على مجموعة قواعد السلوك ، كما نجد ما يعادلها في اللغة الفرنسية كلمة (VALEURS) الدّالة عن ما يُعتبر حقاً وجميلاً وخيراً طبقاً لمعايير شخصية أو اجتماعية ، ويكون مرجعاً لمبدأ خلقي ، وعليه ؛ يكون أقرب المعاني للأصل اللغوي المذكور أعلاه هو الاستقامة والثبات والاستمرار على الشيء . كما يحيل على مكانة الإنسان التي يتبوّأها بين الناس ، وشأنه في المجتمع من خلال ثباته واستمراره .

ومن جهة أخرى ، فقد خصّصت الفلسفة مبحثاً للقيم سمّته بـ (الأксиولوجيا)^(١١) إلى جانب مبحث الوجود ، ومبحث المعرفة ، وناقشت طبيعة تلك المنظومة القيمية من حيث حكايتها عن الواقع أو لا ، فإن كانت حاكية عن الواقع فستكون حينئذ قيم ذاتية واقعية ، وإلا

كونه مرغوباً فيه ، وهي ذاتية للأشياء ومستساغة للنفس الإنسانية ؛ لذا تكون موضع تجليل الفرد والمجتمع . أمّا من الناحية السلوكية فهي عبارة عن : أحكام فردية تدور مدار استحسان الأشياء أو استهجانها ، يكون الحاكم على إصدارها إمّا خلفيات دينية ، أو اجتماعية ، أو مرجعيات أخرى .

وبعبارة أخرى : إنّ مفهوم القيم يحكي تلك المعايير الحاكمة على المنظومة الدينية بما فيها النظام الأخلاقي والاجتماعي وكذا النسق الثقافي والسياسي ، وللعقل الانفرادي بإدراك حسنهما بنحو الموجبة الجزئية في مقام الثبوت .

نعم ، يؤازره الشرع في المجال الديني في مقام الإثبات . وبلحاظ ما تنطوي عليه القيمة من فعالية يمكننا القول : إنّها حافز للأفراد من أجل تشخيص الأفضل من بين المفضولات . أمّا وفقاً للمنظور الاجتماعي فالقيم تساهم في ترقية الحس الاجتماعي عند الفرد ، وتمدّه بالتصوّر العام لما فيه خير وصلاح مجتمعه .

تمثّل القيم (المرجعية الثقافية) للأمم ملاك التمايز بين المجتمعات المختلفة ؛ حيث تتصاغر المنظومة القيمية في بعض المجتمعات ، بينما تتضافر في بعضها الآخر . لكن من الطبيعي أن تظل هناك دائرة تقاطع

خلال المنظومة الدينية نفسها التي ترشّحُ أيُّها أصيل وأيُّها منفرّع عنه . إذ لا شكّ في أنّ الرسول الأكرم ﷺ قد بعثَ ليُتمّم هذه المنظومة القيمية ويرفعها من مقام المكرمة - أي : السلوكيات المقبولة لدى العقلاء والممضاة من قبل العقل الجمعي - إلى المقبولية والإمضاء الإلهي وهو مقام التمامية . وهذا ما يجعل المنظومة القيمية في الدين الإسلامي تنطوي على أبعاد تفتقدها الأنماط القيمية الأخرى ، نذكر منها لا على سبيل الحصر :

البعد التوحيدي : وهو بُعد يشير إلى (قيمة التوحيد المطلقة) التي ترشّح عنها باقي القيم ؛ بل إنّ كل قيمة تعارض معها تكون خارجة تخصّصاً عن المنظومة القيمية الإسلامية .

بُعد الثبات والاستمرارية : قد يلتبس على الكثير ما نقصده من الثبات هنا ؛ فقد يُفسّره البعض بالجمود ، وهو تفسير سلبي تبنته الحركة التنويرية الحديثة . بينما المراد منه هنا هو الدوران حول محور ثابت وهو (التوحيد) ، وكل قيمة نكتسب مصداقيّتها عند قربها من هذا الأصل الثابت . وما دام هذا الأصل حاكم على الصيرورة الزمانية ، فإنّ القيم التي تدور حوله سيكون لها نفس الوصف ؛ أي : إنَّها

فهي نسبية تتغيّر باعتبار المعتر .

وتنطوي (المنظومة القيمية) على ثلاثة مستويات رئيسية :

أ - **المستوى المعرفي** : يعتمد هذا المستوى على عنصر (الاختيار) الذي زوّدت به النفس الإنسانية لابتدئ مسيرة التعرّف على (القيم) ، من حركة معرفية للظفر بمصاديقها ، ثمّ النظر في كل منها على حدة ، وصولاً إلى اختيار أفضلها .

ب - **المستوى الوجداني** : يتمحور هذا المستوى حول عنصر (التجليل) الذي تعكسه حالة التعلّق الوجداني بالقيمة ، الذي يتجلّى عادة في حالة الغبطة الباطنية والرغبة في نقلها للآخرين .

ج - **المستوى السلوكي** : يشير هذا المستوى إلى الممارسة العملية التي تنسجم مع القيمة المرجّحة ؛ حيث يتجلّى في الترجمة العملية للقيمة ، ثمّ قولبة تلك الممارسات العملية بما ينسجم مع القيمة المنتقاة .

جدلية العلاقة بين القيم والدين —

تتولّد منظومة القيم في المجتمع الإسلامي تحت مظلة الدين الذي يمثّل منبعها الأساس ، بل تتراتب أيضاً بلحاظ الشدّة والضعف من

صالحة لكل زمان ومكان .

الإدراك القبلي لمصاديق تلك القيم في مقام الثبوت .

وكيفما كان ، فإنّ الوجه الشاخص للقيم النبيلة التي نادى بها الدين الإسلامي هي انطواؤها على مصالح أكيدة ترتبط بالواقع ارتباطاً وثيقاً . وعليه ؛ يكون خرق تلك القيم من خلال غيابها أو تغييبها هو إبطال لمصلحتها الواقعية في زمان ومكان معيّن ، لكنّه لا يعني أبداً الخرق للنظام القيمي التكويني الذي يستمدّ قدسيته من الكينونة الفطرية ؛ لذا كانت محاولات الإصلاح وترسيخ مبدأ العود لتلك القيم الفطرية والواقعية حقاً مشروعاً ؛ بل ملاكاً للتمييز بين ما هو تكويني وما هو تقني .

ما أردنا قوله : إنّه من الخطأ التنظير لمنظومة قيمية وصفية تتبدّل مصاديقها بتبدّل المصالح الفردية والاجتماعية ؛ لأنّ المنظومة القيمة التي نادى بها الدين الإسلامي هي منظومة تكوينية إنشائية ، يتجلّى فيها ما هو بالفعل ، أي : ما هو كائن بما هو حاكٍ عمّا هو بالفعل ، أي : ما ينبغي أن يكون ، والعكس صحيح . وما يتردّد من أنّ القيم التي نادى بها الدين الإسلامي هي قيم مثالية لا يمكن تجسيدها واقعاً ، إنّما هو مغالطة يرام من خلالها إضفاء المشروعية على مشروع (عولمة

بُعد التعميم : ونعني به تجلّي القيم وشمولها لكل مفاصل الحياة الفردية والاجتماعية ؛ بدءاً من علاقة الإنسان برّبّه وبنفسه ؛ وصولاً إلى علاقته بالكون .

بُعد الواقعية : القيم التي نادى بها الإسلام ليست قيماً مصطنعة مثالية ، إنّما هي قيّم تلمس الواقع الوجودي والموضوعي . نعم ، هي واقعيات مثالية ؛ بمعنى أنّها ترقى بالإنسان إلى أرفع درجات التكامل الوجودي .

القيم بين المثالية والواقعية

إنّ عنوان (القيم) يحمل بين ثناياه كمّاً هائلاً من المصاديق ، تتقاطع تارة وتتزاحم أخرى ، وملاكها في ذلك يدور مدار المصالح والمفاسد ؛ ومن هنا يمكننا درك مفهوم التقاطع الذي يقضي ببقاء المصداق القيمي على طبيعته لانتفاء المزاحم ، بخلاف مفهوم التزاحم الذي يحمل معه معنى الإرباك في تحديد المصلحة الواقعية ؛ وبالتالي فهو يستدعي ترجيح مصداق على آخر في مقام الإثبات ؛ فالعدل مثلاً هو قيمة إنسانية راسخة تدعو في مقام الإثبات إلى مدافعة الظلم ، لكن يجدر بنا الالتفات بأنّ الإرباك المذكور لا يُلغي

قُبِرَت سياستهم في واقعة كربلاء العظيمة ،
والتي ما زالت تُدَوِّي في وجدان الإنساني ،
وتقف وراء كل مشروع للإصلاح .

المسوغ السوسيوولوجي لغياب القيم —

يؤكد التعريف السوسيوولوجي للقيم في
الغرب على حَوصصة القيم^(١٤) ؛ بمعنى : أن
لكل مجتمع تسطير مُثله العُليا وفق المعايير
التي تخدم مصلحة أفرادهِ . وهو تعريف يقرّ
بنسبية القيم وانفعالها بالمحددات والشروط
التاريخية التي تستدعي تغيّرها بتغير
المجتمعات والأجيال ، كما أنه تعريف يناقض
نفسه إذا ما قارناه بحالة المدافعة التي تلاقيها
عملية التغيير للنظام القيمي المفتعل داخل
المجتمعات ، والدّالة على اعتقاد القائمين بها
بثبات القيم لا نسبيتها^(١٥) .

إنّ تجلّي هذه النظرة ، تشير إليه حالة
التناقض الصارخ بين الظاهرة الأخلاقية
وظاهرة السلطة المختزنة في معطيات الفكر
السياسي الغربي ، الذي يرى أنّ أهمّ النواميس
هو تحوّل السلطة السياسية إلى سيف على
رقاب الناس . وهذا ما اعتمده الأمويون في
إدارة الخلافة المغتصبة ؛ مقننين من خلاله
أساليب حكم الرعية ، وسياسة تغييب القيم

القيم^(١٢) . ومشروع معاكس يمكننا الإشارة
هنا إلى مدى أهميّة تفعيل القيم الإسلامية على
جميع مستويات الحياة ، خصوصاً ما نراه من
شحّة على الصعيد الفقهي الذي اقتصر على
دراسة الأحكام دون دراسة تجلّياتها العملية
والواقعية بما هي أخلاقيات يُدان بها ؛ إذ كما
هي أعمال جوانحية فهي جوارحية أيضاً تخاطب
الوجدان وترتقي به في سُلّم ترانبي إلى الكمال .

مفهوم غياب القيم وتغييبها —

غياب : مصدر غَابَ ؛ ويعني : عدم
الحضور والتخلّف . أما تغييب : مصدر غَيَّبَ
كقولك : تغييب الميت في القبر : مُوَارَئُهُ ،
دَفَنُهُ . وتغييب الحقيقة : إِخْفَاؤُهَا^(١٦) .

وعليه ؛ يكون المعنى اللُّغوي للعنوان الذي
اخترناه لهذه المقالة مشعراً بمحتواها في
الجملة ؛ إذ بتطبيق المعنى اللُّغوي لكلمة
(غياب) و (تغييب) يكون المعنى الإضافي
(غياب القيم) مشيراً إلى عدم حضورها ، كما
أنّ (تغييبها) يعني : دفنها وطمسها وقبرها .
وهذا فعلاً ما عمل عليه الحكم الأموي من
خلال سياسة تغييب مرجعية تلك القيم التي
يمثلها أئمة أهل البيت ﷺ . لكن نقولها بضم
ملآن : بدلاً من قبرهم لتلك القيم العُليا قد

(الرشيد) حتى أثنت عليه صفحات التاريخ المزيّف ، متناسية بطشه الأعمى بآل أبي طالب إلى درجة دفنه الموالين لآل البيت عليهم السلام أحياء في أعمدة قصره . بل إن الكثير صار يُنني ويمدح الحجاج السّفاح بداعي تنقيط القرآن ، متغافلاً عن أنّ سجونه كانت تضمّ آلاف مؤلفة من الأبرياء والمظلومين ، كما تناقلته المصادر التاريخية^(١٧) .

والعجيب أنّ الأمة الإسلامية استساغت ذلك ؛ لأنّها وببساطة قد تبنت منظومة انتحرت فيها قيمة العدالة والحرية ؛ منظومة قد وضع صرحها الأسلاف ، وشرعها فقهاؤهم ومفتوهم من خلال الحكم (بعدم جواز الخروج على الحاكم وإن جار أو ظلم) . وأعجب منه أنّ نفس الحكم المذكور يتغافل عنه (أحمد بن حنبل) حينما يُشرعن الحركة التي قادها معاوية ضد الإمام علي عليه السلام في إطار ما يُسمّى (الاجتهاد المأجور) ، بل لا يجد حرجاً في تقلّد وسام الاستحقاق في الدفاع عن جرائم الحكم الأموي ، ما دامت قيمة الصلاح التي قنّتها ذلك المشروع الأموي تُتمنّ من خلال (قيمة الرصيد الروائي المكذوب) ، والمؤيّد للإرهاب الأموي والعبّاسي ؛ وهذا ما جعل ذلك الفقيه الزاهد أثرى حفاظ الحديث حينما حفظ ألف

العليا التي تُدرّسوها جيلاً بعد جيل في مدرسة الدهاء التي أسّسها معاوية بن أبي سفيان (القروينائي)^(١٦) . حيث نظر هذا الأخير لفرية العقد الاجتماعي التي تتبنّاها المقاربات غير الدينية ، ومارسها عملياً من خلال التفكيك الجغرافي بين مكّة والمدينة ، وعزل أهلها عن الاحتكاك بغيرهم بحجّة حتّى لا تتخلّقوا بأخلاقهم . ومن ثمّ إضفاء المشروعية على منظومة القيم الأموية لعدم مدافعتها من قبل منظومات أخرى ، والحال أنّ مفهوم القيم يُمثّل تلك الحقائق التي تنصهر فيها مصاديقها كافة ؛ بغضّ النظر عن تجلّياتها الدينية أو السياسية أو الاجتماعية .

اختلاق القيم .. بضاعة أموية وهابية بامتياز

انتهجت السلطة الأموية وبتبعها الحركات التطرفية سياسة الخداع وتزييف الحقائق ؛ كي تصوّر المناهض لها على أنّه جاء ليزعزع مسلمات الأمة ، ويعبث بتراثها القيمي ، ويخلخل النظام الاجتماعي . فأبدعت أسطورة المستبدّ العادل !! ملتزمة في ذلك المراوغة العملية التي كان يمارسها بنو أميّة أمام الرعية لامتنصاص الغضب العام ؛ كما مارسها هارون

إنّ هذا الطرح الهجين من قبل الفكر الوهابي قد جعل المتبئين له يتمردون عن كل ما يظنون مخالفته لعصر السلف ، وبيادونه ردود فعل قاسية ؛ ردود أقل ما يقال عنها : إنّها خرق للنواميس التكوينية التي أسّس على ضوئها النظام القيمي في الإسلام ، متمثلة في أبشع صور الجرائم التي عرفتها الإنسانية . وبدلاً من أن تكشف عن الوجه التكويني الرباني للقيم ، قد عملت وتعمل على تدمير هذه المنظومة الفطرية ؛ من خلال تغييرها التدريجي لمفرداتها ، ومن ثمّ استساغة واستسهال إبادة الحاملين للوائها ، وعلى رأسهم حامل لواء القيم الإنسانية على مرّ التاريخ الإمام الحسين عليه السلام .

القيم بين آليات التغيير وآليات الترسخ

لم يُخفِ الحكم الأموي نزعته العدائية من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين ، بل سعى إلى جعلها دين يُدان به ، وسياسة تُوطد عرش سلطانه ؛ فراح يتفنّن في تقنيات تغيير القيم التي طالما نادى بها الدين المحمديّ . ومن جملة ما قام به ذلك الحكم لا على سبيل الحصر :

ألف حديث ممّن رواها أسلافه !
وفي زماننا هذا قد انبرى أتباعه من الفكر الوهابي التكفيري للدفاع عن مشروع خرق المنظومة القيمية للدين الإسلامي ، وإحداث إرباك فيها من خلال أسلوبه العملي في إرجاع وإرساء القيم المعيّبة على حدّ تعبيره متغافلاً أنّ أربابه المنظرين لهذا الفكر هم من يرجع إليهم شرف خرق النواميس القيمية والأخلاقية ، ملتمساً في ذلك المدد من حلول واهية ، من قبيل : وجوب العود إلى السياق التاريخي والمكاني لعصر السلف ، وقراءة ذلك العصر قراءة تقليدية صرفة لا قراءة موضوعية واعية ؛ مدّعياً أنّ ذلك العصر هو المنبع الأول للقيم . في حين أنّ هذه الدعوى يلزم منها محذوران :

الأول : إنّ هذا الحل هو صرف ادّعاء ، بل إنّ القراءة التحقيقية التاريخية - والتي جاء نزر منها في تنظيراتهم ومؤلفاتهم سهواً منهم أو غشاوة - تناقضه .

والثاني : إنّ النص الديني المتجلي في القرآن والسنة طبقاً لمفهوم (المعاصرة) هو نص متفاعل مع الواقع ، غير خاضع للقولبة (الزمكانية) ، أي : إنّ القدسية المكانية والزمانية هي كاشفة عن النظم القيمي بنحو الطريقية لا الموضوعية .

أ. التحريف العقدي

لقد وجد الحكم الأموي في العقيدة الجبرية ضالته التي يبحث عنها ليسوس المسلمين ، دون أن يُسجّل عليه أيّ اعتراض ؛ إذ تقتضي تعاليم تلك العقيدة أنّ كل ما يجري على العباد هو تقدير من الله تعالى . وعليه ؛ يكون تنصيب الحاكم وحاكميته مقدراً من الله . وهذا ما فسح له المجال ليفتري على الله ورسوله من خلال شراء ذمم فقهاء عصره مقابل ما يضعونه من أحاديث مفتراة ، من قبيل : المروي كذباً عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « اللهم ، علّم معاوية الكتاب والحساب ، وقه العذاب »^(١٨) ؛ ممّا دعا ابن تيمية أن يستमित في تقويته ، لكّنه لم يُفليح^(١٩) . وكذلك ما رواه البعض من القول : « إنّ من قام بالخلافة ثلاثة أيّام لم يدخل النار »^(٢٠) ؛ وهذا ما سوّغ لهشام بن عبد الملك القول حين وليّ الخلافة : « الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام » . وأحضر يزيد بن عبد الملك أربعين شيخاً شهدوا له أنّه ما على الخلفاء حساب وعقاب^(٢١) . وكذلك فقد سوّغ لزيد بن أبيه حينما خطب في أهل البصرة قائلاً : « أيّها النّاس ، إنّنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود

عنكم بغيء الله الذي خولنا »^(٢٢) ؛ فظاهر كلامه تفويض ينتهي بالضرورة إلى الجبر .

وكيفما كان ، فإنّ الغرض الأساس من تفعيل هذه الآلية هو تكريس أيديولوجية الجبر في الحكم ؛ طلباً للشرعية ، وشلّ الحركات المناهضة له في ضربة استباقية تُغيّب فيها قيم الأُمّة الإسلامية .

ب. الابتداع في الشريعة

لقد سعى الحكم الأموي إلى شرعنة دين جديد من خلال آلية (الابتداع) التي تقضي بإدخال ما هو أجنبي عن الأحكام الإسلامية ، فضلاً عن الممارسات العملية . وهذا ما بيّنه الإمام الحسين عليه السلام في رسالته إلى زعماء الكوفة التي قال فيها : « وإمّا أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنّة نبيّه ؛ فإنّ السنّة قد أمّيت ، وإنّ البدعة قد أحييت »^(٢٣) . ومن خطابه عليه السلام لجيش الحرّ : « ... ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلّوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله وحرموا حلاله »^(٢٤) .

وهنا نقف إجمالاً لهذا الخطاب الحسيني ، مستلهمين منه آيات الأمر بالمعروف والنهي

على الله ورسوله بأنَّ قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ ﴾^(٢٦) ، قد نزل في علي بن أبي طالب . بينما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾^(٢٧) ، قد نزل في عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام^(٢٨) .

ولما استحکم له الأمر كتب إلى عمّاله : « أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته »^(٢٩) . « فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ، وبيروؤن منه ، ويعقّبون فيه وفي أهل بيته »^(٣٠) .

وماذا بعد ؟ هل يكتفي معاوية بهذا ؟ ! كلا ؛ لأنّ معاوية يدرك جيداً أنّ إبعاد مصداق القدوة لا ينفى عنوانها المتأصل في ذهنية العقل الجمعي للمجتمع الإسلامي ؛ لهذا شرع في الخطوة الثانية وهي إيجاد بديل لذلك المصداق ؛ فراح يقحم نفسه كقدوة للمسلمين مع أن سيرته تنتكّر لذلك !! ملتمساً المدد من ذمم النفوس التي يشتريها من بيت مال المسلمين لتَهزّ كيان المسلمين أنفسهم . تلك

عن المنكر ، فلم تكن القضية عند الإمام الحسين عليه السلام تتعلق بشخص أو أشخاص ؛ بقدر ما هي نهضة مقابل أيديولوجية أراد لها الأمويون أن تحل محل قيم السماء ، وهو نفس الخطاب الذي علا في رمضاء كربلاء ، وهزّ كيان الحرّ بن يزيد الرياحي ، وحرّز روحه الطاهرة لتتعلق بالمحل الأعلى .

ج. النيل من القدوة

استفاد معاوية من شيطنته بعد أن وقف على مدى تأثر المسلمين بقدواتهم في تشويه صورة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، من خلال شراء علماء البلاط لنشر أحاديث كاذبة في ذلك ، والتي يُلَهَجُ بها للأسف إلى حدّ الآن ، منها : المروي من طريق أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهم ، إنّما أنا بشر- ، فأيّما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة »^(٢٥) . وغيرها كثير في قاموس السلطة الأموية .

لكن أبرز ما قتنه معاوية تكريساً لهذه الآلية الهدّامة هو النيل من الشخصية الثانية للمسلمين وهو الإمام علي عليه السلام ، فاشترى سمرة بن جندب من بيت المال بأربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام ويكذب

بشئى أنواعه لا سيّما في المناطق التي صمدت أمام الآليات السابقة ؛ حيث يذكر التاريخ أنّه قُتِلَ في المدينة ومكّة ثلاثون ألفاً عدا من أُحرق بالنار ، « وكان أشدّ الناس بلاءً أهل الكوفة ؛ لكثرة مَنْ بهم من محبّي علي ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وقطع الأيدي والأرجل ، وأعمى العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطرد الكثير منهم ، وشردّهم عن العراق » (٣٢) . وقد بلغ إرهاب معاوية حدّاً جعل الرجل يفضّل أن يقال عنه : إنّهُ زنديق أو كافر . ولا يقال عنه : إنّهُ من شيعة عليّ . كما يكفي شاهداً على ذلك ما روي من جرائم فظيعة ارتكبتها خليفة زياد بن أبيه على الكوفة سمرة بن جندب ، حيث قتل سبعة وأربعين رجلاً ممّن جمعوا القرآن ، وقتل ثمانية آلاف من أهل العراق (٣٣) .

الأيادي القذرة التي دسّت الأحاديث الكاذبة ، وأثنت عليه ، وامتدحته كذباً ، من قبيل : المروي عن واثلة مرفوعاً أنّ النبي ﷺ قال : « الأئمّاء عند الله ثلاثة : أنا ، وجبرئيل ، ومعاوية ، وكاد أن يُبعث معاوية نبياً من كثرة علمه واثتانه على كلام ربّي ؛ فغفر الله لمعاوية ذنوبه ، ووقاه حسابه ، وعلمه كتابه ، وجعله هادياً مهدياً ، وهدى به » (٣١) . نعم ، هكذا حاولوا عبثاً تدنيس الساحة القدسيّة لصاحب الرسالة ، وكأنّ الأمانة لا يكتمل أداؤها إلّا بأمين ثالث هو معاوية !! لكن هيهات ، فللإسلام المحمدي وصيّ اسمه (الحسين) سيحفظ بدمه الطاهر رسالة جدّه المصطفى وسيرة أبيه المرتضى ، ويدكّ معاقل الحكم الأموي .

د. سياسة (فرق تسد)

هـ. الاستبداد السلطوي

ترتكز فلسفة الحكم في الإسلام على معرفة التركيبة الاجتماعية لأفراد المجتمع وتطلّعات الرعية على جميع الأصعدة ؛ بغية تقليص المسافة بين الراعي والرعية . إذ لا شكّ في أنّ استحضار المعية الإلهية تبرز جلياً من خلال القرب المادي والمعنوي بين الحاكم

لا يخفى عن الجميع أنّ سياسة (فرق تسد) هي سياسة عُرف بها اليهود . وحتى يُفوّض معاوية الحكم له ولمن يليه لم يجد حرجاً في اتّباع هذه السياسة للقضاء على الرسالة المحمدية ، فراح يؤجّج نار الفتنة بين القبائل ؛ حتى يتسنى له قمع أيّ حركة تعارض سلطته ، وهو ما مارسه فعلاً من خلال سياسة الإرهاب

ما جرى على الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي وأصحابه^(٣٤) الذين تمت تصفيتهم بحجة رفضهم لعن حامل لواء القيم الإنسانية علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد قال فيهم رسول صلى الله عليه وآله : « يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات »^(٣٥) . وقد كان لاعتقال حجر وسجنه ثم قتله تأثير كبير على المجتمع الإسلامي آنذاك ، رغم سيطرة معاوية .

ومن خلال هذا التجزؤ الشنيع على الصحابة أزع معاوية لحقبتة الاستبدادية التي صرح بها في مواقف عديدة بقوله : « والله ، ما وليتها [أي : الخلافة] بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكن جالتكم بسيفي هذا مجالدة ، فإن لم تجدوني أقوم مجتمعمكم كله فاقبلوا مني بعضه . . . » . وقال في خطابه بالنخيلة : « والله ، إنني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون »^(٣٦) .

وتوارث هذه العنجهية أغصان شجرة الزقوم جيلاً بعد جيل ، حتى قال عبد الملك بن مروان عندما خطب في المدينة : « ألا وإنني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ؛ حتى تستقيم لي قناتكم . . . »^(٣٧) . حتى قال الجصاص

والمحكوم ، وتكون ملاكاً لصلاح أمرهما . وبالعكس ، كلما كبرت الهوة بينهما دل ذلك على فتور استحضار تلك المعية التي تُكوّن العامل الأساس في ظهور الفساد بجميع مستوياته . وهذا ما ينطبق فعلاً على الحكم الأموي والحركات التكفيرية ؛ إذ وَجَدَت في آية (الاستبداد) سبيلاً لنخر الأبنية القيمية التي أسسها الإسلام ، بدءاً من تكريس سياسة التخلف ، إلى استبعاد مبدأ الحزبية ، ووصولاً إلى الاستبعاد المادي والمعنوي للزعية .

في حين تجلّت التجربة السياسية الواعية للحكم الإسلامي في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ حيث كان الإمام تجلياً عملياً للنصّ الديني ، من خلال عكسه لصور القيم الإنسانية التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، فكانت تجربته على قصر مدتها الزمانية زاخرة قيماً ، ونبراساً يُستضاء به في التاريخ الإنساني . لكن بعد شهادته وسيلان دمه الشريف في بيت القيم (محراب الصلاة) ، بدأ العدّ العكسي لانطلاق سياسة (تغييب القيم) التي نادى بها صنّاع السلطة الأموية البغيضة ، فكان أول متبني لها (معاوية بن أبي سفيان) ؛ حيث يمكننا رصد أبرز مصداق لسياسة الإقصاء وإخراس الرأي الآخر

خلال تأصيل التقوى وجعلها الملاك الوحيد للحكم والحاكم حتى يقول له : « إِيَّاكَ وَمَسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَمُهَيِّنٌ كُلَّ مُخْتَالٍ ، أَنْصَفِ اللَّهَ وَأَنْصَفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ » (٣٩) .

بل إن الإمام يشرح الحكم الأموي كأفضل محلل سياسي من خلال قوله : « وَإِيمُ اللَّهِ ، لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي ؛ كَالثَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتُخْبِطُ بِيَدِهَا وَتَرْبِئُ بِرِجْلِهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ صَائِرٍ بِهِمْ ، وَلَا يَزَالُ بِلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانَتْصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مُخْشِيَّةٍ ، وَقَطْعًا جَاهِلِيَّةً ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدَى وَلَا عِلْمٌ يُرَى » (٤٠) . بل هذا الكلام تشرح ينطبق أيضاً على كل حكم جائر حيث تترأى معالمه جليلة في عصرنا الحاضر من خلال تكريس عوامل التخلف والجهل ، والتلاعب بالعقول ، وتشويه أهداف الأمة ، ومحاربة الثقافة الرسالية ، وهذا أعظم خطر على الأمة ؛ لأنَّ الثقافة الرسالية

وغيره فيه : « ولم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفجر من عبد الملك ، ولم يكن في عماله أكفر ولا أظلم ولا أفجر من الحجاج ! وكان عبد الملك أول مَنْ قطع ألسنة الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، صعد المنبر فقال : إني والله ، ما أنا بالخليفة المستضعف [يعني : عثمان] ، ولا بالخليفة المصانع [يعني : معاوية] ، وإنكم تأمرونا بأشياء تسونها منه في أنفسكم ، والله ، لا يأمرني أحدٌ بعد مقامي هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه » (٣٨) .

إذن ؛ فالآلية الأولى التي يحددها الحكم الاستبدادي ويغيب من خلالها قيمة الحرية والعدالة هي (قوة السيف) المتفرع عنها الخوف والجزع والرهبنة في النفوس . أما الثانية ، فهي نفي لأصل التفاضل في المنظومة الدينية والدين الإسلامي الحنيف ، ألا وهي (التقوى) . ومعلوم أن تغيب هذه القيمة نفسٌ لسلسلة مترابطة من القيم ، من قبيل : الرحمة والمودة ، والشورى ، والصفح عن المذنب ، والتناصح ، والتواصي بالصبر والحق . وعلى الطرف النقيض نجد القراءة المعصومة لسياسة الحكم تتجلى في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولّاه مصر ؛ من

القيم هو حسنها الذاتي ، وإن لم يُنظر إلى أثرها الاجتماعي .

وبعبارة أخرى : إنَّ القيمة تكتسب جمالها من خلال البعد النفسي ؛ وكمثال على ذلك : نجد أن الصدق حسنٌ وإن أضربك اجتماعياً .

أما على المستوى الفطري ، فإنَّ قيمة القيم سيكون لها تفسير أعمق بكثير ، بمعنى أن كل إنسان يمثل قيمة واقعية ، قيمة تشير إليها جبلته التي خلِقَ عليها بحيث ينزع نحو القيم التي تنبع من فطرته ؛ فيكون سرُّ تلك القيم وقيمتها هي بعدها وحسنها الذاتي الذي فطره الله عليه .

لقد حاولت بعض الأقلام تشويه هذه القناعة من خلال تنظير علمي يقضي بإرجاع القيم الخلقية إلى جذور جينية في الإنسان ؛ وهي نيّة مبيّنة لنسف المرجعية القيمية ، حيث ادّعوا أن قسر الناس على تغيير طبائعهم يؤدي إلى خلق ازدواجية في الشخصية الإنسانية ، فيظهر الفرد أمام الناس بطبع ، ويُبطن طبعاً آخر .

وعليه ؛ تقتضي التربية طبقاً لهذه الدعوى أن يُترك الناس على طبائعهم ، غاية الأمر أن هناك قيمة عليا يفرضها العقد الاجتماعي تستدعي إلزام الجميع بأن لا يتعدّى أحد على آخر .

هي الدعامة الحقيقة التي تحفظ قيم الأمة ونفعها .

ويؤكد الإمام عليه السلام على أهمية التواصل مع الرعية من خلال بُعد الرحمة ، حيث يقول : « وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يُفْرُطُ مِنْهُمْ الرِّزْلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْحَطَا ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ » ^(٤١) .

البُعد القيمي كما تعكسه كربلاء

قد عكست لنا مرآة كربلاء قيمة القِيم قبل أن تعكس لنا القِيم نفسها ، فما سرّ تتمين القيم وجمالها يا تُرى ؟

يكمن ذلك السرّ على الصعيد الاجتماعي في أثر القيم اجتماعياً ، وباعتبار ذلك الأثر تكتسب القيمة حسنها وجمالها ؛ فالعدل مثلاً يُتمنّ من خلال حالة الاستقرار والأمن السائد في المجتمعات ، في حين أن الظلم يفضي إلى حالة اللا أمن وتردي الاستقرار فيكون قبيحاً .
أما على الصعيد النفسي ، فإنَّ معيار حُسن

إصلاح القيم متوقف على قيم الإصلاح

ح

الإصلاح المجتمعي : هو مشروعٌ تحوّل مقصود من طرف المصلح ، ينال بُنية المجتمع وتركيبته وأنساقه . وحتى يتحقّق هذا المشروع على أرض الواقع لا بدّ من توفّر المصلح فرداً كان أم جماعة على ما يفتقده المجتمع من قيم الإصلاح .

الإصلاح في المنظومة الدينية يقابل الفساد ، وتترادف معانيه تبعاً لممارسته ضمن خَلقيات معيّنة من قبيل :

الرّفق ، يقول تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤٢) .

الإحسان ، يقول تعالى : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٤٣) .

الطاعة ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٤) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (٤٥) .

حيث تتجلى كلّها في النموذج الحسيني لإصلاح قيم النسيج الاجتماعي . وهنا نفتح قوساً لنقول : إنّ أهمّ المشكلات التي تعاني منها حركات التغيير في مجتمعاتنا هي عجز نُخبها عن نفوذ قيمهم إلى ذلك النسيج الاجتماعي ؛ لأنّها لم تكن تعبّر عن مكنوناتهم الذاتية . ففي عالم القيم لا معنى للوقوف عند عقلانية القيم ، إنّما الأمر يتعلّق بكونها حُلّل تُلبس حتى تصير سجايا ، لا أفكاراً تُتعلّق ثمّ تتهاوى عند أوّل مدافعة . يقول ابن خلدون : « إذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيّته ، وصار مسخاً على الحقيقة » (٤٦) .

لقد اتّسمت كثير من الثورات بعنصر استنفار مشاعر حاضنيها ، وهذا ما يجانب المنظومة القيمية التي تدعو إلى التلبّس بالقيم ، لا توظيفها في حشد الأصوات الغاضبة . فالقضية قضية منهج يراد له أن يكون الحاكم على قيم المجتمع الإسلامي ، وبأبى سياسة المراوغة أو اللجوء إلى آليات الخصم في تأجيج مشاعر طالبيه ، يقول الإمام علي عليه السلام : « أتريدونني أن أطلب النصر بالجور فيما وليت عليه ؟ ! » (٤٧) ؛ فقيمة النصر في مدرسة أهل البيت عليه السلام هي (التضحية والشهادة) من

أن يهتئ الإمام عليه السلام بالخلافة قال شيئاً لم يقله المهنتون الآخرون : « والله ، يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة ، وما زانتك ، ورفعتها وما رفعتك ، وهي كانت أحوج إليك منك إليها » ^(٤٨) .

إن الفارق بين الناطق بالحق والمتكلم باسم الباطل هو مستوى القيمة الإيمانية والاجتماعية والسياسية ؛ لهذا يتعين أن يكون المتكلم باسم الحق بسعة الحق نفسه ، وهذا ما نسميه : (قيمة التأسيس) التي أشار إليها القرآن الكريم : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ ^(٤٩) .

وهذا يعني أن الفكرة التأسيسية تكتسب قيمتها من قيمة المؤسس لها ؛ بل هذا هو مفهوم الاصطفاء . وحيث إن المشروع الحسيني هو إحياء الحق وإزهاق الباطل ؛ فإن الحق ذاته قد تجلى في الحسين عليه السلام . والمؤسس يدفع ضريبة الحق ولا ينتظر أجراً على ذلك ، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام ناطقاً بذلك حينما قال : « نفسي - مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، ولكم في أسوة » ^(٥٠) ؛ لذلك كانت المنظومة القيمية في كربلاء مختزنة في قيمة (التضحية والشهادة) التي

أجل رضا الله تعالى .

وهذا ما يجعل حركة الإصلاح القيمي صعبة مستصعبة ؛ لأن الصعوبة تكمن في الثبات على الهدف الذي يمثّل روح الانطلاقة الإصلاحية . بل إن هذا ما جعل ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد سجّلت أوج الالتزام القيمي على أرض المعركة ؛ لأن المؤسس لها هو وجود تحركه العناية الإلهية أينما حل . ومن شواهد ذلك حرص الإمام الحسين عليه السلام على أن لا يقاتل معه رجل وعليه دين ، إلى درجة أنه أمر منادياً في ليلة العاشر من المحرم بأن ينادي بذلك ؛ حتّى لا يقال : إن أصحاب الحسين عليه السلام فعلوا ذلك فراراً من دائبهم . وهو مشهد لقيم ثورة كربلاء المباركة التي قامت لإعادة تأسيس قيم الإسلام .

قيمة التأسيس والمؤسس

تختلف قيمة الشخص بلحاظ الثورات ، فتارة تضي الثورة على رموزها قيمة معيّنة ، وتارة تضي الرموز على الثورة قيمتها ؛ وهذا هو المشخص في ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

فصعصعة بن صوحان مثلاً كان أحد الأفراد الذين تربوا على يدي علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان مشهوراً بالخطابة والفصاحة ، فحينما أراد

وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» (٥١).

إنَّ المواقف الحسينية تجعل من المحبَّة ايدولوجية لصناعة الحاضر والمستقبل ؛ فهو يُخرجها عن التجربة الذاتية الشخصية كما هي عليه عند أكثر المتصوِّفة ؛ ويدفع بها إلى مجال أوسع بكثير ، فيبدأ من منطلق المحبَّة في نقد الواقع الاجتماعي عملياً ؛ أي : إنَّه لا يكفي بالتناصح والحثّ على التكافل ، بل يجسده عملياً ، بالإضافة إلى لمس المرض القلبي وتشخيصه . خلافاً لما عليه التيارات التكفيرية اليوم ، والتي أبت إلا أن تظهر (دين المحبَّة والرحمة) على أنَّه (دين التكفير والذبح) . ولعلَّ أبرز مواقف المُحبِّ والتي من شأنها صناعة المستقبل هي (ثقافة التضحية) ؛ لأنَّ المُحبَّ لا يُؤثِّر شيئاً مهماً غلا على محبَّة الله ورضاه . وهنا لا يمكننا أن نجد مصداقاً أبرز من تضحيات الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء . يقول سيّد الشهداء عليه السلام : « وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى غَيْرِكَ » (٥٢) . إذ لا ريب في أنَّ سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام قد وقف على وحدة الشاهد والمشهود والشهادة ؛ فألقى بقلبه الذي يُمثِّل الحقيقة الإنسانية في محضر محبوبه .

أبت إلا أن يكون المؤسِّس وعائلته وأصحابه هم الضريبة ؛ ضريبة أن يُدبِّح الإمام ويحمَّل رأسه على الرمح ، وأن يُذبح رضيعه وأولاده وإخوته وأصحابه ، وأن تُسبى حرائر بيت النبوة .

قيمة المحبَّة في مرآة كربلاء

إنَّ كربلاء أبت أن تحصرها صفحات كتب التاريخ ، وبكسوها تراب رفوف المكتبات ، معلنة أنَّها وُجِدَتْ لتلج الوجدان الإنساني ، وتحزِّك ضمائر الأحرار والمستضعفين في كل بقعة من بقع هذا العالم نحو الارتقاء الفكري والثقافي والاجتماعي . فواقعة الطف حمل لواءها سليل البيت المحمدي ، الذي سلَّط الوجدان الإنساني على الطغاة المتمثِّلين في بني أمية ، والذين استباحوا دماء الناس ، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلا أن يصحَّح المسيرة التي أفسدها البيت الأموي : « وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا ، وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا ، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصِرُّ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ ،

كربلاء تجهض سياسة تغييب القيم -

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يتلقى أنباء غياب القيم الاجتماعية وسياسة تغييبها عبر القنوات الفضائية أو مواقع الإنترنت . . إنما كان يعاينها شهوداً . فحكام بني أمية لم يتوانوا عن إعلان استهتارهم بتعاليم الإسلام ، خصوصاً على عهد يزيد بن معاوية ، وقد كانت المحطة الأولى لتلك السياسة هي نكث معاوية وليد الغدر السفيناني للوعد ، وخيانتة للعهد الذي أوثقه مع الإمام الحسن عليه السلام ؛ وإصداره قرار تولية يزيد خليفة على المسلمين من بعده . هذا على مستوى الخلافة .

أما على مستوى الإحسان إلى الرعية ، فقد بادر إلى قتل أنباع أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وصلبهم على جذوع النخيل . ناهيك عن (العدل) الذي كان مستبعداً تماماً من أجندة الخلافة الأموية ؛ إذ يشهد على ذلك بيت مال المسلمين الذي يفترض أن يكون أمانة وعارية بيد الخليفة ؛ إلا أن معاوية أثر ضمه إلى ممتلكاته ، وشزعن حيثية التصرف فيه من خلال فتاوى من نصّبهم في بلاطه كفقهاء ، وكان يُعقد عليهم من نفس بيت المال بإزاء كل فتوى تمكّنه من بسط يده على مال المسلمين ، وإهداره على أتباعه وجواريه وحشمه وما شابه ذلك .

لقد راقب الإمام مسيرة التهاوي القيمي طيلة عشرين عاماً من الحكم الأموي البغيض ؛ تلك المسيرة التي فعلتها شيطنة معاوية ودهاؤه ، وأعلنت عن غايتها ودركها الأسفل حماقة يزيد وجهره بالسوء من خلال قوله المعروف

لَجِبْتُ هاشمُ بالملكِ فلا*** خبرُ جاء ولا وحيُّ نزل (٥٣)

فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام ثورته على سياسة التغييب من خلال كلامه المدوي في وجدان كل إنسان حرّ ، قائلاً : « والله ، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً » (٥٤) .

إذ يلاحظ من خلال عبارة « لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى » . أن الإمام كان مُدعناً بعدم تكافؤ القوى في هذه الثورة . مع ذلك أثر بذل مهجته ومُهَج أهل بيته وأصحابه ؛ لاستحضار المنظومة القيميّة للدين الإسلامي التي تُمثّل روح الوجود الإنساني . فباتت عاشوراء الحسين مناراً لكل المستضعفين في العالم ، ومرآة عاكسة للقيم التي أبى الدم الحسيني إلا أن تكون حاضرة جيلاً بعد جيل .

وفي المقابل حمل لواء الفكر اليزيدي شردمة الأمة جيلاً بعد جيل ، حتى تلقّفه الفكر

عقيلة بني هاشم تلاحق مشروع التغيير

ب

لقد أشرنا إلى أنّ الحكم الأموي قد مارس استراتيجيته عبر مرحلتين ، الأولى : العمل على (غياب القيم) ، والثانية : (تغيب القيم) ؛ ممّا يقتضي نحوين من استراتيجية ردّ الفعل من قبل الثورة الحسينية المباركة ، الأولى : (إعادة إحياء القيم) من خلال قيم الإصلاح وإصلاح القيم . والثانية : (تعميم تلك القيم) عبر القنوات الإعلامية الأمانة . وقد انبرى للمرحلة الأولى الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام ، مجسّدين ذلك من خلال إعلاء قيمة (التضحية والشهادة) .

أما المرحلة الثانية فكانت تحتاج إلى شخصية ثابته لا تقل شأنًا عن مفجّر تلك الثورة ، إنّها عقيلة بني هاشم السيّدة زينب عليها السلام سرّ كربلاء المستور من خلال دورها البطولي ، بعد أن أوضحت معالم تلك النهضة الأبدية لتأخذ طريقها إلى كل أحرار العالم . لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل لولا أنّ القائم عليها هي وليدة البيت المحمدي ؛ إذ لم يكن في ذلك الوقت (هيئة لحقوق الإنسان) ، ولا (قنوات إعلامية) ، ولا (أممّ متحدة) !!
قناة زينب عليها السلام الوحيدة كانت

التكفيرى الممثل اليوم بداعش يُشزَعْنَ على أساسه ما يقوم به من سفكٍ وقتلٍ باسم العود إلى سيرة السلف ! !

لقد كان يوم الطف نسفًا لهذه السياسة الأموية التي حمل لواءها يزيد ، ويحمل لواءها اليوم كل مهتتك مثل يزيد . فيوم الطف هو يوم انتصار الحق على الباطل ، انتصار الدم على السيف ، بل هو يوم استرجاع القيم الإنسانية التي غيّبها الحكم الأموي الغاصب من خلال كشف النماذج الزائفة من المتخاذلين والساكّتين عن الحق .

كما حرّك الدم الحسيني العبيط العاجزين عن النصرة في زمان الواقعة وغيره ليختزنه في وجدانه ويفجّره في وجه كل ظالم على طول الزمان . وهذا ما تجلّى فعلاً في الثورات المتعاقبة بعد فاجعة كربلاء ، كما تُمثّل الثورة الجزائرية والثورة الإسلامية في إيران وحرب تموز الغزّاء التي خرجت منها إسرائيل صاغرة ذليلة مصداقها البارز في زماننا المعاصر . يقول عباس محمود العقاد : « ومثل للناس في حُلّة من النور ، تخشع لها الأبصار ، وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان غير مستثنى منهم عربي ولا أعجمي ولا قديم ولا حديث » ^(٥٥) .

خاتمة

إنّ دم الإمام الحسين عليه السلام تحت حجارة قفار كربلاء ، قد قطع الطريق أمام سياسة تغييب القيم التي نادى بها المعسكر الأموي ؛ وأراد من خلالها قبر قيم الإسلام المحمدي الأصيل . وقيمة الإصلاح تكمن في التلبس بالقيم الحسينية ، تلك القيم التي كشفت لنا اليوم عن مشروع تغييبي جديد يحمل لواءه شيطان ذو رؤوس ثلاثة : (داعش ، أمريكا ، إسرائيل) . مشروع يحاول من خلال آلة التدمير (داعش) شرّعة سفك الدماء البريئة باسم الإسلام الأموي . فماذا ترانا فاعلين ؟ !

هل نصمت ؟ وفي صمتنا هلاكنا !! القضية قضية سلم اجتماعي وإنساني يهدّد من قبل وحوش في ثوب البشر ، وحوش حملوا هوية يزيد ومعاوية . . أم نقلب صفحات التاريخ لنبحث عن نموذج غير النموذج الحسيني بحجة أنّ كربلاء تخصّ الشيعة !! كي يكون محفّزاً لنا في مواجهتنا لهذا الخطر الهدّام ، وهل سنجد في التاريخ أعظم من هذا النموذج الحيّ الذي صار رمزاً للإنسانية جمعاء ؟ !

إنّ تكليفنا الشرعي اليوم هو إجهاض هذا المشروع الثلاثي وهذه المؤامرة الدينئة على قيم السماء ، ولست في أحلام اليقظة إذا قلت :

(كلمات) ، لكنّها كلمات تجري مجرى التاريخ دون أن تبلى ، كلمات كل حرف منها يختزن ثروة من القيم ، بل ثورة قيم : « ولئن جرّت عليّ الدّواهي مُحاطبتك ، إني لأستصعّر قَدْرَكَ ، وأستعظمُ تقريعتك ، وأستكبرُ توبيخك ، لكنّ العيونَ عَبرى ، والصدور حرّى . . . فكِدْ كَيْدَكَ واسِعَ سَعِيكَ وناصِبْ جُهْدَكَ ، فوالله ، لا تمحو ذكْرنا ، ولا تُمَيِّتْ وَحِينا ، ولا تُدْرِكْ أمدنا . . . » ^(٥٦) ، تبعث روح القيم المحمدية والحسينية في نفوس المستضعفين ، وترسخ قيمة (التضحية والشهادة) في نفوس الأحرار من أبناء الأمة الإسلامية .

وبعبارة أخرى : لقد طاردت المواقف الزينية في قصر ابن زياد ويزيد ، وفي الكوفة والشام مشروع تغييب القيم ، ولا زالت تطارده أينما حلّ ، خصوصاً في عصرنا الراهن الذي راهنت فيه الحركات التكفيرية في سوريا على تفجير مرقد العقيلة ، محاولة عبثاً إخراس تلك الكلمات التي توقظ سهاد أسيادهم ، لكن هيهات ! فكلمات زينب قد نُقِشت في القلوب وقُلدت قلائد في الصدور كتب عليها : (هيهات منّا الدّلة) .

إننا نتحسّس اليوم تناقص أنفاس الظلمة والباطل ورفرفة راية الحق والعدل عالية في عنان والطغاة المعلنة عن قرب نهاية الصراع؛ صراع الحق والباطل الذي سيُسفر عن زهوق راية الهوامش:

- [١] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٩٢.
- [٢] الروم: آية ٣٠.
- [٣] الأنعام: آية ١٦١.
- [٤] أنظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: الجوهري، إسماعيل، الصحاح في اللغة، مادة (قوم).
- [٥] الفيروز آبادي، محب الدين، القاموس المحيط، مادة (قوم).
- [٦] أنظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: الجوهري، إسماعيل، الصحاح في اللغة، مادة (قوم).
- [٧] فصلت: آية ٦.
- [٨] الفرقان: آية ٦٧.
- [٩] أنظر: الزبيدي، محب الدين، تاج العروس: ج ١٧، ص ٥٩٤.
- [١٠] النساء: آية ٣٤.
- [١١] آل عمران: آية ٧٥.
- [١٢] الأكسيولوجيا بالإنجليزية (Axiology)؛ كلمة يونانية مركبة: من (Axia) بمعنى قيمة، و (Logos) بمعنى علم؛ فيكون معنى المركب منهما هو (علم القيم)، وهو مبحث فلسفي مستقل يدرس طبيعة القيم وتصنيفاتها ومعاييرها، حيث يمثل محوراً أساساً من المحاور التي تتناولها الفلسفة بالبحث، وهي: مبحث الوجود والمعرفة والقيم.
- [١٣] المعنى المطروح لهذا المصطلح اليوم؛ وإن حاول أصحابه إخفاءه هو النظر إلى القيم بلحاظ (آيدولوجيا المصلحة) التي فتنها دول الاستكبار العالمي؛ فكل ما يخدم المصلحة (قيم) وإن خالف الدين؛ والفطرة الإنسانية.
- [١٤] أنظر: قاموس المعاني على موقع: www.almaany.com.
- [١٥] الخصوصية لغةً بمعنى: نقل الملكية العامة للملكية الخاصة؛ واستخدامها في بحثنا نعني به تضيق دائرة القيم الفطرية إلى ما أقره العقد الاجتماعي.
- [١٦] للاطلاع على أهم الآراء في هذا الباب يُراجع كتاب سوسيولوجيا الثقافة: د. عبد الغني عماد، المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة: ص ١٤١-١٤٠.
- [١٧] نسبة إلى المذهب القروينائي الذي أسسه ارستيبوس (٤٣٥-٣٦٠ ق. م) اليوناني في قورينا، ودعا من خلاله إلى السير وراء الشهوات والملذات، والانصياع إلى الطبيعة البهيمية، وعدم رعاية المثالية القيمية على مستوى الفرد أو الجماعة؛ كما دعا إلى طمس عنصر الإرادة. لمزيد من التفصيل أنظر: الطويل، توفيق، فلسفة الأخلاق.

- [١٨] أنظر : ابن عساكر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ١٢ ، ص ١٨٤ . وأيضاً : الذهبي ، تاريخ الإسلام : ج ٦ ، ص ٣٢٣ .
- [١٩] ابن حنبل ، أحمد ، مسند ابن حنبل : ج ٤ ، ص ١٢٧ .
- [٢٠] أنظر : ابن تيمية ، أحمد ، منهاج السنّة النبويّة : ج ٦ ، ص ٢٣٥ .
- [٢١] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك : ج ٧ ، ص ٢١٣ .
- [٢٢] حسين عطوان ، الفرق الإسلاميّة في بلاد الشام في العصر الأموي : ص ٧٦ . وأوردّه ابن عساكر والبلاذري .
- [٢٣] ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ : ج ٣ ، ص ٤٤٩ .
- [٢٤] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك : ج ٤ ، ص ٢٦٦ .
- [٢٥] المصدر السابق : ص ٣٠٤ .
- [٢٦] النيسابوري ، مسلم ، صحيح مسلم : ج ٨ ، ص ٢٥ .
- [٢٧] البقرة : آية ٢٠٤-٢٠٥ .
- [٢٨] البقرة : آية ٢٠٧ .
- [٢٩] أنظر : ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ٤ ، ص ٧٣ . والأميني ، عبد الحسين ، الغدير : ج ١١ ، ص ٣٠ .
- [٣٠] ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ١١ ، ص ٤٤ .
- [٣١] المصدر السابق .
- [٣٢] ابن عساكر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ٧ ، ص ٣٢٢ . وقال الذهبي في ميزانه : ج ١ ، ص ٢٣٣- : « هذا كذب » . وذكره ابن كثير في تاريخه : ج ٨ ، ص ١٢٠ ، من طريق أبي هريرة وأنس وواثلة ابن الأسقع ، فقال : لا يصحّ من جميع وجوهه .
- [٣٣] ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ٢ ، ص ١٧ .
- [٣٤] أنظر : الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك : ج ٣ ، ص ١٧٦ .
- [٣٥] هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي الكندي ، المعروف بمحجر الخير ، من صحابة رسول الله ﷺ . كان قائداً عسكرياً ، أماراً بالمعروف ، من شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، شهد معركة صفين أميراً . وهو من أعظم قادة الفتوحات الإسلامية ، وصفه الحاكم في المستدرک براهب الصحابة ؛ لكثرة عبادته . قتله معاوية مع زمرة من أصحابه ؛ لأنه امتنع عن سب الإمام علي عليه السلام . أنظر : الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك : ج ٥ ، ص ٢٥٣ . وأيضاً : ابن كثير ، إسماعيل ، البداية والنهاية : ج ٨ ، ص ٤٩ .
- واعترف معاوية بجرمته النكراء قائلاً : « ما قتلتُ أحداً إلّا وأنا أعرف فيمَ قتلتُهُ وما أردت به ! ما خلا حجر ابن عدي ؛ فإني لا أعرف فيمَ قتلتُهُ » . أنظر : ابن عساكر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ١٢ ، ص ٢٣١ .
- [٣٦] اليعقوبي ، أحمد ، تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ، ص ٢٣١ . المناوي ، محمد ، فيض القدير : ج ٤ ، ص ١٦٦ .
- [٣٧] القرشي ، باقر شريف ، حياة الإمام الحسين : ج ٢ ، ص ١٢٢ .
- [٣٨] الجصاص ، أحمد ، أحكام القرآن : ج ١ ، ص ٨٦ . وأنظر أيضاً : ابن كثير ، إسماعيل ، البداية والنهاية : ج ٩ ،

ص ٧٨ .

- [٣٩] الجصاص ، أحمد ، أحكام القرآن : ج ١ ، ص ٨٦ .
- [٤٠] خطب الإمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة (تحقيق : محمد عبده) : ج ٣ ، ص ٨٥ .
- [٤١] المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٨٤ .
- [٤٢] خطب الإمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة (تحقيق : محمد عبده) : ج ٣ ، ص ٨٤ .
- [٤٣] الأعراف : آية ١٤٢ .
- [٤٤] هود : آية ٨٨ .
- [٤٥] الأعراف : آية ٨٥ .
- [٤٦] هود : آية ١١٧ .
- [٤٧] ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة : ج ١ ، ص ٤٦٥ .
- [٤٨] ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ٨ ، ص ١١٠ .
- [٤٩] ابن عساکر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ٤٢ ، ص ٤٤٥ .
- [٥٠] الحديد : آية ١٠ .
- [٥١] الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك : ج ٤ ، ص ٣٠٤ .
- [٥٢] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٣٠ .
- [٥٣] لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ص ٩٦٠ (دعاء عرفة) .
- [٥٤] أنظر : الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك : ج ٨ ، ص ١٨٨ .
- [٥٥] ابن أعمش ، أحمد ، الفتوح : ج ٥ ، ص ٢١ .
- [٥٦] العقاد ، محمود ، أبو الشهداء (الحسين بن علي) : ص ١١٣ .
- [٥٧] الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة : ج ١ ، ص ٦١٧ .

د . الشيخ عبد المجيد فرج الله
باحث وأستاذ في حوزة النجف الأشرف

عُمق النهضة الحسينية ولامحها في عصر ما قبل النهضة

مقدمة

بات من الجليّ لكلّ متأملٍ مقدارُ الخطر الداهم الهادم ، الآتي من التخطيط الأموي البغيض ، الساعي إلى بناء التحالفات بشئىّ الاتجاهات لمحق الإسلام ، وقطع جذوره التي تمدُّ أمة التوحيد بنسخ الحياة ، وتشويه عطائه الإيماني الذي يبشّر كلّ أبناء الأرض بقيمه النبيلة ، وشريعته الحيّة السمحة ، المُرشّدة لحركة الإنسانيّة أفراداً ومجتمعاتٍ ؛ وهي تشبع احتياجاتها ، وتبني حضاراتها ، وتنطلق إلى مجدها المنشود .

ولولا الوجود المبارك لخط الإمامة المحافظ على كل قيم النبوة المحمديّة وعطائها بعد استشهاد رسول الله محمّد ﷺ مسموماً ملدوداً ، لأطبق الأمويون وحلفاؤهم من اليهود والمنافقين والمشركين والمنقلبين على الأعقاب ، وبمساندة الجهد القيصري الرومي الحليف ، لأطبقوا على هذا الدين ، واستباحوا عاصمته القليلة العدد والعدّة ، قياساً بأعداد ذلك التحالف الهادم والإرهاب الصادم ، خاصة بعد أن تسلّق (آل أبي معيط) على أكتاف الناس المسلمين ، وبعد أن صفا (الملك العضوض) لبني أمية وهم يقودون الإسلام وأهله إلى الجاهليّة الجهلاء من جديد ، وينحدرون

بالأمة إلى هاوية الانسلاخ عن كل قيم الإسلام ، وتعاليم دينه القيم .

كيف واجه الإمام الحسين عليه السلام هذا المدّ المدمّر ؟

سؤال في غاية الأهمية ، يحتاج من الباحث المجيب أن يتحلّى بأقصى درجات الروح الموضوعيّة ، وأن يجيد التعاطي مع أدق أدوات التحليل العلمي ، كما يحتاج من السائل أن يتحلّى بأقصى درجات التبصّر المحايد بعيداً عن الضغط المذهبي ، والشدّ الطائفي ، وهما - الباحث والسائل - يتابعان حركة الإمام الحسين عليه السلام منذ نعومة أظفاره ، وبدايات تأثيره في محيط (أمة جدّه) ، وإلى آخر أيامه في تلك الأمة التي خسرتها أمراً بالمعروف ، وناهياً عن المنكر ، وسائراً بسيرة جدّه وأبيه ، واضعاً أبناء الإسلام أمام مسؤوليتيهم العظميين الدينيّة والتاريخيّة ؛ بأنّ من قبله بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن ردّ عليه يصبر حتّى يحكم الله والله خير الحاكمين ، كما يعبر هو سلام الله على جدّه وأبيه وعليه وعلى آلهم الطاهرين .

وحتىّ يكون تحليلنا واستنتاجنا علمياً صرفاً سنأخذ عينات بحثية مثلت مراحل حياة هذا

الإمام الجهاديّة التغييريّة في مواجهة ذلك المدّ المتحالف الهداف إلى محق الإسلام .

لكن قبل ذلك يجدر بنا أن نعطي ترجمة مختصرة جدّاً عن الإمام الحسين عليه السلام ، ترجمة نريدها (نبويّة) ، ويرضى بها المسلمون جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، لذا نأتي إلى شيخ من أبرز مؤرخي المسلمين ومترجمي رجالهم وهو ابن عساكر ، صاحب كتاب (تاريخ دمشق الكبير) ، لنقتطف من كتابه ما رواه متصلاً عن ربيعة السعدي ، قال : « لما اختلف الناس في التفضيل ، رحلتُ راحلتي ، وأخذتُ زادي حتّى دخلتُ المدينة ، فدخلتُ على حذيفة بن اليمان ، فقال لي : من الرجل ؟ قلتُ : من أهل العراق . فقال : من أيّ العراق ؟ قلتُ : رجل من أهل الكوفة . قال : مرحباً بكم يا أهل الكوفة . قلتُ : اختلف الناس في التفضيل ، فجئتُ لأسألك عن ذلك ؟

فقال لي : على الخير سَقَطَتْ ، أما إنّي لا أحدثك إلّا بما سمعتهُ أذناي ووعاهُ قلبي وأبصرتهُ عيناي : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، كأني أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة ، حاملُ الحسين بن عليّ على عاتقه ، كأني أنظر إلى كفه الطيّبة واضعها على قدمه

بن عليّ ما خلا يوسف بن يعقوب»^(١) .
إننا أمام هذا الحديث نقف مطمئنين إلى
دلالتة ، بما يجعلنا متيقنين من معناه ومغزاه ؛
وذلك لإجماع المسلمين على فحواه ، ولما
يعضده في مروياتهم المتواترة من الأحاديث
النبوية ، وكذلك لإطباقهم في سيرتهم على
الأخذ بمضمونه . ومن فهم هذا الحديث
الشريف ، ومن تحكيم العقل المحايد ، ننطلق
في تحليل هذه العيّنات :

جهاد تثبت مرجعية القرآن الكريم وا لحديث النبويّ غير المحرّف

من أعظم ما تُمنى به الشرائع الدينية أن
يؤخذ التشريع كله أو بعضه من أفراد ليسوا
مشرعين ، أو أن يكونوا قيّمين عليها وهم غير
معصومين ؛ فيُخطئون ويُصيبون ، فيلتبس
الحق بالباطل ، ويختلط الحابل بالنابل ! خاصة
إذا كان اختلافهم (بغياً بينهم) ، والبغي هو
التعدّي والظلم والفساد ، وقد جاء في القرآن
الكريم التحذير الشديد من ذلك ؛ في آيات
تؤسس لبناء معرفي عقيدي رصين^(٢) ، أو في
أثناء ذكر قصص أمم الأنبياء السابقين^(٣) ، أو
في معرض التوجيه والإرشاد^(٤) ، أو حين
التحذير من الانقلاب والارتداد^(٥) .

يلصقها بصدرة ، فقال : يا أيّها الناس ،
لأعرفنّ ما اختلفتم - يعني في الخيار - بعدي .
هذا الحسين بن عليّ ؛ خير الناس جدّاً ، وخير
الناس جدّةً ؛ جدّه مُحَمَّدٌ رسول الله ، سيّد
النبیین ، وجدّته خديجة بنت خويلد ، سابقة
نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله . هذا
الحسين بن عليّ ؛ خير الناس أباً ، وخير
الناس أمّاً ؛ أبوه عليّ بن أبي طالب ، أخو
رسول الله ﷺ ووزيره ، وابن عمّه ، وسابق
رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله ، وأمّه
فاطمة بنت محمد ، سيّدة نساء العالمين . هذا
الحسين بن عليّ ؛ خيرُ الناس عمّاً ، وخير
الناس عمّةً ؛ عمّه جعفر بن أبي طالب ،
المزيّن بالجناحين يطيرُ بهما في الجنّة حيث
يشاء ، وعمّته أمّ هانئ بنت أبي طالب . هذا
الحسين بن عليّ ؛ خيرُ الناس خالاً ، وخير
الناس خالّةً ؛ خالته القاسم بن محمد رسول
الله ، وخالته زينب بنت محمد رسول الله .
ثمّ وضعه عن عاتقه ، فدرج بين يديه ،
وحبى . ثمّ قال : يا أيّها الناس ؛ هذا الحسين
بن عليّ ؛ جدّه وجدّته في الجنّة ، وأبوه وأمّه
في الجنّة ، وعمّه وعمّته في الجنّة ، وخاله
وخالته في الجنّة ، وهو وأخوه في الجنّة . إنّه لم
يؤت أحدٌ من ذريّة النبيّين ما أُوتي الحسين

والآيات ما لا تقوله ، أو نسبة أسباب نزول مزورة . . . إلى كثير من هذا القبيل ! وقام هؤلاء الأئمة الأطهار بإعطاء التفسير الصحيح للقرآن الكريم ، وهم يتحدون منع سلطة الخلافة الجائرة التي رفضت القرآن المكتوب المجموع بيد الإمام علي عليه السلام (٦) ، ومنعت بكل وسائل المنع والقمع والعسف والبطش من رواية أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعد شهادته ، بل حتى من قبل شهادته ، ولقد وصل الحد فيما بعد بهذه السلطة المتسلطة بالحديد والنار إلى فرض الإقامة الجبرية على الصحابة حتى لا يخرجوا خارج المدينة المنورة ، خشيةً من أن يحدثوا الناس بأحاديث رسول الله (٧) ! ! ولقد وجد الأمويون في قرارات السلطة هذه ما يريح بالهم ، ويساعدهم في تنفيذ مخططهم الشنيع الذي وضعوه ليحققوا غرضين معاً :

الأول : خطف الخلافة واستيلاؤهم على كل بلاد المسلمين .

والثاني : أخذ الثأر من المسلمين الذين قتلوا ذوي قرباهم من المشركين .

جهاد تصحيح المسار للعودة بالخلافة إلى أهلها الشرعيين

لما فشلت محاولة اغتيال سيدنا رسول

ومن أجل تثبيت مرجعية صحيحة للتشريع الإسلامي كان للإمام الحسين جهاد عظيم ، وجهود كبرى مع أبيه الإمام علي المرتضى وأمه فاطمة الزهراء وأخيه الإمام الحسن المجتبي ، عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين ، وأزرهم وتلاهم الصالحون المخلصون من آل البيت والصحابة والتابعين ، وقد تمثلت هذه المرجعية في حصر التشريع الإسلامي بالقرآن المجيد ، وما صحَّ نقله من أقوال وأفعال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى تم لهم ما أرادوا وإن كان بأعلى التضحيات ، التي وصلت إلى حد الاستشهاد العلني كما في قتل الإمام علي وولده الإمام الحسين عليه السلام ، أو الاستشهاد المستتر كما في اغتيال السيدة فاطمة الزهراء والإمام الحسن عليه السلام ، وقد كان الجهاد من أجل صيانة القرآن وحمايته عن التحريف ممتداً على أكثر من جبهة ، ومن أهم الجبهات : جمع القرآن ليكون مكتوباً ومحفوظاً ومجموعاً (بين الدفتين) ، وكان ذلك علناً أول ما كان بعد استشهاد سيدنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله . . . وكذا حفظ القرآن من كل محاولات التلاعب فيه زيادة ونقيصة ، وصيانة القرآن من التأويل الخاطيء ، ومنع التفسير بالرأي ، وفضح محاولات صرف الآيات عن مواردها ، أو تقويل

الطاحنة التي خُطط لها لأن تودي بالإسلام كلّه ، وتمحق كل أهله ، ولكن الثمن كان غالباً ، بعد أن تخاذل المسلمون عن إعادة الحق إلى نصابه ، إذ لم يخلعوا الخليفة المفروض بقوة الحديد والنار ، ولم يفوا ببيعتهم للخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام التي سبقت في غدِير خم !

وكان لتحرك الإمام الحسين مع أخيه الإمام الحسن وأُمّهما السيّدّة فاطمة الزهراء عليها السلام منحى الجهر برفض هذه الخلافة ، والتحرك للإطاحة بها جهاراً نهاراً ، مع فضح رأس السلطة فيها ، وسحب بساط أي مشروعية ملفّقة له من تحت أقدامه وأقدام أعوانه وحلفائه . . . حتّى سقطت هي شهيدة ، وسلّمهما الله من القتل لصغر سنّهما !

وكذلك كان لهم عليهم السلام مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام منحى التحرك السريّ لتحشيد جموع المهاجرين والأنصار ، ليتحمّلوا مسؤوليتهم الشرعية ، ويؤدّوا أمانتهم الدينية ، فيثبوا وثبة واحدة تطيح بهذا الخليفة المفروض بلا مؤهلات ، والمتقمّص للخلافة بلا غطاء شرعي ، فكان هؤلاء الأربعة يطوفون ليلاً على بيوت المسلمين من المهاجرين والأنصار ، لتصحيح المسار ، ولإعادة الحق إلى أهله ،

الله ﷻ ليلة العقبة ، فكّر الأمويون وأتباعهم والمتحالفون معهم من المنافقين واليهود في أن يدسوا السمّ إلى سيدنا الرسول الأكرم ﷺ ، كما خططوا لإشعال الفتنة الداخلية في المدينة المنورة لو تمّ لهم اغتيال الرسول ﷺ ، ولا يتحقق لهم اختراق بنيان المسلمين المرصوص بأحسن من فتنة خلافة الرسول .

ولمّا استطاعت امرأة يهودية أن توصل السم إلى بيت إحدى زوجات النبي ! ونجحت المحاولة الخبيثة ! ! وبدأ ﷺ يعاني من أعراضها وأثارها ، عادوا من جديد للإجهاز عليه بدس سمّ آخر تحت مسمّى الدواء ، فكانت تباشر إحدى زوجاته لدّه به مع أنه كان ينهى مراراً عن لدّه ^(٨) .

وهنا تعقّدت الأمور ، واختلطت الأحداث ، وكانت كل الخيارات مُرّة صعبة ، خاصة بعد فاجعة السقيفة المخزية ، التي تمخضت عن فرض خليفة بطريقة (الفلّنة) كما يصفها عمر بن الخطاب ، والذي حكم ضمناً على مقترفيها بالإعدام « **فمن عاد لمثلها فاقتلوه** » ^(٩) ! وكان أهل البيت الطاهرون يحاولون تطويق نار تلك الفتنة الطاحنة ، وتبّطيء عجلة تلك الحرب الضروس ، فنجحوا بقيادة الإمام عليّ عليه السلام في نزع فتيل الحرب الداخلية

على إقدام الإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين عليهما السلام عدّة مرّات على إنزال الخليفة عنوةً عن منبر رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، ويحدّثنا التاريخ عن شجاعة فائقة وذهنية حاذقة للإمام الحسين عليه السلام في واحدة من تلك المرّات ، كما يعطينا انطباعاً عن تغلغل معاوية بن أبي سفيان في بيت الخليفة ، ونفته سموم الهدم في أذنه الصغواء له في كلِّ باطلٍ ! بل كان معاوية يخلو بعمر فلا يستطيع حتّى ابن عمر من الدخول على أبيه ، فضلاً عن الاستماع لما كان ينفثه معاوية الأموي !!

يقول التاريخ على لسان ابن عساكر عن أشياخه في الرواية ، راوياً أجزاءً من قول الإمام الحسين عليه السلام : « عن عبيد بن حنين ، عن حسين بن علي ، قال : سعدت إلى عمر بن الخطاب فقلت له : انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك ، قال : فقال : إنّ أبي لم يكن له منبر . قال : فأقعدني معه ، فلمّا نزل ذهب بي إلى منزله ، فقال : أي بُني ، من علمك هذا ؟ قال : قلت : ما علمنيه أحد ، قال : أي بُني ، لو جعلت تأتينا وتغشانا ، قال : فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية ، وابن عمر بالباب ولم يؤذن له ، فرجعت ، فلقيني بعد ، فقال لي : يا بُني ، لم أرك تأتينا ! فقال : قد جئت وأنت

وقد حفظ التاريخ وثيقة مهمّة جداً لمعاوية بن أبي سفيان الأموي تؤكّد ذلك : « وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك ، ومشيت إليهم بامرأتك ، وأدليت إليهم بابنيك . . . » ^(١٠) .

هذه الوثيقة تؤكّد جهاد الإمام الحسين عليه السلام من أجل تصحيح المسار للعودة بالخلافة إلى صاحبها الشرعي ، حتّى يقطع الطريق أمام الإرهاب الأموي الذي بدأ يتحرك تحت ستار الخلافة الجديدة . . ذلك الإرهاب المتحالف معها ظاهراً ، المتحمّين الفرصة للإطاحة بها باطناً !! وتمّ للأُمويين ذلك بعد أن دسوا السم لأبي بكر بعد سنتين ونصف من خلافته ، ثمّ صعد أموي منهم إلى سدة الحكم بعد مقتل عمر بن الخطاب بمؤامرة أحكم طبخها الأُمويون وحلفاؤهم الذين أشرنا إليهم سابقاً . ولكن من يجرؤ على معارضة سلطة الشيخين غاصبي الخلافة ؟

الحسان عليه السلام يتقاسمان المهمة —

على المؤرّخ الحصيف أن لا يمرّ مروراً عابراً

أو إلى قتل عثمان ليجنوا من قتله مكاسب لا يستطيعون الحصول عليها وهو حيّ ، وأهم هذه المكاسب أن يشرعنوا تمردهم باعتبارهم أولياء دم عثمان . . . حتى بات (قميص عثمان) المخضب بالدم مضرب المثل عند العرب إلى يومنا هذا .

وكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام تحت مظلة أبيه الإمام علي وبمعية أخيه الإمام الحسن عليه السلام على صعدين :

الأول : تأشير أخطاء عثمان ، والتحذير من تداعياتها ، وإعطاء الحلول الممكنة لتلافي كوارثها .

الثاني : المرابطة أمام باب عثمان ؛ لمنع من قتله ، من أجل تفويت الفرصة على الأمويين الذين يخططون للاستفادة من قتله بعد أن احترقت ورقته (على حدّ تعبير السياسيين المتأخرين .

وداع أبي ذر المحظور

من الشواهد على الصعيد الأول السالف الذكر تشييع أئمة الهدى علي والحسن والحسين عليهم السلام الصحابي أبا ذر بعد أن نفاه عثمان ومنع حتى من توديعه ! هذا التشييع الذي كان بحق مظاهرة إيمانية سياسية

خالٍ بمعاوية ، ورأيت ابن عمر رجع فرجعت . فقال : أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر ، إنّما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثمّ أنتم ، قال : ووضع يده على رأسه » ^(١١) .

ويؤكد ابن عساكر وغيره هذا الحديث ببعض التفاصيل التي يبدو أنّ الرواة كانوا يهابون التصريح بها ، وربما امتدّت أيديهم ليدسوا بعض الألفاظ (الملقطة) على لسان الإمام الحسين عليه السلام ^(١٢) .

محاولة تطويق الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان

لقد عمل الأمويون بكلّ دهاءٍ ومكرٍ على الاستفادة من وصول أحد أبناء قبيلتهم إلى هرم الخلافة وهو عثمان بن عفّان ، وخططوا لأنّ يحولوا الخلافة إلى (ملكٍ أموي عضوض) وذلك بثلاثة اتجاهات :

الأول : التحكّم ببيت مال المسلمين والسيطرة عليه وجعل الامتيازات المالية والاقتصادية في أيديهم حصراً .

الثاني : التغلغل في كلّ مفاصل الدولة ، واحتلال المناصب الحساسة .

الثالث : تصعيد الأحداث حتى تصل إلى حد احتلال المدينة المنورة بالتعاون مع الروم ،

مقتله أكثر من استفادتهم من بقاء خلافته ، فيكفي للتدليل عليه إجماع المؤرخين على مكث سبطي رسول الله ﷺ أمام باب عثمان ، ونجاحهم في منع الثوار من دخول الدار حتى لا تقع الفتنة ، وبأسلوب لا يخدش مشاعر الثائرين المطالبين بمطالب عادلة ، هذا من جهة . . . ولا يعطي لعثمان المشروعية في تصرفاته وتصرفات مروان الغادرة بالثوار . وتفصيل هذا الحدث تعص بها كتب التاريخ حدَّ إدماء القلب^(١٤) .

إعادة تشييد دولة الإسلام

كان للاجتهادات الجاهلية الخاطئة التي ارتكبتها غاصبو الخلافة الشرعية آثار سلبية جداً على دولة الإسلام كدولة ، وعلى أمة الإسلام كأمة ، وعلى أفراد الإسلام كأشخاص فُرِضَتْ عليهم آراء شخصية غير منضبطة تشريعياً ، لكنها انقضت بقوة الحديد والنار وبإدعاء أن كل ما يقوله الخليفة هو واجب التطبيق والتنفيذ ، ومن يرفض فإنه يشق عصا الجماعة ! ويخرج عن الطاعة !!

وقد كانت السياسة الداخلية تعيش اضطراباً واضحاً ما بين خليفة وخليفة ، وكل خليفة من هؤلاء الخلفاء الثلاثة كان يتعد عن المنهجية

سلمية ، أمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر . . كما يوثق ذلك ابن أبي الحديد المعتزلي في معرض شرحه كلام الإمام علي عليه السلام لأبي ذر ، ويعيننا هنا في هذا البحث قول الإمام الحسين عليه السلام : « يا عمّاه ، إنَّ الله تعالى قادر أن يغيِّر ما قد ترى ، والله كلُّ يومٍ هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينك ، فما أغناك عمّا منعوك ! وأحوجهم إلى ما منعتهم ! فاسأل الله الصبر والنصر- ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فإنَّ الصبر من الدين والكرم ، وإنَّ الجشع لا يقدِّم رزقاً ، والجزع لا يؤخِّر أجلاً »^(١٣) .

وهنا يتبين لنا دفاع الأئمة الثلاثة علي والحسن والحسين عليهم السلام عن الصحابي أبي ذر (كشخص) ، وعن حق أبي ذر (كمواطن) ، بل ودفاعهم عن روح الدين الإسلامي (كتشريع) ، وقول كلمة الحق مهما كلف الثمن (كموقف شريف) ! هذا مع التنديد الشديد بإرهاب النفي الأموي العنيف إلى البلاد القاحلة التي لا سكان فيها ولا أيّاً من مستلزمات الحياة البشرية .

أمّا على الصعيد الثاني وهو المرابطة أمام باب عثمان ؛ للمنع من قتله ، من أجل نقوبت الفرصة على الأمويين المستفيدين من فتنة

المؤمنين عليه السلام سنة (٣٦ هـ) ؛ فبجهود هذين الإمامين الحثيثة استطاع الإمام علي عليه السلام أن يقول بكل ثقة وتأكيد : « فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشَلُّوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا ، وَكُنْتُ أَحْفَظَهُمْ صَوْتًا ، وَأَعْلَاهُمْ قُوْتًا ، فَطَرْتُ بِعَيْنَيْهَا ، وَإِسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَانَيْهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الْأَعْوَاصِفُ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيْزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقَّ مِنْهُ ، رَضِينَا عَنِ اللَّهِ فَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ » (١٥) .

تثبيت العدل الاجتماعي

وانطلق الإمام علي عليه السلام في نهضته الإصلاحية الكبرى العائدة بالمسلمين إلى المبادئ المحمدية الحقة ، وكان من نتاج النهضة العلوية تثبيت العدل الاجتماعي باعتبار الناس سواسية كأسنان المشط ، وتثبيت القضاء العادل ، حتى أمن الخائفون ، وأنصف المظلومون ، وبقيت كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تدوي في الأرجاء ، وهو يقول ما قاله في أوائل أيام خلافته من كلام له فيما رده

المحمدية المعصومة في القيادة والحكم ، علم أم لم يعلم ، قصد أم لم يقصد . فإذا بالمحصلة النهائية التراكمية لأعمال هؤلاء الثلاثة تنحو منحى بعيداً جداً عن المحددات القرآنية التي ترسم إطار القيادة الناجحة في دولة الدين الخاتم .

ولما آلت الخلافة إلى الإمام علي عليه السلام كان عليه أن يعمل جاهداً لإعادة الأمور إلى نصابها الشرعي ، ومن ضمن ذلك : إعادة تشييد بناء دولة الإسلام على طبق الضوابط المحمدية ، وكان الإمام علي عليه السلام بحاجة إلى مؤازرة جماهيرية لقبول العودة إلى تلك الضوابط ، خاصة بعد أن خدّرت الأموال والامتيازات حتى بعض المحسوبين على دائرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله كالزبير بن العوام ، ابن عمّة الرسول والإمام .

إنّ هذه التعبئة الجماهيرية الإصلاحية كانت تحتاج جهوداً كبرى وتحركات عظمى من قبيل أقرب شخصيتين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهما ریحانتاه الحسن والحسين عليهما السلام ، اللذان يحظيان باحترام كل المسلمين المخلصين . . . ومن المؤسف أنّ مما أخفق التاريخ الإسلامي في الانتباه إليه والإشادة به هو هذا الجهد الجبار الذي بذله الإمامان الحسنان في تشييد التعبئة الجماهيرية الإصلاحية المؤازرة لقرارات أمير

على المسلمين من قطائع عثمان : « وَاللَّهِ ، لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النَّسَاءَ وَمَلَكَ [تَمْلِكَ] بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ . . . فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ » (١٦) .

مفارقة

يحدثنا التاريخ أنَّ الأموال التي كانت عند جماعة قليلة من رؤوس المسلمين المقربين من الخلافة السابقة بلغت أرقاماً خيالية ؛ حتَّى أنَّ الذهب والفضة كانت دنائيرهما والدرهم تصدأ وهي تُخزَّن في الأرض أو في الجرار الرطبة المخفية ، وتتلاصق حتَّى يصعب فصلها عن بعضها ، فكانت تُكسَّر بالفؤوس !! في المقابل كان العوز والجوع يعذبان غالبية المسلمين من الطبقات الشعبية المسحوقة . ولما آلت الخلافة إلى الإمام عليٍّ عليه السلام عمل بكلِّ ما في وسعه لإعادة حقوق الناس المسلووبة المغصوبة إلى أصحابها .

وهنا ننوّه من جديد بالمهمة الرسالية العظيمة والجهاد الدؤوب اللذين اضطلع بهما الإمام الحسين بمعونة أخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ؛ فقد استطاعا أن يؤثرا في الرأي العام المسلم ، على أمل أن يقف

المسلمون مع هذه اللحظة الإصلاحية الحاسمة ، فإذا بهذه الحركة المباركة للحسين عليه السلام تثمر بشق الأنفس ، فتابعهما خُلص صحابة النبي الأكرم عليه السلام ، والتفت جموع الناس المحرومين المسحوقين حول قيادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا جهاد بمعزل عن السيف ، لكنه كان من أعظم الجهاد ، حتَّى بدا واضحاً للعيان أن منهج الإمام الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه عليه السلام هو ضدُّ نوعيٍّ حقاً ومخالفٌ تماماً لمنهج الاستئثار الأموي الذي كان يقضم حقوق المسلمين كما تقضم الإبل نبتة الربيع ، على حد تعبير الإمام علي عليه السلام : « . . . قَامَ ثَالِثُ أَلْقَوْمٍ نَافِجاً حِضْنِيهِ بَيْنَ نَشِيْلِهِ وَمَعْتَلِفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ عَلَيْهِ فَنَلَّهُ ، وَأَجْهَرَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ » (١٧) .

الغارات الإرهابية الأموية على المدني ين الآمنين

لقد اقتترف الأمويون أبشع الجرائم ضد الإنسانية ، وكان منها الترويع الجماعي لعشرات الآلاف من المسلمين ، وقتلهم بأبشع طرق القتل . . حتَّى أن أحد القادة الأمويين أغار من

لمقاتلة أولئك الإرهابيين فيما بعد ، حتى صاح الإمام علي عليه السلام بأصحابه : « إِمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِنِي ، فَإِنِّي أَنفُسَ يَهْدِينَ [يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ] عَلَى الْمَوْتِ ، لَعَلَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (١٨) .

تطويق الفتنة الأموية النفاقية في ما ساء حرب الجمل

اقتضت العدالة الإسلامية التي كان يجسدها خير تجسيد الإمام علي عليه السلام أن لا يكون عقاب قبل الجريمة ، ومع علم الإمام علي عليه السلام بأن طلحة والزبير يريدان الغدر ولا يريدان العمرة كما أكد ذلك لهما هو بنفسه عليه السلام (١٩) ، إلا أنه لم يفرض عليهما إقامة جبرية ، ولا ضيق عليهما ، فضلاً عن أنه لم يقتلها ، واكتفى منهما بأن يجددا البيعة له فقط ، إتماماً للحجة ، وإشهاداً للتاريخ .

لكنهما وللأسف الشديد التحقا بتلك المرأة التي كانت تحرض على الإمام علي عليه السلام ، وكان مروان بن الحكم يؤزها أژاً لإذكاء نار تلك الفتنة ، ولم تنتها حتى (كلاب الحوآب) عن مسيرها المرفوض من قبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقرآن الحكيم (٢٠) ، بل راح الأمويون يجمعون شهود الزور ليشهدوا أن هذه الأرض التي

الشام على البلدات والقرى الإسلامية إلى أن وصل إلى اليمن وعاد راجعاً إلى الشام ، وقد قتل في ذهابه وإيابه ثلاثين ألف مسلم ! غالبيتهم من الأطفال والنساء والشيوخ ! وغير بعيدة عن ذاكرة المسلمين الدامية صورة الذبح المرعب لطفلين بريئين هما ولدا عبيد الله بن العباس ، وعبيد الله هذا هو ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إن هذه الغارات كانت إعلاناً للحرب على المسلمين جميعاً ، كما كانت كاشفة عن الحقد والإرهاب الأمويين ، بما لا يدع مجالاً للشك في أن هذا الحزب الأموي لا يريد للإسلام أي خير ! بل يعيث به كل شر !! والغريب المريب أننا وإلى يوم الناس هذا لا نسمع تبرزواً من معاوية وحزبه وأفعاله في حُطَب الجُمع والأعياد والأحاديث الدينية لمن يدعون أنهم من أتباع السنّة والجماعة !!! والسنّة النبوية والجماعة المسلمة براء من القتلة والمجرمين والإرهابيين الذين جتدهم أبو سفيان وابنه معاوية وحزبهما الباغي الطاعي .

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام في طبيعة المنددين بهذه الغارات الإجرامية الإرهابية ، ومن ثمّ كان هو وأخوه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في مقدمة صفوف المجاهدين

صدره ودماءؤه تسيل عليه ! ! ويحدثنا التاريخ عن أبيات من الرجز الشجيّ قالتها أمّ ذريح العبدية راثيةً هذا الشهيد المظلوم : (٢٣)

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم
بمصحفٍ أرسله مولاهم
للعدل والإيمانٍ قد دعاهم
يتلو كتابَ الله لا يخشاهم
فخَصَّبوا من دمه ظباهم
وأمرهم واقفةً تراهم
تأمرهم بالغى لا تنهاهم .

حملات الموت الأموية تطال المسلمات و

غيرهن

ويحدثنا التاريخ أيضاً بكلّ مأساوية عن حملات موت أموية إرهابية كانت قبل صفين ، انطلق فيها القادة الإرهابيون الأمويون ليروعوا الأمنيين في بلاد المسلمين من المدنيين العزل ، وكانوا لا يتورعون حتّى عن ظلم المرأة المسلمة ، والمرأة المعاهدة (المسيحية أو التي على دين غير دين الإسلام) على حدّ سواء ! فكانوا يسلبونهن ويعتدون عليهن ! ! مما حدا بالإمام عليّ عليه السلام أن يخطب خطاباً مدوياً حاكياً عن ألمه الشديد ، وأسفه العميق ، وعزيمته

نبحتها كلابها هي ليست أرض الحوآب ، بعد أن تحققت مقولة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين قال : « أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب » (٢١) .

لقد قام الأمويون بدور قذر في إشعال نار الفتنة ليضربوا المسلمين بعضهم ببعض في حرب الجمل الطاحنة الضروس ، وكان الإرهابي مروان بن الحكم في ساحة الحرب يطلق السهام مرة على جيش الإمام عليّ عليه السلام ومرة على جيش عائشة ، وحين سُئل عن ذلك أجاب بأنه عدو لكلا الفريقين ، فأينما أصابت سهامه فإنه يصيب عدواً من أعدائه ! ! حتّى وصل به الأمر إلى أن رمى هو بنفسه طلحة بسهم فأودى بحياته ! وهذا ما تؤكدّه كتب التاريخ (٢٢) .

كل هذا والإمام عليّ عليه السلام يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة لحقن دماء المسلمين ، والتراجع عن إشعال نيران الحرب التي ستحرق اليباس والأخضر . . . ولقد كان أرسل إليهم كتاب الله (القرآن الكريم) منشوراً يحمله من جيشه بملابس السلام البيضاء رجلٌ مسلم واسمه (مسلم) ، فكان اسماً على مسمّى ، يدعوهم إلى الاحتكام إليه ، لكنهم أبوا ورفضوا ، وردّوا عليه بأن قطعوا يده اليمنى ، ثمّ اليسرى ، ثمّ قتلوه وهو صابر محتسب أعزل ! ليس عنده سوى القرآن يضمّه إلى

بناء جيش الولاء

الإمام الحسين عليه السلام كان يتحسس كل ذلك ، ويعمل جاهداً على أكثر من مجال ، لإحقاق الحق ، ودحر الباطل ، هذا الباطل الذي بدأ يتعمق وقد اصطف لمؤازرته كل ذوي الشر والضلال . ومن أهم تلك المجالات ؛ الدفاع عن الأبرياء في حدود دولة الإسلام من مسلمين وغيرهم ، وذلك بالوقوف مع الخط المحمدي بكل صلابة ورسوخ ، ومنع هذا الإرهاب السرطاني الأموي البغيظ من الانتشار ، بفضح أهدافه الجاهلية الإجرامية ، وتبصير الناس مقدار خطره الذي يهدد الوجود الإنساني إذا ما أُتيح للأمويين الانتصار في هذه الحرب الإرهابية الظالمة . . هذا أولاً ، والمجال الثاني هو التحشيد الدقيق لصد أولئك القتلة المجرمين الإرهابيين ، وتجييش جيش يتحمل مسؤوليته الجهادية في مقاتلة الأمويين وأتباعهم وحلفائهم الذين يمدونهم بالمال والسلاح والخبرات ، ومنهم الروم الذين بأيديهم كثير من المقدرات بما في ذلك ضرب العملة النقدية من الدنانير والدرهم !!

إنّ بناء جيش كهذا من قبائل عربية مسلمة ترى الإمام علياً عليه السلام خليفة شأنه شأن غيره من الخلفاء الذين سبقوه وليس إماماً معصوماً

على قتال هؤلاء المجرمين ، وتنديده بالمتقاعسين عن جهادهم : « هَذَا أَحْوُ غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ حَيْلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَّانَ الْبُكْرِيِّ ، وَأَزَالَ حَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمَعَاهِدَةَ ، فَيَتَنَزَعُ حِجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَانِدَهَا وَرُعْثَهَا ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ وَلَا أُرِيَقَ لَهُمْ دَمٌ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا ، فَيَا عَجَبًا عَجَبًا ! وَاللَّهِ ، يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ إِلَهُمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، فَتُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُعَارَ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ ، وَتُعْرُونَ وَلَا تُعْرُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ » (٢٤) .

إنّ هذه الحملات هي امتداد لما قام به الأمويون سابقاً ، وتبعها فيما بعد كما يحدثنا التاريخ مسلسل من تلك الحملات المسعورة المرعبة التي أراد بها الأمويون إرغاب المسلمين وإرهابهم وايداعهم من أجل تركيعهم للإرادة الأموية ، حتّى يتسلطوا عليهم ، وينهبوا خيراتهم .

عصمة القائد ، بل عايش سطوته وغلاظته منذ وفاة الرسول ﷺ أوائل سنة ١١ هجرية ، وإلى مقتل عثمان عام ٣٥ للهجرة . . فنشأ جيل ، بل أكثر من جيل ، على تربية الحاكم الذي يضرب المسيء والبريء ، ويرمي كل من لا يطبق أوامره بالخروج عن الإسلام ؛ لأنه نبذ الطاعة ، وشق عصا الجماعة ، فيحكّم عليه بالموت لأنه ارتكب جريمة (الحراية) !!!

لقد عمل الأئمة الثلاثة والموالون لهم من الصحابة والمقربين على نشر ثقافة الولاء في أوساط الأمة المنهجرة بكلمات الإمام علي عليه السلام وكراماته ، لكنها تطبعت سنين كثيرة على ثقافة الخلافة البشرية التي تُخطئ وتُصيب ، وليس على ثقافة الإمامة المعصومة التي تصيب دائماً ولا تُخطئ أبداً . . وكان من الصعب على جموع الأمة أن تتشرب حقيقة أفضلية الإمام علي عليه السلام أبي بكر وعمر مثلاً ، فضلاً عن وجوب الاعتقاد بالإمامة باعتبارها الامتداد المعصوم لخط النبوة !! وفي المعتكف الاعتقادي لا فائدة من الانتصار العسكري على الأمويين ما لم يكن موازياً له فهّم حقيقة الحكم الإسلامي الصحيح ؛ القائم على عصمة القائد الأعلى وإمامته ، الإمامة التي هي منصب من الله الحكّم العدل ، يعطيه لوليه بالحق ، وأميينه في

مُفترض الطاعة يُعدّ أمراً في غاية الصعوبة ، خاصة وإن محورية إمامة الإمام تقوم على العصمة المتمثلة بكل تعاليم القرآن والمنهج المحمدي النبوي . . فإذا لم تُطع الأمة إمامها على هذا المنوال من الطاعة ، وليس على منوال خوف السيف والعقوبة ، فإن الأمور سوف تفلت من أزمته ، خاصة وأن أمير المؤمنين لا يقسم الأموال إلا بالسوية ، ولا يعاقب إلا بعد الجريمة ، ولا يتحرك أيّ تحرك إلا بالحق . . عندئذٍ ستصبح المعادلة مغلوطة لدى الرعية ؛ لأنهم يأخذون من الإمام علي عليه السلام كل عدل وإنصاف وخير ، ويقابلونه بالتقصير والتمرد والتخاذل !

لقد عمل الإمام الحسين عليه السلام بكل ما وسعه من وسائل متاحة في ذلك الظرف العسير للمساهمة في بناء جيش قوي ياتمر بأمر الإمام علي عليه السلام ، لا لخشية من انتقامه ، بل اقتناعاً بوجوب نصرته ، وأحقية منهجه . . جيش مُحصّن عقيدياً ، ومدرب ميدانياً ، يجمع كل المسلمين وليس مقتصرراً على الموالين المشايعين الذين يعرفون للإمام حق ولايته الدينية والدينية ، ويعتقدون بعصمته ووجوب طاعته ؛ لأن أعداد الشيعة كانت قليلة جداً في ذلك الوقت ، وجيل شباب المسلمين لم يعايش

استطاعوا أن يثبتوا أركان دولة الإسلام بقيادة الإمام علي عليه السلام ، وهم يقفون صفاً واحداً جنوداً مخلصين تحت إمرته العادلة المعصومة من كل ذنب ، والعاصمة من كل خطأ .

ترويع الأمنين من المسلمين وغيرهم في الأنبار

إنّ الحملات الأموية الإرهابية ما هي إلاّ جرائم موت جماعي ، وإبادة عرقية بأقصى بشاعة وفضاعة ، وهي صمة عار في جبين التاريخ ، وشاهد على إرهاب بني أمية ودناءتهم وهم يريدون الفتك بالمسلمين جميعاً والمسلمين ، ويشيعون الدمار ببلاد المسلمين والمعاهدين ، من أجل أن يتحكم آل أبي معيط وأتباعهم بمقدرات الأمة المسلمة ، ويسرقوا أموال أبنائها ويعيشوا على جراحاتهم !

إنه الإرهاب الجاهلي الشركي يعود من جديد ، يقوده رؤوس الشرك والجاهلية السابقون ، وأبناؤهم المتسترون بالإسلام ؛ ليحققوا غاياتهم الإجرامية ، ومن غاياتهم الثأر من المسلمين وقيادتهم الدينية المتمثلة بالإمامة المعصومة . .

لقد كشفت هذه الحملات عن الوجه البشع للشجرة الملعونة في القرآن ، والتي أكثر رسول

الأرض ، ووحّته على العباد .
إن التثقيف على ذلك يحتاج دقة وحنكة وسعة صدر وطول علاج . . . وهذا كله قاده الإمام الحسين مع أبيه وأخيه في أحلك ظروف الفتن والحروب التي أجبها الأميون البغاة العتاة الطغاة .

ولقد كان شر الأميين وإرهابهم ينصبّ على المسلمين عامة وأغلبهم الغالب لم يكن من الشيعة ، فكان الإمام الحسين عليه السلام يحشّد ويعبئ مساهماً مع أبيه أمير المؤمنين وأخيه الإمام الحسن عليه السلام ومع الثلة الطيبة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وتابعيهم وأبناء الصحابة وأبناء المسلمين جميعاً ، ليشكّلوا جبهة عريضة هي جبهة جيش أمة الإسلام بكّله ، لمناهضة ذلك الإرهاب الأموي بقضه وقضيضه ! !

إننا إذا تأملنا في التاريخ نجد المؤرخين مشغولين بالحديث عن بعض تلك الجرائم الشنيعة المرّوعة بلسان يتسامح كثيراً مع الأمويين ! بل ويمالئهم ! ! بل ويطرّضى عليهم ! ! ! وما كان هواة كتابة التاريخ هؤلاء يلتفتون إلى المهام الكبرى التي قام بها الإمامان الحسنان عليه السلام بمؤازرة ثلة المؤمنين والمسلمين من صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذين نجحوا في تجييش ذلك الجيش ، وكذلك

القرآن : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ،
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴾ (٢٦) .

وكما أسلفنا فإن تلك الحملات الوحشية
المسعورة كانت لا تفرق بين أتباع الإمام
علي عليه السلام أو أتباع أبي بكر وعمر ، كما لا تفرق
بين المسلمين وغيرهم من الذين كانوا في بلاد
الإسلام ، وخاصةً في الأنبار التي كانت نقطة
احتكاك مستمرة بين الأمويين المتمترسين في
الشام وبأهل الشام وبالروم وإمبراطورية
القيصر ، وبين المسلمين الذين ينضون تحت
راية دولة الإسلام بقيادة الإمام علي عليه السلام .

إن قراءة منصفة لما قام به الأمويون تشير
بما لا يقبل الشك إلى أن الأمويين كانوا
يحققون غايات الروم واليهود الذين يريدون الشر
بالإسلام كله وبالمسلمين جميعاً ، بل وصل
الحد بأبي سفيان وأتباعه إلى أنهم في معركة
اليرموك كانوا على تلٍّ معتزلين المعركة ! بل
كانوا يشجعون الروم على المسلمين ! ويتمنون
النصر للروم ! ويهتفون لهم وهم يكونونهم (بني
الأصفر) ! ! وهذا ما يؤكده عدد من المؤرخين
والرواة ، ومنهم ابن الأثير في كتابه الكامل في
التاريخ : « قال عبد الله بن الزبير : كنت مع

الله صلى الله عليه وآله من التنديد بها ، والتحذير منها ،
وفضحها في مواطن عديدة ، ومنها ما ينقله
بعض مدوّني الحديث النبوي الشريف
والمفسرين والمؤرخين ، ومن تلك الأحاديث
المعروفة ما جاء في كتاب (الدر المنثور) :
« أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي
في الدلائل وابن عساكر ، عن سعيد بن
المسيّب رضي الله عنه ، قال : رأى رسول
الله صلى الله عليه وآله بني أمية على المنابر فساءه ذلك ،
فأوحى الله إليه : إنما هي دنيا أعطوها ،
فقرت عينه وهي قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا
الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ يعني بلاء
للناس .

وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة رضي الله
عنها أنها قالت لمروان بن الحكم : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لأبيك وجدك : إنكم
الشجرة الملعونة في القرآن » (٢٥) .

ويصرح ابن حبان في تفسيره (البحر
المحيط) أن التلازم حاصل بين (بني أمية) و
(الشجرة الملعونة في القرآن) ، قائلاً : « حتّى
إن من المفسرين من لا يعبر عنهم إلا بالشجرة
الملعونة ؛ لما صدر منهم من استباحة الدماء
المعصومة ، وأخذ الأموال من غير حلها ،
وتغيير قواعد الدين وتبديل الأحكام ، ولعنها في

محمد ﷺ وحتى الذين كانوا من الصحابة ولم يكونوا تحت إمرة الإمام علي عليه السلام وفي جيشه ، فإنهم اعتزلوا الحرب ، ولم يدخلوا فيها مع معاوية الأموي وجيشه المضلل . . وقد حاول معاوية بملايين الدنانير الذهبية والدراهم الفضية استمالة ضعاف الصحابة وأبناء المدينة المنورة لكي يخادع بهم أهل الشام ، مُدّعياً أن هؤلاء هم صحابة النبي ﷺ ، لعله يحصل على ما يوهمهم بمشروعية حربه الباغية ، فيجيش بأهل الشام وأطرافها جيشاً مدعوماً من إمبراطورية الروم ضد الإسلام وضد خليفة المسلمين وإمامهم بالحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

إن الخداع الأموي لأهل الشام يُعدّ بحد ذاته جريمة نكراء ؛ لأنه ضلّل شعباً كاملاً ، وكان يضرب بهم الإسلام وأهله ، وهم لا يدرون من يقاتلون ! أليس هذا إرهاباً جديداً من معاوية وحزبه الأموي بحق أبناء الشام المغدورين ؟ !

وكان لهذا التضليل الأموي تأثير كبير في تشويش الذهنية الإسلامية لدى أتباع أهل السنة والجماعة ، وكذلك في جعل المسلمين في الشام حيارى لا رأي لهم في هذه الفتنة العمياء ، حتى يكونوا منقادين في نهاية الأمر

أبي باليرموك وأنا صبي لا أقاتل ، فلما اقتتل الناس نظرت إلى ناس على تل لا يقاتلون ، فركبت وذهبت إليهم وإذا أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح ، فرأوني حدثاً فلم يتقوني . قال : فجعلوا والله ، إذا مال المسلمون وركبتهم الروم يقولون : إيه بني الأصفر ! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون : قال : ويح بني الأصفر ! فلما هزم الله الروم أخبرت أبي فضحك فقال : قاتلهم الله ! أبوا إلا ضغناً ، لنحن خير لهم من الروم ! وفي اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب « (٢٧) .

لقد بان لكل متتبع منصف أن بني أمية لا يتبعون أحداً من قيادات الإسلام ، ولا أحداً من خلفاء المسلمين السابقين ، بل كانوا يريدون السيطرة على كل الحياة الإسلامية ، ومقدّرات المسلمين ! ولذلك تحالفوا مع اليهود والروم ! ولم يرعوا للمسلمين إلا ولا ذمة !! !

جهاد الإمامة لصد الإرهاب الأموي في صفين

لقد جاهد الأئمة الثلاثة علي وولده عليه السلام بكل عزمٍ و يقينٍ أعداء الله والدين الأمويين الباغين ، كما جاهدتهم أغلب صحابة النبي

معاوية يفرح لقتل المعروفين بالصلاح والدين من كلا معسكزي الحرب في صِفِّين ، حقدًا على كل ذي دين وصلاح ، وحتى يخلو الجوّ له فلا يبقى أحد يقول : أنا صحابي صحبتُ رسول الله ﷺ ، فيكون مؤهلاً لأخذ الخلافة !

كان معاوية والأمويون يريدون محو الإسلام ، وقتل رجالات الإسلام ، وكان بوّدهم أن لا يبقى أحد من أولئك الصحابة ، أو من أعيان المسلمين الكبار الذين يُشار إليهم بالبنان ! والدليل على ذلك أن معاوية كان قد فرح فرحاً عظيماً عندما قُتِلَ ذو الكلاع^(٢٨) ، الذي كان عابداً ومعروفاً بالصلاح عند أهل الشام ، ولقد ضلّله معاوية حتى جعله في جيشه ، ثم بعد ذلك عندما اقتنع ذو الكلاع أو كاد يقتنع بأن معاوية على ضلال ، قُتِلَ فابتهج هو وعمرو بن العاص بمقتله أيما ابتهجاج ! ولا يظنُّ أحد أننا ندّعي ذلك ادّعاءً ، فهذا ما يؤكّده جمع من المؤرخين ومنهم ابن الأثير في (كامله) إذ يقول ما نصّه : « وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ، ﷺ ، لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن ، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ما هذا ؟ ! ويحك يا عمرو . فيقول عمرو : إنه

للإرادة الأموية الباغية الطاغية ، التي أرادت وتريد سحق الإسلام واقتلعه من جذوره ، ولكي تتحكّم هذه الأسرة المجرمة برقاب المسلمين ، وتنتقم من هذا الدين الذي قُتِلَ في محاربتيه رؤوس الشرك والجاهلية من الأمويين وحلفائهم .

إنّ الأئمة في صفين جاهدوا ذلك الجهاد العظيم ، لصدّ تلك الهجمة الإرهابية الأموية العاتية ، ورأينا كيف أن هذا الجهاد قد كلّف الإمام علياً عليه السلام حياته ، وكذلك فيما بعد عشر سنوات قد كلّف الإمام الحسن عليه السلام حياته أيضاً ، ثمّ بعد عشر سنوات أخرى قد كلّف الإمام الحسين عليه السلام حياته ، فذهبوا شهداء مرضيين ، ومع هؤلاء الأئمة الطاهرين ذهب عدد غفير من الصحابة والتابعين ومن أبناء المسلمين شهداء في نصره الحق المحمّدي المتمثل بخط الإمامة المباركة . أليس في قتل هذه الأعداد الكبيرة الكثيرة الغفيرة من الصحابة والتابعين ما يدعو إلى التنديد العلني بما فعله هذا الحزب الأموي البغيض ؟ ! أين إذن تنديدات خطباء منابر الجُمع والأعياد ، وإدانات المؤرّخين والكتّاب ، وفتاوى فقهاء الأئمة تحريماً وتجريماً ؟ !

ومن شرّ البلية الذي يضحك ويبيكي أنّ

النفسية ، وكان يعلم أن الدسائس الأموية ستؤدي إلى إحداث شرخ في جيشه الذي لم يكن جيش الولاء له ، بل كان جيش عامة المسلمين المنضوين تحت راية خليفة المسلمين . . ومع أن المسلمين في جيش الإمام علي عليه السلام ما رأوا منه إلا الصواب والحكمة ، بل والعصمة في كل أقواله وأفعاله ومواقفه ، إلا أنهم لم يستطيعوا فهم كل ما يكتنف مصطلح (الإمامة) من معانٍ عقيدية ؛ ولذلك نجد آفاً من جيش الإمام علي عليه السلام قد خرجوا عليه وأصبحوا يُعرفون باسم (الخوارج) ! وهؤلاء كانوا رأس حربة أموية تطعن في خاصرة الإسلام ! ! وخنجر غدر يتغلغل في ظهر دولة الإمام ! سواء كانوا يشعرون أو لا يشعرون ، يخططون أو لا يخططون ؛ ولذلك وضع عمرو بن العاص مؤامرتهم المجرمة لاغتيال الإمام علي عليه السلام ، وكذلك استطاعت الأصابع الأموية الخفية وطابورهم الخامس أن يجتدوا مَنْ يقترف جريمة اغتيال الإمام من الخوارج . . وصوّر لهم عمرو بن العاص بطريقة غير مباشرة وبأيدي خفية وبمنتهى السرية أنّ العملية هي عملية تخلّص من هؤلاء الثلاثة الذين سبّبوا الحرب بين المسلمين وهم (علي ومعاوية وعمرو بن

سيرجع إلينا ، فقتل ذو الكلاع قبل عمّار مع معاوية ، وأصيب عمّار بعده مع عليّ ، فقال عمرو لمعاوية : ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمّار أو بقتل ذي الكلاع ، والله ، لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمّار لمال بعامّة أهل الشام إلى عليّ » ^(٢٩) .

إنّ ذا الكلاع وأمثاله كانوا يعيشون الحيرة والتضليل ، وربما كان مقتلهم اغتيالاً على أيدي الأمويين حتّى يستفيدوا من قتلهم عدة استفادات ، ومنها أن قتل رجل معروف بالصلاح يكون باعثاً آخر للمتدينين الشكليين الذين كانوا في الجيش الأموي ، حتّى يديم معاوية بهم المعركة ، ويستمر في إضرائها ، ومن جانب آخر فإنّ الجوّ سوف يصفو لأبي يزيد ولأولئك الذين هم من الطلقاء وأبناء الطلقاء ، أو من غير الطلقاء الذين يكيدون للإسلام ويحاربون الرسول صلى الله عليه وآله ومنهجه في سالف الأيام ولاحقها .

ضبط النفس في جريمة اغتيال الإمام علي عليه السلام

كان الإمام علي عليه السلام يشخص خطر الأمويين الإرهابين على صعيد التعبئة الحربية ، أو التعبئة الإعلامية ، أو التعبئة في الحرب

العاص) . . لكن في الواقع لم يُقتل في تلك المؤامرة إلا الإمام علي عليه السلام .

وأما معاوية ، فقد ادّعى أنه أصيب في (إيته) أسفل ظهره ، وبقي يعالج ذلك الجرح حتى برئ ، وأما عمرو بن العاص فقد استطاع التخلص من تلك المؤامرة التي وضعها فلم يخرج إلى الصلاة في تلك الليلة (ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة) ، فجعل مكانه خادمه أو مساعده ليؤم الناس في الصلاة نيابةً عنه ، فقتل هذا الخادم المسمى (خارجة) بدلاً من ابن العاص !! حتى قال شاعر حصيف : (٣٠)

يا ليتها إذ فدت عمراً بخارجة*** فدت علياً
بمن شاءت من البشر .

وبعد اغتيال الإمام علي عليه السلام كان التخطيط المعادي أن يموج المسلمون ويصبحوا في هرج ومرج بعد أن يُقتل إمامهم وخليفتهم الشرعي . . لكن خط الإمام المعصوم كان حريصاً على ضبط النفس وقد أوصى الإمام علي عليه السلام أبناءه وأبناء عمومته وباقي المسلمين بأن يضبطوا أنفسهم في تلك الفتنة الدهماء والمحنة السوداء ، حتى قال : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أَلْفِينَكُمْ تَحْوِضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَوْضاً تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . . . أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي » (٣١) .

بضبط النفس هذا استطاع الأئمة الكرام عليه السلام المحافظة على بيضة الإسلام وعلى الوجود المسلم ، دون أن ينهار كل البناء بتداعيات تلك المؤامرة الخبيثة المدوية التي كانت لها الثقل الكبير جداً على المسلمين جميعاً .

استشهد الإمام ، وقُتل أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ففقدت الإنسانية قائدها المعصوم ورائدها العلمي علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان ضحية من ضحايا ذلك الإرهاب الأموي والتخطيط الإجرامي المتآزر مع الأمويين . . . لقد ذهب الإمام علي عليه السلام شهيداً لكن الوجود الإسلامي حُفظ بخط الإمامة من بعده .

وهكذا انتقلت الإمامة والخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام ، فبايعه المسلمون خليفةً عليهم ، ولذلك فإن بعض المؤرخين من غير الشيعة كانوا يلقّبون الإمام الحسن عليه السلام بـ (الخليفة الراشدي الخامس) .

التحرك لجهاد الإرهاب الأموي مجدداً

قام الإمام الحسن عليه السلام بعد تولّيه الإمامة والخلافة بمواصلة التحرك الجهادي لصدّ الإرهاب الأموي مجدداً ، وكان جيش معاوية

وهنا ينكسر التاريخ انكساراً مخجلة جداً ، وهو يرى قائد الحق كيف يُخَذَل ، وقادة الشرِّ كيف يُصَفَّق لهم بحرارة ، لكنها حرارة لهيب النفاق والمصالح الشخصية غير المشروعة .

ترك الأمة وخيارها ولو بالتنحي —

لم يجد الإمام الحسن عليه السلام بُدّاً من العمل على حقن دماء المسلمين ليرفع سيوف القتل الأموية ، ويمنع خناجر الغدر المعيطية عن أبناء الأمة الإسلامية ، من خلال معاهدة كان الغرض الأساس منها ، والهدف المنشود فيها ، هو إبعاد الإرهاب الأموي عن أمة الإسلام ولو بالتنحي عن الحكم ! فلذلك ترك الإمام الحسن عليه السلام الأمة المتقاعسة واختيارها ! !

لقد جعل الأمة التي تخاذلت عن نصرته وتركت منهجه ، جعلها أمام اختيارها وقرارها ، لكنه مع ذلك أخذ العهود المؤكدة والمواثيق المغلظة على معاوية ، حتى لا يروّع أبناء الأمة الإسلامية بإرهابه البغيض !

أجل ، ترك الإمام الحسن عليه السلام الحكم ، لكنه لم يترك الإمامة ، ولم يترك السلطة المشروعة نهائياً ؛ بل جعل شرطاً في المعاهدة على معاوية بأنَّ الخلافة والسلطة من بعد موت معاوية سوف ترجعان إلى الإمام الحسن عليه السلام ،

الأموي يتقدم باتجاه بلدات دولة الإسلام المستظلة بظل قيادة الخلافة الشرعية ، وهُدِّدت بلدات عديدة على نهر الفرات ، خاصّة في وسط العراق وشماله الغربي ؛ إذ كان الأمويون يريدون مواصلة تلك الهجمات الإرهابية والتحركات الإجرامية التي ترؤّع المدنيين الأمنيين ، فحشد الإمام الحسن عليه السلام جيشه ، وقد سير أمامه مجموعة من قطعات الجيش حتى يمنعوا ويصدّوا ذلك الإرهاب الشرير . . وكان الإمام يقود بنفسه بقية الجيش ، دفاعاً عن أمة الإسلام ، لكنّه كان في الواقع يواجه المؤامرة الأموية الأخبث ، والتي انطلت للأسف الشديد على كثير من أفراد جيش الإمام ، الذي لم يكن في أغلبه شيعياً موالياً ، بل كان من عامة المسلمين غير المكترئين بمن يتولّى الخلافة ! وفيهم أعداد كثيرة من الخوارج ، وهؤلاء نفّذوا الإرادة الأموية بعلمهم أو بغيبائهم ، حتى وصلت الحال إلى أنّ الإمام الحسن عليه السلام عُرض لمؤامرة اغتيال انتهت بجرحه في رجله ، فيما كان يتسرّب ويتهزّب كثير من أفراد جيشه الذين لم يكونوا يؤمنون بالإمامة والولاء العقيدي للإمام المعصوم ، هربوا باتجاه معاوية الذي أغراهم بالأموال والمناصب !

الإجرامية يضرب بجرانه على كل أصقاع البلاد الإسلامية ، بعد أن تقاعست الأمة عن صده ورده ، فذاقت وبال أمرها ، وتبدى جلياً قول السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عندما حذرت المسلمين من استسهالهم مهادنة أوائل معتصبي الخلافة قائلةً : « وسيعرف التالون غباً ما أسس الأولون » ^(٣٢) .

أما الإمامة المعصومة ، فكان لها في هذه المرحلة ترتيب جديد في قيادة الأمة المسلمة ، وقد اضطلع الإمام الحسين عليه السلام بأسلوبين من العمل استمر كل واحد منهما ما يقرب من عشر سنوات :

الأول : بمعية أخيه الإمام الحسن عليه السلام وتحت إمامته وقيادته .

الثاني : بعد شهادة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، لتكون الإمامة والقيادة بيد الإمام الحسين عليه وعلى جده المصطفى وآله أفضل الصلاة والسلام . وعن تلك المرحلة وعن هذين الأسلوبين نأمل أن نتعرض بحديث مفصل في بحوث قادمة إن شاء الله .

فإذا حدث بالحسن حدث (أي : إذا استشهد أو مات) فإن الخلافة والسلطة ستأول بعد معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام . . وبذلك جعل مشروعية أخرى لخلافة الإمام بالحق . كما قطع الطريق أمام الأمويين ، فأفقدهم أي غطاء قانوني أو شرعي يدعم تنصيب أحد من بني أمية حاكماً أو خليفة بعد هلاك طاغيتهم معاوية . . وبذا استطاع الإمام الحسن سلام الله عليه أن يسحب البساط من تحت أقدام ابن أبي سفيان وحزبه ، وهم يحاولون شرعنة شرهم الذي جرّعوا الأمة الإسلامية زعافه القاتل ، حتّى يصفو لهم الملك .

إلى هنا تنتهي مرحلة لها أهميتها الكبرى في قيادة أمة الإسلام قيادة معصومة تسلك بها مسار الهدى وسط بحر متلاطم بالفتن والحروب والانقلاب على الأعقاب . . وتبدأ مرحلة في غاية الأهمية ؛ إذ يتسلط الأمويون على الأمة كلها ، فيصبح إرهابهم إرهاب دولة بعد أن كان إرهاب فئة باغية في إقليم متمرد ، وإرهاب عصابات إجرامية تعتمد أسلوب الغارات وإشعال الحروب والمكر والخداع . . إنه الملك الأموي العضوض ، بكل أدواته الإرهابية

الهوامش :

- [١] ابن عساكر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ١٤ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .
- [٢] من ذلك ما جاء في سورة البقرة ، الآية ٢١٣ : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وسورة آل عمران ، الآية ١٩ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴾ .
- [٣] ومن الشواهد على ذلك الآية ٩٣ من سورة يونس : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، وكذا ما جاء في سورة الأعراف ، الآية ١٦٨ فما بعدها : ﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّةً مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ ذُنُوبٌ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .
- [٤] والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة ، ومنها على سبيل المثال الآيات ١٤ و ١٥ من سورة الشورى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَبِيٍّ شَكَ مِنْهُ مَرِيْبٌ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .
- [٥] كما في الآية ٥٤ وما بعدها من سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، أو الآية ١٤٤ من سورة آل عمران : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .
- [٦] أنظر : المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٨٩ ، ص ٤٨ .
- [٧] أنظر : الجلالى ، محمد رضا ، تدوين السنّة الشريفة : ص ٢٧٤ .
- [٨] أنظر : البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري : الحديث رقم ٤١٨٩ ، وتكرر في الأحاديث المرقمة ٥٣٨٢ ، ٦٤٩٢ ، و ٦٥٠١ ، كما أخرجه مسلم في صحيحه : باب كراهة التداوي باللدود ، رقم الحديث ٢٢١٣ ، وإضافة إلى البخاري ومسلم فإن رواية الحديث أطبقوا على تأكيد لدّعائشة لرسول الله ﷺ دون رضاه .
- [٩] أنظر : البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري : الحديث رقم ٦٨٣٠ . وهذا حديث مشهور جداً في كتب صحاح أبناء السنّة والجماعة ، و صدره حديث عن آية رجم الشيخ والشيخة المزعومة .
- [١٠] ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ٢ ، ص ٤٧ .
- [١١] ابن عساكر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ١٤ ، ص ١٧٦ . وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : ج ١ ، ص ١٤١ ، وجاء في جامع الأحاديث ورقمه ٣٠٢٧٨ ، وفي كنز العمال ورقمه ٣٧٦٦٥ ، وهو مما يرويه ابن سعد ، وابن راهويه ، وغيرهما .

- [١٢] ومما نقله ابن عساكر قوله : « فجعلت أقلب حصى بيدي ». أنظر : ابن عساكر ، علي بن الحسن ، تاريخ مدينة دمشق : ج ١٤ ، ص ١٧٦ .
- [١٣] ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ؛ شرح نهج البلاغة : ج ٨ ، ص ٢٥٢ .
- [١٤] للتدليل على ذلك تُراجع كتب التاريخ التي تناولت أحداث سنة (٣٥هـ) ، ومنها : تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير .
- [١٥] نهج البلاغة : الخطبة ٣٧ .
- [١٦] المصدر السابق : الخطبة ١٥ .
- [١٧] المصدر السابق : الخطبة ٣ .
- [١٨] المصدر السابق : الخطبة ٢٠٧ .
- [١٩] جاء في كتاب السيرة لابن حبان : ج ١ ، ص ٥٢١ ما نصّه : « . . . قال لهما : ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما فاجتمعوا مع عائشة بمكة وبها جماعة من بني أمية . . . » .
- [٢٠] جاء في سورة الأحزاب في الآيتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين أمر إلهي يأمر نساء النبي بأن يقرنَ في بيوتهن ، وأن يحذرن الذين في قلوبهم مرض ، وأن يطعنن أوامر الله ورسوله ، ولو تمّ امتثالهن لما حدثت فتنة حرب الجمل ، يقول الله عز من قائل في محكم كتابه المجيد : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .
- [٢١] ابن حنبل ، أحمد ، مسند أحمد : ج ٦ ، ص ٩٧ .
- [٢٢] جاء في كتاب تاريخ الإسلام للذهبي : ج ١ ، ص ٤٥٥ : « روى قتادة ، عن الجارود بن أبي سبرة الهذلي قال : نظر مروان بن الحكم إلى طلحة يوم الجمل ، فقال : لا أطلب ثأري بعد اليوم ، فرمى طلحة بسهم فقتله . . . » . وقد شاع هذا في مئات من كتب الحديث والسير والتاريخ ، فليراجعها من أراد المزيد من التوثيق .
- [٢٣] ابن أبي الحديد ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ٩ ، ص ١١٢ .
- [٢٤] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٥ ، ص ٥ .
- [٢٥] السيوطي ، عبد الرحمن ، الدر المنثور في التاويل بالمأثور : ج ٦ ، ص ٢٩٥ .
- [٢٦] ابن حبان ، محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط : ج ٧ ، ص ٣٦٩ .
- [٢٧] ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ : ج ١ ، ص ٣٨٩ .
- [٢٨] المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٧١ .
- [٢٩] المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٣١٠ .
- [٣٠] ابن خلكان ، شمس الدين ، وفيات الأعيان : ج ٧ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- [٣١] نهج البلاغة : رسالة ٤٧ .
- [٣٢] الصدوق ، محمد بن علي ، معاني الأخبار : ص ١٦٠ .

محمد الدومي
باحث إسلامي من الجزائر

محاربة الأنظمة المستبدة للشعائر الحسينية عبر التاريخ ... الأساليب والدواعي

استهلال^(١)

١- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(٢) .

٢- وورد عن السيِّدة زينب بنت علي عليها السلام في حديثها لابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام ، وهي تحدثه عمّا عهدته رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فيما يجري من أحداث ووقائع مستقبلية ، قالت : « . . . وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام ، لا يُدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه ، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً ، وأمره إلّا علوّاً »^(٣) .

تاريخ الشعائر

لم تنفك الشعائر الحسينية منذ أن استشهد الإمام الحسين عليه السلام عن أن تكون ذات حضور كثيف في وعي الشيعة عموماً ، فتمّة كثافة ملحوظة من النصوص الروائية يمكن العودة إليها في مظانها

الجزيرة

٢٠٨

فأنشدته القصيدة الأخرى ، قال : فبكى ،
وسمعت البكاء من خلف الستر . قال : فلما
فرغت قال لي : يا أبا هارون ، مَنْ أنشد في
الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كُتبت له
الجنة ، وَمَنْ أنشد في الحسين شعراً فبكى
وأبكى خمسة كُتبت له الجنة ، وَمَنْ أنشد في
الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كُتبت لهما
الجنة ، وَمَنْ ذُكر الحسين عليه السلام عنده فخرج
من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه
على الله ، ولم يرضَ له بدون الجنة» (٦) .

وعن أبي هارون المكفوف ، قال : دخلت
على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي : « أنشدني .
فأنشدته ، فقال : لا ، كما تنشدون وكما ترضيه
عند قبره . قال : فأنشدته :

أمرز على جدث الحسين *** فقل لأعظمه
الركبة

قال : فلما بكى أمسكت أنا ، فقال : مُر .
فمررت ، قال : ثمَّ قال : زدني . قال :
فأنشدته :

يا مريم قومى فاندبى مولاك *** وعلى
الحسين فاسعدي ببكائك

قال : فبكى وتهابج النساء ، قال : فلما أن
سكتن قال لي : يا أبا هارون ، مَنْ أنشد في
الحسين فأبكى عشرة فله الجنة ، ثمَّ جعل

تحتُ المؤمن على إحياء تلك الشعائر ، منها
مثلاً ما نُقل عن الأزدي عن الإمام
الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل : « تجلسون
وتحدّثون ؟ قال : نعم جعلت فداك . قال :
إنّ تلك المجالس أحبّها ، فأحيوا أمرنا يا
فضيل ! فرحم الله مَنْ أحيى أمرنا ، يا
فضيل مَنْ ذكّرنا أو ذكّرنا عنده فخرج من
عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه
ولو كانت أكثر من زبد البحر » (٤) ، أو ما نُقل
عن الإمام السجاد عليه السلام : « أيّما مؤمنٍ دمعت
عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتّى
تسيل على خده ، بوّاه الله بها في الجنة غرفاً
يسكنها أحقاباً ، وأيّما مؤمنٍ دمعت عيناه
حتّى تسيل على خده فينا لأذى مسّنا من
عدوّنا في الدنيا ، بوّاه الله بها في الجنة مبعواً
صدق . . . » (٥) .

وفي الحدّث على إنشاد الشعر قال أبو عبد
الله عليه السلام : « يا أبا هارون ، أنشدني في
الحسين عليه السلام . قال : فأنشدته ، فبكى ،
فقال : أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقّة -
قال : فأنشدته :

أمرز على جدث الحسين

فقل لأعظمه الركبة

قال : فبكى ، ثمَّ قال : زدني ، قال :

رحم الله عبداً أحيا أمرنا» (٨) .

إذاً ، لم تكن المسألة مجرد أمر أو دعوة إلى الإحياء ، بل إن الأئمة عليهم السلام مارسوا هذا الإحياء ، وأظهروا من البكاء والحزن على الحسين عليه السلام ما يذيب الحجر الأصم ، وكان في طليعتهم الإمام علي بن الحسين سيّد الساجدين عليهما السلام الذي استأثر بلقب (البكاء) ، فقد كان أحد أكبر البكّائين الخمسة في التاريخ البشري . وقد تابع شيعة أهل البيت عليهم السلام أئمتهم في ذلك ؛ إذ أحيوا أمر الحسين عليه السلام بالبكاء والندب وإنشاد الشعر وذكر المآثر وما إليها .

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام لهم في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة في الحث على إحياء أمر الحسين عليه السلام والبكاء عليه ، ويمكن تلمس ذلك الحث في موردين على الأقل :

الأول : بكاؤه صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام عند ولادته ، فقد جاء في المستدرك على الصحيحين ما يلي : « . . . فدخلت [أم الفضل] يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعت [الحسين عليه السلام] في حجره ، ثم حانت مني التفاتة ، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع . قالت : فقلت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، ما لك ؟ قال : أتاني

ينقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد ، فقال : من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة . ثم قال : من ذكره فبكى فله الجنة » (٧) .

الملاحظ أنّ في هذه الرواية الصادقية إصراراً على الإنشاد ، وعلى ربط ذلك بالأجر العميم الذي ينتظر المنشد . ثم إنّ الإمام الصادق عليه السلام ألحّ على المنشد أن يقرأ كما لو كان عند قبر الإمام الحسين عليه السلام ؛ ما يعني أنّ الزيارة للقبر الشريف كانت معروفةً وعمولاً بها ، بل وكأنّه يريد أن يجعلها سنةً متبعةً ؛ وفي هذا كلّه إحياء للشعائر الحسينية .

وثمة ملاحظة أخرى جديرة أن نتوقف عندها ، وهي أنّ هناك حثاً كبيراً على إقامة المجالس الحسينية في بيوت الشيعة ، وهو ما يشير إلى حقيقة تعرّض الشيعة - تبعاً لأئمتهم - لمظالم تُجبرهم على إخفاء أمرهم عن الظلمة والمستبدين ، وأنّ وسيلة الإحياء هنا هي التلاقي بين المؤمنين في البيوت ، كما جاء في كلام الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً خيثة : « أبلغ موالينا السلام ، وأوصهم بتقوى الله العظيم ، وأن يعود غنيهم على فقيرهم ، وقويهم على ضعيفهم ، وأن يشهد حييهم جنازة ميتهم ، وأن يتلاقوا في بيوتهم ؛ فإنّ في لقاء بعضهم بعضاً حياةً لأمرنا . ثم قال :

قال : « مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام ؛ فإن إتيانه يزيد في الرزق ، ويمدّ في العمر ، ويدفع مدافع السوء ، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقبّر له بالإمامة من الله » ^(١١) . بل إنّ المطلوب من المؤمن هو الإكثار من الزيارة ، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثه لسدير ^(١٢) ، بل ورد التأكيد على زيارته عن بُعد أيضاً ، كما هو ثابت في كتب الأدعية والزيارات .

٢- البكاء على الحسين عليه السلام : فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال : « أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خديه بؤاه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً » ^(١٣) ، وقريب من ذلك ما في كتاب كامل الزيارات : « عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يقول : أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتى تسيل على خده بؤاه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً ، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأدنى مسنا من عدونا في الدنيا بؤاه الله بها في الجنة مبعوضاً صدق ، وأيما مؤمن مسه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى ، وأمنه يوم القيامة من سخطه

جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمّتي ستقتل ابني هذا . فقلت : هذا ؟ قال : نعم ، وأتاني بترية من تربته حمراء » ^(٩) . وهذه الحالة (البكاء على المولود) ملفتة للانتباه ؛ إذ إنّ من عادة الناس أنّهم يفرحون بمولودهم ، فلماذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مولوده الحسين عليه السلام ؟ ! هذه ملاحظة جديدة بأن تقال للناس وتبيّن لهم وأن يركّز عليها تركيزاً وافياً . فالخروج عن المألوف كثيراً ما يفرض على الناس أن يستنطقوه .

الثاني : حثّه للنائحات في المدينة أن يندبن عمّه حمزة ، عندما رأى نساء الأنصار يندبن ذويهن ممّن استشهدوا يوم أحد ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لكن حمزة لا بواكي له » ^(١٠) . وحمزة عليه السلام ليس أولى من الحسين عليه السلام بالبكاء ، وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

كلّ ذلك يحمل قيم الاستثمار التي ينبغي المصير إليها بكلّ قوّة وعنفوان .

ثم إنّنا نوّد الإشارة - في هذا الصدد - إلى بعض المصايد البارزة والواضحة للشعائر الحسينية ، وهي تُعتبر من أهم الأمور لإحياء أمرهم عليهم السلام ، وهي :

١- زيارة الإمام الحسين عليه السلام : ففي صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام

والنار» (١٤).

صالح الجويني تلخيصاً وافياً لتاريخ المآتم

الحسيني ، فقد قسّمه إلى المراحل التالية :

١- منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وحتى مقتل قاتليه .

٢- تأسيس الأئمة عليهم السلام للمآتم الحسيني بوصفه شعيرة دينية ؛ وذلك عبّر توفير الأرضية المناسبة لسنّ المآتم من قبَل الإمام زين العابدين عليه السلام ، وبناء أركان المآتم في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ، واتساع دائرة المآتم في عهد الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام .

٣- منذ تأسيس المآتم ، حتى أخذه طابع شعيرة دينية رسمية .

٤- أخذ المآتم طابعاً رسمياً بظهور حكومات شيعة قوية في القرنين الرابع والخامس .

٥- فقدان الحكومات الشيعة القوية من القرن السادس وحتى العاشر .

٦- حكم الصفوية في القرنين العاشر والحادي عشر .

٧- منذ الصفوية وحتى اليوم (١٦) .

نماذج من الأنظمة المستبدة ومحايدتها للشعائر الدينية

إنّ مظلومية الحسين عليه السلام جزء من

٣- إقامة المجالس الحسينية : فذكر الحسين عليه السلام وباقي أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام يحيى بالموعظة وإنشاد الشعر وذكر المناقب وتبيين المظلومية التي تعرّضوا لها ، فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : « مَنْ جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمّت قلبه يوم موت القلوب » (١٥) .

هذا غيض من فيض ممّا ورد في ضرورة الإحياء لأمر الإمام الحسين عليه السلام ، فالنصوص أكثر من أن تُذكر وتُحصر ، ولا أدلّ على ذلك من سنّ استحباب زيارته في أكثر من مناسبة : كلياالي القدر ، والعيدين (الفطر والأضحى) ، وعيد الغدير ، وليلة عاشوراء ، ويوم الأربعاء ، وأول رجب ووسطه وآخره ، والنصف من شعبان ، وغيرها الكثير ممّا هو مدوّن في متون الكتب المختصة بالزيارات ؛ ومعنى ذلك أنّ زيارة الحسين عليه السلام تتوزّع على عموم أيام السنة ، وذلك من شأنه تقوية الارتباط به شعوراً وعملاً .

إنّ الشعائر الحسينية كانت تتأثر سعةً وضيقاً تبعاً لمجمل الظروف التي عاشها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في سائر البلدان والأزمنة ، وفي هذا السياق قدّم الدكتور محمد

إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب إلي وأقرب لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله^(١٧) .

وقد تركت هذه المراسيم الأربعة أثراً عميقاً في الثقافة الدينية للمسلمين ، وفي الكثير من معالم الدين وشعائره ، ويمكن قراءة بعض مظاهر هذا (التحول الديني) في المثاليين التاليين ، نذكرهما على سبيل التمثيل لا الحصر :

١- عن أنس ، قال : « ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ . قيل : الصلاة ؟ قال : أليس ضيِّعتم ما ضيِّعتم فيها ؟ ! »^(١٨) . وعن الزهري ، قال : « دخلت على أنس بن مالك بدمشق ، وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيِّعت »^(١٩) .

٢- ما قاله ابن عباس من أن الناس تحذر من التلبية خوفاً من معاوية وبغضاً لعلي عليه السلام . . . فقد روى ذلك أكثر من واحد من المصادر الحديثية ، منها مثلاً ما ورد في المستدرک على الصحيحين عن سعيد بن جبیر ، قال : « كُنَّا

مظلومية بني هاشم بشكل عام ، وأهل البيت عليه السلام بشكل خاص ، ولا ينبغي وضعها إلا في هذا الإطار ، فقد اتخذت هذه المظلومية العامة - أشكالاً كثيرة ومظاهر متعددة ، يمكن معرفتها من خلال استذكار ما سَمَّاهُ الشيخ حسن بن فرحان المالكي بـ (مراسيم معاوية الأربعة) ، وقد استقاها من ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج ؛ حيث ذكر نصاً طويلاً نسبه إلى المدائني ، ونحن نذكرها مختصرةً :

١- كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن : برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته .

٢- وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة .

٣- وكتب إليهم : انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ، ومحبيه وأهل ولايته ، والذين يروون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم ، وقزبوهم وأكروهم ، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجلٍ منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته .

٤- ثم كتب إلى عماله : إنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلِّ مصرٍ وفي كلِّ وجهٍ وناحيةٍ ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس

وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمدٍ في خطبته ، ف قيل له : لم تركت الصلاة على النبيِّ ؟ فقال : إنَّ له أهل سوء يشربون لذكركه ، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به « (٢١) ؛ لذلك لا نعجب من قول سيِّدنا أمير المؤمنين عليِّ عليه السلام : « ما زال الزبير منَّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فأفسده » (٢٢) .

في هذا الإطار يمكن ملاحظة تفسير الزمخشري لآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢٣) ، إذ يقول : « فإن قلت : فما تقول في الصلاة على غيره ؟ قلت : القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ، وقوله : اللهم صل على آل أبي أوفى . ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك ، وهو أنها إن كانت على سبيل التبعية كقولك : صلى الله على النبي وآله ، فلا كلام فيها ، وأمّا إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه ؛ لأنَّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله ﷺ ، ولأنَّه يؤدي إلى الاتهام بالرفض ، وقال رسول الله ﷺ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

مع ابن عباس بعرفة ، فقال لي : يا سعيد ، ما لي لا أسمع الناس يلبون ؟ فقلت : يخافون من معاوية . قال : فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال : لبيك اللهم لبيك ؛ فإنهم قد تركوا السنّة من بغض عليِّ عليه السلام « (٢٠) .

وهكذا أصبح ترك السنّة - بغضاً للإمام عليِّ عليه السلام - القاعدة المعمول بها عند مَنْ لا يرعون للسنّة حرمةً .

والملاحظ أنّ المثال الأوّل هو من مدينة دمشق في ذلك الزمان ، حيث معاوية ؛ ومنه نفهم سرّ المقولة المشهورة التي ذهبت مذهب المثل : « ليس حبّاً في معاوية ، بل كرهاً لعليِّ » ، فراح كره الإمام علي عليه السلام - وأهل البيت عليه السلام بصورة عامة - يؤسّس لدين جديد ، قاعدته وعنوانه المراسيم الأربعة الصادرة عن معاوية ، والمشار إليها أنفأ . لكننا نجد أهل البيت عليه السلام - وهم حرّاس الدين ، والمؤمنون عليه جعلاً لا انتخاباً - لم يتخذوا هذه الوسيلة مطيّة لترك السنّة ، فهم لا يتركون أيّ فعل ثبت أنّ رسول الله ﷺ فعله أو ندب إليه بدعوى أنّ أعداءهم يفعلونه .

إننا نجد هذا البغض في أوضح معانيه وأصرحها في موقف عبد الله بن الزبير ، فقد تحامل « علي بن هاشم تحاملاً شديداً ،

بقوله : « لا والله ، إلا دفناً دفناً »^(٢٦) .

إن الروایتين التاليتين تعبّران عن الذروة التي بلغها هذا الدين الجديد ، الدين المؤول على حساب الدين المنزل :

١- على لسان ابن عباس في قوله : « تمتع رسول الله ﷺ ، فقال عروة : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة . فقال ابن عباس : فما يقول عرية ؟ قال : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة . قال : أراهم سيهلكون ؛ أقول : قال رسول الله ، ويقولون : قال أبو بكر وعمر »^(٢٧) .

٢- وعلى لسان النووي من جهة ، والقاضي عيّاض من جهة ثانية ، فيما ذهبوا إليه من توجيه قول الخليفة الثاني من أن رسول الله غلبه الوجد ، فقد قالوا في ذلك : « إنّه من دلائل فقه عمر »^(٢٨) .

وعليه ؛ أقول : إن محاربة الحسين عليه السلام هي استمرار للحرب بين المشروع الإسلامي المتمثل بالأنبياء والأوصياء والأئمة والمؤمنين من جهة ، وبين الشيطان وأتباعه من المستبدين والظلمة من جهة ثانية ، أو قل بعبارة أخرى : هي حرب بين مشروع يجعل الله تعالى حاكماً على الإنسان ، وبين مشروع آخر يجعل الإنسان حاكماً على نفسه وعلى الله تعالى .

وباليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم »^(٢٤) .

على أن الزمخشري لا يحمل من الكره لآل البيت عليه السلام ما يحمله آخرون عرفوا به ، كابن تيمية الحرّاني الذي جاء بدين جديد ، دين مخالفة سنة رسول الله ﷺ بدعوى أن الغير التزموا بها ، فقد قال منظرّاً ومقعداً لهذا الدين الجديد : « ومن هنا ؛ ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم [يقصد الرفضة] ، فإنّه لم يترك واجباً بذلك . لكن قال : في إظهار ذلك مشابهة لهم ، فلا يتميز السيّ من الراضي- ، ومصالحة التميّز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب »^(٢٥) . أقول : مثل ابن تيمية هنا كمثّل الدبّ الذي أراد أن يريح سيّده من ذبابة حطّت على وجهه فنغصت عليه قيلولته ، فإذا به يحمل صخرة كبيرة يضرب بها رأس سيّده ففضى عليه .

أضف إلى هذه المسائل مسألة التختّم ، أبايمين يكون أم اليسار ؟ ! وكذا تسنيم القبر أفضل أم تسطيحه ؟ ! ومسائل أخرى اجتهد منظرّو الدين الجديد في تخريبها وتفكيدها والتنظير لها ، كل ذلك استمراراً للخط الأموي الذي عبّر عنه زعيمه معاوية بن أبي سفيان

ممارسات الأنظمة المستبدة تجاه شعائر الحسينية

لقد حاول الحكام المستبدون - وعلى مرّ التاريخ - إلغاء الحسين عليه السلام ، باعتباره الفكر والمشروع النهضوي العادل ، وأرادوا محوه من الذاكرة الإسلامية بخاصة والإنسانية بعامة ، كما حاول ذلك يزيد بن معاوية ابن آكلة الأكباد بعد نصف قرن من التحاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى ، فقد حوّلوا يوم عاشوراء الحزن إلى يوم فرح وسرور وابتهاج ، يُوسّع فيه على العيال ، وتُقام فيه حفلات الزواج ؛ وهو ما يمثّل استفزازاً فجّاً وعدوانياً لمشاعر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم .

إنّ لكلّ أمةٍ ملحمتهما ؛ فجلجامش للسومريين والآشوريين ، ولليونان : الإلياذة والأوديسة لهوميروس ، وللفرس : الشاهنامه لفردوسي ، وللجزائر : إلياذة الجزائر ، كتبها شاعر الثورة الكبير مفدي زكريا ، وللمسلمين - خاصةً أنصار مذهب أهل البيت عليهم السلام - كربلاء ، تلك اللوحة التي قاتل فيها الغدرُ ممزوجاً بالخيانة والظلم والدناءة ، قيمَ الفداء والأمانة والنجدة . لكن نَمّة فرقان بين الأمرين ، هما : أنّ الملاحم الأولى هي صور تُعبّر عن واقع بطولي مخصوص في الزمكان ، اعتراه الكثير

من الشعر ، أمّا ملحمة الحسين عليه السلام فهي واقعة كبيرة تستغرق الزمكان وتستوعبه ، وقيل بشأنها الكثير من الشعر ، ولا يزال . . .

الفرق الآخر بين ملحمة المسلمين وبين غيرها من الملاحم ، أنّ الأولى كانت ضدّ عدوّ داخلي ، يدين بديننا ويتكلّم لغتنا ، ممّا جعل ألمها أقوى وأشدّ ، وذلك كما قال الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً**على النفس من وقع الحسام المهندّ

فقد أخرج الحاكم في مستدرّكه عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً ، وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم » (٢٩) .

لقد أشرب الأمويون وكذلك العبّاسيون بغض العلويين ، وأوغلوا في دمائهم ، لقد كانوا مثقلين بدماء العلويين ؛ والنصوص التاريخية تثبت ذلك إلى الحدّ الذي يجعلني أقرّ أنّه لو أنّ أيّ دين ، أو مذهب ، أو نِحلة ، أو طائفة ، تعرّضت لعشر ما تعرّض له أهل البيت عليهم السلام لاندثر ، ولكن موقعه الآن في المتاحف ، جالياً للفرجة ، فإنّ العائلة الوحيدة التي سجّل التاريخ كلّ عذاباتها هم أهل البيت (٣٠) .

٢- محو مظاهر الحزن في محرم عن طريق اختراع نصوص دينية أو إقامة مظاهر الفرح والابتهاج

أما مظاهر الفرح والابتهاج ، فقد أقامها يزيد ابن أكلة الأكباد كأفضل ما تكون الإقامة ؛ فزينت شوارع دمشق بالرايات ، وأمر أصحاب الدفوف بالضرب على دفوفهم ، ففي مقتل الخوارزمي عن سهل بن سعد قال : « خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار ، كثيرة الأشجار ، قد علقوا الستور والحجب والديباج ، وهم فرحون مستبشرون ، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي- : لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن . فرأيت قوماً يتحدثون ، فقلت : يا هؤلاء ، ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن ؟ قالوا : يا شيخ ، نراك غريباً ؟ فقلت : أنا سهل ابن سعد ، قد رأيت رسول الله ﷺ وحملت حديثه ، فقالوا : يا سهل ، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً ! والأرض لا تُخسف بأهلها ! قلت : ولم ذاك ؟ فقالوا : هذا رأس الحسين عترة رسول الله ﷺ يهدى من أرض العراق إلى الشام ، وسيأتي الآن . قلت : واعجباً ! أيهدى رأس الحسين والناس يفرحون ؟ ! فمن أي باب

وهناك جملة من الممارسات القمعية التي قامت بها الأنظمة المستبدة تجاه القضية الحسينية وشعائرها المباركة ، نذكر منها ما يلي :

١. الوقوف ضد الشعائر الحسينية عن طريق الترهيب من الزيارة وإقامة المجالس

لقد أقلقهم الحسين عليه السلام حياً وميتاً ، فهذا المتوكل العباسي قد تأسى بأبيه هارون ، ومنع زيارة الإمام الحسين عليه السلام ، وخصّص لزوارة سجناً تحت الأرض يُعرف باسم (المطبق) ، ووضع مسالح في الطريق إلى المرقد المطهر للإمام الحسين عليه السلام ، تقطع أيدي وأرجل الزوّار ، أخذاً بسنة فرعون ، ثم أجرى الماء على الضريح الحسيني المطهر ليمحي أثره ^(٣١) .

ومن السلاجقة ، إلى شاه إيران البهلوي ، إلى يزيد عصره صدام ، إلى الوهابيين ، إلى الإرهابيين (الدواعش) ؛ كلهم استتارهم الحسين عليه السلام بمبادئه ومواقفه ، وخطابه النهضوي الثوري الرافض لمنطق القهر والهيمنة .

عن جيلة المكية ، « قالت : سمعت ميثماً التمار رضي الله عنه يقول : والله ، لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشرة يمضين منه ، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وإن ذلك لكائن ، قد سبق في علم الله تعالى ، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام فقلت له : يا ميثم ، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي عليه السلام بركة ؟ فبكى ميثم (رضي الله عنه) ثم قال : سيزعمون بحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم ، وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة ، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود عليه السلام ، وإنما قبل توبته في ذي الحجة ، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من جوف الحوت ، وإنما كان ذلك في ذي القعدة ، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي ، وإنما استوت في الثامن عشر من ذي الحجة ، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق فيه البحر لبني إسرائيل ، وإنما كان ذلك في ربيع الأول » ^(٣٦) .

دواعي محاربة الأنظمة المستبدّة لـ شعائر الحسينيّة

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُكْرِ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

يدخل ؟ فأشاروا إلى باب يقال له : باب الساعات . فسرت نحو الباب ، فبينما أنا هنالك ، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً ، وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان ، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله ، وإذا بنسوة من ورائه على جمال بغير وطاء . . . » ^(٣٢) .

حتى لقد قال الشاعر :

كانت ماتم بالعراق تعدها

أمية بالشام من أعيادها

وأما اختراع النصوص ، فمنها أذوبة التاسع : « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » ^(٣٣) . وقد أخرج البخاري عن ابن عباس قال : « قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه » ^(٣٤) . وفي رواية مسلم : « هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً ، فنحن نصومه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : فنحن أحق وأولى بموسى منكم » ^(٣٥) .

وفي مقابل ذلك أنظر ما رواه الشيخ الصدوق

والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسته ، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً» (٣٩) .

هذا المعنى من كلام السيدة زينب عليها السلام يلقي بظلاله على واقعة الطف التي أظهرت الفرق بين موقفين متناقضين تماماً يمثلان خطين متوازيين : خط يمثل أئمة الكفر وأشياع الضلالة الذين يسعون إلى الحد من إحياء ذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام ، وخط آخر يمثل أتباع الحسين عليه السلام ومحبيه الذين يسعون لإقامة مراسم الذكرى بكل ما يمتلكون من شوق وعزيمة .

إن الظلم وعاشوراء يقفان على طرفي نقيض ، فلا يجتمعان أبداً ؛ لذلك أدرك الطواغيت أن القضاء على الفكر الثوري يمر عبر محاربة الشعائر الحسينية أو تحجيمها .

لقد بينت السيدة زينب عليها السلام بكل جلاء النهاية المحتومة لكلا الفريقين على طول المسيرة ؛ أما عن سيّد الشهداء ، فقد أصبح قبره علماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ ، وبيان ذلك :

أولاً : الظهور ، فالعلم هو كل ما ظهر ، أو هو بالتعبير القرآني (شعيرة) ، يقول تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣٧) . إن هذه الآية الشريفة تشير إلى عاقبة الذين كفروا ، ممن (يمكرون) بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، من حيث إنهم يريدون تحقيق غاية إقصاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإحدى وسائل ثلاث : ﴿ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ . فإما السجن ﴿ يُثْبِتُوكَ ﴾ ، أو القتل ﴿ قَتَلُوكَ ﴾ ، أو النفي والتشريد ﴿ يُخْرِجُوكَ ﴾ ، وما ذاك إلا لأن مشروعه السياسي والاجتماعي منافٍ بالمطلق لما يريدون تحقيقه من معادلات ظالمة في المجتمع . . لكن هذا المكر القرشي الكافر يقابله مكر من طبيعة أخرى ، هو المكر الإلهي ؛ فالكفار يمكرون : ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ (٣٨) ، لكن الله تعالى يمكر وهو ﴿ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ؛ بمعنى أن مخططات قريش وسائر الكفار لا تمر ، وإنما يمر ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى .

إن نفس هذه الحقائق القرآنية نجدها كذلك في المنطق الزينبي ، وهي تخاطب ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام بقولها : « . . . وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام ، لا يُدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي

ومنه نفهم البُعد التاريخي والجغرافي للمقولة المشتهرة على الألسن : « كلُّ أرضٍ كربلاء ، وكلُّ يومٍ عاشوراء » . لقد تحوّلت هذه المقولة إلى شعار كبير يحمله رفضة الظلم والاستضعاف في مقارعة الاستكبار ، كما يحملون شعار : « هيهات منا الذلّة » ؛ بمعنى أنّ كربلاء لم تُعدّ قطعة جغرافية محصورة في صحراء العراق الكبرى ، كما أنّ عاشوراء ليست فترة ولا نقطة منسية في تاريخ الأيام .

وقد أدرك الطواغيت والمستبدون والظلمة وأعدائهم هذه الأبعاد ، فاجتهدوا في محوها وطمسها من المخيلة الشعبية ، بعدما شوّشوا عليها بإدراج جملة من الأحداث المكذوبة فيها ؛ لتميعها من جهة ، والتعمية عليها من جهة ثانية . إنّه صراع أبدي بين الحقّ والباطل ، بين الإسلام والكفر .

إنّ لعاشوراء الحسين عليه السلام صوتاً وسوطاً يدرکہما المؤمنون ، كما يدرکہما المستبدون ، لكن كلّ على طريقته ؛ فالمؤمنون فهموها على أنّها دين محرّر ، بينما فهمها الطواغيت على أنّها دين مخدّر ، والمؤمنون فهموها على أنّ تكليفهم إزاءها هو وعي التزييف ، بينما فهمها المستبدون على أنّها تزييف الوعي .

ثالثاً : مظاهر هذا الظهور التي يمكن

القلوب ^(٤٠) . فالشعائر : كلُّ عملٍ يُشعرك بشيءٍ ما ، وإنّما سمّيت الشعيرة شعيرة لأنّها ترمز إلى حادثة معيّنة - دينية بالخصوص - وتعمل على ربط النفس بها تمثلاً لقيمها ورمزيتها ، وإن كان أكثر الناس لا يعون حقيقة هذه الدلالة الرمزية ، كما في رمي الجمرات مثلاً ؛ لذلك فإننا نوّكد هنا على استبعاد لفظة الطقوس من الشعائر الحسينية ؛ إذ الشعائر تنبض بالحياة ، بينما الطقوس عمياء ، ودين الله هو دين حياة ، يدعونإ إليها ، يقول تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ^(٤١) .

ثانياً : البوصلة ، فالعلم يحدّد للإنسان خطّ سيره ، ويحدّد له مشروعه الاجتماعي والسياسي والثقافي ، وهو ما سمّاه ربُّ العالمين بـ (القصد) كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ ^(٤٢) . إنّ القصد هنا - وإن كان الظاهر منه عدم التسرّع وعدم التباطؤ في السير (الوسطية والاقتصاد) - يشير أيضاً إلى الغاية والهدف ، أي : أن يجعل الإنسان لسيره المادي والمعنوي قصداً وغايةً ينتهي إليها ، أي : مشروعاً يعمل على تحقيقه وإنجازه « لا يُدرس أثره ، ولا يُعفى رسمه ، على مرور الليالي والأيام » .

يمكن تعليل ذلك إجمالاً بما يلي :

١- نقرأ في وصيته عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية : « . . . وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليهما السلام . . . » (٤٥) . وهذا ما يبرر سرّاً التكالب الطاغوتي على الحسين عليه السلام ؛ لأنه قد بين العلاقة بين أبيه عليه السلام وجدّه صلى الله عليه وآله .

٢- ارتبط اسمه الشريف بالخروج على بني أمية ، رمز الغدر والخيانة ، والدناءة والوضاعة ، المتلبّسين بالدين ، الذين كانوا في الحقيقة امتداداً للسقيفة .

إذ إننا لو رجعنا إلى تاريخ صدر الإسلام نرى أنّ هناك شخصين ، هما : بلال بن رباح (العبد) وأمّية بن خلف (السيّد) ، وهما ينتميان إلى طبقتين وعالمين مختلفين تماماً من حيث القيم الفكرية والأخلاقية ؛ وبالتالي في قواعد السلوك ، كان لهما نفس الفهم والتصوّر عن الدين الذي جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، دين تحرّري إنساني يدعو - في جانبه الديني - إلى تبني العدالة الاجتماعية ، واحترام حقوق الإنسان ، والذود عنهما ، لكن

قراءتها في : العزّة ، والسيادة ، والشرف ؛ إذ إنّ « الدعي ابن الدعي » الذي « ركز بين اثنتين ، بين السلّة والذلّة » ، واجهته صيحات : « هيهات منّا الذلّة ، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حميّة ، ونفوس أبيّة ، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام » (٤٣) .

إنّ « الدعي ابن الدعي » - في امتداداته التاريخية لما بعد يزيد - هو كلّ ظالمٍ ، معتدٍ ، أفاكٍ أثيرٍ ، يعمل في الأمة بالظلم ، ولا يرضى لها حقوقها التي جعلها الله تعالى لها . وهذه هي أوصافه حسب التعبير الحسيني الرائع : « من رأى سلطاناً جائراً ، مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » (٤٤) .

خصوصية الإمام الحسين عليه السلام —

السؤال الذي يطرح نفسه دائماً هو : ما هو السر الذي جعل المستبدين يهرعون إلى محاربة الإمام الحسين عليه السلام ومشروعه المبارك ؟ أئمة أمر جعل له هذه الخصوصية من بين سائر الأئمة عليهم السلام ؟ فما هو السر في ذلك ؟

أحدهما - وهو بلال - آمن به واتبعه ؛ إذ رأى فيه وسيلة للتحرُّر من جهةٍ ، ووسيلة للرقى الروحي من جهةٍ ثانية ، أمَّا الآخر - وهو أمية بن خلف - فقد رفضه ، وبقي متمسكاً بشركه ؛ لكيلا تهتز مكانته الاجتماعية ، ويبقى بالتالي محافظاً على امتيازاته التي وفّرتها له اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . أمَّا الرقي الروحي ، فليس هو آخر ما يفكر فيه أمية ، بل إنّه لا يفكر فيه أصلاً ، إنّه غائب عن تفكيره إطلاقاً . وهذا أساس التفكير الدهري الذي ندّد به القرآن الكريم أكثر من مرّة : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (٤٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٤٧) .

٤- تركيز النبي ﷺ والأئمة من بعده ﷺ على ربط الأمة بشخص الإمام الحسين ﷺ ، على اعتبار أنّ ربط الناس بشخص يجسّد قيمة كبيرة أفضل وأوقع في النفس من ربطهم بفكرة مجردة . وهو نفس المنطق القرآني ؛ إذ إنّ المولى تبارك وتعالى لم يتركنا نغرق في القيم المطلقة المجردة عن تلبّسات الواقع اليومي للناس ، بل ربطها بمن جسّدها أفضل تجسيد ، فقيم الخير ، الحق ، العدالة ، العبادة ، الصلاح ، التقوى . . . دائماً تتمثّل لنا قرآنيّاً من خلال الأنبياء والصلحاء والأولياء ، وفي المقابل نرى قيم الشرِّ والفساد والتمرد تتمثّل لنا دائماً من خلال الشيطان وأتباعه وأعدائه من فرعون ونمرود وأبي لهب ومن كان على

أحد هما - وهو بلال - آمن به واتبعه ؛ إذ رأى فيه وسيلة للتحرُّر من جهةٍ ، ووسيلة للرقى الروحي من جهةٍ ثانية ، أمَّا الآخر - وهو أمية بن خلف - فقد رفضه ، وبقي متمسكاً بشركه ؛ لكيلا تهتز مكانته الاجتماعية ، ويبقى بالتالي محافظاً على امتيازاته التي وفّرتها له اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . أمَّا الرقي الروحي ، فليس هو آخر ما يفكر فيه أمية ، بل إنّه لا يفكر فيه أصلاً ، إنّه غائب عن تفكيره إطلاقاً . وهذا أساس التفكير الدهري الذي ندّد به القرآن الكريم أكثر من مرّة : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (٤٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٤٧) .

فالحسين ﷺ أراد أن يسلب الشرعية عن هذه الدولة الظالمة التي عملت على تحريف دين الله تعالى ، ومنه نفهم سرّ تكالب حكام الجور على الحسين ﷺ وقضيته المباركة .

وهكذا يكون بنو أمية قد فهموا الدرس أفضل من أيّ بطنٍ آخر من قريش ، فتأهبوا لمواجهة الدين الجديد ، وواجهوه بأقصى وأقصى ما يمكن أن تكون المواجهة .

٣- ارتبط قبره الشريف بإجابة الدعاء ، فهو - إذاً - علّم على ما قررناه سابقاً ، ممّا جعله محطّ

الصادق عليه السلام أنه قال : « تتم الصلاة في أربعة مواطن : في المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الكوفة ، وحرم الحسين صلوات الله عليه »^(٥٠) . وهذا ما يجعلنا نستشعر أنّ الإنسان الموالي عندما يزور الإمام الحسين عليه السلام يشعر وكأنّه حاضر بين أهله ، وهو نفس المعنى الذي نستشعره من قول الزائر وهو يغادره : « السلام عليك يا مولاي سلام مُودع لا قال ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين »^(٥١) .

هذا ويبقى اسم الحسين عليه السلام يثير مكانم التوجّع في قلوب المؤمنين ! فالمؤمنون بالمشروع الحسيني يتوجّعون عندما يتذكّرون مقتل سيّدهم بتلك الطريقة البربرية الوحشية . وأمّا الذين يخافون من المشروع الإلهي للحسين عليه السلام فإنّهم يتوجّسون خيفة من مجرد ذكر اسمه ، فاسم الحسين عليه السلام يقصّ مضاجع الظالمين ، ويزلزل عروشهم فيسقطها ، فإذا هي خراب ودمار . إنّ الثوار الأحرار من جهة ، والطغاة المستبدين من جهة أخرى ، هم الوحيدون الذين يفهمون ماذا يعني اسم الحسين عليه السلام .

شاكلتهم ، كأبي سفيان ومعاوية ويزيد وأعوانهم والراضين بقلبتهم والمدافعين عنهم .

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل قوله : « . . . ألا ولعن الله قتلة الحسين ، ومحبيهم وناصرهم ، والساكتين عن لعنهم من غير تقية تسكتهم . ألا وصلى الله على الباكين على الحسين بن علي عليه السلام رحمة وشفقة ، واللاعنين لأعدائهم والممتئين عليهم غيظاً وحنقاً . ألا وإنّ الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قتلته . ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشباعهم والمقتدين بهم براء من دين الله . ألا إنّ الله ليأمر الملائكة المقرّبين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين عليه السلام إلى الخزان في الجنان ، فيمزجونها بماء الحيوان ، فيزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفها . وإنّ الملائكة ليتلقون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين عليه السلام ويلقونها في الهاوية ، ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها ، فتزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها ، يُشدد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم »^(٤٩) .

كما أنّ الله تعالى جعل مرقد الإمام الحسين عليه السلام أحد مواطن التخيير الأربعة ، فقد روى ثقة الإسلام الكليني رحمته الله بسنده عن الإمام

الهوامش :

- [١] باحث إسلامي ، من الجزائر .
- [٢] الأنفال : آية ٣٠ .
- [٣] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٢٨ ، ص ٥٧ .
- [٤] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٢٨٢ .
- [٥] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ٢٠١ .
- [٦] المصدر السابق : ص ٢٠٨ .
- [٧] المصدر السابق : ص ٢١٠-٢١١ .
- [٨] الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة : ج ١٢ ، ص ٢١ .
- [٩] الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ، المستدرک علی الصحیحین : ج ٣ ، ص ١٩٤ . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه » .
- [١٠] الصدوق ، محمد بن علي ، مَنْ لا يحضره الفقيه : ج ١ ، ص ١٨٣ .
- [١١] الطوسي ، محمد بن الحسن ، تهذيب الأحكام : ج ٦ ، ص ٣٥-٣٦ .
- [١٢] أنظر : ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ٤٨٠ .
- [١٣] الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة : ج ١٤ ، ص ٥٠١ .
- [١٤] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ٢٠١ .
- [١٥] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ١ ، ص ١٩٩ .
- [١٦] الجويني ، محمد صالح ، تاريخ المآتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري ، جدل ومواقف في الشعائر الحسينية ، سلسلة كتاب نصوص معاصرة : ص ١٩ .
- [١٧] أنظر : المالكي ، حسن فرحان ، مراسيم معاوية الأربعة وأثرها في الحديث والعقائد : ص ٢-٦ .
- [١٨] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري : ج ١ ، ص ١٢١ .
- [١٩] المصدر السابق .
- [٢٠] الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ، المستدرک علی الصحیحین : ج ١ ، ص ٦٣٦ . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه » .
- [٢١] البيهقي ، أحمد بن أبي يعقوب ، تاريخ يعقوب ، ج ٢ ، ص ٢٦١ . وأنظر : الأندلسي ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد : ج ٥ ، ص ١٦١ .
- [٢٢] ابن أبي الحديد المعتزلي ، عبد الحميد ، شرح نهج البلاغة : ج ٤ ، ص ٧٩ .

- [٢٣] الأحزاب : آية ٥٦ .
- [٢٤] الزمخشري ، محمود بن عمر ، الكشاف : ج ٣ ، ص ٥٦٨ .
- [٢٥] ابن تيمية ، أحمد ، منهاج السنة النبوية : ج ٤ : ص ١٥٤ . أقول : لماذا البحث في تميز السنّي عن (الرافضي) ؟
ألا يتسع دين الله لما يوحد بينهما ويجمعهما ؟ !
- [٢٦] ذكرها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج : ج ٥ ، ص ٧٢ ، نقلاً عن الزبير بن بكّار في الموقفيات .
- [٢٧] الذهبي ، شمس الدين ، سير أعلام النبلاء : ج ١٥ ، ص ٢٤٣ . أقول : (عُربة) : تصغير عروة .
- [٢٨] النووي ، يحيى بن شرف ، شرح صحيح مسلم : ج ١١ ، ص ٩٠ . أنظر : القاضي ، أبو الفضل عيّاض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ج ٢ ، ص ١٩٤ .
- [٢٩] الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ، المستدرک على الصحيحين : ج ٤ ، ص ٤٨٧ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يُخرجاه .
- [٣٠] أنظر بخصوص ذلك : أبو الفرج الإصهفاني ، علي بن الحسين ، مقاتل الطالبين .
- [٣١] أنظر : أبو الفرج الإصهفاني ، علي بن الحسين ، مقاتل الطالبين : ص ٣٩٥ . وأيضاً : ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ : ج ٧ ، ص ٥٥ .
- [٣٢] الخوارزمي ، أحمد بن محمد ، مقتل الحسين عليه السلام : ج ٢ ، ص ٦٠-٦١ .
- [٣٣] النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم : ج ٣ ، ص ١٥١ . قال ابن حجر العسقلاني : « وقال بعض أهل العلم : قوله عليه السلام في صحيح مسلم : لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع ، يحتمل أمرين : أحدهما : إته أراد نقل العاشر إلى التاسع ، والثاني : أراد أن يضيفه إليه في الصوم ، فلمّا توفي عليه السلام قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين ؛ وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب : أدناها أن يُصام وحده ، وفوقه أن يُصام التاسع معه ، وفوقه أن يُصام التاسع والحادي عشر . » العسقلاني ، ابن حجر ، فتح الباري : ج ٤ ، ص ٢١٣ .
- [٣٤] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري : ج ٢ ، ص ٢٥١ .
- [٣٥] النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم : ج ٣ ، ص ١٥٠ .
- [٣٦] الصدوق ، محمد بن علي ، الأمالي : ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- [٣٧] الأنفال : آية ٣٠ .
- [٣٨] فاطر : الآية ١٠ .
- [٣٩] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٢٨ ، ص ٥٧ .
- [٤٠] الحج : آية ٣٢ .

- [٤١] الأنفال : آية ٢٤ .
- [٤٢] لقمان : آية ١٩ .
- [٤٣] أنظر : ابن طاووس ، علي بن موسى ، اللهوف على قتلى الطفوف : ص ٥٩ .
- [٤٤] أبو مخنف ، لوط بن يحيى ، مقتل الحسين عليه السلام : ص ٨٥ .
- [٤٥] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٤٤ ، ص ٣٢٩ . وهو نفس المنطق الذي نجده عند أمير المؤمنين عليه السلام في الرد على شرط عبد الرحمن بن عوف : « أمّا كتاب الله وسنة نبيه فنعم ، وأمّا سيرة الشيخين فلا » . أنظر : الشهرستاني ، علي ، وضوء النبي صلى الله عليه وآله : ج ٢ ، ص ١٩٠ .
- [٤٦] الجاثية : آية ٢٤ .
- [٤٧] الأنعام : آية ٢٩ .
- [٤٨] إبراهيم : آية ٣٧ .
- [٤٩] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ص ٣٦٩-٣٧٠ .
- [٥٠] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٤ ، ص ٥٨٦ .
- [٥١] المشهدي ، محمد بن جعفر ، المزار : ص ٤٢٦ .

دراسات فكرية وثقافية

أ. م. د اسراء علاء الدين نوري / حسين على مكطوف
كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية، جامعة ميسان

الاستراتيجيات والسياسات العامة لمكافحة الفساد في العراق بعد عام ٢٠٠٣

المقدمة

إن الفساد من الظواهر المجتمعية التي يمكن رصدها في المجتمعات كافة أياً كان موقعها الجغرافي أو العصر التاريخي الذي تعيشه، وأياً كانت درجة نموها الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي، والفساد مهما كانت درجة انتشاره مرفوض، لأنه يمثل في واقع الامر انتهاكاً صارخاً للقيم الاخلاقية والاجتماعية للفرد والمجتمع، وعندما يشيع في جسم دولة ما ليصل مؤسساتها العامة والخاصة، وايضاً قطاعاتها القضائية والتعليمية والاقتصادية... الخ، بسبب قصور القوانين والتشريعات الرادعة وهشاشتها، فإنه يضعف من استقرارها، ويعمق التمايز الطبقي بين فئات المجتمع وشرائحه ويؤجج الصراع ويفكك النسيج الاجتماعي.

ان دراسة موضوع السياسات العامة والفساد، ينبغي ان توجه بشكل اساسي الى قمة السلطة،

وان ارتفاع مستوى الفساد في اي مجتمع هو انعكاس لغياب الحكم الصالح فيه ، بما ينطوي عليه عدد من المقومات التي لو توافرت في اي نظام سياسي تجعل من الفساد ممارسة محدودة ، ومن هذه المقومات العقلانية في اتخاذ القرارات وعلى مستوياته الاعلى بشكل خاص وتوافر الشفافية والمساءلة والمحاسبة .

اشكالية البحث / يلعب الفساد دوراً كبيراً في نخر وتداعي النظام السياسي برمته سواء من حيث شرعيته او استقراره او سمعته ، كما يحد من شفافية النظام وانفتاحه ويقود الى صراعات كبيرة اذا ما تعارضت المصالح بين المجموعات المختلفة ، ويؤدي الى خلق جو من النفاق السياسي كنتيجة لقلّة الثقة بالمؤسسات العامة واجهزة الرقابة والمساءلة ، كما يسيء الفساد الى سمعة النظام السياسي وعلاقاته الخارجية خاصة مع الدول التي يمكن ان تقدم الدعم المادي له وبشكل يجعل هذه الدول تضع شروطاً قد تمس بسيادة الدولة لمنع مساعدتها .

أهمية البحث / انتشرت ظاهرة الفساد في العراق منذ الاحتلال الامريكي ، وذلك لان الاحتلال ساعد بشكل مباشر أو غير مباشر في استشراف هذه الظاهرة ، إذ أدت هيمنة الولايات المتحدة الاميركية على مقدرات الشعب العراقي

ليبدأ الاصلاح من هناك ، ومن ثم لينعكس بعد ذلك الى الاسفل بشكل صارم ووفقاً لمعايير موضوعية تسري على الجميع دون استثناء ، وينبغي الاشارة الى انماط من الهيكليات السياسية الاخرى السائدة في الممارسة السياسية في العراق كـ (الطائفية والمذهبية والعشائرية والتعصب العرقي) ، الذي يجب التصدي لها عن طريق الاصلاح السياسي ، إذ انها تشكل بمجملها اهم حاضنات الفساد في العراق والتي تم انتاجها خلال ممارسة العمل السياسية من قبل النخبة السياسية الحاكمة .

إن خصوصية المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ وفي ظل مرحلة الانتقال السياسي من النظام الشمولي الى النظام الديمقراطي وحصول التغيير المتسارع لكل مفاصل الدولة العراقية نحو بناء دولة مؤسسات عصرية ديمقراطية قوامها العدالة للجميع ، تتطلب تبني مجموعة واسعة من الاستراتيجيات المتنوعة لمواجهة ارث الماضي لخلق مستقبل اكثر عدالة واستقرار ، إلا ان ازدياد ظاهرة الفساد بكافة اشكاله بعد عام ٢٠٠٣ أصبحت هناك مشكلة موجودة لا تكاد تخلو منها أي مؤسسة ، وهي تكاد تكون حالة بديهية لكل عملية تغيير وانتقال سياسي من مرحلة الى اخرى .

والاصلاح في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ؟
 فرضية البحث / ينطلق البحث من « ان
 ظاهرة الفساد في العراق لها عوامل عامة
 وخاصة نشأت بسبب ظروف غير طبيعية مزّ بها
 العراق سواء الحروب أو الحصار أو التخريب
 المؤسسي او الانفلات الامني ، فضلاً عن
 عوامل خارجية اخرى لها أهداف مقصودة في
 تشتيت برامج التنمية وهدر الموارد الوطنية ومنع
 العراق من الارتقاء وتبوء الموقع الحضاري
 المناسب » .

هيكلية البحث / ينقسم البحث الى عدة
 مطالب ، بالإضافة الى المقدمة والخاتمة ،
 وهي : المطلب الاول : ماهية السياسات العامة
 والفساد . وتضمن المطلب الثاني : الفساد في
 العراق : الاسباب والمظاهر والتداعيات . اما
 المطلب الثالث فتضمن : المؤسسات المعنية
 في مكافحة الفساد . بينما تضمن المطلب
 الرابع : السياسات العامة لمكافحة الفساد .

ماهية السياسات العامة والفساد أولاً/ ماهية السياسات العامة

السياسة العامة هي « ما تختار الحكومة أن
 تفعله أو ما لا تفعله ، فالحكومة تقوم بأشياء
 كثيرة منها ضبط عمليتي الصراع والتنافس

وثرواته ، والعبث بها ، فضلاً عن ان غالبية
 الاموال العراقية استبيحت وصرفت على
 الجانب العسكري . إذ اتسمت هذه المرحلة
 التي شهدها العراق بتزايد حالات الفساد التي
 عبرت عنها حالات متكررة من الانحراف في
 القيم الأخلاقية التي لم يعتد عليها المجتمع
 العراقي مثل القتل والاعتصاب والخطف . وان
 احتلال العراق وتخريب بناه التحتية تساعد على
 تفشي مشكلة الفساد بسرعة اكبر مما كان عليه
 الوضع في مطلع تسعينات القرن الماضي بعد
 فرض الحصار الاقتصادي على العراق الذي
 أدى الى ظهور بواكير الفساد للبلاد .

هدف البحث / يهدف البحث الى الاجابة
 عن عدة تساؤلات ، اهمها :

- ١- ما هو الفساد واشكاله ؟
- ٢- ما هي السياسات العامة ؟
- ٣- ما هو واقع الفساد في العراق بعد عام
 ٢٠٠٣ ؟
- ٤- ما هي اسباب واثار الفساد في العراق بعد
 عام ٢٠٠٣ ؟

- ٥- ما هي اهم المؤسسات المعنية في
 مكافحة الفساد في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ؟
- ٦- ما هي اهم سياسات واستراتيجيات

النشاطات التي تتدخل فيها الدولة ، وأياً كانت صورة الحكومة التي تمثل السلطة السياسية في الدولة ، فإنها تحدد النقاط التي تراها أساسية في نشاط الدولة ، تاركة للإدارة تنفيذ العمل في إطار هذا النشاط «^(٥) .

ثانياً ماهية الفساد

تواجه جميع الدول اليوم مرضاً يطلق عليه الفساد وينتشر هذا المرض بسرعة كبيرة ، بحيث تعود عليه البشر في المعاملات اليومية ، بل اصبح متعارف عليه في اداء الواجبات وتحقيق الاهداف ، ومتى ما ترك اصحاب السلطة واجبهم الحقيقي ورضوا بوجود الفساد . وقد تعددت التعاريف التي اعطيت للفساد بوجه عام واختلفت نظرتها وفلسفتها فمنها ما يربطه بالقيم والتقاليد ومنها ما يربطه بالنظم وما فيها من تعيب وفوضى ومنها ما يرجعه الى اسباب سياسية او اقتصادية او اجتماعية^(٦) .

ويعرف الفساد بأنه « مجموعة الاعمال المخالفة للقوانين والهادفة الى التأثير بسير الادارة العامة او قراراتها او انشطتها بهدف الاستفادة المادية المباشرة او الانتفاع غير المباشر »^(٧) .

والفساد هو الاساس في جرائم اساءة

داخل المجتمع ، وتنظيم المجتمع بغرض إدارة الصراع والتعاون مع المجتمعات الأخرى ، وتوزيع المكافآت الرمزية والخدمات المادية على أعضاء المجتمع ، معنى ذلك أن تكون هذه السياسات العامة ضبطية أو تنظيمية أو توزيعية أو استخراجية أو جميعها في آن واحد ، وهذه السياسات العامة أشبه ما تكون بقدرات النظام السياسي^(٨) .

وقد عرفت السياسة العامة على إنها « اتجاه العمل للحكومة لمدة مستقبلية ، بحيث يكون لتلك السياسة مبرراتها ، وهذا يعني أن السياسة العامة هي تعبير عن التوجه السلطوي أو القهري لموارد الدولة وأداة ذلك التوجه هو الحكومة »^(٩) .

وتعرفها (ثناء فؤاد عبد الله) بأنها « خطط أو برامج أو أهداف عامة أو كل هذه معاً يظهر منها اتجاه العمل الحكومي لمدة مستقبلية بحيث تحظى بالمساندة السياسية وهذا يعني أن السياسة العامة هي فعالية تصريف موارد الدولة والمسيطر على ذلك هو الحكومة »^(١٠) . ويراها بعضهم بأنها « برنامج عمل خاص بسلطة عمومية أو حكومية واحدة أو بعدة سلطات »^(١١) . وتعرف السياسة العامة على إنها « الأهداف التي تقرر السلطة السياسية تنفيذها في مختلف

يستبعد الرشاوي التي تحدث فيما بين القطاع الخاص»^(١٠).

ويتضمن الفساد الاعمال التالية: ^(١١)

١) الاعمال التي يمارسها افراد خارج الجهاز الحكومي كأن يعتاد القائد السماح للموظف بما يلي:
التهرب من القوانين والسياسات المعمول بها.

تغيير القوانين والسياسات سواء باستحداث قوانين جديدة او الغاء قوانين قائمة لتحقيق مكاسب فورية.

٢) الاعمال التي يقوم بها العاملون في الجهاز الحكومي بهدف الحصول على مكاسب لهم ولأصدقائهم وذلك من خلال ما يلي:
طلب او قبول منافع لهم من الافراد مقابل تقديم خدمات مباشرة وفورية.

استحداث او الغاء قوانين او سياسات لتحقيق عن طريقها مكاسب مباشرة لهم.
وان للفساد خصائص عديدة، منها: ^(١٢)

١- عادة ما يشترك في السلوك الفاسد اكثر من شخص.

٢- تتصف اعمال الفساد بالسرية بشكل عام.

استعمال السلطة الوظيفية حيث يخلق مستوى اخر للسلطة موازياً للمستوى الرسمي لها معاً يؤثر سلباً على ضيق السلطة الرسمية، فإساءة استعمال السلطة لها صورتان: ^(٨)

الصورة الاولى / اساءة بقصد منفعة خاصة للموظف او احد اقاربه او معارفه وتأخذ شكل مادي او عفوي.

الصورة الثانية / اساءة بقصد الاضرار فيقوم الموظف العام بالإضرار للمصلحة العامة بهدف الانتقام.

والفساد هو « السلوك القائم على الانحراف عن الواجبات الرسمية المرتبطة بالمنصب العام سواء أكان شغل هذا المنصب يتم بالانتخاب ام بالتعيين في سبيل تحقيق مصلحة خاصة سواء أكانت هذه المصلحة شخصية مباشرة تتعلق بشاغل المنصب ام طائفية ام قبلية وسواء أكانت هذه المصلحة تتعلق بمكاسب مادية ام غير مادية، وذلك من خلال استخدام اجراءات او الالتجاء الى تعاملات تحالف الشرعية القانونية» ^(٩).

والفساد في موسوعة العلوم الاجتماعية « استخدام النفوذ العام لتحقيق ارباح او منافع خاصة، ويشمل ذلك جميع انواع الرشاوي للمسؤولين المحليين او السياسيين ولكنه

بمجموعها عوائق في بناء نظام او جهاز اداري متطور مثل الولاء للعشيرة او الطائفة او المذهب وخفق الولاء للوطن ، كل ذلك يتسبب بممارسات غير عادلة وغير اخلاقية مثل المحاباة في انجاز العمل والتفرقة في تقديم الخدمة لأفراد المجتمع .

٤- العوامل الادارية ، ويمكن ايراد خلاصة لها من خلال تشخيص امراض المركزية والبيروقراطية المفرطة وضعف اجهزة الرقابة وفسادها وتخلف الاجراءات الادارية وعدم مواكبتها لروح العصر وحاجات المجتمع ، فضلاً عن خفض سياسات التوظيف وفسادها وعدم الاخذ بنظرية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب .

وأن انتشار الفساد له اثاره المختلفة في بيئات العمل ، واهم هذه الاثار ، هي :^(١٤)

١- ان فساد الجهاز الاداري في الدولة يؤدي الى فقدان الثقة والمصدقية بهذا الجهاز وبالذات بشكل عام .

٢- ان التأخير في معالجة الفساد سوف يؤدي الى انتشاره الى بقية الاجهزة الادارية .

٣- ان الشعور بالعدالة الاجتماعية سوف يتراجع لدى المواطنين ولدى العاملين ، إذا قامت اجهزة الادارة العامة بالتستر على

٣- يتضمن الفساد عامل الالتزام المتبادل والمصلحة المتبادلة .

٤- يقوم مقترفوا الفساد بالتمويه على انشطتهم التي يقومون بها .

٥- يشمل الفساد اولئك الذين يحتاجون الى قرارات محددة اولئك الذين يستطيعون التآني في هذه القرارات .

وان ظاهرة الفساد تحكمها مجموعة عوامل متداخلة ومتفاعلة فيما بينها وهذه العوامل تمثل بطبيعتها المباشرة وغير المباشرة الجذور الاساسية التي تنبت اوجه ومظاهر الفساد ، ومن ابرز تلك العوامل ما يأتي :^(١٣)

١- العوامل السياسية ، تؤدي مثل هذه العوامل الى خلق ظاهرة الفساد ، وذلك انطلاقاً من فساد النظام السياسي وخلاصة مثل هذه العوامل تلاحظ من خلال تدخل النخب والاحزاب في عمل اجهزة الدولة .

٢- العوامل الاقتصادية ، والمقصود بها سوء التخطيط لعملية التنمية الاقتصادية وفقاً لأسس علمية وغياب دراسة الجدوى لأغلب المشاريع وسوء توزيع الثروة وتدني مستوى الدخل الفردي .

٣- العوامل الاجتماعية والثقافية ، هنالك العديد من القيم والبناء الاجتماعي تشكل

الخاصة بدل المصالح العامة وزيادة الصراعات والخرافات في جهاز الدولة بين الاحزاب المختلفة في سبيل تحقيق المصلحة الخاصة على المصلحة العامة .

١٣- تأثير الفساد على وسائل الاعلام المختلفة وتكيفها وضمن المتطلبات الخاصة للمستفيدين وجعل اجهزة الاعلام بعيدة عن دورها في التوعية ومحاربة الفساد .

الفساد في العراق : الاسباب والمظاهر والتداعيات

تعد مظاهر الفساد بجميع اشكاله وانماطه من الفعل الانساني الذي يحمل في اشكاله المتنوعة دلالات اجتماعية تختلف في المجتمع الواحد بين اوقات مختلفة ، وتختلف بين المجتمعات المتعددة في الوقت الواحد ، وتزداد مظاهر الفساد مع ضعف القيم الاخلاقية والدينية وغياب مظاهر الضبط الاجتماعي ، وضعف فعاليته ، وهي تتناقض مع انتشار القيم الاخلاقية والدينية وقوة الضبط الاجتماعي^(١٥) ، وتجذرت ثقافة الفساد في المجتمع العراقي ، إذ اصبحت مظهر من مظاهر تداعيات الفساد على المجتمع ، فحين يصبح الفساد سلوكاً عادياً ، ويصبح المجتمع يتقبله ، بل يشجع عليه ،

الفاستدين .

٤- ان انتشار الفساد ، يترتب عليه ظهور اللامبالاة والاستهتار بالمصالح العامة وبرموز الدولة .

٥- اذا عم الفساد معظم اجهزة الادارة العامة فقد ينتقل الى طبقات المجتمع ، الامر الذي يؤدي الى الانحلال الاخلاقي واللامبالاة وزيادة المشاكل الاجتماعية .

٦- إذا انتشر الفساد واصبح متعارفاً عليه في المجتمع ، فإن معظم القرارات الادارية سوف تصبح قرارات غير رشيدة ، اضافة الى سوء استخدام الموارد المتوفرة وعدم القدرة على تحديد الاولويات .

٧- تؤدي كفاءة الاستثمار العام وازعاف مستوى الجودة في البنية التحتية العامة .

٨- تراجع مؤشرات التنمية البشرية خاصة فيما يتعلق بمؤشرات التعليم والصحة .

٩- تردي حالة الدخل والثروة .

١٠- هروب الاموال خارد البلد وما يتبعه من قلة فرص العمل وزيادة البطالة والفقر .

١١- ضياع اموال الدولة والتي كان من الاجدر استثمارها في مشاريع تخدم المواطنين .

١٢- يؤدي الفساد الى احلال المصالح

بها المصدر الاساسي لكسب معاشاتهم .

٣- ضعف العقوبات لردع المخالفين ، ينمو الفساد ويشتد في البيئات التي يعرف فيها المخالفون أنهم في منأى عن العقاب وعندما يكون العقاب غير ملائم لردع الفساد .

٤- غياب الشفافية والمساءلة ، إن غياب الشفافية والمساءلة تعد من بين الاسباب الهامة الى ارتفاع مستويات الفساد ، وعندما يجد المواطنون انفسهم دون آليات تمكنهم من مساءلة مسؤولي الحكومة سينتهي بهم الامر الى الانصياع لطلباتهم وسلوكياتهم الفاسدة .

٥- اسباب تتعلق بعدم استقلالية القضاء ، عدم استقلالية القضاء يؤدي الى انتشار ظاهرة الفساد بمستوى عالي ، حيث يلاحظ في معظم البلدان المتقدمة استقلالية القضاء عن عمل واداء النظام وهو ما يعطي ابعاداً سليمة تتمثل بالحكم الصالح .

٦- اسباب ضعف الدور الرقابي على الاعمال ، يظهر الفساد في حالة ضعف الدور الرقابي وعدم القدرة على ممارسته ، وعدم تطبيق القانون ، بالإضافة الى عدم تفعيل صلاحيات الاجهزة الرقابية على اعمال الجهاز التنفيذي ومحاسبة المقصر وضعف المسؤولية الادارية عن الاعمال الموكلة لها او المحاسبة عليها .

تتحول مشكلة الفساد الى عقبة مزدوجة ، فهناك من ناحية الموظف الذي تعود على نهج سلوك الفساد ، إذ اصبح الفساد جزءاً من الممارسة الاجتماعية في المجتمع والتي اصبحت ظاهرة شائعة بل واخذ يمارسها حتى افراد من الاحزاب الدينية^(١٦) . إذ أن مظاهر الفساد في العراق أفرزت خلافاً في انساق متعددة ، اهمها :^(١٧)

١- خلل في النسق السياسي .

٢- خلل في النسق الاقتصادي .

٣- خلل في النسق الثقافي .

وهناك طائفة من الاسباب التي تقف وراء شيوع الفساد في العراق والتي من اهمها :^(١٨)

١- شيوع القوانين المعقدة وغير الواضحة والمعرضة للتغير باستمرار ، إذ يترعرع الفساد في ظل الانظمة التي تعص بالقوانين غير الملائمة وغير الواضحة والمبالغ فيها والمعرضة دائماً للتغير والتعديل اما التطبيق الضعيف للقوانين والانظمة فهو يشكل جانباً رئيسياً في الفساد لأنه يخلق انظمة مزدوجة .

٢- انخفاض معدلات الاجور في القطاع العام ، في اغلب الاحيان لا يدفع الى موظفي القطاع العام في الدول النامية ما يكفي لسد حاجاتهم اليومية ، مما يجعل الرشوة والتعطي

اللوائح التنظيمية الرسمية ، وتعد احدى مظاهر الفساد المنتشرة في العراق في وقتنا الحالي .

٩- استغلال المنصب العام ، فيمثل استغلال الوظيفة بهدف الحصول على امتيازات خاصة ، او التصرف بالإملاك العامة بطريقة غير قانونية ، كما يتم استخدام المنصب العام لتحقيق مصالح شخصية سياسية او غيرها مثل تزوير الانتخابات .

١٠- الاختلاس والسرقه ، فالاختلاس هو قيام الموظف بسرقة اموال نقدية او عينية ممن تحت مسؤوليته او التلاعب بالمستندات او السجلات ، اما السرقة فهو قيام الموظف بأخذ الاموال نقدية او عينية ليست تحت ذمته او مسؤوليته وانما تحت ذمة او مسؤولية شخص اخر .

١١- الاحتيال والنصب ، وهي صورة اخرى من صور الفساد ، والذي يعد من الجرائم طبقاً للمفهوم القانوني ، وتستخدم جريمة الاحتيال هنا للحصول على منافع شخصية تدر على مرتكبيها لهذه الجريمة ، فيقوم بفعله الاحتيالي الفاسد بعد ان تبين انه يستطيع النفاذ من فعله بالحيلة وبعد ان يقارن بين مكاسب الفعل وخسارته قبل ارتكابه .

وقدمت هيئة النزاهة في العراق تقريراً الى

أما اهم مظاهر الفساد في العراق ، فتتمثل في :^(١٩)

١- تعطيل القوانين والتعليمات وانتشار الفوضى والعشوائية في اشغال الوظائف العامة واسنادها الى محدودى الكفاءة .

٢- تشكيل لجان (المناقصات ، المشتريات ، الاستيراد ، ووضع جداول الكميات والتسعير) من غير ذوي الاختصاص .

٣- شيوع ظاهرة الغنى الفاحش والمفاجئ في المجتمع .

٤- شيوع ظاهرة الرشوة حتى انها اضحت تبدو من جملة (المستمسكات) المطلوبة في اية معاملة .

٥- المحسوبية والمنسوبية والولاء في شغل الوظائف والمناصب بدلاً عن الجدارة والكفاءة والمهارة المهنية والنزاهة .

٦- غياب مبدأ تكافؤ الفرص في شغل الوظائف .

٧- ضعف الرقابة اجهزةً واداءً ، فهي لا تعدو ان تكون شكلية ، اما نتائجها فتهمل .

٨- الوساطة ، اذ يستخدمها الافراد اداة ووسيلة للوصول الى شخص يملك سلطة القرار لتحقيق مصلحة لشخص او اكثر ، وهي خارج

مقدماً ونقداً ، وهذا خلاف اخر لكل الشروط والضوابط القانونية والمالية في اجراء العقود وبدون اي صك تضيمني .

د- الكثير من العقود قام بتنظيمها وتوقيعها عناصر خارج صلاحيتهم المحددة في القانون ، فنرى مثلاً مسؤولاً صلاحياته (١٠٠٠٠٠٠٠٠) دينار يوقع على عقود تصل قيمتها الى (١٧٠٠٠٠٠٠٠٠) دولار .

هـ- لم تقم الوزارات باستقطاع ضريبة الدخل ولا حتى استيفاء رسم الطابع على اغلب العقود التي ابرمتها في ٢٠٠٤ وما بعدها مع الشركات والجهات والاطراف المتعاقد عليها لتجهيز وتوريد سلع وخدمات واجهزة ، خلافاً للفقرة (ب) من المادة (٢) من قانون رسم الطابع رقم (١٦) لسنة ١٩٧٤ .

و- لا يوجد ما يثبت وصول البضاعة ودخولها المخازن وخروجها حسب الاصول في كثير من العقود .

٢- ظاهرة انتشار الاسماء الوهمية في كثير من الوزارات خاصة الداخلية ، والدفاع ، وحماية المنشآت في اغلب الوزارات ، وتؤخذ رواتبهم من قبل القائمين عليها .

٣- انتشار ظاهرة الرشوى والتعيين مقابل مبلغ محدد ، وهذه الظاهرة بالإضافة الى كونها

مجلس النواب ، ذكرت فيه ان ظاهرة الفساد خطر يهدد النظام السياسي للبلاد برمتها وتندر بكارثة حقيقية اذا لم تعالج موضحة ان الارهاب والفساد الاداري وجهان لعملة واحدة ، ان لم يكن الفساد اخطر كونه يمثل الحاضنة الحقيقية للإرهاب وقد شخصت في تقريرها حالات الفساد كالآتي : (٢٠)

١- العقود : هناك خروقات في اجراء العقود أدت إلى تبذير وضياح الاموال العامة بشكل كبير جداً ، ومن خلال الاطلاع على تقارير ديوان الرقابة المالية الذي هو جهاز مختص وفني لتشخيص الخروقات الآتية :

أ- ان الكثير من العطاءات تحال من قبل الوزير مباشرة الى الشركات التي يرغب بها بدون اعتماد اسلوب المناقصات وخلافاً لرأي لجنة العطاءات برغم ان قسماً منها لم تشارك في عملية المناقصة ولم تقدم اي عرض وادى هذا العمل الى تبذير كبير في الاموال العامة .

ب- ان بعض الشركات استحوذت على اغلب العقود لبعض الوزارات فنرى مثلاً (شركة العين التجارية) ، استحوذت على اغلب عقود وزارة الدفاع حتى بلغت العقود التي ابرمت معها (٩٤٩١٨٤٧٣٩) ديناراً عراقياً .

ج- اغلب العقود لبعض الوزارات تدفع مبالغها

قيماً بديلة عن التعفف والانضباط الاداري وحسن السيرة المهنية والتضحية لصالح المجتمع ، فلا يمكن تصور بقاء دولة متماسكة لها مؤسسات يحكمها نظام صيرورة المرفق العام ، مع انتشار الفساد الاداري فهو بمثابة المرض الذي ينخر جسم الكائن الحي ، فيقضي عليه مع مرور الوقت ، إذ اصبحت القناعة راسخة اليوم في جميع بلدان العالم بأن الفساد اشد خطراً على الدولة من مرض الايدز ، لأنه يقضي على الدولة والمجتمع في نفس الوقت ويحول البلاد العامة والمزدهرة الى خراب^(٢١) ، وإن ظاهرة الفساد بأبعادها واشكالها المختلفة تترك جملة من التأثيرات المعقدة والمتشابكة ، وتتجلى فيما يلي :^(٢٢)

١- خطورة الفساد فيما يطرحه من مشاكل واسعة على استقرار البلاد في المستقبل القريب والبعيد ، والتي من أبرزها الفساد بسائر اشكال الجريمة المنظمة .

٢- يؤثر الفساد على طبيعة العملية السياسية والأهداف النبيلة التي جاءت من اجلها والبحث عن مجتمع تسوده العدالة والمبادئ والقيم الصحيحة .

٣- يؤدي الفساد الى تعميق الصراعات السياسية على السلطة ، في ظل الانقسامات

فساداً ادارياً تعتبر احد الابواب الاساسية لنفوذ بقايا النظام السابق والارهابيين الى الدوائر الامنية .

٤- انتشار ظاهرة التهريب كتهريب كل خيرات العراق الى الخارج من المشتقات النفطية والثروة الحيوانية ، وتهريب الموت والسيارات المفخخة والانتحاريين والمواد المخدرة الى العراق .

٥- عقود الدول المانحة يتجلى فيها الفساد الاداري في اعلى صورة فقد تم اخراج هذه المبالغ من بلدانهم بشكل قانوني وسرقت في العراق من قبلهم تحت عناوين مختلفة ومشاريع وهمية لم يحصل العراق على اي فائدة منها .

أما بالنسبة لتداعيات ومخاطر الفساد ، فلا تعد ولا تحصى فهي كثيرة ومتنوعة ، وتشاهد بجلاء على اكثر من صعيد ، كما انها تطل مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لدرجة ان مشكلة الفساد تتجاوز مسألة الارقام المالية ، فعلاوة على المال العام الذي تم نهبه او الرشوة التي تم اخذها هناك خطر اعظم ، الا وهو تدمير قيم المجتمع التي هي اساس نظام الحكم بل اساس (الاجتماع الانساني) ، إذ أصبحت سلوكيات شائنة مثل الرشوة والتفريط في الوجب المهني والانانية ،

مدخولاتهم غير المشروعة .

٥- ارتباط الفساد بعمليات استنزاف الامكانيات المرصودة لأحداث اي تقدم في برامج التنمية المستدامة واجهض محاولات الاصلاح الاقتصادي والاداري ، فنسبة الفاقد من الموارد العامة للدولة بسبب الفساد تجاوزت المعدلات المرجوة في اغلب دول العالم .

٦- عرقلة النمو وزيادة الفقر والجهل والعجز في تقديم الخدمات والتوزيع غير العادل لها ، وتردي نوعيتها وصعوبة الحصول عليها ، دون دفع رشوة ، او بأسلوب الواسطة والمحسوبة .

٧- ينتج عن الفساد اثر مباشر في نوعية وحجم الاستثمار الاجنبي ، ففي الوقت الذي تسعى فيه البلدان ومنها العراق الى استقطاب الخبرات والاستثمارات الاجنبية ، لما تتصف به تلك من المهارات والجودة ، يكون الفساد هنا قد اضعف التدفقات الاستثمارية وتم تعطيلها ، كما اسهم في تدني جباية الضرائب وتراجع مؤشرات التنمية البشرية ، فضلاً عن هروب المستثمرين العراقيين الى الخارج بسبب حالة عدم الاستقرار الامني والسياسي للبلد وارتفاع مشاريع الاستثمارات نتيجة دفع الرشاوي لسماسة السلطة .

٨- من الاثار الناتجة عن الفساد هي الزيادة

الحادة للمشاركين في العملية السياسية ، حول القضايا الجوهرية ، مما يرسم حالة من الاخفاق السياسي وتعثر في استقرار وتنمية البلد ، وقد يصل الحال الى تعطيل القانون وعدم مراعاة القرارات التنظيمية لدوائر الدولة ومؤسساتها مما عرض النظام السياسي الحالي الى العديد من الازمات واشكاليات عدم الاستقرار السياسي ، وفقدان المقدره على مواجهة ظواهر الفساد ، الامر الذي عقد المشهد السياسي وايجاد الحل لجميع الازمات ، بل حصل ترسيخ التناقضات بدل من حلها ، لاسيما ان العملية السياسية قد رسخت فيها المحاصصة الطائفية والعرقية ، في ادارة البلد وتمويل الاحزاب المشاركة في الحملات الانتخابية ، هذا الحال انتج ثقافة الفساد والتي تأخذ بنظر الاعتبار واقع وخصوصية المجتمع العراقي ووعيه وما يترتب بهذا من مدركات ثقافية ودينية وحضارية .

٤- ينتج عن الفساد في تحويل الانتخابات الى وسيلة او سلم لوصول الفاسدين الى مواقع متقدمة في السلطة ، بمعنى صعود فئة من المتسلطين والفاسدين كأنهم القدوة الحسنة والصفوة التي يعتمد عليها في ادارة البلد في حين يعد وجودها فساداً لمقدرات البلد ، وهدف هؤلاء ضمان حماية اعمالهم الفاسدة وزيادة

زاد من اتساع الفجوة بين الاغنياء والفقراء ، مما انتج تأثيرات سلبية على النسيج الاجتماعي والاستقرار السياسي في البلد ، وهذا ما انتج انتهاك واضح لحقوق الانسان العراقي وحرمانه من ادنى حقوقه من الخدمات العامة والحوؤل دون ممارستهم لحقوقهم السياسية بسبب عدم المساواة بين المواطنين ، نتيجة التفرقة الطائفية والمذهبية والقومية والمعاملة الخاصة لفئة دون اخرى ، الامر الذي جعل المنظمات الدولية المعنية بالكشف ومراقبة الفساد تصنف العراق في سلم الفساد العالم في المراكز المتقدمة لحالات الفساد .

١١- يؤثر الفساد على الثوابت الوطنية والمصالح الاقتصادية العامة ، ويشوش دورها في المجتمع ويشجع الدول والشركات الخارجية الى الابتزاز واستخدام الاموال بطريقة غير قانونية لتحقيق اهداف غير مشروعة ، وهذا الحال سينتج عنه انعدام الثقة بين الشعب والسلطة ، مما يثير السخط وعدم الرضا الجماهيري والنقد المتكرر واللاذع للسلطات الحاكمة وبالوقت ينتج عن ذلك تقويض شرعية الدولة ومؤسساتها وكذلك ازالة القيم الاخلاقية المتضمنة الصدق والتسامح والالفة المتدمجة وهذا ما يهدد سيادة وامن البلد .

في التكاليف ، اذ ينقل عبئها الى طرف ثالث ، قد يكون المستهلك (الافراد) او الاقتصاد الوطني (المال العام) فالمبالغ المدفوعة من قبل رجال الاعمال او الشركات الى الموظف الحكومي المقصر مقابل تسهيل اعمالهم يتم نقل اعبائهم عن طريق رفع الاسعار لتعويض الرشاوي المدفوعة ، وقد تتحملها ميزانية الدولة ، اذا كانت الحكومة هي من يشتري هذه السلعة ، واحياناً قد يؤدي استيراد هذه السلعة الى زيادة الطلب على العملة الاجنبية ، وتخفيض قيمة العملة المحلية ، وبالنتيجة فان الاقتصاد الوطني سيتحمل تكاليف عبء هذا الفساد بمعنى ان ظاهرة الفساد اصبحت بمثابة ضريبة تفرض على المستهلك والاقتصاد الوطني ككل .

٩- ان الفساد بالشكل المتفاقم في العراق ، ادى الى تقليل إيرادات الخزينة العامة ، وتم احرامها من موارد تحتاجها الدولة للأنفاق على التنمية ، والخدمات العامة وتطويرها .

١٠- يؤثر الفساد على العدالة التوزيعية للدخل والثروات لصالح المحتكرين للسلطة والمقربين منهم ، الامر الذي انتج عن حرمان العراقيين من ابسط مقومات الحياة ، وبالنتيجة ازدادت الفوارق الطبقيية في الدخل والثروات مما

جهاز لتنفيذ وتطبيق قوانين مكافحة الفساد ، وان تؤدي عملها بالتعاون مع ديوان الرقابة المالية ومع المفتشين في الوزارات العراقية ، والمفوضية هي الجهاز الوحيد المخول للاستعانة بالإجراءات الجنائية من اجل البت والفصل بالقضايا المتعلقة بإساءة التصرف ، فهي جهاز تنفيذ اختصاصه محدد في تطبيق الصلاحيات المخولة لها وهي التحقيق في قضايا الفساد ، وعند الرجوع الى تفويض السلطة لمفوضية النزاهة الصادر عن مجلس الحكم في ٢٧ / ١ / ٢٠٠٤ جاء في القسم (٣) انه « بموجب هذا القانون النظامي في انشاء المفوضية المعنية بالنزاهة العامة المفوضية جهاز حكومي منفصل ومستقل يتولى تنفيذ وتطبيق هذا القانون النظام ، وتقوم المفوضية بذلك عن طريق التحقيق في القضايا واحالتها الى المحكمة لاتخاذ الاجراءات الجنائية بشأنها » ، فهي جهاز تنفيذي له سلطة قضائية « سلطة قاضي تحقيق فقط ، وفي بعض الحالات سلطة محقق محكمة »^(٢٤) . فهي جهاز حكومي اي ليس من ضمن الاجهزة التشريعية او الاجهزة الرقابية الكاشفة ، فإذن الغرض من تكوين هذا الجهاز هو :^(٢٥)

١- التحقيق في قضايا الفساد .

١٢- يعمل الفساد على انتشار السلع والخدمات غير المشروعة والتي تشمل المخدرات والادوية الغير صالحة والنقود المزورة ، التي تتطلبها عمليات غسيل الاموال وتبييضها والمتاجرة في السوق السوداء ، والتي تؤدي في احيان كثيرة الى ازدهار تجارة البغاء والدعارة والجريمة المنظمة .

١٣- عزوف الدول المانحة عن تقديم الخدمات ، والمساعدات الانسانية والتنمية ، بسبب تفشي ظاهرة الفساد في العراق .

المؤسسات المعنية في مكافحة الفساد

تمثل الاستراتيجية التي تبنتها الحكومة العراقية لمكافحة الفساد بشكل اساسي بإيجاد مؤسسات مستقلة تأخذ على عاتقها مهمة متابعة حالات الفساد بمختلف انواعه وضبط المتلبسين واحالتهم الى الجهات القضائية المختصة ، وفي هذا السياق ظهرت عدة مؤسسات ، وهي :

أولاً/المفوضية العراقية المعنية بالتراثة العامة

انشئت هذه المفوضية بموجب امر سلطة الائتلاف رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤^(٢٣) ، وهي

وتعمل المفوضية على المساهمة في منع الفساد ومكافحته واعتماد الشفافية في ادارة شؤون الحكم على جميع المستويات ، عن طريق :^(٢٧)

١- التحقيق في قضايا الفساد المحالة اليها بواسطة محققين تحت اشراف قاضي التحقيق المختص ووفقاً لأحكام قانون اصول المحاكمات الجزائية .

٢- متابعة قضايا الفساد التي لا يقوم محققوا الهيئة بالتحقيق فيها عن طريق ممثل قانوني عن الهيئة بوكالة رسمية تصدر عن رئيسها .

٣- تنمية الثقافة في القطاعين العام والخاص التي تقدر الاستقامة والنزاهة الشخصية واحترام اخلاقيات الخدمة العامة واعتماد الشفافية والخضوع للمساءلة والاستجواب عبر البرامج العامة للتوعية والتثقيف .

٤- اعداد مشروعات او مقترحات قوانين فيما يساهم في منع الفساد او مكافحته ورفعها الى السلطة التشريعية المختصة عن طريق رئيس الجمهورية او مجلس الوزراء ، او عن طريق اللجنة البرلمانية المختصة بموضوع التشريع المقترح .

٥- تعزيز ثقة الشعب العراقي بالحكومة عبر الزام المسؤولين فيها بالكشف عن ذمهم المالية

٢- الزام القادة العراقيين ان يثبتوا التزاماتهم بالسلوك الاخلاقي في تأدية الخدمة العامة والكشف عن مصالحهم المالية .

٣- اقامة برامج عامة للتثقيف والتوعية لتنمية ثقافة النزاهة والاستقامة للشعب العراقي .

٤- وضع قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة والقطاع العام .

أما أهم صلاحيات وواجبات مفوضية النزاهة :^(٢٦)

١- التحقيق في قضايا الفساد ، واحالة معلومات تتعلق بمخالفة محتملة لقواعد السلوك الى رئيس الدائرة الحكومية التي وضعت الموظف المخالف او الى المفتش العام الملحق بتلك الدائرة .

٢- وضع اجراءات استلام مزاعم عن الفساد .

٣- يجوز للمفوضية في أي وقت تشاء ان تتحمل هي مسؤولية التحقيق .

٤- اصدار لوائح تنظيمية ملزمة للمسؤولين للكشف عن مصالحهم المالية .

٥- اصدار قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة والقطاع العام .

المادة (١٤) من قرار مجلس الوزراء لسنة ٢٠٠٨ ، والتي من أهمها :^(٢٩)

١- وضع الخطة الاستراتيجية وسياسات العمل الخاصة بمكتب المفتش العام وتشكيلاته وفقاً للتوجهات الاستراتيجية للوزارة ومتابعة اعتمادها والعمل على تنفيذها .

٢- التفتيش على جميع وحدات الوزارة المركزية والاقليمية للتحقيق من مدى مطابقة انشطتها للقوانين والانظمة واللوائح على اختلاف انواعها وقرارات مجلس الوزراء وقرارات الوزير والتعليمات والتصاميم الخاصة بها والتوجيهات والاوامر الصادرة بشأنها والكشف عن الاخطاء والمخالفات .

٣- التحقيق في سلامة ومشروعية ادارة الاموال العامة للوزارات والمحافظة على اصولها على اختلاف انواعها وحسن استخدامها بكفاءة اقتصادية في الوجوه المقررة لها .

ويمكن تحديد ابرز اختصاصات المفتش العام ، أهمها :^(٣٠)

١- فحص ومراجعة جميع سجلات الوزارة وكل ما تقوم به من نشاط بغية ضمان النزاهة والشفافية والكفاءة في عملياتها ، وبغية توفير المعلومات لاتخاذ القرارات ، ومن ثم تقديم التوصيات المناسبة المتعلقة بتحسين برامج

وما لهم من انشطة خارجية واستثمارات وموجودات وهبات او منافع كبيرة قد تؤدي الى تضارب المصالح بإصدار لائحة تنظيمية لها قوة القانون بما لا يتعارض معه ، وغير ذلك من البرامج .

٦- اصدار لائحة سلوك تتضمن قواعد ومعايير السلوك الاخلاقي لضمان الاداء الصحيح والمشرق والسليم لواجبات الوظيفة العامة .

٧- القيام بأي عمل يساهم في مكافحة الفساد او الوقاية منه .

ثانياً/ مكتب المفتش العام

تم انشاء مكاتب العموميين في كافة الوزارات بموجب امر سلطة الائتلاف رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ ، وذلك لإخضاعها لإجراءات المراجعة والتدقيق والتحقيق لرفع مستويات المسؤولية والنزاهة والاشراف على الوزارات ، وكذلك منع وقوع حالات التبذير واساءة استخدام السلطة والحيلولة دون وقوعها والتعرف على الاعمال المخالفة للقانون والتعاون مع هيئة النزاهة عن طريق رفع تقارير عن حالات الفساد في الوزارات المعنية^(٢٨) .

يعمل مكتب المفتش العام على تنفيذ المهام والاختصاصات الموكلة اليه بموجب

- ٧- تلقي الشكاوي من اي مصدر والتحقيق الوزارة وسياساتها واجراءاتها .
- ٢- القيام بالتحقيق الاداري على نحو يتماشى مع السلطات المنصوص عليها بموجب هذا الامر والمخولة له .
- ٣- المراجعة والتدقيق على عمليات الوزارة ومهامها من منظور حسن تدبير المصروفات وكفاءة وفعالية الاداء والمراجعة على اي من انظمة الوزارة بغية قياس الاداء .
- ٤- تلقي الشكاوي المتعلقة بأعمال الغش والتبذير واساءة استخدام السلطة وسوء التبذير ، التي تؤثر على مصالح الوزارة وتقييم فحواها واتخاذ الاجراءات المعتادة بشأنها واحالة الشكاوي الى سلطات التحقيق المناسبة ، وتوفير سبل السيطرة على الجودة ، بما في ذلك مراعاة عدم التأخير عند الرد على الشكاوي ، وتوخي الاستقلالية في الرد عليها وعدم اغفال اي من التفاصيل الواردة فيها .
- ٥- متابعة الاداء لضمان وفاء الاعمال التصحيحية المتخذة استجابة لملاحظات وتوصيات المفتش العام وتوصياته المراد تحقيقه منه .
- ٦- توفير المعلومات والادلة المتعلقة بأعمال قد تكون اجرامية وتقديمها للمسؤولين المناسبين المعنيين بتطبيق القانون .
- ٧- تلقي الشكاوي من اي مصدر والتحقيق فيها او المبادرة بالتحقيق في اعمال يزعم انها تنطوي على غش او تبذير او اساءة تصرف او عدم كفاءة والمبادرة بالتحقيق كذلك في جوانب النقص في تشغيل المنشآت وصيانتها .
- ٨- ممارسة نشاط الغرض منه منع اعمال الغش والتبذير واساءة التصرف وعدم الكفاءة ، ويشمل هذا النشاط على سبيل المثال لا الحصر مراجعة التشريعات والقواعد واللوائح التنظيمية والسياسات والاجراءات والمعاملات وتقديم برامج التدريب والتثقيف .
- ٩- احالة الامور الى الجهات الادارية والنيابية المناسبة لاتخاذ الاجراءات الاضافية المدنية والجنائية والادارية .
- ١٠- تقديم التوصيات غير الملزمة لغرض قيام الوزارة بتنفيذ الاعمال الرامية لتصحيح وتجاوز جوانب القصور في التشغيل او في الصيانة او في كفاءة الاداء التي حددها مكتب المفتش العام .
- ١١- اصدار التقارير العامة .
- ١٢- متابعة ورصد ما يتم تنفيذه من التوصيات التي قدمها مكتب المفتش العمومي وهيئات المراجعة والتدقيق الاخرى .
- ١٣- اصدار السياسات والاجراءات الخطية

١- إمكانية الوصول بدون قيود الى جميع مكاتب الوزارة والى المواقع التابعة لها ، والتي يخضع دخولها لقيود محدودة وتلك التي يحظر دخولها .

٢- الاطلاع على السجلات وبيانات المعلومات والتقارير والخطط والتوقعات والعقود والمذكرات والمراسلات ، واي مواد اخرى بما ي ذلك البيانات الالكترونية .

٣- سلطة اصدار طلبات استدعاء الشهود .

٤- قدرة الوصول عند اللزوم وبالقدر المعقول الى رئيس اي جهاز حكومي لأغراض تتعلق بعمل المفتش العام .

٥- مراقبة التزام العاملين في الوزارات بتبليغ المفتش العام بأي معلومات تتعلق بما يقع في الوزارة من اعمال الغش والتبذير واساءة استخدام الموارد والفساد ، واي اعمال مخالفة للقانون والانظمة والتعليمات .

ثالثاً/ديوان الرقابة المالية

يعد ديوان الرقابة المالية احد الاعمدة الثلاثة التي تعمل على مكافحة الفساد ، فضلاً عن هيئة النزاهة ومكاتب المفتشين العموميين ، يعد الديوان بموجب قانون المجلس الاعلى للرقابة المالية رقم (٦) لعام ١٩٩٠ السلطة

بغية توفير الارشادات المتصلة بالمهام التي يقوم بها مكتب المفتش العام .

١٤- تدريب العاملين في الوزارة على سبل التعرف على اعمال التبذير والغش ، واساءة التصرف ، وتطوير برامج في الوزارة تركز فيها بيئة وتقاليدها ترعى المسؤولية والنزاهة وتعززهما .

١٥- الاحتفاظ بمعلومات عن تكاليف عمليات التحقيق والتعاون مع الجهات الادارية من اجل استرداد تلك التكاليف من الهيئات غير الحكومية الاي يثبت انها مارست عمداً سلوكاً ينطوي على اساءة التصرف .

١٦- التعاون الكامل مع الهيئات والجهات المعنية بتطبيق القانون ومعه المحققين والمحاكم والمفوضية العراقية المعنية بالنزاهة العامة لمساعدتها على تأدية مهامها .

١٧- اتخاذ ما قد يلزم من الاجراءات على كل مستوى من مستويات عمليات الوزارة لضمان كفاءة اداء مهام المفتش العمومي .

١٨- تأدية ما يلزم تأديته من واجبات اخرى تقع في حدود سلطاتهم .

ويتمتع مكتب المفتش العام ، بعدة صلاحيات وسلطات اساسية ، منها :^(٣١)

للوزارة ذات العلاقة ، او مباشرة الى مفوضية النزاهة العامة حيثما كان ذلك مناسباً ، كل ادعاءات او ادلة الفساد او الاحتيال او التبديد او سوء استخدام او عدم الكفاءة في الانفاق واستعمال الاموال العامة .

٣- المساهمة في الحفاظ على المال العام من الهدر أو التبذير او سوء التصرف ، وضمن كفاءة استخدامه .

٤- المساهمة في تطوير كفاءة اداء الجهات الخاضعة للرقابة .

٥- المساهمة في استقلالية الاقتصاد ودعم نموه واستقراره .

٦- نشر انظمة المحاسبة والتدقيق المستندة على المعايير المحلية والدولية وتحسين القواعد والمعايير القابلة للتطبيق على الادارة والمحاسبة بشكل مستمر .

٧- تطوير مهنتي المحاسبة والتدقيق والنظم المحاسبية ، ونشر الوعي المالي والمحاسبي ، ورفع مستوى الاداء المحاسبي والرقابي في الجهات الخاضعة للرقابة .

٨- المصادقة على الحسابات الختامية لمؤسسات الدولة كافة .

العليا للمراجعة المالية في العراق ، والحارس الامين للمال العام عن طريق كشف الاستغلال والتبذير وسوء استخدام المال العام ، مما يؤدي الى مكافحة الفساد وممارسة النزاهة ، وضمن فعالية واستقلال الديوان فقد صدر الامر (٧٧) لعام ٢٠٠٤ الذي اعاد تشكيلته بصفته مؤسسة عامة مستقلة تساعد في تعزيز الاقتصاد وفعالية ومصداقية الحكومة العراقية وقدرتها على ادارة مواردها^(٣٢) .

فهي عبارة عن هيئة مهمتها تزويد الجمهور والحكومة بالمعلومات الدقيقة الخاصة بالعمليات الحكومية والايضاح المالية لغرض تعزيز الاقتصاد ، من خلال مهمة التدقيق المالي وتقييم الاداء لغرض مكافحة الفساد^(٣٣) .

وتتمثل مهمة ديوان الرقابة المالية بما يلي :
(٣٤)

١- الكشف من خلال التدقيق وتقييم الاداء لأدلة الفساد والاحتيال والتبديد والاساءة وعدم الكفاءة في الامور التي تتعلق باستلام وانفاق واستعمال الاموال العامة .

٢- التحقيق والتبليغ في الامور المتعلقة بكفاءة الانفاق واستعمال الاموال العامة كما هو مطلوب رسمياً ، تحال الى المفتش العمومي

الاستراتيجيات والسياسات العامة لمكافحة الفساد

الذين يكونون مسؤولين بدورهم امام الهيئات الرقابية المختلفة القائمة في النظام السياسي وفي مقدمتها البرلمانات التي تتولى الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية .

٢- المساءلة : وهي واجب الموظفين العامين ، سواء أكانوا منتخبين أم كانوا معينين ، تقديم تقارير دورية عن نتائج اعمالهم ومدى نجاحهم في تنفيذها حتى يتم التأكد من ان عملهم يتفق مع القيم الديمقراطية واحكام القانون .

٣- النزاهة : وهي منظومة القيم المتعلقة بالصدق والامانة والاخلاص في العمل ، ومن واجب الذين يتولون مناصب عامة عليا الكشف او الافصاح عن ممتلكاتهم قبل تولي المنصب والاعلان عن اي نوع من تضارب المصالح الذي قد ينشأ بين مصالحهم الخاصة والعامة التي تقع في اطار مناصبهم .

٤- الشفافية : تتعلق الشفافية بوضوح الانظمة والاجراءات داخل المؤسسة وفي العلاقة بينها وبين المواطنين المنتفعين من خدماتها ، وعلنية الاجراءات والغايات والاهداف في عمل المؤسسة .

٥- الافصاح عن المعلومات : العمل على تعزيز حق المواطن في الحصول على

بعد ان استشرى داء الفساد في مؤسسات الدولة العراقية ، واصبحت المؤشرات واضحة وتندر بالخطر على مستقبل الدولة ، إذ ترسخ الادراك لدى الحكومة العراقية بأن مكافحة الفساد يجب ان تبدأ بمبادرة من السلطة السياسية ، وقد تحقق ذلك عبر مصادقة العراق على اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد لعام ٢٠٠٣ بالقانون رقم (٣٥) لسنة ٢٠٠٧^(٣٥) .

وتبنت الحكومة العراقية في ٢٠١٠ سياسة واستراتيجية لمكافحة الفساد في مؤسسات الدولة عن طريق تنفيذ خطة وطنية لمعالجة ظواهر الفساد المحتملة ، إذ تضمنت هذه الاستراتيجية العديد من الاسس والمعايير التي تعزز وتساند مسألة التطبيق الفاعل لها ، ومنها :
(٣٦)

١- المحاسبة : وهي خضوع الذين يتولون المناصب العامة للمسائلة القانونية والادارية والاخلاقية ازاء قراراتهم واعمالهم ، ويتمثل ذلك بمسؤولية من يشغلون الوظائف العامة امام مسؤوليهم المباشرين ، وهكذا حتى قمة الهرم في المؤسسة ، اي الوزراء ومن هم في مراتبهم

تنهش جسد المجتمع والدولة معاً .

٨- التأهيل والتدريب : انيطت مهمة التأهيل والتدريب لجنة تتألف من ممثلين عن ديوان الرقابة المالية ، وهيئة النزاهة ، ومكتب منسق رئيس الوزراء للشؤون الرقابية ، وتعمل هذه اللجنة على متابعة خطة التأهيل والتدريب المعتمدة في البرنامج الوطني للتدريب .

وتتضمن السياسات العامة لمكافحة الفساد عدة محاور واستراتيجيات :^(٣٧)

أولاً/السياسات والاستراتيجيات السياسية والقانونية :

١- اقامة نظام سياسي يقوم على مبدأ التعددية السياسية المستندة الى الانتخابات العامة العلنية والنزاهة ، وان يركز هذا النظام على الفصل بين السلطات الثلاث ، ويقتضي ذلك توسيع دائرة الرقابة والمسائلة من جانب المجالس التشريعية والاجهزة الرقابية والنيابية ، ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق درجة اكبر من الشفافية في التعامل وحتى لا يعيش الفساد لمدد طويلة ويتم تورثه والتستر عليه .

٢- تعزيز قدرة الدولة على منع الفساد ومكافحته بصورة فعالة والكشف عنه والردع لمختلف حالات الفساد والاستفادة من خطط

المعلومات اللازمة عن اعمال الادارات العامة وعن الاجراءات وآليات تقديم الخدمة الى المواطن ، حتى لا تبقى هذه المعلومات وسيلة من وسائل الاستغلال لهؤلاء المواطنين ، يرتبط بذلك تعزيز مفهوم المواطنة التي ينبغي ان تكون اساساً للعلاقة بين المؤسسات العامة والجمهور وبين السلطة والمواطن ، والتي تقوم على الحقوق والواجبات المتبادلة بينهما .

٦- اعتماد مدونات سلوك ومواثيق شرف واخلاقيات في العمل في اطار المؤسسات العامة ، تحدد للعاملين فيها مجموعة من السلوكيات والقيم التي ينبغي مراعاتها في اثناء اداء مهماتهم وفي علاقتهم بالجمهور ، وربط هذه المواثيق بنظام واضح ، فضلاً عن تطبيق مبدأ الثواب والعقاب ، من خلال اعطاء المكافآت والحوافز للملتزمين وفرض العقاب على المخالفين ، وهو ما يعزز قيم النزاهة في العمل العام ويعزز كذلك ثقافة محاربة الفساد .

٧- التوعية والتنقيف : اذ تعد مسألة التوعية ، واذكاء الوعي بمخاطر الفساد ، وابرز الاثار السلبية الخطيرة التي تخلفها ظواهر الفساد ، والتنقيف بسبل وآليات منعه ومكافحته ، من اهم الوسائل التي تبناها الدول في مواجهة هذه الافة الخطيرة ، التي

الدينية والاخلاقية للقيادات الادارية العليا .
٥- تضعيف الشخصية وتكريس الثقافة
المؤسسية في ادارة المؤسسات بإيجاد الانتماء
المؤسسي ، من خلال تغيير طرق اتخاذ القرار
واتباع الطرق الشورية والديمقراطية في اتخاذ
القرار ، ولاسيما عندما يكون القرار عاماً ويرتبط
بمصالح الجميع وليس في الامور التقنية
والاختصاصية .

٦- ايجاد منظومة قانونية قادرة على التعامل
مع مستجدات ومتطلبات الحياة وتعقيدها
تستوعب نظريات التربية الحديثة وتقديم
النصائح والارشاد والتوعية والتوجيه يمكن ان
تكون لها نتائج مجدية في تحقيق وتكريس
الاطر العامة والخاصة للتعامل الاجتماعي
والحكومي .

٧- التأكيد على استقلال القضاء لما له من
دور حاسم وأهمية في محاربة ومكافحة
الفساد ، للقيام بالدور المناط بها لتحقيق سيادة
القانون ودرء مخاطر الفساد دون المساس
باستقلالية القضاء ونزاهته ، وذلك عن طريق
تعزيز السياسة العقابية بشأن جرائم الفساد
وخاصة جرائم الفساد الكبرى التي تلحق الضرر
بالأموال العامة للدولة ، ومن خلال الاهتمام
بالمبادئ القانونية المتعلقة في شأن تجريم

وتدابير المشاريع الدولية الرامية الى منع
الفساد ، من خلال وضع سياسات فعالة
وبرامج ، تجسيد مبادئ سيادة القانون وحسن
ادارة الشؤون والممتلكات العامة بنزاهة
وشفافية .

٣- الاصلاح السياسي وذلك من خلال بناء
نظام سياسي ديمقراطي يتسم بالحرية التنافسية
والقابلية على المحاسبة وان يكون ملتزم ومقتنع
بمحاربة الفساد ، والعمل على ايجاد جهاز
قضائي مستقل ونزيه تنفذ احكامه على جميع
افراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم
وطوائفهم وان يحاسب كبار الفاسدين في
مؤسسات الدولة كما يحاسب صغارهم .

٤- اعتماد وترسيخ مبدأ الترشيح عند تعيين
بالإضافة الى وضع معايير وقواعد بالترشيح
والاختبار لتعيين في المناصب العليا تقوم على
مبادئ الكفاءة والشفافية والمعايير والضوابط
اللازمة والخاصة بذلك كالجدارة والانصاف
والاهلية والتخصص واعتماد اجراءات مناسبة
لاختيار وتدريب افراد لتولي المناصب العمومية
وبرامج تعليمية وتدريبية للمواطنين لتمكينهم
من العطاء بمتطلبات الاداء الصحيح والشرف
للووظائف العمومية وتوفير التدريب المتخصص
والمناسب لهم مع تنمية وترسيخ المفاهيم

الجزائية؟ هل هو قرار الوزير بالرفض؟ انه تناقض تشريعي يتطلب التدخل من قبل المشرع لحله .

١٠- التأكيد على اهمية التعاون الدولي بين الدول في مكافحة الفساد لاسترشاد بالمبادرات والخبرات والتعاون بين المؤسسات المحلية والاقليمية والدولية ، وتبادل المعلومات عن طريق تنمية وتعزيز التعاون بين الدول وبين السلطات القضائية واجهزة تنفيذ القانون واجهزة الرقابة المالية من اجل ارساء قواعد ومبادئ النزاهة يساهم مساهمة فاعلة في محاربة الفساد ومكافحته والاتفاق على ميثاق شرف عالمي تلتزم به الدول جميعاً .

١١- سن قوانين واضحة وصريحة وتنظيمات ادارية متطورة ، وانشاء مؤسسات واجهزة تنفيذية ورقابية عالية الكفاءة تساندها ارادة سياسية حازمة لمتابعة حالات الفساد .

١٢- تشجيع الديمقراطية في العمل ، وتطوير الانظمة والقوانين وتحديث انظمة الحوافز .

١٣- الردع القانوني وتحسين الوضع المادي للموظف .

الفساد والعقاب عليه ، وكذلك تفعيل نظام الملاحقة القضائية لجرائم الفساد .

٨- اصدار تشريع خاص بهيئة النزاهة يحدد مركزها القانوني واختصاصاتها على وجه الدقة ، وهل هي سلطة اتهام؟ اي بيان فيما اذا لها الحق في مباشرة الاتهام لموظفي الحكومة في مجالات معينة ، وهل هي شكل من اشكال الادعاء العام؟ بالإضافة الى قربها من سلطة اختصاص قاضي التحقيق ، وهل هي هيئة مستقلة لا تخضع لأية سلطة من السلطات الثلاث؟ ام تبعية لمجلس النواب؟ والاسس التي تعتمدها في الكشف عن الممتلكات والموارد الشخصية لأعضاء السلطة التي تتبعها .

٩- الغاء الفقرة (ب) من المادة (١٣٦) من قانون اصول المحاكمات الجزائية النافذ التي تتضمن بأنه لا تجوز احالة المتهم على المحاكمة في جريمة ارتكبت اثناء تأدية وظيفته الرسمية او بسببها ، إلا بإذن من الوزير التابع له إذ لا يستطيع قاضي التحقيق احالة الموظف المتهم بارتكاب جريمة على المحكمة المختصة اذا لم يسمح الوزير التابع له الموظف ، وما هو مصير الدعوى الجنائية في حالة الرفض؟ هل تعتبر منتهية ام مقتضيه؟ وما هو السند القانوني الذي يقرر انقضاء الدعوى

ثانياً/السياسات والاستراتيجيات الادارية :

المجتمع المدني كافة .

٥- تفعيل دور المؤسسات الرقابية والتي لها الحق في الاشراف ومتابعة حالات الفساد الاداري والمالي وتعزيز المسائلة والمحاسبة للأشخاص الذين يتولون المناصب العامة من خلال نظام قضائي مستقل ونزيه يعزز بسيادة القانون .

٦- متابعة الموظفين الحكوميين ومساءلتهم واستجوابهم امام رؤساءهم عن نتائج اعمالهم وان يكون هؤلاء الرؤساء مسؤولين بدورهم امام السلطة الاعلى منهم وفقاً للتسلسل الاداري .

٧- اعادة هيكلة الجهاز الاداري وفق قانون شامل لكل مؤسسات الدولة وعلى اسس فلسفية موحدة انطلاقاً من عقيدة ادارية موحدة .

٨- اعتماد آلية الانتخابات الدورية لاختيار القيادات الادارية وفق ضوابط من اهمها النزاهة والكفاءة والاخلاص والتجربة ، وتحت اشراف لجان تشكل بصورة شفافة ومحيدة لمتابعة وضمن نزاهة نتائج الانتخابات .

٩- اتباع آلية دقيقة جداً عند اختيار الموظفين لغرض التعيين واخضاعهم لسلسلة من الاختبارات الاخلاقية للتحقق من اخلاقياتهم وقدرتهم على مقاومة المغريات المختلفة قبل تثبيتهم في الوظيفة العامة .

١٠- التركيز على معيار الشفافية في الاداء

١- الاصلاح الاداري بالتخلص من السلوك الاداري الفاسد وتحسين الادارة العامة ، من خلال وضع نظام عادل للتعين وتقييم اداء الموظفين والمسؤولين وترقيتهم ، وزيادة رواتب الموظفين وتحسين مستوى المعيشة والعمل على اصلاح نظام الخدمة المدنية من خلال معالجة الاسباب المنشئة للفساد .

٢- التخطيط المفعّل بالعناصر العلمية والعملية لبناء مخططات تفصيلية لمواجهة الفساد ومكافحته وتهيئة الارضية الذهنية والادائية في اجتهاته .

٣- استقلالية الجهاز الاداري عن الضغوطات السياسية والاجتماعية ، وضرورة وصف وتوصيف كل عمليات الادارة في التنظيم ، وتقوية الرقابة الادارية واحكامها لمعالجة الانحرافات والمخالفات .

٤- اعطاء صلاحيات واسعة لجهاز رقابي واحد ، يتمتع بالاستقلال في مراقبة السلطات الثلاث ، وان يعد هذا الجهاز تقارير دورية تكون في متناول المواطنين على اختلاف انتماءاتهم الحزبية والسياسية ولأعضاء المجالس التشريعية والقيادات الحزبية ومؤسسات

١٧- الحد من الاجراءات الروتينية والحد من وضع العراقيل امام مصالح الناس ، فهذا الامر يجعل المواطن يلجأ الى طرق ملتوية لإنهاء معاملته وتيسير امره مثل الرشوة .

١٨- اقرار وتطبيق فاعل لكل ما يزيد من احتمال كشف عمليات الفساد وخلق قناعة راسخة لدى الموظفين بنتائج الفساد وعقابه بشكل عادل وراذع في الوقت نفسه .

١٩- كشف الاخطاء والانحرافات الوظيفية وممارسة النقد البناء لها بكل حيادية .

٢٠- تطوير القواعد النظامية المطبقة ، وتبني نظم حديثة توفر حماية افضل .

٢١- الاهتمام بأخلاقيات الوظيفة العامة ، واشعار الموظف العام بالمسؤولية الملقاة عليه .

٢٢- تكثيف الجهود الخاصة بالتوعية الادارية ، وتفعيل دور التدريب العملي لكي يؤدي دوره في توجيه الموظف الى سبل اكتساب الاخلاق الحميدة والالتزام بها سلوكياً ومهنيّاً .

٢٣- تحديد الرواتب بشكل يمنع الموظف من التفكير في ارتكاب جريمة الفساد .

٢٤- اعتماد مبدأ العقاب والثواب ، من خلال تحفيز على القيام بالواجب بدقة وإتقان وعدم ارتكاب الفساد بطرقه المختلفة .

مع تبسيط وسائل العمل وترشيق ملفاته ، وتحديد مهل انجاز المعاملات مع اعتماد معايير النزاهة والكفاءة عند التعيين والترقية والاداء .

١١- تشكيل لجان خاصة لوضع نظام متكامل لأداء الموظفين تقوم بإجراء تفتيش دوري بين الدوائر والوزارات واعداد التقارير الخاصة بذلك .

١٢- تكوين مؤسسات رقابية مستقلة تشرف على مراقبة في الهيئات الحكومية والخاصة على حد سواء .

١٣- الرقابة الصارمة على كفاءة استخدام الموارد وعد ضياعها او تلفها او اهدارها جريمة ينبغي معاقبة الفاعل .

١٤- اعتماد اسلوب الرقابة الذاتية ويتم ذلك بتعليم الفرد جدوى القوانين ومعرفة المبادئ العامة لأخلاقيات التعامل مما يساهم في تحسين الفرد من الوقوع في مستنقع الفساد ويكون بعيداً عن ممارسة السلوكيات المنحرفة .

١٥- تنمية قدرات العاملين على التحليل وتشخيص المشاكل والمعوقات التي يواجهها التنظيم .

١٦- تحديث وتطوير الهياكل التنظيمية ووصف الوظائف وتصنيفها .

المالية غير المعروفة ، وذلك من اجل ردع وكشف جميع اشكال غسيل الاموال ، وذلك عن طريق الادارة السياسية القومية الحازمة والحاسمة في ارساء قواعد واساليب مكافحة الفساد ومحاربتة .

٢- اصلاح النظام المصرفي والسيطرة عليه لمنع سارقي المال العام من الاختباء والتخفي فيه .

٣- وضع خطط استراتيجية لمكافحة البطالة والتضخم اللذين يولدان الفساد بأشكاله كافة .

٤- استخدام وسائل الاعلام المختلفة في فضح المفسدين ، لأن وسائل الاعلام تعد من اهم اجهزة الرقابة على اداء السلطة وجهازها الاداري ووسيلة لا غنى عنها ، إذ بإمكان وسائل الاتصال الجماهيري المكتوبة والمسموعة والمرئية ان تسهم مساهمة حادة وفاعلة في مكافحة الفساد والتنديد به ، وبالطبع لا تستطيع وسائل الاتصال الجماهيري القيام بذلك ، إلا اذا كانت ملتزمة بخط التقدم الاجتماعي ، وتعمل في اطار اخلاقيات المهنة الاعلامية وان تكون نفسها خالية من الفساد .

٥- اصلاح الاجتماعي وذلك بالعمل على زيادة وعي الناس بمخاطر الفساد والتأكيد على دور الاسرة والمدرسة في غرس القيم الدينية

٢٥- كشف نشاطات وفعاليات واعمال المراتب المتقدمة في السلم الوظيفي وجعلها مفتوحة وخاضعة للرقابة والمساءلة في أي وقت .

٢٦- الاهتمام بدرجة الامانة والنزاهة الى جانب الكفاءة عند اختيار الموظفين او عند تقييم اداءهم للترقية او عند تسلمهم موقع وظيفي اعلى .

٢٧- اجتثاث حوافز الفساد في كل مؤسسة ووزارة من خلال المتابعة والتحقيق في كل سلوك فاسد .

٢٨- الاهتمام بوسائل المراقبة السرية والالكترونية ومحاولة انجاز مشروع الحكومة الالكترونية .

٢٩- وضع ضوابط دقيقة لتقويم اداء الوظيفة العامة .

٣٠- التطبيق السليم والحازم للقوانين الخاصة بالتفتيش الاداري والمالي .

ثالثاً/ السياسات والاستراتيجيات الاقتصادية والاجتماعية :

١- تفعيل الهيئة المتخصصة في مكافحة للكسب غير المشروع واتخاذ التدابير اللازمة لمنع غسيل الاموال بإنشاء نظام داخلي شامل للرقابة والاشراف على المصارف والمؤسسات

بعد التغيير السياسي ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ وما تلاها من تغييرات واحداث اضررت بالعراق وعلى كافة المستويات ، فهناك عدد من الاسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والادارية ادت الى تفاقمها ، اضافة لضعف القوانين وغياب الديمقراطية الحقيقية وعدم نزاهة القيادات النافذة في السلطة وغيرها من الاسباب .

وان مكافحة الفساد تستوجب عدة خطوات تبدأ من لحظة الاعتراف بوجود مظاهر الفساد وتنتهي بوجود إرادة حقيقية فاعلة لعلاج تلك الافة الخطيرة ايضاً وجود الادراك الواعي لإبعاد مخاطر الفساد ووضع برامج تأخذ بنظر الاعتبار الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها العراق ، والتي انتجت هذه الظاهرة وما سواها من الظواهر التي ارهقت الشعب العراقي كالإرهاب والانقسام الطائفي والعرقى وغيرها .

وتوصل البحث الى عدة نتائج ، اهمها :

١- الفساد ظاهرة اجتماعية واقتصادية وادارية وسياسية تحدث في مختلف دول العالم ، اذ لا يوجد بلد خال من الفساد ، وغالباً ما تحدث في القطاع الرسمي ، وجوهره هو استغلال المنصب الرسمي لتحقيق مكاسب خاصة ، فالفساد قديم قدم بداية النشاط

والاخلاقية كالصدق والامانة والاخلاص والمهنية في العمل وبناء الانسان القدوة في ممارسته للمهنة وفضح الفاسدين .

٦- ضرورة العمل على زيادة وعي المواطنين وتقوية ايمانهم بالمصلحة العامة ورفض الضغوط الاجتماعية ، ومحاولة الرقي والتحضر وذلك باستخدام المعايير العلمية في كل العمليات الادارية .

٧- العمل على تنظيم اولويات القيم والسلوك والنزاهة على ان تتولى المؤسسات التربوية والاعلامية ، وغرس روح المواطنة والامانة ونبذ الممارسات السيئة والاستحواذ على المال العام والسرقة والرشوة وكل الظواهر المرفوضة من القوانين الالهية والوضعية .

٨- تثقيف المجتمع وتحويل الولاء بصورة تدريجية من العائلة والعشيرة الى الامة والوطن ، من خلال خلق ثقافة عامة ترفض الفساد الذي له تبعات اخلاقية واجتماعية ، والترويج للقيم الدينية والاخلاقية ، وتعزيز وتكريس الثقافة الوطنية في ادارة المؤسسات .

الخاتمة

سعى البحث الى تقديم تحليل موسع لأهم اسباب واثار وتداعيات لظاهرة الفساد في العراق

السياسي محكوم عليها بالفشل المسبق في ظل الحماية التي ستوفرها المظلة السياسية للفاسدين في كل القطاعات الادارية والمؤسسية .

٢- ترسيخ الديمقراطية وما يرتبط بها من قيم وممارسات تتجلى في احكام قبضة القانون ، واشاعة روح المساواة والعدالة ، والفصل الفاعل بين السلطات فضلاً عن اعمال مبدأ الانتقال السلمي للسلطة بكل فروعها سبيلاً لمنع الاستئثار واستغلال نفوذ السلطة لتطوير شبكات الفساد في مؤسسات الدولة .

٣- تبني مبدأ الشفافية في كل المعاملات المالية الحكومية الداخلية والخارجية ومتابعة تنفيذها وعدم افساح المجال لمن يروم عقد صفقات غير قانونية وفسح المجال امام الباحثين ووسائل الاعلام وعدم حجب المعلومات المتعلقة بالمسائل المالية عنهم .

٤- تفعيل دور السلطة التشريعية في اداء مهامها على افضل وجه .

٥- نزاهة السلطة التنفيذية ودورها في تحقيق الامن والاستقرار وترسيخ دورها العادل في توزيع الصلاحيات والادوار المؤسسية بكل شفافية وعدالة بين جميع شرائح ومكونات الشعب دون تمييز .

الانساني ، فهناك دائماً قدر من الفساد في بلد ، الا ان هذا لا يعني عدم محاربتة والحد منه .

٢- تختلف انواع وصور الفساد ، فمن انواعه ما هو الكبير والصغير وما هو فردي ومؤسستي ، وكذلك فان صورته تتعدد من الرشوة الى استغلال النفوذ ونهب المال العام والتريح من اعمال الوظيفة ، والتهرب الضريبي وتسهيل عمليات غسل الاموال وغيرها .

٣- تقف وراء الفساد اسباب عديدة منها ما هو اقتصادي كالفسق والتحويلات الاقتصادية كالخصخصة والانفتاح ، ومنها ما هو اجتماعي كالرغبة بالثراء السريع اضافة الى اسباب سياسية .

٤- تتمثل اهم اثار الفساد بانتشار الفقر وانخفاض قيمة العملة ، وعرقلة عمليات الخصخصة ، وتحويل الاستثمار الى القطاعات غير المنتجة ، واخيراً الاضرار بعملية التنمية الاقتصادية .

وتوصل البحث الى اهم التوصيات لمعالجة ظاهرة الفساد وهي بالاتي :

١- ضرورة تقديم الاصلاح السياسي على ما سواه من انماط الاصلاح في مواجهة الفساد ، لأن اي محاولة للقضاء على الفساد دون القيام بإجراءات جدية وفعلية على مستوى الاصلاح

- ٦- استقلال القضاء ووضوح اجراءاته .
 المشجعة للمؤسسات والافراد التي لا تظهر فيها حالات فساد وغيرها من الاجراءات .
- ٧- ضرورة التعاون والتنسيق بين مختلف المؤسسات المحلية الرسمية والمجتمعية اضافة الى التنسيق مع المنظمات والمؤسسات الدولية المعنية بالموضوع لكشف حالات الفساد .
- ٨- تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني ووسائل الاعلام في رصد حالات الفساد .
- ٩- تطبيق القوانين الصارمة ، وتشجيع نظام المحاسبة ، وبنفس الوقت تقديم الحوافز
- ١٠- اصلاح الثغرات التي يعانيها الجهاز الاداري وتحديثه بما يتفق وروح العصر وتطوير التقدم التقني والمعلوماتي الحالي لخدمة النزاهة ، والاخذ بمبدأ الحاكمية والحكم الراشد وتفعيل العمل بمبادئ الادارة النزيهة بما لا يدع مجالاً للفساد ان يتغلغل داخل المؤسسة الحكومية .

المصادر

- [١] اتفاقية الامم المتحدة ضد الفساد التي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي تم التوقيع عليها في المكسيك في كانون الاول عام ٢٠٠٣ .
- [٢] أحمد رشيد ، نظرية الإدارة : السياسة العامة والإدارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- [٣] امر سلطة الائتلاف المنحلة (٧٧) لسنة ٢٠٠٤ .
- [٤] امر سلطة الائتلاف المنحلة رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ .
- [٥] امر سلطة الائتلاف رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤ ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٣٩٨٢) ، حزيران ٢٠٠٤ .
- [٦] ايمن احمد محمد ، ورقة سياسات : الفساد والمساءلة في العراق ، مؤسسة فريدريث ايسبرت ، بغداد/العراق ، ايلول ٢٠١٣ .
- [٧] برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية ، خلق الفرص للأجيال القادمة ، ٢٠٠٢ .
- [٨] بسبوني إبراهيم حمادة ، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- [٩] بلال خلف السكرانة ، اخلاقيات العمل ، ط٣ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ٢٠١٣ .
- [١٠] بلال خلف السكرانة ، الفساد الاداري ، ط٢ ، دار الوائل للنشر والتوزيع ، الاردن ، ٢٠١١ .
- [١١] تعليمات قرار (١) لسنة ٢٠٠٦ ، تعليمات قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة والقطاع العام ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٤٠٢٦) ، ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٦ .
- [١٢] تقرير مفوضية النزاهة في العراق الى الجمعية الوطنية ، اعداد : احمد عبد الحمزة الشيباني ، الانترنت : <http://www.alnajafalashraf.org/twenty/n.htm> . ٢٠٠٦ .

- [١٣] ثناء فؤاد عبد الله ، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٧ .
- [١٤] جامعة الدول العربية ، برنامج التحقيق الاداري وطرق التحري في قضايا الفساد ، اسطنبول / تركيا ، ٢٠٠٧ .
- [١٥] جورج العبد ، العوامل والاثار في النمو الاقتصادي والتنمية ، في : الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية ، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
- [١٦] حسن سعيد عداي ، الاخلال بواجبات الوظيفة العامة من صور الفساد الاداري ، مجلة كلية الحقوق ، المجلد (١) ، العدد (١) ، جامعة النهدين ، ٢٠٠٩ .
- [١٧] حسن لطيف كاظم الزبيدي ، عاطف لافي السعدون ، الفساد جذوره وثماره المرة في العراق ، مجلة دراسات اقتصادية ، العدد (١٨) ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠١ .
- [١٨] حسين الشامي ، التحول الاقتصادي والفساد الاداري ، المنظمة العربية للتنمية الادارية ، القاهرة ، ٩ - ٢٢ / ١٩٩٩ .
- [١٩] حمدان رمضان محمد ، الفساد السياسي : دراسة تحليلية من منظور اجتماعي ، مجلة آداب الفراهيدي ، المجلد الثاني ، العدد (١٦) ، ايلول ٢٠١٣ .
- [٢٠] حيدر علي عبد الله الجشعمي ، الفساد والتزاهة في العراق ، ط ١ ، دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية ، ٢٠١٤ .
- [٢١] خيرى عبد القوي ، دراسة السياسة العامة ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٩ .
- [٢٢] سالم سليمان ، وخضر عباس عطوان ، الفساد السياسي والاداء الاداري : دراسة في جدلية العلاقة ، مجلة شؤون عراقية ، العدد (١) ، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية ، بغداد ، كانون الثاني ٢٠١٠ .
- [٢٣] سالم محمد عبود ، ظاهرة الفساد الاداري والمالي ، ط ٢ ، المكتبة الوطنية ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٥ . وفاطمة عبد جواد ، الفساد الاداري والمالي واثاره على مؤسسات الدولة العراقية ، ٢٠١٣ ، الانترنت : www.taximof.gov.iq.com
- [٢٤] سامر مؤيد عبد اللطيف ، نحو استراتيجية فاعلة لمكافحة الفساد الاداري في العراق ، مجلة رسالة الحقوق ، السنة السادسة ، العدد الاول ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٤ .
- [٢٥] صافي امام موسى ، استراتيجية الاصلاح الاداري واعادة التنظيم في نطاق الفكر والنظريات ، ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ٢٠٠٠ .
- [٢٦] عبد الواحد مشعل ، الادارة ومخاطر الفساد الاداري والمالي اجتماعياً واقتصادياً ، ندوة علمية عن : الفساد الاداري ابعاده القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٩ .
- [٢٧] علي وتوت ، ظاهرة الفساد في العراق : دراسة تحليلية في سوسيولوجيا ظاهرة الفساد واليات تقليصها ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، المجلد (٣) ، العدد (٥) ، جامعة واسط ، ٢٠٠٧ .
- [٢٨] فيليب برو ، علم الاجتماع السياسي ، ترجمة : د . محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- [٢٩] المادة (١٤) من قرار مجلس الوزراء لسنة ٢٠٠٨ .

- [٣٠] المجلس المشترك لمكافحة الفساد ، الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد ٢٠١٠ - ٢٠١٤ ، العراق ، ٢٠١٠ .
- [٣١] محمد سالم عبيد ، ظاهرة الفساد الاداري والمالي : مدخل استراتيجي لمكافحة الفساد ، ط ٢ ، دار الدكتور للعلوم ، بغداد ، ٢٠١١ .
- [٣٢] مصطفى كامل السيد ، العوامل والاثار السياسية للفساد ، ندوة علمية عن : الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
- [٣٣] مكي عبد مجيد ، الفساد المالي والاداري في العراق : اسبابه ومخاطره ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد (٧) ، العدد (٢) ، جامعة كربلاء ، ٢٠٠٩ .
- [٣٤] مكي عبد مجيد ، الفساد المالي والاداري في العراق : اسبابه ومخاطره ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد (٧) ، العدد (٢) ، جامعة كربلاء ، ٢٠٠٩ .
- [٣٥] موسى اللوزي ، التنمية الادارية : المفاهيم الاسس التطبيقات ، وائل للنشر والتوزيع ، عمان/ الاردن ، ٢٠٠٠ .
- [٣٦] النص الكامل لقانون المصادقة على اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد المرقم ٣٥ لسنة ٢٠٠٧ ، الانترنت : <http://www.parliament.iq/LiveWebsites/Arabic/PassedLaws.aspx>
- [٣٧] فضلة احمد الجبوري ، تداعيات الفساد الاداري على الواقع السياسي العراقي ، ندوة علمية عن : الفساد الاداري ابعاده القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٩ .
- [٣٨] هاشم فوزي دباس ، فاضل راضي عياش ، افنان عبد علي الاسدي ، دور الرقابة والشفافية الادارية في مكافحة الفساد ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، العدد (٦) ، السنة الثالثة ، ٢٠٠٦ .
- [٣٩] وصال نجيب الغزاوي ، ندوة الفساد الاداري ابعاده القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط ١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٩ .
- [٤٠] ياسر خالد الوائلي ، الفساد الاداري : مفهومه مظاهره واسبابه مع اشارة الى تجربة الفساد في العراق ، مجلة النبأ ، العدد (٨٠) ، ١٤ / ١ / ٢٠٠٦ ، الانترنت : <https://www.annabaa.org/~annabao/nbahome/nba.htm> . ١٠ / ٨٠ .

الهوامش :

- [١] د . خيري عبد القوي ، دراسة السياسة العامة ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٩ ص ٤٥ .
- [٢] د . أحمد رشيد ، نظرية الإدارة : السياسة العامة والإدارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٧٠ .
- [٣] د . ثناء فؤاد عبد الله ، آليات التغير الديمقراطي في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ٣١١ .
- [٤] فيليب برو ، علم الاجتماع السياسي ، ترجمة د . محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٤٩٣ .
- [٥] د . بسيني إبراهيم حمادة ، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة

- العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٠٧ .
- [٦] ياسر خالد الوائلي، الفساد الاداري : مفهومه مظاهره واسبابه مع اشارة الى تجربة الفساد في العراق ، مجلة النبأ ، العدد (٨٠) ، ١٤ / ١ / ٢٠٠٦ ، الانترنت :
- <https://www.annabaa.org/~annabao/nbahome/nba.١٠/٨٠.htm>
- [٧] جامعة الدول العربية ، برنامج التحقيق الاداري وطرق التحري في قضايا الفساد ، اسطنبول / تركيا ، ٢٠٠٧ .
- [٨] ياسر خالد الوائلي ، مصدر سبق ذكره .
- [٩] د . وصال نجيب الغزاوي ، ندوة الفساد الاداري ابعاده القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط ١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٧٥ .
- [١٠] نقلاً عن : حسن لطيف كاظم الزبيدي ، عاطف لافي السعدون ، الفساد جذوره وثماره المرة في العراق ، مجلة دراسات اقتصادية ، العدد (١٨) ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٢٧ .
- [١١] هاشم فوزي دباس ، فاضل راضي عياش ، افنان عبد علي الاسدي ، دور الرقابة والشفافية الادارية في مكافحة الفساد ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ، العدد (٦) ، السنة الثالثة ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٢٠ .
- [١٢] حسن لطيف كاظم الزبيدي واخرون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٠ .
- [١٣] حسين الشامي ، التحول الاقتصادي والفساد الاداري ، المنظمة العربية للتنمية الادارية ، القاهرة ، ٩ - ٢٢ / ١٩٩٩ .
- [١٤] حسن لطيف كاظم الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢١ .
- [١٥] د . علي وتوت ، ظاهرة الفساد في العراق : دراسة تحليلية في سوسيولوجيا ظاهرة الفساد واليات تقليصها ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، المجلد (٣) ، العدد (٥) ، جامعة واسط ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠٠ .
- [١٦] د . مكّي عبد مجيد ، الفساد المالي والاداري في العراق : اسبابه ومحاطره ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد (٧) ، العدد (٢) ، جامعة كربلاء ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٧ .
- [١٧] د . علي وتوت ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
- [١٨] ينظر : سالم محمد عبود ، ظاهرة الفساد الاداري والمالي ، ط ٢ ، المكتبة الوطنية ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٥ . وفاطمة عبد جواد ، الفساد الاداري والمالي واثاره على مؤسسات الدولة العراقية ، ٢٠١٣ ، ص ٣ ، الانترنت :
- www.taximof.gov.iq.com
- [١٩] ينظر : حيدر علي عبد الله الجشعمي ، الفساد والزهاة في العراق ، ط ١ ، دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية ، ٢٠١٤ ، ص ٥٣ - ٥٤ . وكذلك : د . سالم سليمان ، ود . خضر عباس عطوان ، الفساد السياسي والاداء الاداري : دراسة في جدلية العلاقة ، مجلة شؤون عراقية ، العدد (١) ، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية ، بغداد ، كانون الثاني ٢٠١٠ ، ص ١١٩ .
- [٢٠] ينظر : تقرير مفوضية النزاهة في العراق الى الجمعية الوطنية ، اعداد : احمد عبد الحمزة الشيباني ، الانترنت :
- <http://www.alnajafalashraf.org/twenty/n٢٠.takr٢٠.htm>
- [٢١] ينظر : برنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ، تقرير التنمية الانسانية العربية ، خلق الفرص للأجيال القادمة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٦ . وكذلك ينظر : اتفاقية الامم المتحدة ضد

- الفساد التي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي تم التوقيع عليها في المكسيك في كانون الاول عام ٢٠٠٣ .
- [٢٢] ينظر في تأثيرات الفساد : فضلة احمد الجبوري ، تداعيات الفساد الاداري على الواقع السياسي العراقي ، ندوة علمية عن : الفساد الاداري ابعاده القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٥٠ . وعبد الواحد مشعل ، الادارة ومحاطر الفساد الاداري والمالي اجتماعياً واقتصادياً ، ندوة علمية عن : الفساد الاداري ابعاده القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥ . ومصطفى كامل السيد ، العوامل والاثار السياسية للفساد ، ندوة علمية عن : الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٨٥ . وكذلك ينظر : د . مكي عبد مجيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢ .
- [٢٣] ينظر : امر سلطة الائتلاف رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤ ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٣٩٨٢) ، حزيران ٢٠٠٤ .
- [٢٤] ينظر : تعليمات قرار (١) لسنة ٢٠٠٦ ، تعليمات قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة والقطاع العام ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٤٠٢٦) ، ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٦ .
- [٢٥] ينظر : امر سلطة الائتلاف رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤ ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٣٩٨٢) ، حزيران ٢٠٠٤ .
- [٢٦] ينظر : امر سلطة الائتلاف رقم (٥٥) لسنة ٢٠٠٤ ، جريدة الوقائع العراقية ، العدد (٣٩٨٢) ، حزيران ٢٠٠٤ .
- [٢٧] المجلس المشترك لمكافحة الفساد ، الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد ٢٠١٠ - ٢٠١٤ ، العراق ، ٢٠١٠ ، ص ٥ - ٦ .
- [٢٨] ينظر : امر سلطة الائتلاف المنحلة رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ .
- [٢٩] ينظر : المادة (١٤) من قرار مجلس الوزراء لسنة ٢٠٠٨ .
- [٣٠] ينظر : الامر (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ .
- [٣١] ينظر : امر سلطة الائتلاف (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ .
- [٣٢] محمد سالم عبود ، ظاهرة الفساد الاداري والمالي : مدخل استراتيجي لمكافحة الفساد ، ط ٢ ، دار الدكتور للعلوم ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص ١٦٤ .
- [٣٣] ينظر : الامر (٧٧) لسنة ٢٠٠٤ .
- [٣٤] ينظر : الامر (٧٧) لسنة ٢٠٠٤ . وكذلك ينظر : الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد ٢٠١٠ - ٢٠١٤ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧ .
- [٣٥] ينظر : النص الكامل لقانون المصادقة على اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد المرقم ٣٥ لسنة ٢٠٠٧ ، الانترنت : <http://www.parliament.iq/LiveWebsites/Arabic/PassedLaws.aspx>
- [٣٦] ينظر : ايمن احمد محمد ، ورقة سياسات : الفساد والمساءلة في العراق ، مؤسسة فريديث ايرت ، بغداد / العراق ، ايلول ٢٠١٣ ، ص ٧ - ٨ . وبلال خلف السكارنة ، اخلاقيات العمل ، ط ٣ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ٢٠١٣ ، ص ٢٩٣ . وينظر : د . مكي عبد مجيد ، الفساد المالي والاداري في العراق : اسبابه

ومخاطره ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد (٧) ، العدد (٢) ، جامعة كربلاء ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٧ .
[٣٧] ينظر : صافي امام موسى ، استراتيجية الاصلاح الاداري واعادة التنظيم في نطاق الفكر والنظريات ، ط ١ ، دار
العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٥ . وينظر : د . حسن سعيد عداي ، الاخلال بواجبات
الوظيفة العامة من صور الفساد الاداري ، مجلة كلية الحقوق ، المجلد (١) ، العدد (١) ، جامعة النهرين ،
٢٠٠٩ ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤٢ . وموسى اللوزي ، التنمية الادارية : المفاهيم الاسس التطبيقات ، وائل للنشر
والتوزيع ، عمان / الاردن ، ٢٠٠٠ ، ص ١٧٠ . وينظر : د . حمدان رمضان محمد ، الفساد السياسي : دراسة
تحليلية من منظور اجتماعي ، مجلة آداب الفراهيدي ، المجلد الثاني ، العدد (١٦) ، ايلول ٢٠١٣ ، ص
٥٧٤ - ٥٧٦ . وينظر : بلال خلف السكرانة ، الفساد الاداري ، ط ٢ ، دار الواصل للنشر والتوزيع ، الاردن ،
٢٠١١ ، ص ٣١٩ . وجورج العبد ، العوامل والاثار في النمو الاقتصادي والتنمية ، في : الفساد والحكم الصالح
في البلاد العربية ، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص
٢٢٤ - ٢٢٥ . و : سامر مؤيد عبد اللطيف ، نحو استراتيجية فاعلة لمكافحة الفساد الاداري في العراق ،
مجلة رسالة الحقوق ، السنة السادسة ، العدد الاول ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٤ ، ص ص ١٢٨ - ١٢٩ .

م . د . رغد جمال مناف / خمائل شاكر غانم
جامعة بغداد / كلية تربية أبن رشد

الملاح التاريخية عن الامن الفكري في التراث الاسلامي

ملخص البحث

يشير مفهوم الامن الفكري الى توفير جو مناسب للامان ، لتداول الحريات والمعتقدات والفنون والاعداد والآثار والأعمال التي ينتجها مجموعة من الناس في وقت ما عبر التاريخ ، اما الثقافة فتعني الإبداع والانفتاح والتحرر من القيود للتعامل مع الآخر وتبادل الآراء المختلفة والهامة والمطلوبة تبعاً لاختلاف التجربة التاريخية والبيئة المحيطة عبر العصور التاريخية .

فالثقافة تعتبر جزءاً مهماً وحيوياً من الحضارة وانعكاساً لمعنى الحياة في مراحلها التاريخية المختلفة وشكلها المتغير من مكان لآخر ، فالثقافة تساعد على تقوية العلاقات الثقافية والعلمية بين الأمم ، ومن احدى نتائجهما ، انتقال العديد من المعارف والعلوم الى مختلف البلدان ، مثالا على ذلك ، انتقال الكتب المترجمة ، والتراث العربي الى اوربا ، عن طريق الاندلس التي كانت احد اهم المعابر لنقل التراث والثقافة العربية ، فالثقافة التاريخية مرآة صادقة ، تعكس حضارات الشعوب وفكرهم المبدع ، المتمثل في مظاهر حضارتها ، كمساجدها ومعابدها وكنائسها و المتاحفها وما تركت من آثاراً و فنوناً ، بالإضافة إلى الإعلام بكل روافده الذي يشكل جانباً ثقافياً مهماً ومؤثراً في

الْأَمَانُ وَأَمْنَةٌ وَأَمَانٌ وَالْأَمَانَةُ ضِدُّ الْخَوْفِ وَالْأَمَانَةُ
ضِدُّ الْخِيَانَةِ وَالْإِيمَانُ ضِدُّ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانُ بِمَعْنَى
التَّصَدِيقِ ضِدُّهُ التَّكْذِيبُ يُقَالُ آمَنَ بِهِ قَوْمٌ وَكَذَّبَ بِهِ
قَوْمٌ فَأَمَّا أَمْنَتُهُ الْمُتَعَدِي (١) ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ " وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ " (٢)

١- مفهوم الامن اصطلاحاً :

ويقصد به يريد أن تمتلئ الارض بالأمن فلا
يخاف أحد من الناس والحيوان وفي الحديث
التُّجُومُ أَمْنُهُ السَّمَاءُ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ
مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى
أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَّتِي ، كما
اشار اليه في حديث نزول المسيح على (نبينا
وعليه الصلاة والسلام) (٣) ، كما اشار الله تعالى
في محكم كتابه عن الامن ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ
مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ﴾ (٤) .

٢- مفهوم الثقافة لغة :

مشتقة من كلمة " تَقَفَ الشَّيْءُ تَقْفًا وَتَقَافًا
وَتَقُوفَةً " (٥) .

١- مفهوم الثقافة اصطلاحاً :

تمثل الثقافة العربية احدى طبقات الحضارة
الاسلامية لتنقل رسالتها الى الحضارة العالمية ،

رسم السياسات وتحديد الأولويات للحفاظ
على الامن الثقافي التاريخي للبلد ، فاصبح الأمن
الثقافي في حياتنا المعاصرة ، هدفاً حضارياً
شاملاً ، ينطوي على جوانب سياسية ووطنية لا
تقل أهمية عن جوانبه الثقافية ، لانه يعد عنصراً
من عناصر النهضة الاجتماعية ، ومظهراً من
مظاهر القدرة على التحرر والتصدي للمؤثرات
الخارجية الوافدة ، فهو أعلى مظاهر استرداد
الهوية التي سعت قوى الشر والبغي عبر التاريخ
إلى إنهاء خطوط الدفاع الفكرية والعقدية كخطوة
أولى لعملية الاستيعاب والسيطرة ، ويخطى من
يعتقد بأن الأمن الثقافي ، هو عبارة عن غلق
الأبواب والانطواء على النفس ، والابتعاد عن
وسائل الاتصال والإعلام الحديثة ، ومما يعني ان
الامن الثقافي هو توفير الثقافة الصالحة للناس
حتى يتمكنوا من خلالها أن يعيشوا حياتهم
المعاصرة بشكل سليم وإيجابي ، مع بناء قوة
الوجود الثقافي الذاتية ، التي تقوى على المقاومة
والصمود بوجه الفكر المتطرف الارهابي الذي
يسعى الى الغاء التراث والتاريخ ومحو الحضارات
لانها مصدر ثقافة البلد .

١- مفهوم الامن لغة :

يعرفها ابن منظور : (أمن) من كلمة " الأَمْنُ

المترجمة والتراث العربي الى اوربا عن طريق الاندلس ولازالت احد اهم المعابر لنقل التراث والثقافة الاسلامية ، اذن فالثقافة التاريخية مرآة صادقة تعكس لنا حضارات الشعوب وفكرهم المبدع المتمثل في مظاهر حضارتها كمساجدها ومعابدها وكنائسها او متاحفها او ما تركت من اثارا او فنونا بالاضافة الى الاعلام بكل روافده الاخرى الهامة الذي يشكل جانبا ثقافيا مهما ومؤثرا في رسم السياسات وتحديد الاولويات للحفاظ على الامن الثقافي التاريخي للبلد .^(٧)

فاصبح الامن الثقافي في حياتنا الحالية هدفا حضاريا شاملا ينطوي على جوانب سياسية ووطنية لا تقل اهمية عن جوانبه الثقافية لانه يعد عنصرا من عناصر النهضة الاجتماعية ، ومظهرا من مظاهر القدرة على التحرر والتصدي للمؤثرات الخارجية الوافدة ، فهو اعلى مظاهر استرداد الهوية التي سعت قوى الشر والبغي عبر التاريخ الى انهاء خطوط الدفاع الفكرية والعقدية كخطوة اولى لعملية الاستيعاب والسيطرة ومن الخطا الاعتقاد بان الامن الثقافي هو عبارة عن غلق الابواب والانطواء على النفس وتكثير لائحة الممنوعات والابتعاد عن وسائل الاتصال والاعلام الحديثة فالامن الثقافي لا يشكل حالة سلبية تتجسد في صد الناس عن المخاطر المحتملة .^(٨)

فقد أتاح التاريخ للثقافة الاسلامية فرصة لانتشارها على مساحة شاسعة من الكرة الارضية لتصبح قادرة على استيعاب العناصر الهامة للثقافات التي اتصلت بها ثم اثرت الى حد بعيد الحضارة العالمية واسهمت اسهاما فاعلا في تراثها .^(٦)

٣- ملحة عن الامن الثقافي :

الامن الثقافي : مفهوم يشير الى توفير الجو الامن لتداول الحريات والمعتقدات والفنون والعادات والآثار والأعمال التي يمارسها الناس ينتجها مجموعة من الناس في وقت ما عبر التاريخ من جهة أخرى ، اما الثقافة تعني : الابداع والانفتاح والتحرر من القيود للتعامل مع الآخر وتبادل الآراء المختلفة والهامة والمطلوبة تبعاً لاختلاف التجربة التاريخية والبيئة المحيطة عبر العصور التاريخية ، فالثقافة تعتبر جزءا مهماً وحيوياً من الحضارة وانعكاساً لمعنى الحياة في مراحلها التاريخية المختلفة وشكلها المتغير من مكان لآخر ، فالثقافة تساعد على تقوية العلاقات الثقافية والعلمية بين الامم ، ومن احدى نتائج الثقافة اىصال العديد من المعارف والعلوم الاسلامية الى مختلف البلدان ولناخذ مثالا حقيقيا على ذلك كانتقال الكتب

تتوقف عند حد معين وانما هي تهيئ الارضية لعملية انطلاق ثقافي تاخذ مقوماتها من الموروث الثقافي والانفتاح على الثقافة المعاصرة ، فالامن الثقافي لا يعني باي شكل من الاشكال الاحتماء تحت ظلال الماضي والابتعاد عن الثقافة المعاصرة بل يعني الاعتزاز بالذات الحضارية مع فهم معطيات الاخر الحضاري ، لان الانطواء والانغلاق عن العصر وثقافته ومنجزاته هو افتقار للوجود الذاتي بحيث نضحى وكاننا نعيش في القرون الوسطى السالفة بعيدون كل البعد عن انجازات الانسان المعاصر واثار العلم وحسناته ، فان اي مجتمع لا يتمكن من صيانة امنه الثقافي واستمرارية فعله الجماعي إلا بالاعتزاز بالذات الموصول بالانفتاح على منجزات العصر وهذه الامور تحفزنا للبحث عن الذات الثقافية وإبراز مضامينها وتطلعاتها ، وتربية المواطن على ضوئها وهداها وعن هذا الطريق يمكننا الحصول على المستوى المطلوب من الامن الثقافي في عصر شاعت فيه التكنولوجيا والاتصالات والاقمار الصناعية ، واستنادا الى ما ذكرناه اعلاه لا بد من التفرقة بين معنى الامن الثقافي والثقافة الامنية التي هي مجموعة من الانشطة التي تستهدف خلق الوعي الامني ،

ومما يعني ان الامن الثقافي توفير الثقافة الصالحة للناس حتى يتمكنوا من خلالها العيش بشكل سليم وايجابي مع بناء قوة الوجود الثقافي الذاتية لان الذات الثقافية بمثابة الاطار او الوعاء الذي يستوعب انتاج المثقفين لانه ينطلق من الخطوط العريضة وروح الثقافة الذاتية بما تمثله هذه الثقافة الذاتية من رموز وافكار وقيم والاعتزاز بالثقافة الذاتية لا يعني بالنسبة لنا ان نغلق ابوابنا ، وعدم السماح للاخرين او اي قوى اخرى خارجة للتحكم بفكره ، وعلينا تحقيق ذاتنا الثقافية والحضارية ونجعلها حاضرة في حركتنا الاجتماعية والثقافية والفكرية وعلينا التفاعل مع الثقافات الاخرى للاخذ منها الشيء الجيد وترك الشيء الرديء ، ويجب اطلاق الحرية لثقافتنا الذاتية لتعبر عن نفسها باي طريقة مع اعطاء المجال للثقافة الذاتية رموزا وافكارا هو الخيار الاستراتيجي الذي تتمكن من خلاله تحقيق هدفنا في كتابه بحثنا (الامن الثقافي) .^(٩)

٤- الاهداف الامن الثقافي الفكري :

لعل اهم هدف للامن الثقافي هو : الانفتاح والحوار مع الثقافات المعاصرة :
الثقافة هي عبارة عن عملية مستمرة لا

الدولة والمجتمع عبر المؤسسات الرسمية والاهلية والمبادرات الفردية التي تتجه لتنشيط الحياة الثقافية في الوسط الاجتماعي ، لان وجود وتفعيل عناصر الحياة لثقافتنا في المجتمع هو من الوسائل الفعالة التي تقاوم الاختراقات وتمنع عمليات التخريب الثقافي ، فالامن الثقافي ذو جانبين : جانب سلبي يتجه الى خلق حالة الممانعة والرفض الثقافي لكل عمليات الاختراق الإعلامي والثقافي ، وجانب إيجابي : يتجه الى صنع الحياة الثقافية الذاتية التي تعمل على تقوية البنيان النفسي والفكري للمجتمع بحيث يصل المجتمع الى درجة من الوعي والادراك لكي يفشل من عمليات الاختراق في حقل الثقافة والاعلام .^(١٠)

اذن نستنتج من كلامنا ان مقولة الامن الثقافي لا تعني زيادة وتيرة الرقابة على الثقافة بكل ألياتها ونشاطاتها ووسائلها ولا تعني الخضوع الى مقتضيات السائد وغياب حالات الابداع والمبادرة وانما تعني ضرورة الانطلاق من رؤية ثقافية حضارية في التعاطي والتواصل مع كل شؤون وقضايا الثقافة الإنسانية ، فالثقافات الانسانية جميعها تنطلق من اطار مرجعي ولا توجد ثقافة انسانية بلا اطار مرجعي وحضاري ، ومقولة الأمن الثقافي ضرورة

في حين يشير معنى الامن الثقافي ببيان الاسس والقواعد المتوفرة في ثقافة ما التي تمنع حالات الاختراق الثقافي والغزو الفكري ومحاولة استنطاق ثقافتنا الذاتية وتأكيدنا في نفوس ابنائنا والعمل على تمثيل وتجسيد قيمها في سلوكنا ومواقفنا حتى يتسنى لنا تحقيق المقاومة الذاتية التي تمنع وتطرده كل عمليات التخريب الثقافي والذي نريد تأكيدنا في هذا المجال ، ان مفهوم الامن الثقافي وافشال عمليات التخريب الفكري لا يتم عن طريق اغلاق النوافذ ومنع التفاعل مع الثقافات الانسانية وانما يتم عن طريق العلاقة الواعية مع ثقافتنا والعمل على ايصالها بالطرق السليمة والعلمية الى جميع ابناء المجتمع حينذاك تتمكن من افشال كل عمليات التأثير السيئة للثقافات الوافدة ، و خلق الوعي الذاتي وغرس مفاهيم الثقافة الذاتية في نفوس ابنائنا عن طريق التربية الاسرية ونظم التعليم والاعلام هو الكفيل بتحقيق الامن الثقافي لمجتمعاتنا كما أن إطلاق الحرية للقوى الذاتية المتوفرة في المجتمع لممارسة دورها الثقافي في زيادة الوعي وتعميم المعرفة ومقاومة مظاهر الاختراق الثقافي والفكري من اهم الوسائل الضرورية لتحقيق الامن الثقافي وذلك يتم بتضافر جهود

والاجتماعية لا تشرع للانزواء والانطواء ورفض منجزات الحضارة الحديثة وانما هي تحدد نقطة الانطلاق في عملية التواصل والانفتاح الثقافي الحضاري من هنا ومن هذه النقطة لا بد من الانطلاق للاخذ من الفكر الثقافي الصحيح بما يتلائم مع مبادئ ديننا الاسلامي وصلتها بعناصر الذات الثقافية وقيمها الحضارية والانسانية. ^(١١)

يعد الأمن الثقافي احد اهم مكونات الامن بصفة عامة واهمها واسماها واساس وجودها واستمرارها ، والأمن هو النعمة التي لا يمكن أن تستقيم الحياة بغيرها ، ولذلك امتنَّ الله بهذه النعمة على كفار قريش . قال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ ^(١٢) ، وقال تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ^(١٣)

أن الأمن الثقافي يتعلق بالمحافظة على الدين ، وهو إحدى الضرورات الخمس التي نادى الشريعة الاسلامية بحمايتها والمحافظة عليها ،

لان الإسلام دين الأمة مستندين الى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ^(١٤) . ويلحظ من النص القرآني ان الإسلام

التفاعل الخلاق مع الاطار المرجعي والحضاري للثقافة الاسلامية وذلك من اجل ان تتمكن هذه الثقافة من الاستفادة من هذه الثروة الهائلة التي يختزنها الاطار المرجعي والحضاري للمسلمين ، كما أن التفاعل الخلاق والمبدع من الثقافات الانسانية والمنجزات الحضارية لا يمكن ان تتم على اكمل وجه ، بدون الاعتزاز الواعي بالاطار المرجعي والفكري للعرب والمسلمين ، وهذه ليست دعوة الى الانغلاق والانطواء واما هي دعوة الى ممارسة الانفتاح والتواصل الحقيقي مع الثقافات الإنسانية الاخرى ، فالانفتاح الثقافي الحقيقي لا يمكن إنجازه وتحقيقه بدون إطار مرجعي يحدد معايير الاختيار الثقافي ولم يسجل لنا التاريخ ان هناك انفتاحا وتوصلا بين الثقافات الانسانية وتحقق بعيدا عن ضرورة وجود المرتكزات الفكرية والمعرفية التي ينطلق منها خيار الانفتاح والتواصل ، فالانفتاح لا يعني التفلت من الضوابط القيمية كما انه لا يعني الانخراط في سجلات ايدلوجية مع الثقافات الانسانية الاخرى وانما يعني فهم حركة الثقافات الانسانية الاخرى بكل مراحلها ومحطاتها واستيعابها والعمل على فهم عناصر القوة فيها ، فمقولة الامن الثقافي والخصوصية الثقافية

مصدر عزها وقوتها ، وهو أساس تمكينها في الأرض كقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١٥)

ومن مستلزمات الامن الثقافي استقامة المعتقد ، وسلامته من الانحراف والبعث عن المنهج الحق ، ووسطية الاسلام ، ولذلك فان الاخلال به يعرض الانسان لان يكون عمله هباءً منثورًا كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (١٦) ، وقال : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ، تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ (١٧) ، ووصف ذلك بالخسران المبين ، فقال : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١٨)

جاء النهي صريحًا عن التفكير في ذات الله ، لأنه لا يصل فكر الإنسان مهما عمله ، إلى إدراك كنه ذات الله سبحانه وكيفيته ، فقال سبحانه : ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ

لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١٩) ، فالتفكر في ذاته تعالى إشغال للعقل بما ليس في وسعه أن يدركه ، وزج به في متاهات لا توصل إلى الحق ، بل إلى الريبة والشك والاضطراب ، لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات ، وأما الخالق جلّ جلاله ، سبحانه وتعالى فليس له شبهة ولا نظير ، فالتفكر الذي مبناه على القياس هو ما يصح الفرد التفكير فيه . (٢٠)

ومن الامور التي نهى الله تعالى الانسان الخوض فيها ، هو الاختلاف في محكم التنزيل ، فقال : ﴿ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١) ، وقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢)

يبدو من النص القرآني اتباع صراط الله تعالى ولايحيدوه عنه مهما كانت الظروف والدوافع لان عاقبة التفرقة والابتعاد عن سبيل الله العذاب العظيم ، كانه تنبيه وتذكير من الله بالالتزام به .

نهانا الاسلام من التفكير او الكلام في

لا نهاية له ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (٢٤) ،
فما أخفاه عنهم فهو سرُّ الله الذي استأثر به ،
فلا يعلمه لاحد حتى لو كان نبيا ، لان فيه
مصلحة للعباد في إخفائه منهم ، والحكمة
منه ، الى يوم تُبلى السرائر فذكر الله تعالى :
﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (٢٥)

القدر لانه قول بلا علم وهو من الامور الغيبية
من اختصاص الله تعالى ، القدر سرُّ من أسرار
الله تعالى لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً ، ولا
يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل
فالتعمق والنظر فيه ضلالة . (٢٣)

ورد ابن بطال في القدر : لمخالفة هذا ضلَّ
أهل البدع حين حكموا عقولهم ورَدُّوا إليها ما
جهلوه من معاني القدر وشبهه ، وهذا خطأ
منهم ، لأن عقول العباد لها نهاية ، وعلم الله

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تح : نديم مرعشلي ، دار الفكر ، بيروت ، (د-ت) .
- ٣- أبو الحسين ، أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠ .
- ٤- الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٥ .
- ٥- الزبيدي ، محمد بن احمد بن عبد الرزاق الحسيني القيسي ، (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس في جواهر القاموس ، تح : علي الهلالي ، الكويت ، ١٩٦٦ .
- ٦- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم الافريقي المصري ، (ت ٥٧١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

قائمة المراجع

- ١- امامة ، عدنان محمد ، التجديد في الفكر الإسلامي ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٤ هـ .
- ٢- التركي ، عبدالله بن عبد المحسن ، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به ، مكة المكرمة ، مطابع رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٦٥ .
- ٣- الزبيدي ، عبد الرحمن ، حقيقة الفكر الإسلامي ، ط ٢ ، الرياض ، دار المسلم ، ٢٠٠٢ .

- ٤-السديس ، عبد الرحمن ، الأمن الفكري ، ط ١ ، جامعة نايف العربية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، ٢٠٠٥ .
- ٥- اللويحي ، عبد الرحمن ، الأمن الفكري ماهيته وضوابطه ضمن كتاب الأمن الفكري ، ط ١ ، الرياض ، جامعة نايف العربية ، مركز الدراسات والبحوث ، ٢٠٠٥ .
- ٦-المالكي ، عبد الحفيظ ، نحو مجتمع آمن فكريًا ، ط ١ ، (د-م) ، ٢٠١٠ .
- ٧- الوادعي ، ابن مسفر ، الأمن الفكري الإسلامي ، مجلة الأمن والحياة ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، ، ١٤١٨ هـ .

الهوامش

- [١] للمزيد من التفاصيل ينظر : أبو الحسين ، أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨ ، ج ١ ، ص ١٣ ؛ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم الافريقي المصري ، (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ج ١٣ ، ص ٧١ .
- [٢] سورة قريش ، اية ٤ .
- [٣] الزبيدي ، محمد بن احمد بن عبد الرزاق الحسيني القيسي ، (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس في جواهر القاموس ، تح : علي الهلالي ، الكويت ، ١٩٦٦ ، ج ٢١ ، ص ٥١ .
- [٤] سورة النساء ، اية ٨٣ .
- [٥] ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٩ ؛ الاصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تح : نديم مرعشلي ، دار الفكر ، بيروت ، (د-ت) ، ص ٢١ .
- [٦] الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٥ ، ص ٣٨ ؛ مصطفى ، ابراهيم ، المعجم الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، (د-م) ، (د-ت) ، ج ١ ، ص ٩٨ .
- [٧] اللويحي ، عبد الرحمن ، الأمن الفكري ماهيته وضوابطه ضمن كتاب الأمن الفكري ، ط ١ ، الرياض ، جامعة نايف العربية ، مركز الدراسات والبحوث ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣ .
- [٨] الزبيدي ، عبد الرحمن ، حقيقة الفكر الإسلامي ، ط ٢ ، الرياض ، دار المسلم ، ٢٠٠٢ ، ص ١٠ .
- [٩] المالكي ، عبد الحفيظ ، نحو مجتمع آمن فكريًا ، ط ١ ، (د-م) ، ٢٠١٠ ، ص ١٠١ - ١٠٤ .
- [١٠] السديس ، عبد الرحمن ، الأمن الفكري ، ط ١ ، جامعة نايف العربية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦ .
- [١١] الوادعي ، ابن مسفر ، الأمن الفكري الإسلامي ، مجلة الأمن والحياة ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، مركز الدراسات والبحوث ، الرياض ، ، ١٤١٨ هـ ، العدد ١٨٧ ، ص ٥٠ .
- [١٢] سورة قريش ، اية ٤ .
- [١٣] سورة العنكبوت ، اية ٦٧ .
- [١٤] سورة ال عمران ، اية ١٩ .

- [١٥] سورة النور ، اية ٥٥ .
[١٦] سورة الفرقان ، اية ٢٣ .
[١٧] سورة الغاشية- اية ١-٤ .
[١٨] سورة الزمر ، اية ١٥ .
[١٩] سورة الشورى ، اية ١١ .
[٢٠] الوادعي ، الامن الفكري ، ص ١١٠ .
[٢١] سورة الانعام ، اية ١٥٣ .
[٢٢] سورة ال عمران ، اية ١٠٥ .
[٢٣] للمزيد من التفاصيل ينظر : امامة ، عدنان محمد ، التجديد في الفكر الإسلامي ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٤ هـ ، ص ٥٦ : التركي ، عبدالله بن عبد المحسن ، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به ، مكة المكرمة ، مطابع رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٦٥ .
[٢٤] سورة المومنون ، اية ٧١ .
[٢٥] سورة ال عمران ، اية ٧ .

أ . د ابراهيم طه حمودي
باحث اكاديمي / جامعة ديالى

التطرف وأثره في الحركة التجديدية في الإسلام

المقدمة

فكلنا يعرف التطرف و الآثار الناتجة عن حركة التطرف والتي اطلت جذورها غربية وجاءت دخيلة على الاسلام والمسلمين فبالأكيد لها آثاراً سلبية على عالمية الإسلام وحركاته التجديدية وانتشار ذلك مما يراه الغرب من الصورة المشوهة عن الفكر الاسلامي الذي جسده البعض من المتطرفين

وأهم الآثار المحورية السلبية للتطرف هي :

أولاً : لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم وجعله سوي الخلقة سوي الذهن والادراك وميزه على باقي المخلوقات بالعقل والذي ينبغي ان يقوده الى الاستقامة في التفكير ولاشك إنّ التطرف الفكري يجعل الشخص خارجاً عن الاستقامة أيّ إنه مرض وحالة سقيمة تجعل الانسان في وضع غير سوي أما من ناحية دينية فإن التطرف الفكري يؤدي إلى انحراف الإنسان عن المنهج الديني الصحيح ويجعله في معرض الحساب الدنيوي والآخروي وكفى بذلك خسراناً مبيناً .
ثانياً : الأثر السلبي على الامن المجتمعي .

اما مانلحظه اليوم من مظاهر العنف والتفرقة والقتل على الهوية تقسيم الوطن الواحد وانتزاع الرحمة وتكثير الايتام والارامل والتشرد والنزوح . . . كل ذلك لايمت الى تعاليم ومنهج وسلوك الاسلام القويم حيث تشير الاحصائيات ان عدد الارامل بالعراق تخطى المليون وهذا العدد بتزايد مستمر

اما عن حركة التهجير والنزوح الداخلي والخارجي الذي يشهده العراق اليوم نتيجة تنظيم داعش الارهابي ومن هم على شاكلته من ميليشيات وعصابات ارهابية فهي حركة سببها التطرف الفكري المريض والفهم المخطوء للنصوص واعتماد العقل الاسقاطي والتصور الساذج للنصوص الدينية قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾

سادسا : ان التطرف والغلو هما خطر يهدد الحركة التجديدية للاسلام ويحول دون تقدم الانسان الى الامام لما له من اثر سلبي على الشعوب والبلدان .

ولكل ماتقدم من اسباب واثار سنبينها بهذا

لاشك ان التطرف الفكري يخل بالنظام الاجتماعي وبالامن المجتمعي لانه يستند الى معايير سلبية بحكم انحرافه عن الاعتدال في الفهم والاستقامة في التفكير فيشكل خطرا على العناصر المعيارية الايجابية التي هي الاساس في نظام اجتماعي مستقر وفي امن اجتماعي واقعي .

ثالثا : اثره بإعطاء الفرصة للعدو بمحاربة الاسلام باسم محاربة الارهاب

رابعا : الأثر السلبي على المنظومة الفكرية والاجتماعية . . . حينما يشق التطرف الفكري طريقه في المجتمع ويتحول من حالة فردية الى حالة مجتمعية قد تاخذ شكل تيار في المجتمع او فرقة او تنظيم او ما شاكل فانه يلعب دورا سلبيا في خلط الاوراق والتشويش على الحقائق وهذا ما يسبب اشكالية قد تتحول الى فتنة في المجتمع

خامسا : الاثر السلبي للتطرف الفكري من وجهة نظر دينية

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] هنا يتبين ان الهدف من ارسال الرسل وانزال الكتب ووضع المعايير والقيم هو قيام الناس بالقسط

وفي معجم الوسيط "الطرف من كل شيء منتهاه أو الناحية أو الجانب"^(١٠) .

قال الراغب^(١١) : طرف الشيء جانبه ، ويستعمل في الأجسام والأوقات^(١٢) .

وعليه فالتطرف تفعل من الطرف تطرف يتطرف فهو متطرف أت الطرف ومنه قولهم للشمس : اذا دنت للغروب تطرفت ، وسواء أقلنا بأن الطرف هو منتهى الشيء أم مطلق الحد ، فإن من تجاوز حد الاعتدال وغلا يصبح لغويا تسميته بالتطرف . جاء في المعجم الوسيط في معنى تطرف : "تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط"^(١٣) .

فالتطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط ، وأصله في الحسيات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي . ثم انتقل الى المعنويات ، كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك^(١٤) .

التطرف اصطلاحاً

١. التطرف في الفكر الإسلامي :

لم يخرج مفهوم التطرف في الفكر الإسلامي عن مفهومه في اللغة فهو يعني مجاوزة الحدود الشرعية .

فقد عرف بأنه : « مجاوزة الحد بدم أو حمد

البحث لنسلط الضوء على هذه الظاهرة السلبية في المجتمع .

مفهوم التطرف

التطرف لغة :

إن المتتبع لهذه الكلمة في اللغة يجدها تدور على معنيين حد الشيء ، والحركة في بعض الأعضاء^(١) .

والذي يهمننا هنا هو المعنى الأول ، وهو حد الشي وحرفه .

والذي ورد في معاجم اللغة : ان المراد منه هو منتهى الشيء وغايته هذا اذا لم يتساو الحدان ، فيصلح كل واحد منهما ان يكون مبتدأ ومنتهى كحدي الخيط . ولذلك يقال تطرفت الشمس أي دنت للغروب قال الشاعر :
دنا وقرن الشمس قد تطرفا^(٢) .

وقال شمر^(٣) : (اعرض طرفه : اذا طرده)^(٤) ومعلوم انه بالطرد يتوصل الى غاية الشيء ومنتهاه ، كما يقال أيضا الناقة اذا رعت أطراف المرعى "طرفت الناقة ومثله "تطرفت الناقة"^(٥) وهذا هو مقتضى كلام الفيروز ابادي^(٦) حيث في بيان معنى كلمة تطرف "ومنتهى كل شيء"^(٧) قال في تاج العروس ومقتضى سياق ابن سيده^(٨) أنه الطرف محركه^(٩)

والتطرف هو أسلوب من أساليب محاربة الدين الإسلامي ، وفي الحديث « إياكم والغلو في الدين » أي التشديد فيه ومجاوزة الحد^(٢٢) . وقد عرف المسلمون أنماطا من التطرف تقترب من مفهوم التطرف المعاصر . وهي ممارسات كثيرة الفرق الدينية الهدمية ، التي عرفت في تاريخ الفكر الإسلامي بالحركات الغالية ، وعلى رأسها الفرق الباطنية وأغلبها - كما هو معروف - نبتت في الهضبة الإيرانية وفي خراسان^(٢٣) منها على وجه الخصوص حيث عرفت . « عش الباطنية » ثم سعت إلى تصدير فكرها الغالي ، وسلوكها الهدمي وممارستها الإرهابية إلى سائر الأقاليم الإسلامية .

وبناء على ما تقدم فقد أطلق الإسلاميون اسم التطرف ، الذي يعبر عنه بعدة ألفاظ منها الغلو والتنطع والتشدد على مجموعة من الأفكار الدينية والسياسية والاجتماعية حاول المتطرفون منها ، ومن الانضواء تحت لواء الإسلام تحريف الدين عن مبادئه وأصوله ، والنيل من سلطته ، وهدمها معا دونما فصل أو تمييز بينهما^(٢٤) .

٢.٢ التطرف في الفكر المعاصر :

إن ظاهرة التطرف المعاصر ، التي يعاني

فوق ما يستحق أو نحو ذلك^(١٥) . وعرفه الإمام الشاطبي : « هو المبالغة في الأمر ، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف »^(١٦) . وذكر ابن حجر في فتح الباري بأنه : « المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد »^(١٧) .

وعرفه عبد الله سلوم بأنه : « موقف مبالغ فيه يقفه إنسان من قضية عامة أو خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف »^(١٨) . وقد عرف ايضا : « هو الغلو وتجاوز الحد المعقول والمقبول »^(١٩) .

وقد عرف ابن خلدون المتطرفين بكونهم طوائف فقال : « تجاوز حد العقل والإيمان في القول بالوهمية الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الإلوهية أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية . . »^(٢٠) بينما يعرفهم الشيخ المفيد بقوله : المتطرفون المتظاهرون بالإسلام : هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الإلوهية والنبوة ووصفوا لهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد وهم في ضلال كفر حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالكفر والقتل . والتحريق بالنار وقضت عليهم الأئمة بالكفر والخروج عن الإسلام »^(٢١) .

« خذ إليك هذا المظهر أو هذا المثال :
عندما تلمح سيدة أو أنسة تغطي وجهها بما يشبه
العباءة ولا تترك من نقابها إلا فتحتين صغيرتين
كفم العصفور أمام عينيها . . . من أين جاءت
بهذا الزي العجيب »^(٢٧) .

وأن القول بوجود تغطية الوجه رأي شرعي
لجمهور من أهل العلم ، وله أدلته ومداركة
فالقول بأنه تطرف ليس بمنطوق على المفهوم
الذي حدده الكاتب .

١٣. التطرف عند العلمانيين :

إن أصحاب هذا الاتجاه يحملون تصوراً
خاصاً للتطرف ، يمثل اتجاهها مستقلاً ، يختلف
عن تصور العلماء والمفكرين المسلمين . يقول
فرج فودة^(٢٨) في تفسير ظاهرة التطرف في ندوة
أقامتها مجلة فكر للدراسات والأبحاث^(٢٩) :
« أن هناك طرحاً دينياً شديداً الوضوح والقبول
لمشكلة شديدة الغموض والتخلف »^(٣٠) .

ويقول فؤاد زكريا^(٣١) مدير الندوة في بيان
مفهوم التطرف من قوله : « اعتقد الآن أننا
وصلنا إلى بلورة لهذا البعد ، وأنا متفقون على
أن هذا التيار الديني القديم قد أخذ في السنوات
الأخيرة شكلاً سياسياً واضحاً ومنظماً »^(٣٢) .

ويقصد بالتيار الديني القديم هو التيار

منها العالم الإسلامي اليوم ، امتدادات
تاريخية ، وظهورات متعددة ، وكلها تميزت في
بداياتها بالتزمت الفكري ، والتشدد الديني ، ثم
واصلت مسيرتها من اتخاذ أنصارها مواقف دينية
وسياسية واجتماعية تجاوزت في مدياتها الحدود
التي رسمها المجتمع ، وأقرتها مؤسساته ، وقد
أسفرت تلك المواقف عن مظاهر عدائية من
المجتمع ومؤسساته تمثلت في اعتزاله
ومقاطعته ، ومن ثم الحكم بانحرافه ، وكفره
وأخيراً بإعلان الحرب عليه ، والعمل على هدمه
وتخريب مؤسساته ، وإسقاط حكومته .

يتبين لنا مما سبق أن مفهوم التطرف
المعاصر لا يخرج عن كونه مجاوزة الاعتدال
في الفكر والسلوك ، من تبني أفكار دينية
وسياسية يتجاوز مداها الحدود التي ارتضاها
المجتمع ، واتخاذ موقف عدائي منه ، ومن
مؤسساته ، وحكومته ، بدعوى الحرص على
الإسلام الذي انحرف عنه المجتمع وخرجت
عليه حكومته^(٢٥) .

لذلك حدد بعض الكتاب المعاصرين مفهوم
التطرف بقول : التطرف الديني هو مجاوزة
الاعتدال في السلوك الديني فكراً وعملاً^(٢٦) .

ولكنه عند التطبيق يقع في أخطاء جسيمه
إذ يقول في بيان مظاهره :

المعاملات الاجتماعية بين الناس " . ولذلك يرى « إن من المهام الرئيسة الملقاة على عاتق العقلانيين في مصر والعالم العربي الدعوة إلى الفصل بين الإسلام وبين الشريعة الإسلامية »^(٣٦) .

و اعتبروا أن التمسك بأمر من أمور الشرع وتطبيق أمر من أوامره على أنه تطرف . من ذلك : مناقشتهم الحجاب والجلباب على أنهما مظهران شكليان و الآن على الغلو والتطرف ، ولذلك تصدر بعض التعليمات في اجزاء من البلاد الإسلامية مانعة لبس النساء للحجاب باعتباره مظهراً دالان على التطرف .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل يقول فؤاد زكريا : « إن امتلاء الساحة بالكتب التي تحرم التصوير و الموسيقى وتخوف الناس من عذاب القبر ليس سبباً لتطرف هؤلاء الشباب ، بل أنه نتيجة له ، وهو ذاته جزء لا يتجزأ من ظاهرة التطرف التي نسعى الى تقليلها »^(٣٧) .

و بالجملة فإن العلمانيين يرون أي خروج عن الخط الغربي الوافد على المجتمعات الإسلامية . الذي أصبح مألوفاً ومعتاداً غلواً وتطرفاً يقول سعد الدين إبراهيم^(٣٨) في تعريف التطرف الفكري والمذهبي أنه : « في أبسط تعريفاته خروج عن القواعد والأطر الفكرية

الإسلامي الذي يرمز له بالتيار الإسلامي الديني .

واعتبر محمد سعيد العشماوي^(٣٣) في كتابه (الإسلام السياسي) ان تسييس الدين وتطبيق الشريعة من التطرف وأن الإسلام دين عبادة لا دخل له في السياسة والنظم ومعظم ردوده في هذا الكتاب على ما اسماه تيار تسييس الدين . بالعنف والتطرف^(٣٤) .

ويقول فرج فوده : « أن الاتجاه نحو تدين السياسة كان موجوداً في برنامج الوفد الذي قدم في سبتمبر ١٩٥٣م الى حكومة الثورة حيث ضم بندا ينص على منع أو تحريم الخمر والغناء القمار و ما الى ذلك . كمحاولة لتدوين الفكر السياسي واستقطاب المشاعر الدينية من خلال توجهات سياسية »^(٣٥) . فعلى هذا فإن الدولة التي تحرم هذه الأشياء تعتبر متطرفة لإدخالها الدين في السياسة .

أما الدعوة الى تطبيق الشريعة في كل مناحي الحياة فهو المعلم الثاني الدال على التطرف في مفهومهم يقول أحد المشاركين في الندوة : « إن أصحاب هذا التيار كانوا وما زالوا يخلطون بين الدعوة الى الاسلام كدين وعقيدة وأخلاق ، وبين الدعوة الى تطبيق الشريعة الإسلامية كمجموعة من النصوص التي تنظم

كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ثم تطور الامر فصاروا يستعملون الأصولية إضافة الى استعمال مصطلح التطرف والارهاب^(٤٢) .

و أن مصطلح الأصولية كان يستعملون عند النصرارى منذ القرن التاسع عشر الميلادي للدلالة على العناصر المتمسكة بالتعاليم الدينية التقليدية ، والأفكار المستوحاة من النصوص الإنجيلية والاعتقاد بالوهية عيسى عليه السلام وعذرية ميلاده وغير ذلك من الافكار^(٤٣) .

ثم اخذ الغريون يطلقون مصطلح (الأصولية) على المسلمين وتحديدأ في الحقبة ما بعد عام ١٣٩٥هـ_١٩٧٥ م .

ويؤكد بعض الكتاب أن اصطلاح (التطرف) المقابل في الاستعمال لمصطلح (الأصولية) استعمل أول ما استعمل في إسرائيل عندما بدأ المسلمون يعون ذاتيتهم ويعودون للإسلام مصدرأ للعزة وطريقأ للنصر وهذا ما تؤكد الدراسات الكثيرة التي اعدت لهذا الغرض ، والمؤتمرات التي عقدت على مستويات مختلفة ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه الباحث الألماني (باول شمترز) في كتابه : (الاسلام قوة الغد العالمية) إذ يقول (أن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا وهتاف يجوب أفاقها يدعو الى التجميع والتساند

والدستورية والقانونية التي يرتضيها المجتمع والتي يسمح في ظلها بالخلاف والحوار^(٣٩) .

ويقول عن التطرف الديني أنه : « بمعنى الخروج عن المعتاد أو المتعارف عليه في العقيدة والشعور و السلوك لدى أغلبية الناس »^(٤٠) .

وبهذا يتضح المفهوم العلماني للتطرف و يتضح أنهم إنما يقصدون بتيار التطرف التيار الإسلامي على نحو عام .

وإن هذه الندوة إنما عقدت لمناقشة التيار الإسلامي بشكل عام ، ولكن ما لبث مدير الندوة أن يؤكد موضوعها فيقول : « ... أن ما ينبغي أن نواجهه هو التطرف ، أي هذه الجماعات الدينية المتطرفة ، وهذا موضوع اللقاء »^(٤١) .

والحقيقة أنهم يعممون التطرف ويصمون به كل الدعاة الى الإسلام ، ويؤكد العلمانيون وقوفهم ضد كل ما تطرحه التيارات الإسلامية التي لا يرون فيها الاعتدال والتطرف بل الجميع إما غلاة جدا أو غلاة فقط .

٤.التطرف عند الغرب :

استعمل الغرب عدة مصطلحات للدلالة على التطرف أو هي بديلة عن لفظة التطرف ، فاستخدموا مصطلح المتطرف التي ينعت بها الشاب المسلم المثقف الذي يدعو الى تحكيم

الأصوليون الإسلاميون في كل قطر من هذه الأقطار [يعني الإسلامية] الى تطبيق برنامج متحمس اشتقوه من فهمهم للشريعة الإسلامية وهم يرون أن كتابهم المقدس يحتوي على تفاصيل هذا التطبيق الذي هو مفتاح السياسة بالنسبة لهم» (٤٧).

٢- يقسم دانييل باير المسلمين المعاصرين الى ثلاث فئات :

علمانيين ، وإصلاحيين ، وأصوليين .
فالعلمانيون : هم المحاكون للغرب والذين يرون ضرورة الانسحاب الكامل للدين من الحياة .

والاصلاحيون : هم الذين يدمجون بين الشريعة والمدنية الغربية ويفسرون الشريعة بطريقة متطابقة مع طرق الغرب .

والاصوليون : هم الذين يرون أن الشريعة واجبة التطبيق بالكامل (٤٨) .

٣- من الملامح الظاهرة التي تتضح من جملة المؤلفات والندوات حول موضوع (الأصولية) في الغرب أن تهديد المصالح الغربية من منطلق ديني بعد يعد أبرز مظاهر (الأصولية الإسلامية) (٤٩) .

٤- يخطئ بعض الخبراء الغربيين الواجهة

الأوربي ؛ لمواجهة هذا العملاق -الإسلامي- الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه . هل يسمعه احد ؟ ألا من مجيب ؟ (٤٤) .

وكذلك شاعت هذه المصطلحات كثيراً في كتابات المستشرقين ولاسيما الأمريكان منهم فهذه هيئة الإذاعة البريطانية تذيع في برنامج (عالم الظهيرة) ما يأتي :

(أن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصباً لمراقبة إمبراطورية الشر - يعني الاتحاد السوفيتي - سيتجه أساساً لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي ، ووضع العراقيل والعقبات أمامها) (٤٥) .

وهكذا شاع وذاع هذا المصطلح مصطلح الأصولية ، فلا تكاد تستمع الى أي إذاعة كانت من (واشنطن) و (لندن) و (مونتكارلو) وغيرها الا وذكر الاصوليين يتردد في الاذاعات بكثرة كاترة .

وفي ندوة عقدتها اللجنة الفرعية لشؤون أوروبا والشرق الاوسط المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغرس الأمريكي مجموعة من النصوص التي تساعد على تحديد المفهوم أجمالها فيما يأتي :

١- يقول دانييل باير (٤٦) ، تحت عنوان أهداف الأصوليين والإسلاميين : « يسعى

استثنائاً بالبحث في موضوع التطرف^(٥٢) .

ثانياً : إن تطبيق الشريعة ، والدعوة الى ذلك يعد من أبرز ملامح التطرف عندهم سواء أكان ذلك التطبيق في الجانب السلوكي للأفراد أم في الجانب الاجتماعي للأمة كلها .

ثالثاً : إن الدعوة الى عدم فصل الدين عن الحياة من التطرف .

رابعاً : إن الأخذ الحرفي بأوامر القرآن و الألتزام بها من التطرف .

خامساً : إن من أظهر أعمال المتطرفين مزاولة أعمال العنف . و الغربيون يسوون في ذلك بين أمرين :

١- الجهاد ضد الكفار .

٢- العنف والارهاب غير المشروع ، كالخارج عن الحكام المسلمين .

سادساً : إن المتطرفين يكفرون غيرهم من الناس فهم يكفرون اليهود والنصارى ، كما يكفرون النفر السائد من المسلمين .

سابعاً : إن المتطرفين يشاركون في الأنشطة الدعوية والاجتماعية في بلدانهم^(٥٣) .

جذور التطرف

تعد ظاهرة التطرف قديمة قدم الديانات

القائلة بأن (الأصولية الإسلامية) هي الارهاب ويقول أن الأصولية أعم من ذلك اذ يقول : « لقد قضيت من عشر الى خمس عشرة سنة في العالم الإسلامي وقد تعاملت بصورة طيبة مع عدد من الذين يعرفهم العالم اليوم بأنهم نشطون إسلاميا ، ووجدت أن الغالبية العظمى منهم ليسوا بالإرهابيين المتطرفين »^(٥٠) . ويقول : « أن هذه الظاهرة التي نسميها بالأصولية الإسلامية يجب الاتفهم في حدود الإرهاب إنها أبعد من ذلك »^(٥١) .

وفي ضوء ما سبق من عرض لبعض آراء الخبراء الغربيين في شؤون البلاد الإسلامية والمهتمين بالصحة الإسلامية يمكن أن نتبين مفهوم التطرف أو ما يسمى (بالأصولية الإسلامية) بما أجمله في الملامح الآتية :

أولاً : إن الغربيين يهتمون بالظاهرة باعتبارها ظاهرة سياسية أكثر من كونها ظاهرة دينية ، وزاوية النظر عندهم هي من هذا الجانب ، يدل على ذلك :

١- إن الدوائر السياسية في الغرب هي الأكثر اهتماماً بهذا الشأن ولذلك فأن معظم المؤتمرات التي عقدت حول هذا الموضوع في الغرب عقدت عبر دوائر سياسية .

٢- إن الجانب السياسي للتطرف هو الأكثر

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يبين أنهم صرحوا بهذا الولد فقالوا هو عزير قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (٥٨) .

أما النصرانية فان التطرف فيها كثير وسببه الأساس هم الرهبان الذين يبتدعون لعامتهم عبادات ما انزل الله بها من سلطان ، زاعمين أنها من عند الله قد كتبها عليهم في كتابهم الإنجيل .

ومن هذه البدع التي أدخلتهم في التطرف أنهم كانوا يقولون : أن الله جوهر ذو ثلاثة أقانيم فالله قد حل في مريم بزعمهم وتجسد بشكل عيسى فهذه الاقانيم هي الاب والابن وروح القدس فقالوا عن عيسى انه ابن الله ؛ لذلك عبر القرآن الكريم عن تطرفهم وغلوهم وأنكر عليهم ذلك وأمرهم أن لا يقولوا على الله إلا الحق إذ أن قولهم ما هو الا خروج وتعدٍ على الله وحدوده إذ هو خالق عيسى ﷺ كما خلق ادم من غير أب وهو أهون عليه ، فقال سبحانه منكرًا عليهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي

القديمة ، إذا لم تكن استجابة المدعويين للأنبياء والمرسلين متساوية فمنهم من تجاوز الحد فغلا ومنهم من قصر في استجابته ، والوسط فيهم من أذعن للحق .

وان التطرف ظاهرة نفسية إنسانية لا يخلو منها مجتمع في كل زمان ومكان لأنه يعبر عن قيمة التسامي الإنساني بالأشخاص الذين تتعلق بهم القلوب لسبب من الأسباب ، وكما يكون التطرف في الأشخاص يكون في المبادئ وبهذا الصدد يقول ابن تيمية^(٥٤) : « ومثل الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزله الاله ومثل تجويز الخروج عن شريعة النبي ﷺ » (٥٥) .

والتداخل بين غلو الأشخاص والمبادئ واقع ، حيث أن الغلو في الأشخاص يكون عن طريق الغلو في المبدأ ، والغلو في المبدأ يحصل عن طريق الغلو في الأشخاص وهكذا يكون التداخل بينهما . فهما وجهان في عملية متفاعلة واحدة^(٥٦) .

أما اليهود فهم أرباب التطرف والداعون إليه لأنهم علموا أنهم حقاً داخلو النار بسبب انحرافهم وخروجهم عن حدود الله مما عملوا إلا أن يبنوا سمومهم على من جاورهم وقد ادعوا ان لله ولداً سبحانه وتعالى كما يقولون ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (٥٧)

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَكَيْلًا ﴿٥٩﴾ .

وكما تبين مما سبق أن التطرف ظاهرة
قديمة قدم الرسالات السماوية قد انتشر في كل
الأقوام التي سبقت ظهور الإسلام وحتى بزوغ
شمس الإسلام .

أما التطرف والغلو في الإسلام فكانت بداياته
الأولى ملازمة لنزول القرآن وقد أشار سبحانه
وتعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٠﴾ .

وتعددت وقائع التطرف والغلو في عصر
النبي ﷺ واتخذت صورتين :

١- الغلو في الاعتقاد ، ويتضح ذلك من
حديث ذي الخويصرة^(٦١) الذي اعترض على
قسمة النبي ﷺ للغنائم ؛ وفيه أن الرسول ﷺ
وسلم قال : « أن من ضئضي هذا قوما يقرأون
القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل
الإسلام ويدعون أهل الأوثان »^(٦٢) .

٢- الغلو في الأعمال ، ووقائعه التي حدثت

في العهد النبوي كثيرة ، فهذا الغلو هو صورة
تكرر في كل زمان دون انقطاع على أيدي افراد
من الناس وهذا النوع ليس من الأهمية الكبيرة
من النوع الأول (الغلو الاعتقادي) لانه خاص
بمن سلك طريقه .

والغلو العقدي اخطر على الدين الإسلامي
والمجتمع المسلم من الغلو العملي لانه ذو كيان
وكان سببا في سفك دماء وقيام حروب كما أن
حوادثه مترابطة بشكل ما : إما ترابطاً تاريخياً
بحيث تكون بعض صور التطرف ناشئة عن
بعض ، وهذا ما سنبينه من تتبع مسيرة التطرف
منذ ظهور الاسلام حتى العصر الحاضر ، وإما
ترابطاً فكرياً بحيث تتفق صور الحديث مع
القديم دون ان يكون هناك تواصل تاريخي .

وظهر التطرف بعد وفاة النبي ﷺ سنة
١١هـ/٦٣٢م حين كانت الردة ، ظهرت هذه
الحركات التي صاحبته تباؤات المتنبيين ،
والغلو في أنفسهم على العموم ، أيقظت في
نفوس السذج ، الضعفاء الايمان والانتهازيين
التصديق بهذه الفكرة لاستعداد النفوس
لتقبلها .

وقد تأثرت حركه التطرف بجميع الظروف
التي مرت على الدولة الجديدة وقانونها
(الإسلام) ومن ثم سعت هذه الحركة وتعدت

الانقسامات . والى جانب العمل من خلال الآيات والإمامة فإن المتطرفين وجدوا في قضية الإلوهية والنبوة مجالاً واسعاً لعملهم .

وقد حدد المتطرفون في البداية نقل الإلوهية الى الأئمة وبعدها انتقلوا بها إلى غيرهم وفي هؤلاء يقول ابن خلدون : « ومنهم تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بالإلوهية الأئمة » (٦٥) .

وبذلك كانت السبئية أول فرقة أعلنت تطرفها في علي عليه السلام حيث قالت : « إن علياً حي لم يقتل ولم يموت وإنما الذي قتل الشيطان تصور بصورته ، وتطرفت السبئية فقالت أن علياً نبي ثم غلت فيه أكثر وزعمت أنه اله . ثم نقلت السبئية الإلوهية من الأنبياء إلى الأئمة عن طريق التناسخ وقالت أن علياً والأئمة من بعده ألهمه وبهذا خرجت عن دائرة الإسلام » (٦٦) .

وإنها سبب في إثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين يقول ابن حزم : « انه لعنه الله اظهر الإسلام لكيد أهله فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان بن عفان » (٦٧) .

وعلى الرغم من أن السبئية حركة مؤقتة مثل حركات الردة التي عصفت بها ارياح المقاومة والتصحيح وبهذا يقول ابو حاتم الرازي : « وقد انقرضت السبئية الذين قالوا

وانتظمت قواها في فرق متعددة ووضعت كل فرقة أسلوباً خاصاً للعمل وتنظيمات دقيقة من اجل مواصلة الصراع وراحت تحقق أغراضها في معزل عن مراقبه السلطة ومحاسبتها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً (٦٣) .

وقد وجد الغلاة أن عملهم من قضية الإمامة ومن تأويل بعض آيات القرآن من انجح الوسائل لضمان استمرار نشاطهم وتحقيق أهدافهم فعن طريق التأويل استطاعوا وضع كثير من آرائهم المتطرفة وقد حجبوا تلك الآراء بستار كثيف مكنهم من مواصلة السير مع المحافظة على الهوية الإسلامية لحركتهم .

ويشير الشهرستاني إلى تلك المنازعات الشديدة والاختلافات العميقة التي وقعت بسبب الإمامة فيقول : « وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينيه مثل ما سل على الإمامة في كل زمان » (٦٤) .

ولقد وجد المتطرفون في مسألة الإمامة والاختلاف عليها مادة استغلوها أعظم استغلال في حركتهم وكانت معظم الفرق المتطرفة قد عملت من وراء واحد من الأئمة ولقد توزع المتطرفون على جميع الفرق وعملوا بها وهدفوا إلى تفتيت المسلمين وطحنهم في عجلة

بالضعف التدريجي بعد العصر العباسي الأول^(٧٤).

وعلى الرغم من أن الثورة العباسية كانت حركة عربية في قيادتها وتنظيمها ولكن المتطرفين نجحوا في التغلغل الى الحركة في حقبة الدعوة السرية وشكلوا جناحاً متطرفاً في الحركة العباسية . وقد عرفت هذه الفرقة فترة النضال السري ٩٨هـ-١٢٨هـ بعدة أسماء منها العباسية والخرمية^(٧٥) ، والخدائشية^(٧٦) ، والراوندية^(٧٧) ، واحتفظت هذه الفرقة بخصائص التطرف التي اتصفت بها الهاشمية^(٧٨) . وحين ضعفت الدولة بعد أن سيطر عليها الأجانب من فرس وبويهيين وأتراك سلاجقة وتعقدت ظروف المجتمع المسلم الاقتصادية ، والاجتماعية وقد افرز هذا الوضع في أواخر القرن الثالث الهجري و القرن الرابع الهجري وما بعده (التاسع والعاشر الميلاديين) حركات خطيرة جداً على المجتمع والدولة سميت (الحركات الباطنية) وقد تبرقت هذه الحركات -مثل أسلافها- بالدين لكي تنشط بين الناس وتكسبها الى جانبها ثم تستخدمها لضرب النظام العباسي الذي يرمز بدور الي دور العرب القيادي في الأمة الإسلامية ولكي تستبدل كذلك بكل القيم والمثل والمبادئ العربية الاسلاميه مثلاً

بالوقف على علي فليس أحد اليوم يعرف بهذا القول^(٦٨) . ومن السبئية انبثقت أصناف الغلاة ، وتفرقوا في المقالات^(٦٩) ، معنى أنهم كانوا الأسرع والقدوة والبادئين في نشر هذه الافكار المتطرفة فشجعوا من جاء بعدهم من السذج العوام واصحاب الاغراض على تبنيها وتزيينها للناس ، ثم سارت قافلة التطرف في المجتمع الاسلامي في القرن الأول الهجري ، فأعدت السير حتى طبقتة ، ووجدنا المجتمع الكوفي يعد فرقة غريبة من المتطرفين منها المغيرية^(٧٠) ، والمنصورية^(٧١) ، والبيانية^(٧٢) ، والخطابية^(٧٣) ، وغيرها من الفرق التي ورثت أفكار السبئية وأزادت عليها وتأولت آيات القرآن تأويلات رفعت من شأن مؤسسيها وحطت من شأن خصومها .

إلا أن هذه الحركات لم تشكل خطورة كبيرة في العصرين الراشدي والأموي فالدولة قويه ومادتها العرب ، والمسلمون كانوا ما يزلون امة موحدة قوية بيدها القوة الضاربة في الجيش ، ولكن هذه الحركات وجدت مجالاً أوسع للتحرك خلال العصر العباسي حيث زاد اختلاط العرب بالاعاجم وكثر الامتزاج الفكري والثقافي بين الثقافة العربية والأعجمية كما بدأت قيادات العرب ورئاستها في إدارة الدولة وسياستها

ومتنفسا فريداً لهم بعد سقوط الخلافة العربية الإسلامية التي كانت رمزاً متبقياً لدور العرب السياسي والديني في قيادة المجتمع الإسلامي فقد تحرك الفرس سياسياً وفكرياً للحصول على مراكز مؤثرة في السلطة في دولة المغول الإيلخانيين وبدأت مرحلة جديدة لتوسع فارسي -على الخصوص- ركب موجة المغولية وأتخذ منها أداة له فظهرت حركات فارسية جديدة تبرقت بالإسلام ولكنها كالعادة أرادت هدمه من الداخل وإحلال دين جديد محله ، فإذا كان العرب قد انتهوا سياسياً فأُن دين العرب (الإسلام) لا بد أن ينتهي عقدياً أيضاً . ولعل ابرز هذه الحركات في تاريخنا الحديث هي النصيرية^(٨٤) ، الحروفية^(٨٥) . الصوفية^(٨٦) ، الشيخية^(٨٧) ، البابية^(٨٨) ، البهائية^(٨٩) ، القاديانية^(٩٠) .

ثم تتابع ظهور الفرق المتطرفة في اغلب المجتمعات الإسلامية ولاسيما في الوقت الحاضر على شكل تنظيمات وأحزاب لها أهدافها ، وأيا كان هدفها سواء المحافظة على الدين الإسلامي أم هدمه وهو الغالب على فكرة التطرف فإنها تمثل خطراً على الدين الإسلامي ومجتمعه^(٩١) .

ولكن الأمر الذي يهم الباحث في هذا

وقيماً فارسية بديلة وهذه الحركات هي : الحركة الإسماعيلية^(٧٩) ، والفرق المتفرقة عنها من القرامطة^(٨٠) ، والحشيشية^(٨١) ، والدروز^(٨٢) . لقد أطلق على هذه الحركات تسميات عامه عديدة لعل أشهرها وأهمها الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهو الإمام السابع لدى الإسماعيلية بوصفه الابن الأكبر لجعفر الصادق الذي أوصى إليه بالإمامة من بعده ، ثم الباطنية لزعمها ان لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ومن هنا أولوا آيات القرآن تأويلاً يخدم أغراضهم في هدم الدين وتحقيق مآربهم السياسية . ثم السبعية باعتقادهم أن إسماعيل بن جعفر الصادق هو الإمام الظاهري السابع ، وإن ادوار الإمامة سبعة وإن هذه الأدوار السبعة تتعاقب ولا آخر لها وإن تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة : زحل والمشتري والمريخ والزهرة ، والشمس وعطارد والقمر . وآخر هذه التسميات العامة هي التعليمية لأنهم دعوا الى إبطال تصرف العقول والى التعليم من خلال المعصوم وهو السبيل الوحيد لأدراك العلوم المصدر المصدر^(٨٣) .

وبعد انهيار الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م استمرت حركات التطرف على اثر الغزو المغولي لبغداد فقد وجد الفرس فرصة نادرة

الموضوع هو هل التطرف المعاصر وليد الغلو والتطرف القديم ؟ .

وبمعنى آخر هل ان حركة التطرف اسلامية المنشأ من جهة اصولها النظرية وادواتها ومناهجها ام انها لا تنتمي الى الفكر الاسلامي ؟

والرأي الذي يتضح من البحث في موضوع جذور التطرف وارتباطه بالفرق ولاسيما الخوارج أبينه فيما يأتي :

أولاً : إن التطرف في مراحل الأولى لم يتصل بفكر الخوارج ولا الفرق الأولى ، بل هو مبتوت الصلة بهذه الافكار يدل على ذلك الحقائق التالية :

أ- ان الظرف الزماني والمكاني الذي نشأت فيه هذه الآراء لم يكن من السهولة فيه الاتصال بالكتب التي تتحدث عن فرق أهل الضلال^(٩٢) .

ب- إن الغلو حدث بعد مناقشات لبعض المسائل المستجدة فهو وليد ظرف وحدث ، ولم يكن عند اصحابه الاوائل مبادئ التقوا عليها من الاساس^(٩٣) .

ج- إن غالب الأفراد الذين ابتدأوا الغلو - أن لم يكن كلهم - على جهل وغير متخصصين في العلوم الشرعية ، إذ لم يكن يسبق لهم الاطلاع

على هذه الكتب .

د- إن ممن وقع في الغلو والانحراف قوم رجعوا عن آرائهم لما رأوا أصلها عند الخوارج مما يدل على ظنهم أنهم سابقون الى هذه الافكار^(٩٤) .

ثانياً : إن أهل الغلو والتطرف في المراحل المتأخرة ، ولاسيما المتصدرين منهم للقيادة أصبح عندهم علم بأراء الخوارج ، وربما استفادوا منها بصورة ما ، ويمكن أن يستأنس بما يأتي :

أ- إن المناقشين لمنظري الغلاة بينوا لهم سبق الخوارج وغيرهم من الفرق الى مثل هذه الآراء مما دفعهم الى الاطلاع عليها^(٩٥) .

ب- إن قادة الغلاة والمتطرفين كانوا يمنعون اتباعهم من قراءة كتب التاريخ ، و ليس ثمة تفسير ظاهر لهذا الا الخوف من معرفة تاريخ الخوارج وأرائهم المبتوثة في تلك الكتب^(٩٦) .

ج- إن تطور فكرهم وقوة استدلالهم في المراحل المتأخرة دال على استنادهم الى آراء سابقة لأرائهم .

د- إن بعض الآراء التي طرحها الغلاة : مثل غلوهم في تكفير مرتكب الكبيرة تكاد صورتها تكون صورة لأدلة الخوارج من قبل^(٩٧) .

والمقصود بالجهل وما أنواعه وأنواع الجهال ؟
وكيفية التعامل معهم .

الجهل لغة :

الجهل مصدر قولهم جهل بجهل وهو مأخوذ من مادة (جهل) التي تدل على معنيين ، يقول ابن فارس : « الجيم والهاء واللام » أصلان : أحدهما خلاف العلم ، والآخر : الخفة وخلاف الطمأنينة ، فالأول الجهل تقيض العلم ، ويقال للمفارزة التي لا علم بها مَجْهَلٌ ، والثاني : قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر ، مَجْهَلٌ ، ويقال : استجهلت الريح الغصن إذا حركته فاضطرب^(١٠٠) .

وجهل على غيره سفه أو خطأ . وجهل الحق اضاعه فهو جاهل وجهول^(١٠١) .

الجهل اصطلاحاً :

قال الجرجاني الجهل : « هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه ، واعتراضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم ، وهو ليس بشيء ، والجواب عنه أنه شيء في الذهن »^(١٠٢) .

قال المناوي : الجهل : « هو التقدم في الامور المنبهمة بغير علم »^(١٠٣) .

وقال ابن نجيم : « حقيقة الجهل : عدم

وبهذا يتبين ان اثر الفرق القديمة على المتطرفين المعاصرين جاء تالياً ولاحقاً فقد انحصر في إثراء تيارات الغلو والتطرف وتأييد حججها لا في إيجادها ، اذ ان وجودها كان اثراً لعوامل اخرى . و ليس هذا تبرئه لساحة الغلاة ، أو تسويغاً لما وقعوا فيه ولكنه عرض لجذور أفكارهم تاريخياً بما يساعد على تصور هذه القضية وفهمها ومن ثم علاجها العلاج الصحيح الرشيد .

وإذا تبين هذا فإن سر التشابه بين آراء الخوارج - على سبيل المثال - وآراء المعاصرين يتضح في الجوانب الآتية :

١- تشابه المنهج الفكري للفريقين^(٩٨) .

٢- تشابه المناخ الفكري للفريقين^(٩٩) .

الحقيقة ان حركة التطرف تم انتاجها في معامل اعداء الاسلام وسلمت جاهزة لأحصنة طروادية في قلب العالم الاسلامي فهي اجنبية الانتاج اسلامية الادوات والتوزيع

أسباب التطرف

الأسباب العلمية والمنهجية

اولا : الأسباب المتعلقة بالجهل

قبل الخوض في بيان الأسباب المتعلقة بالجهل بدا لي من الضروري أن أبين وأوضح ما

١.٢ الجهل بمنهج السلف

والمراد بالسلف ما كان عليه الصحابة الكرام . (رضوان الله عليهم) واعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون رمي ببدعة ، أو شهر بقلب غير مرض ، مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء^(١٠٦) .

إن المنهجية الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والراشدين كانت تتعامل مع القضايا الواقعية ، فيروي عن زيد بن ثابت أنه كان إذا استفتي في مسألة سأل عنها ، فإن قيل له أنها وقعت أفتى فيها ، وأن قيل له لم تقع ، قال : « دعوها حتى تكون »^(١٠٧) .

١.٣ الجهل بمقاصد الشريعة

المقاصد في اللغة : مشتق من قصد يقصد وهو من باب (صَرَبَ) وقصد الشيء بمعنى طلبه ، يقال اليه قصدي ومقصدي وبعض الفقهاء جمع القصد على قصود^(١٠٨) .

القصد بمعنى : إثبات الشيء ، ويأتي أيضاً بمعنى استقامة الطريق^(١٠٩) .

أما المقاصد في الاصطلاح : هي المباحث

العلم بما في شأنه أن يكون معلوماً فإن قارن اعتقاد النقيض ، أي الشعور بالشيء على خلاف ما هو به فهو الجهل المركب ، فإن عدم الشعور بذلك فهو الجهل البسيط^(١٠٤) .

ومن الأسباب المتعلقة بالجهل

١.١ الجهل بأصول التشريع

ولا أعني بالجهل : الجهل المطلق ، فهذا في العادة لا يفضي الى تطرف وغلو ، بل الى تقيضه ، وهو الانحلال والتسيب . وانما المقصود هنا ما كان لدى المتطرف شيء من العلم لكنه يجهل مقاصد النصوص ، وأسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ ، ولا يربط الكليات بالجزئيات ، ولا يرد المتشابهات الى المحكمات ، ولا يحاكم الظنيات الى القطعيات .

لقد كان عدم فهم الكتاب العزيز سبباً في انحراف أقوام من المبتدعة ، فقوم صرفوا دلالاته عن معانيها ، الى معان أخرى ، واعتمدوا على العقل في تفسير القرآن الكريم ، وقوم جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً ولبسوا على عوام الناس بذلك ، وقوم اعتمدوا في تفسير القرآن على الرأي المجرد والاهواء والظنون^(١٠٥) .

بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأن أصله تصديق
الخبر والانقياد للشرع ، فمن لم يحصل في
قلبه التصديق والانقياد فليس بمسلم ؛ وأن
كمال الواجب بفعل الواجبات وترك المحرمات ؛
وكماله المستحب بفعل المندوبات وترك
المكروهات ، والتورع عن المتشابهات .

الذين أخرجوا جنس الاعمال من حقيقة
الايمن وقصروا الايمن على مجرد التصديق
مبطلون ، فإن الايمن لا يتحقق بمجرد اعتقاد
صدق النبي ﷺ فيما جاء به من الدين ، فقد
تحقق هذا عند كثير من الناس ولم يصبحوا
مؤمنين ، بل لابد من اجتماع أمرين ، اعتقاد
الصدق ، ومحبة القلب وانقياده وعمل الجوارح .

والذين أدخلوا كل الاعمال في أصل الايمن
غلاة مبطلون ، فقد فوتت الشريعة بين أنواع
الاعمال ، وفرقت فيها بين ما يرتبط بأصل
الإيمان فيذهب الإيمان بذهابه ؛ وبين ما يرتبط
منها بكمالها فينقص الإيمان بنقصه^(١١٥) .

١.٥ الجهل باللغة العربية :

لقد انزل الله عز وجل القرآن الكريم بلسان
عربي مبين : هو لسان النبي ﷺ قال تعالى :
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴾^(١١٦) .

الذاتية لأي علم من العلوم^(١١٠) . ويعني هذا أن
لكل علم من العلوم مباحث خاصة به تميزه عن
بقية العلوم ، فهذه المباحث هي المقصودة في
هذا العلم قصداً أساسياً .

أما الشريعة : ففي اللغة جاءت مشتقة من
الفعل (شرع) وهو الطريق الواضح يقال ،
شرعت له طريقاً ، والشرع مصدر ثم جعل اسماً
للطريق الواضح فليل : يشرع وشرع
وشريعة^(١١١) .

أما اصطلاحاً فهي ما شرعه الله تعالى لعباده
من الاحكام المتعلقة بالأفعال والعقائد
والأخلاق^(١١٢) . قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا
مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾^(١١٣) .

أما مقاصد الشريعة : فهي الاهداف الكبرى
التي ترمي اليها أحكامها العامة ومبادئها
الكلية ، وقد جاءت لتحقيق الرحمة والعدالة
ومصالح الناس^(١١٤) .

والجهل بمقاصد الشريعة من اعظم اسباب
وقوع اهل التطرف والعلو في الاراء الفاسدة
والاعمال الشاذة . والمواقف المخالفة للسنة .

٤- الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالاعمال :

نؤمن بأن الايمن قول وعمل واعتقاد ، يزيد

بالفعل لفظ « علم المنهجية » واختلط مضمونه بفلسفة العلوم ذاتها^(١١٩).

المنهجية الإسلامية :

سارت المنهجية الإسلامية منذ نشأتها في درب مختلف تماماً عن الدرب الذي اتبعته المنهجية الغربية ، فقد بدأت في جو علمي متحرر تماماً يغيّر وضعية أرسطو ، ويخلو من أي وصاية كنيسة ، وينطلق الفكر لا يقوده إلا بعض القواعد الكلية التي تشبه البديهيات التي لا تحتاج إلى برهان والتي لا غنى عنها في كل تفكير منطقي ، والتي استمدت من هدى القرآن وتوجيه الوحي الحكيم فانطلق الفكر الإسلامي غير مكبل بقيود دينية أو كهنوتية تحبسه عن السبح في أي اتجاه نحو فهم أسرار الطبيعة وتقنين حركتها ، ودراسة سلوك الإنسان وتصرفاته في مجتمعه ، بل أن دين الإسلام حث على تدبر الكون وكشف أسرارها ، وتضمن العناصر الرئيسة التي تقوم عليها منهجيته .

ويمكن أن نصف هذه المنهجية بأنها القواعد الأساسية المستمدة من المثالية الإسلامية ، أو ما نسميه (الشرعية) التي تحدد موضوع كل علم من العلوم السلوكية

وما انزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بالعربية إلا (لأن لغة العرب افصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفس ، فلهذا انزل اشرف الكتب باشرف اللغات ، على اشرف الرسل بسفارة اشرف الملائكة . وكان ذلك في اشرف بقاع الأرض ، وابتداءً إنزاله في اشرف شهور السنة ، وهو رمضان فكمّل من كل الوجوه)^(١١٧).

إن الجهل باللغة العربية سبب من أسباب التطرف والعلو لأنه يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع واحكامه ، وإلى الفهم الخاطئ للنصوص ، كما أن الرطانة والكلام بلغات الامم يؤدي إلى انتشار عقائدها وافكارها وعوائدها مما كان له أسوء الاثر على الامة .

ثانياً : الأسباب المتعلقة بالمنهجية –

المنهجية : وسيلة البحث للتوصل إلى القواعد المقررة لاحكام العلوم . أو هي مجموعة الوسائل التي يتوصل بها إلى اكتساب العلم^(١١٨).

والبحث عن امر قديم ، وينسبة البعض إلى افلاطون وأرسطو الذين أولياه عناية خاصة ، وقد تطور النظر في المنهجية حتى اصبح موضوعها في مقام العلوم ، وحتى اطلق عليه

قال أبو هلال العسكري : « إن القنوط أشد مبالغة من اليأس ، وأما الخيبة فلا تكون إلا بعد الأمل ، إذ هي امتناع نيل ما أمل ، وأما اليأس فقد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده ، والرجاء واليأس نقيضان يتعاقبان تعاقب الخيبة والظفر ويستفاد مما ذكره ابن حجر : أن اليأس لا يأمل في وقوع شيء من الرحمة وأن القنوط تصميم على عدم وقوعها^(١٢٢) .

من أسباب اليأس عند الدعاة :

(١) قلة الاتباع وكثرة الاعداد .

(٢) استمرار المحنة وتأخر النصر

(٣) التوهمان اليأس يفعل فعله في النفوس ، حيث يحطم حيويتها ، ويحطم القوة الداخلية الباعثة لعمل الجوارح ، والمحركة لقوى الانسان الخارجية ، وإذا تحطمت تلك القوة الداخلية توقف العمل (إن الدعوات حين يستولي على عناصرها اليأس من جدوى الانتشار فإن نشاطها يتوقف على قدر الامل في جدوى انتشار الدعوة تتحرك عناصرها ، ولكن مجرد هذا الشعور أيضاً خطر ، لأن اليقين بأن الدعوة تنتشر أي أن نكون مفعمين ومترعين بالامل فقط لن يكون كافياً ما لم يختلط بشعور آخر واضح محدد ، وهو مثلاً الخوف من التفريط في الأمانة .

ونمط النظام الذي يحكمه ، وتبين الاحكام الجزئية اللازم توافرها لبناء هياكل هذا النظام . ومن الأسباب المتعلقة بالمنهج العلمي فتتضمن النقاط التالية :

١- الإعراض عن العلماء .

٢- اتباع المتشابه وترك المحكمات .

٣- التأويل والتحريف .

٤- الاتجاه الظاهري في فهم النصوص .

٥- الاجتهاد من غير أهلية .

٦- الاعتماد على الحكايات والرؤى .

اما الأسباب المتعلقة بالمنهج العملي فهي :

١- الاستعجال

٢- التعصب :

الأسباب التربوية والنفسية

اولاً : الأسباب التربوية

١. اليأس

جاء اليأس في اللغة بمعنى : قطع الامل ، والقنوط هو نقيض الرجاء^(١٢٠) .

اما في الاصطلاح فقد عرفه المناوي بأن اليأس : « القطع بأن الشيء لا يكون ، وهو ضد الرجاء »^(١٢١) .

وهناك فرق بين اليأس والقنوط والخبية ،

٢. اتباع الهوى والشيطان :

الهوى لغة : مصدر قولهم : هوى يهوى ، وتدلل المادة التي اشتقت منها على الخلو والسقوط . . . ومن ذلك : الهواء بين السماء والارض سمي بذلك الخلو ، وكل خال هواء ، قال تعالى : « وأفئدتهم هواء » أي خالية لا تعي شيئاً^(١٢٣) . وذهب الراغب الى أنه مأخوذ من معنى السقوط فقط فقال : « وقبل سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الاخرة الى الهاوية »^(١٢٤) .

أما الهوى اصطلاحاً : قال الكفوي : « الهوى : ميل النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع »^(١٢٥) .

والبدع إنما تنشأ عن تقديم الهوى على الشرع ولهذا سمي أهلها أهل الاهواء والمعاصي وان المتأمل لحالهم يجد أن من أعظم إصرارهم على بدعهم : الهوى وما تميل اليه نفوسهم هذا من جانب ، ومن جانب آخر تجد أن منهجهم يقوم على اتباع الظن ، لأن اليقين في أمور الغيب والعقيدة ومصالح العباد في ما جاء عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ . وما عارض الوحي فهو محض ظنون وأوهام ووساوس .

٣. الجدل والمرء

الجدال لغة : مصدر قولهم : جادله يجادله جدالاً ومجادلة وهو مأخوذ من مادة (جدل) التي تدل على استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(١٢٦) .

اما في الاصطلاح : الجدل : دفع المرء خصمه عن افساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة ، والجدال عبارة عن مرء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها^(١٢٧) .

فالجدال من أسباب رواج الأهواء والبدع ، وخاصة المناظرات والجدل والتخاصم فيها علناً أمام الاحداث والعامّة والولوة والجهلة وضعاف الإيمان ، فضلاً عن أهل الزيغ والنفاق والزندقة ؛ فإنما يتغذون وتروج مذاهبهم بالجدال والخصومات ، ولذلك لم يعرف الجدل والخصومات في الدين إلا حينما ظهرت الفرق مثل الخوارج والقدرية وأهل الكلام ، لأن أهل الحق لا يمارون ولا يتخاصمون ولا يخاصمون في الدين ، وإن اختلفوا فيما يسوغ فيه الخلاف من الاجتهادات ، فإنهم لا يلجئون الى الخصومات والمرء ، وإذا وصل الخلاف الى المرء كفوا .

ثانياً : الأسباب النفسية

١. الاضطرابات النفسية والسلوكية :

ونقصد بالاضطرابات النفسية : هي أعراض أو أنماط نفسية ، سلوكية محددة تحديداً إكينيكاً دقيقاً تظهر شخصية الفرد وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالضغوط التي يتعرض لها في حياته الحاضرة مثل الوفاة الصادمة ، والالم المبرح ، والعجز أمام ظروف الحياة ، ومواجهة العقبات المستعصية^(١٢٨) .

وبهذا جعل علماء النفس التطرف حالة مرضية ، وذلك لأن (المجتمع يضم مجموعة من العادات والتقاليد ، والأفكار التي تسود الافراد الذين يتكون منهم ، فإذا ما خرج الافراد على هذه المعايير التي تسود مجتمعهم اعتبر سلوكهم شاذاً ومتطرفاً)^(١٢٩) .

أما ما يمارسه الشاذون عن منهج الله سبحانه وتعالى من حمل الامة على ما يريدون بالقتل والعبث بأحكام الدين وتكفير المجتمع واستحلال ما حرم الله تعالى ، فإنما يمثلون أنفسهم والتربية المعوجة التي قد تلقوها . وليس أصح من إطلاق تسمية (المعاقين) عليهم والإعاقة إما تكون جسدية وأما أن تكون في الفهم والتربية .

٢. الاضطرابات الانفعالية

تمثل الاضطرابات الانفعالية حالات تكون فيها ردود الأفعال الانفعالية غير مناسبة بالنسبة لمثيراتها بالزيادة أو النقصان فالخوف الشديد من مثير مخيف لا يعدّ اضطراباً انفعالياً بل يعدّ استجابة انفعالية وضرورية للمحافظة على الحياة . أما الخوف الشديد من مثير غير مخيف فإنه يعدّ اضطراباً انفعالياً^(١٣٠) .

ومن الاضطرابات الانفعالية التي يندرج تحتها بعض حالات الغلو والتطرف أو تكون سبباً له ما يعرف بعدم الاتزان الانفعالي أو عدم الاستقرار الانفعالي وكثرة التقلب^(١٣١) .

الأسباب الاجتماعية والعالمية

اولاً : الأسباب الاجتماعية

١. الحكم بغير ما أنزل الله في كثير من بلاد المسلمين :

الحكم لغة : مصدر قولهم : حكم يحكم حكماً ، وهو مأخوذ من مادة (حكم) التي تدل على المنع من الظلم ، وسميت حكمة الدابة بذلك لأنها تمنعها عن فعل ما لا يريد صاحبها ، يقال : حكمت الدابة واحكمتها إذا منعتها ، ويقال : حكم فلان في كذا ، إذا جعل أمره إليه ، والمحكم المجرب المنسوب الى

الحكمة .

وعلا صوتته ، فانعكس الوضع وانقلبت الآية ،
وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً .

وعليه فيمكن تبين أثر ترك هذه الفريضة
في حدوث تيارات التطرف وهو أنه رد فعل نفسي
نحو المعاصي ، فالفتنة إذا خرجت من بيتها
عفيفة محتشمة فهي متخلفة رجعية ، أما إذا
خرجت سافرة متبرجة فهي متحررة
تقدمية^(١٣٢) .

والحكم في الاصطلاح : هو سياسة الناس
والقضاء بينهم تدبير أمورهم طبقاً للأحكام
الشرعية .

فالحكم بغير ما أنزل الله ينشيء الإنسان
فاقد الولاء لمجتمعه الذي يعيش فيه ،
والأنظمة التي تحكمه ، حاقداً عليها ، متمرداً
ظاهراً وباطناً على كل ما فيها . ما لم يكن
منتفعاً شخصياً بتناقضاتها . وكذلك يساعد على
انتشار المبادئ والمعتقدات والأفكار الهدامة
من شيوعه ورأسمالية وغيرها ، لأن المواطنين
لم يكونوا محصنين ضدها بالعبقيدة الصحيحة
ولا يطبق عليهم النظام الرباني الصحيح للحياة
الذي يعيشون في ظله سعداء .

٣. الفساد الخلقى والسلوكي

لقد اهتم الاسلام بإقامة دعائم العفاف في
المجتمع . فحض على الاخلاق الحميدة ،
ونهى عن الاخلاق الرذيلة ، واهتم بإغلاق
أبواب الانحراف والفساد ، حتى أضحت سمة
العفاف سمة ملازمة للمجتمع المسلم الصالح
وللفرد المسلم الصالح .

٢. إهمال فريضة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر :

ومن القضايا التي اتهم فيها أناس بالتطرف
شواهد ظاهرة أنه (لا يستطيع المتدينون من
الشباب خاصة أن يستقبلوا مختلف الانتهاكات
والمبازل الاجتماعية أو الأخلاقية دون أن
يكون لهم موقف^(١٣٣) ، خصوصاً أنهم لا
يملكون حيال تغييرها قدرة ، ولذلك اندفعوا الى
القول بجاهلية المجتمع .

كرم الله سبحانه وتعالى الامة الاسلامية
فجعلها خير أمة أخرجت للناس ، وجعل مناط
هذه الخيرية متمثلاً في قيامها بواجب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر . فإهمال فريضة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدى الى
ضعف في الأمة الإسلامية وضياع من بين
أقدامها الطريق ، واستشرى الفساد في أرجائها

ولذا تعزز الاجراءات الامنية في محيطها^(١٣٤) .

٥. الحالة الاقتصادية الراهنة للعالم الإسلامي

لقد رسم القرآن الكريم منهجاً تجلت فيه الوسطية بكل معانيها فجعل الأنظمة الاقتصادية أنظمة شاملة وافية لحاجات البشر ، فأعطى المسلم الحق في التمتع بطيبات الحياة من طعام ولباس ، وأموال وبنين على أن يكون ذلك كله في إطار الحلال .

وعلى الرغم من الثورة الاقتصادية التي يمتلكها العالم الاسلامي من المواد الطبيعية الوفيرة ، والقدرة الإنتاجية العالية ، فإننا نرى اختلالاً كبيراً وتردياً للحالة الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية ، ومما لاشك فيه أن تردي الأوضاع الاقتصادية له تأثيره النفسي والاجتماعي ، فالغنى وسعة الرزق قد يفضي الى الأشر والبطر والترف والتمتع ، والفقر قد يفضي الى توتر النفس وعدوانيتها على الآخرين وتطلعها الى ما في أيديهم .

وحين يختل نظام العمل ويبنى على غير الشريعة في المجتمع المسلم تتور الضغائن والأحقاد وذلك حين يصبح العمل ليس ذا قيمة ، فيكون البعض ثروته بالطرق المحرمة .

٤- فساد كثير من وسائل التوجيه والتأثير

يتأثر الناس بجملة من وسائل التوجيه التي تشكل شخصية كل فرد من أفراد الأمة ، ولقد شهد العالم في القديم وسائل للتوجيه بدائية غير معقدة محدودة الاثر من جهة المكان والزمان والموضوع .

فوسائل الاعلام هي أشد فسادا في السينما والفضائيات والانترنت ويليها الاذاعة والصحافة ، وظهر حديثاً ما هو أخطر من كل ذلك وهو المهرجانات الدولية للسينما والمسرح والتي تقام في الدول العربية ، فصارت بعض الوسائل الإعلامية مدارس لتعليم العنف والجريمة والاخلاق الرذيلة . والدراسات الاجتماعية شاهد على ذلك .

كما أثر هذا الانحراف في نفوس الواقعين في التطرف ، فكان دافعاً من دوافعه اليه ، ومما يوضح ما للمجون والافلام الماجنة من أثر في هذه المشكلة أنه يعد من ضمن أحداث التطرف في الصحافة والابحاث حول موضوع : اعتراض المتهمين بالتطرف على بعض الافلام والمسلسلات ، كما أن المتهمين بالتطرف يجعلون من دور السينما والملاهي الليلة هدفاً لهجماتهم في بقاع كثيرة من العالم الاسلامي ،

٦. غياب الشورى

هي من أهم الدعائم والخصائص التي يقوم عليها النظام السياسي في المجتمع المسلم ، إنها صبغة الحياة الإسلامية في جميع المجالات ، وقد أمر الله عز وجل ، بها رسوله ﷺ وهو يوحي إليه من الله تعالى فقال سبحانه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٣٥) ، وليس أدل على ذلك من تعبير القرآن الكريم في السورة التي سميت بهذا المبدأ العظيم .

وأن أخذ الشورى مداها وتكلم الناس ، أهل الشورى ، بحريتهم وتجردهم وتعرض القضية للدراسة والحوار البريء وتناقش المناقشة العلمية الواعية وتأخذ حظها من تقليب وجهات النظر والاجتهاد الحر المتجرد ثم يلتزم الامر على ما يتفق عليه أهل الشورى أو أكثريتهم ، أما هذا فقد يحدث ولكنه قليل ونادر في الأمور غير الأساسية غالباً .

٧. انتشار العلمانية في كثير من البلاد الإسلامية

إن العلمانية تعني اللادينية وليست مأخوذة من العلم كما قد يتوهم وهي فصل الدين عن

المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الإنسان والله وهو ما يعرف باللاهوت . وهي تنتشر في كثير من الاديان باستثناء الاسلام لأنه دين عبادة ودين شريعة وأخلاق في نفس الوقت .

ثانياً : الأسباب العالمية :

١. سقوط الخلافة الإسلامية

إن أعظم الخسائر التي مني بها العالم الاسلامي هو سقوط الخلافة الاسلامية ، حيث أن الخلافة الإسلامية التي تمثل رمزاً من رموز وحدة المسلمين واجتماعهم ، وعلى الرغم من أن الخلافة منذ الخلفاء الامويين أضحت ملكاً جبرياً ، فلم تعد على منهاج النبوة إلا أن هذا المعنى ظل باقياً ، وظل الناس منطوين تحت لوائه (١٣٦) .

وقد كان لسقوط لخلافة العثمانية وقع في نفوس كثير من المسلمين ، وأخذ الناس اضطراب وذهول ، وانقسموا الى قسمين :

قسم تنادى لتأييد الخلافة والتنديد بمن اسقطوها ، وقسم هون من شأن الخلافة وبارك سقوطها (١٣٧) .

والمتمامل لكتابات من وقعوا في التطرف والغلو يجد أن مسألة الخلافة تأخذ حيزاً من

اولاً : الغزو الفكري :

ومن صوره : الطعن في الاسلام والتشكيك فيه ، فلقد حاول أعداء الاسلام التشكيك فيه منذ اللحظات الاولى لبزوغ فجره ، وذلك ما فعله مشركو قريش من اتهام المصطفى ﷺ وحاشاه بالسحر والجنون .

أما اليهود فلقد كان لهدد الدور الاكبر في هذا المجال ، فهذا حبرهم زيد بن اللصيب يتظاهر باعتناق الاسلام ، ليسهل له بث سمومه في المجتمع المسلم من داخله ، وقد حاول هذا اللعين القاء الشك في قلوب المسلمين اتجاه المصطفى (١٤٠) .

ثم توالى الايام والسنون الى أن ظهرت الدراسات الاستشراقية ، كأسلوب جديد ومنظم للحملة القديمة الهادفة الى الطعن في الاسلام والتشكيك في مبادئه ، مستترة هذه المرة خلف صور شتى منها :

- ١- السيطرة على برامج التعليم وتوجيهها توجيهاً علمانياً .
- ٢- نشر الكتب المفسدة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصلية .
- ٣- إلغاء المحاكم الشرعية ونشر القوانين الوضعية والاهتمام بتعليمها .

كتاباتهم ، كما يتضح جهلهم بتاريخ المسلمين حيث لم يشهد التاريخ منذ انتهاء الدولة الأموية وحدة العالم الإسلامي كله ، ووحدة المسلمين المطلوبة ، ولكن إصلاح الأمة لا يتوقف على ذلك ، بل الدعوى والتعليم والإصلاح واجبة حتى مع عدم وجود الخليفة والطاعة واجبة لولي الأمر المسلم في طاعة الله مهما كان مسماه (١٣٨) .

ثانياً : التآمر على الدين الاسلامي —

اتخذ هذا الجانب صوراً متعددة منذ صدور الاسلام وحتى وقتنا هذا ، فلقد كانت محاولات مشركي العرب البداية الاولى والصورة البدائية لهذه المؤامرات ، من محاولتهم قتل النبي ﷺ ليلة الهجرة المباركة ، الى حروبهم الكثير مع الفئة المسلمة الصابرة ، في بدر وأحد والأحزاب . . وغيرها .

أما اليهود فلهم في هذا المضمار باع طويل وقدم راسخة ، فاليهود حاولوا مراراً وتكراراً اغتيال النبي ﷺ ، فضلاً عن نقضهم العهد في أحلك الظروف وأقصى الازمان أثناء غزوة الخندق (١٣٩) .

وقد تشكل هذا التآمر في شكلين رئيسيين :

والأحداث التي دارت خلال العقدين الاخيرين ، وكان ضحيتها المسلمون ومنها : احتلال فلسطين وأفغانستان ، وكشمير وجنوب السودان وجنوب الفيليبين وتايلاند وما تعانیه هناك الشعوب المسلمة على يد البوذيين^(١٤٣) . ومثلها ما يحدث الآن في فلسطين والعراق ولبنان .

ولاشك أن هذا التآمر له أثره في نفسية كل غيور على دينه ، فإذا لم تكن تلك الغيرة مقترنة بالعلم الرشيد ، والعقل السديد ، فربما جرفت صاحبها الى دروب الغلو والتطرف والعنف ، وهذا الأثر يتفاوت بقدر ما تتسع مساحات الصراع وجهاته وأوانه تتسع موجات السخط خصوصاً إذ لم تجد مجالاً لرد الفعل الرشيد والسليم .

اثار التطرف على الحركة التجديدية للإسلام

اما عن الاثار الناتجة عن حركة التطرف والتي كما قلنا ان جذورها غربية وجاءت دخيلة على الاسلام والمسلمين فبالاكتفايد لها اثارا سلبية على عالمية الاسلام وحركاته التجديدية وانتشاره ذلك مما يراه الغرب من الصورة المشوهة عن الفكر الاسلامي الذي جسده

٤- انشاء المذاهب الهدامة كالماسونية والبهائية والقاديانية .

٥- توجيه الادب وجهة علمانية ، وتشويه التاريخ الاسلامي .

أما عن آثار هذه الحملات في المجتمعات الاسلامية ، فإنها قد أحدثت زلزالاً هائلاً ، تمثل في تغيير الكثيرين من المسلمين للإسلام ، وحصرهم له في أضيق نطاق ممكن ، وقطع أي صلة له بالحياة وشؤونها وقضاياها .

ثانياً : الغزوالعسكري :

والتي تمثلت بالحملات الصليبية القديمة والتي استمرت قرابة القرنين من الزمان^(١٤١) ، ٤٩٠ : ٦٦٩هـ - ١٠٩٦ : ١٢٧٠م ، ومن ثم الاجتياح التنري للعالم الاسلامي ، الذي سقطت به معظم بلاد الاسلام بأيديهم في سنة واحدة هي سنة ٦١٦هـ - ١٢١٩م^(١٤٢) ، واتبعها بعد ذلك الحملات الصليبية الجديدة (الغزو الاستعماري) الذي مثله كل من الاستعمار الصليبي : البريطاني ، والفرنسي ، والهولندي ، والاسباني والبرتغالي والروسي الصليبي ثم الشيوعي .

ويمكن ذكر جملة من الصراعات والحروب ،

رابعاً : الاثر السلبي على المنظومة الفكرية والاجتماعية . . . حينما يشق التطرف الفكري طريقه في المجتمع ويتحول من حالة فردية الى حالة مجتمعية قد تأخذ شكل تيار في المجتمع او فرقة او تنظيم او ماشاكل فانه يلعب دورا سلبيا في خلط الاوراق والتشويش على الحقائق وهذا ما يسبب اشكالية قد تتحول الى فتنة في المجتمع خامساً : الاثر السلبي للتطرف الفكري من وجهة نظر دينية

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] هنا يتبين ان الهدف من ارسال الرسل وانزال الكتب ووضع المعايير والقيم هو قيام الناس بالقسط

اما ما نلاحظه اليوم من مظاهر العنف والتفرقة والقتل على الهوية تقسيم الوطن الواحد وانتزاع الرحمة وتكثير الايتام والارامل والتشرد والنزوح . . . كل ذلك لا يمت الى تعاليم ومنهج وسلوك الاسلام القويم حيث تشير الاحصائيات ان عدد الارامل بالعراق تخطى المليون وهذا العدد بتزايد مستمر

اما عن حركة التهجير والنزوح الداخلي والخارجي الذي يشهده العراق اليوم نتيجة تنظيم داعش الارهابي ومن هم على ساكنته

البعض من المتطرفين واهم الاثار المحورية السلبية للتطرف هي . .

اولاً : لقد خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم وجعله سوي الخلقه سوي الذهن والادراك وميزه على باقي المخلوقات بالعقل والذي ينبغي ان يقوده الى الاستقامة في التفكير ولاشك ان التطرف الفكري يجعل الشخص خارجا عن الاستقامة اي انه مرض وحالة سقيمة تجعل الانسان في وضع غير سوي اما من ناحية دينية فان التطرف الفكري يؤدي الى انحراف الانسان عن المنهج الديني الصحيح ويجعله في معرض الحساب الدنيوي والاخروي وكفى بذلك خسرانا مبينا

ثانياً : الاثر السلبي على الامن المجتمعي لاشك ان التطرف الفكري يخل بالنظام الاجتماعي وبالامن المجتمعي لانه يستند الى معايير سلبية بحكم انحرافه عن الاعتدال في الفهم والاستقامة في التفكير فيشكل خطرا على العناصر المعيارية الايجابية التي هي الاساس في نظام اجتماعي مستقر وفي امن اجتماعي واقعي .

ثالثاً : اثره باعطاء الفرصة للعدو بمحاربة الاسلام باسم محاربة الارهاب

بآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُنْفَعُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزُنًا ﴿٤﴾

سادسا : ان التطرف والغلو هما خطر يهدد الحركة التجديدية للاسلام ويحول دون تقدم الانسان الى الامام لما له من اثر سلبي على الشعوب والبلدان .

من ميليشيات وعصابات ارهابية فهي حركة سببها التطرف الفكري المريض والفهم المخطوء للنصوص واعتماد العقل الاسقاطي والتصور الساذج للنصوص الدينية قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المصادر

- ١- الارهاب ، فرج فودة ، دار مصر الجديد - القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٢- اساس البلاغة / جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الطبعة الثانية مطبعة دار الكتب ١٩٧٢
- ٣- اسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام عز الدين أبي الحسن بن محمد الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) تحقيق : جليل مأمون شيما . ، دار المعرفة . بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م .
- ٤- الإسلام السياسي ، محمد سعيد العشماوي ، سينا للنشر - مصر ، الطبعة الأولى / ١٩٨٧ م .
- ٥- الأشباه والنظائر ، للعلامة زين الدين بن إبراهيم المعروف بأبن نجيم الحنفي (ت ٩٧٠هـ) ، تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م ، وأعاد طبعها ١٩٩٩ م .
- ٦- الاعتصام : الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
- ٧- الأعلام : خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين (بيروت - لبنان) ط / ١٥ - ٢٠٠٢ .
- ٨- أعلام المواقع عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بأبن القيم الجوزية ت (٧٥١هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . صيدا - بيروت . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
- ٩- البداية والنهاية ، أبي الفداء الحافظ أبن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) وثقه وقابل مخطوطاته : علي محمد معوض ، عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية / ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م .
- ١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت ٨١٠هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، (بلا - ت)
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس للأمام : محب الدين ابن أبي قبض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي . دار الفكر .
- ١٢- التطرف الديني ، محاضرات الندوة الفكرية الثالثة التي أقامتها كليه الشريعة بجامعة بغداد في ٣١ / ٣ / ١٩٨٦ م . د . سعدون محمود ساموك ، د . قحطان عبد الرحمن الدوري ، د . رشدي محمد عليان ، اصدار مجلة الرسالة الإسلامية .

- ١٣- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ : أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الصفا ، مطبعة دار البيان الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- ١٤- التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) تحقيق : د . محمد رحنوان ، دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر - بيروت - دمشق ، الطبعة الأولى / ١٤١٠هـ .
- ١٥- ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات . موسى إبراهيم الابراهيم . دار عمار - الأردن الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- ١٦- الحكم وقضية تكفير المسلم . سالم البهنساوي ، دار البحوث العلمية . الكويت .
- ١٧- الخمينية وصلتها بمركات الغلو الفارسية وبالارث الباطني د . فاروق عمر فوزي . مطبوعات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعي
- ١٨- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، احمد محمد جلي السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
- ١٩- دلائل واشادات على كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب تأليف الشيخ صالح بن محمد الأسمرى . مكتبة اضواء السلف ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ٢٠- الدوافع والانفعالات ، محمد مصطفى زيدان ، شركة مكنتبات عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٢١- الزواجر عن اقتراف الكبائر لأبي العباس احمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٤هـ) ، علق عليه : محمد طير طعمة حلي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٢- السيرة النبوية لأبن هشام ، حققها وضبطها وشرحها : مصطفى السقا ، إبراهيم الأنباري ، عبد الحفيظ الشلي ، دار الخير ، الطبعة الخامسة / ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
- ٢٣- شرح عقائد الصدوق / للشيخ المفيد (محمد بن النعمان) الطبعة الثانية ، مطبعة رضائي (١٣٧١هـ)
- ٢٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأسماعيل بن حماد الجوهري ت (٣٩٣هـ) تحقيق : احمد عبد الغفور عطار الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م - القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . بيروت . دار العلم للملايين - بيروت .
- ٢٥- الصحة النفسية ، دراسة في سيكولوجية التكيف ، تأليف نعيم الرفاعي مطبعة ابن حبان ، الطبعة الخامسة / سنة ١٩٧٩م .
- ٢٦- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، د . يوسف الغرضاي ، مطابع الدوحة الحديثة بلا (ط - ت)
- ٢٧- الصلة بين التصوف والتشيع . أ . د . كامل مصطفى الشبيبي . الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٨٢ .
- ٢٨- طبيعة الدعوة العباسية ، د . فاروق عمر ، الطبعة الثانية / بغداد ، ١٩٨٨م .
- ٢٩- علم النفس الشواذ والاضطرابات العقلية والنفسية ، د . قاسم حسين صالح ، مطبعة جامعة صلاح الدين ، اربيل الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- ٣٠- العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ، عبد الكريم مشهداني ، نشر المكتبة الدولية ، الرياض ،

- ومكتبة خافقين - دمشق ، الطبعة الأولى / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٣١- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة . عبد الرحمن بن معلا اللويحي . مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م . بيروت - لبنان .
- ٣٢- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ، د . عبد الله سلوم السامرائي . دار واسط للنشر
- ٣٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام المحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢هـ . الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
- ٣٤- فضائح الباطنية : أبو حامد الغزالي . تحقيق عبد الرحمن بدوي . دار القومية . القاهرة . ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
- ٣٥- قاموس المحيط للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . دار الفكر - بيروت (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
- ٣٦- الكامل في التاريخ للشيخ عز الدين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الاثير . دار بيروت . ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- ٣٧- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية / للشيخ أبي حاتم الرازي تحقيق ، د . عبد الله سلوم السامرائي . ذيل كتاب الغلو و الفرق الغالية . دار واسط للنشر .
- ٣٨- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية / للشيخ أبي حاتم الرازي تحقيق ، د . عبد الله سلوم السامرائي . ذيل كتاب الغلو و الفرق الغالية . دار واسط للنشر
- ٣٩- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) تحقيق : د . مهدي المخزومي ، د . إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، ١٩٨٢م ، العراق .
- ٤٠- كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ الأجل المولوي محمد أعلى بن علي القهناوي . دار صادر - بيروت .
- ٤١- الكلمات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لآبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م . مؤسسه الرسالة - بيروت . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ٤٢- لسان العرب للعلامة : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقيسي المصري . دار الفكر - بيروت .
- ٤٣- لوامع الأنوار وسواطع الأسرار الأثرية ، محمد بن احمد السفاريني ، مؤسسة الخافقين - دمشق سوريا - الطبعة الثانية - ١٤٠٢هـ .
- ٤٤- ما لا يسع المسلم جهله : د . عبد الله المصلح ، د . صلاح الصاوي ، دار اشبيلية - السعودية - الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٤٥- مجلة المجتمع ، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت ، الأعداد ٩٤٢ - ٩٤٨ .
- ٤٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي . المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .
- ٤٧- معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، دار المستشرقين . بيروت . لبنان (٢٠ جزء) .
- ٤٨- معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦ . دار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٩٤م .

- ٤٩- معجم التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ - ١٤١٣م) تحقيق : محمد صديق المنشاوي . دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
- ٥٠- معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية) تأليف : عمر رضا كحالة . دار احباء التراث العربي . بيروت - لبنان .
- ٥١- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين احمد بن فارس بن زكريا تحقيق : عبد السلام محمد هارون - دار الفكر .
- ٥٢- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت - لبنان .
- ٥٣- المقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون دار صادر - بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٥م - ١٤٢٥هـ .
- ٥٤- ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية . رعد الحيايى ، إبراهيم النعمة ، بغداد ، شركة الخنساء للطباعة ، ١٩٩٦م .
- ٥٥- الملل والنحل لأبى الفتح محمد بن عبد الكرىم بن أبى بكر احمد الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) تحقيق أمير علي مهنا . علي حسن فاغور . دار المعرفة ، بيروت - لبنان . الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- ٥٦- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية - بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامى . المعهد العالمى للفكر الإسلامى - الولايات المتحدة الأمريكية الطبعة الأولى ١٤١٢ - ١٩٩٢م .
- ٥٧- الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين ، باشراف : روزنتل ، يودين ، ترجمة : سمير كرم ، دار الطليعة - بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٤م
- ٥٨- الموسوعة المبصرة فى الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، د . مانع بن حماد الجهني ، دار الندوة العالمية ، ط . ١٤٢٤/٥هـ - ٢٠٠٣م) .
- ٥٩- النظام الدولى الجديد بين الواقع الحالى والتصوير الإسلامى ، ياسر أبو شبانه ، دار السلام للطباعة والنشر .
- ٦٠- وعرفت الاخوان ، د . محمود جامع دار التوزيع والنشر - القاهرة ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

الهوامش :

- [١] معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة (طرف) . (٤٤٧/٣) .
- [٢] أورده الزبيدي فى تاج العروس مادة طرف . (١٧٩/٦ - ١٨٠)
- [٣] هو شمر بن حمدوية الهروي بن عمرو : لغوي اديب من خراسان واخذ من علمائها توفي عام ٢٥٥ هـ . ينظر : معجم الادباء ، ياقوت الحموي . (٢٧٤/١١) والاعلام (١٧٥/٣) .
- [٤] نقلا عن : تهذيب اللغة ، الازهري . مادة طرف دار القومية العربية . مصر . (٣٢٤/١٣)
- [٥] القاموس المحيط ، الفيروز ابادي . مادة طرف . (١٦٨/٣) .
- [٦] هو محمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الشيرازي الفيروز ابادي من أئمة اللغة والأدب ولد بشيراز ورحل فى الأقطار وولى قضاء زبيد وكان مرجع أهل عصره فى العلوم واشهر كتبه : بالقاموس المحيط توفي عام ٨١٧هـ .

- ينظر : البدر الطالع ، الشوكاني . ٧٩٨ والأعلام (١٤٦/٧) .
- [٧] قاموس المحيط مادة طرف (١٦٧/٣)
- [٨] علي بن أسماعيل وقيل أبين احمد المعروف بأبن سيدة أبو الحسن : إمام في اللغة وادبها ولد بمرسيه من بلاد الاندلس له مؤلفات عده اشهرها المخصص توفي عام ٤٥٨هـ . ينظر معجم الادباء (٢٣١/١٢) والأعلام (٢٦٣/٤) .
- [٩] الزبيدي : مادة طرف . (١٨١/٦)
- [١٠] الزبيدي : مادة طرف . (١٧٦/٦)
- [١١] هو الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب والاصفهاني (ابو القاسم) اديب لغوي حكيم مفسر من تصانيفه الكثيرة : تحقيق البيان في تأويل القران ، الذريعة الى المكارم الشرعية وغيرها ينظر معجم المؤلفين عمر رضا كماله . (٥٩/٤)
- [١٢] راغب الاصفهاني ، المفردات : مادة طرف (٣٠٢) .
- [١٣] المعجم الوسيط . مادة طرف ٥٦١/٢
- [١٤] يوسف القرضاوي الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢٣
- [١٥] دلائل وإشارات على كشف الشبهات ، صالح بن محمد الاسمري ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، مكتبة الأضواء ، ص ١٧ .
- [١٦] الاعتصام ، الشاطبي ، المكتبة التجارية ، (٣٠٤/١) .
- [١٧] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أبين حجر العسقلاني : (٣٤٤/١٣) .
- [١٨] الغلو والفرق الغالية ، عبد الله سلوم ، ص ١٥
- [١٩] الخمينية وصلتها بمركات الغلو الفارسية وبالإرث الباطني ، فاروق عمر ، ص ٢٧ .
- [٢٠] المقدمة : ابن خلدون : ص ١٤٩ .
- [٢١] شرح عقائد الصدوق ، الشيخ المفيد : ص ٦٣ .
- [٢٢] الغلو والفرق الغالية ، عبد الله سلوم : ص ٧٣ .
- [٢٣] خراسان : هي بلاد واسعه أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا وذلك سنة (٣١هـ) أيام عثمان . سميت خراسان لزول سام بن نوح بها وأهلها أشد طاعة وأكثر تعظيما للسلطان ينظر معجم البلدان (٣٥٤-٣٥٠/٢) .
- [٢٤] التطرف الديني ، رشدي محمد عليان ، ص ٥٢ .
- [٢٥] التطرف الديني ص ٥١-٥٢
- [٢٦] ينظر : خالد محمد خالد مجلة العربي ٢٧٨ ص ٥٢ .
- [٢٧] ينظر : خالد محمد خالد ، مجلة العربي العدد ٢٧٨ ص ٥٣ .
- [٢٨] هو فرج علي فودة ، كاتب مصري ، حاصل على دكتوراه في الفلسفة الزراعية من جامعه عين شمس عام ١٩٨١م له كتب عدة معظمها في نقد الصحة الإسلامية المعاصرة ، ومحاربة تطبيق الشريعة الإسلامية ، ينظر الإرهاب ، ص (١٢٧) .
- [٢٩] شارك في الندوة أقطاب الاتجاه العلماني وهم : د . فؤاد زكريا ، د . لطفي الخولي ، د . حيدر رأفت ، د . محمد

- نور فرحات ، د . طاهر حكيم ، دفرج فوده ، د . رؤوف عباس ، د . الحبيب الجنحاني ، د . يونان لبيب رزق . وفي الندوة تصريح بين المشاركين فيها يمثلون الاتجاه العلماني .
- [٣٠] ينظر : فرج فودة ، الإرهاب ص ٣٤ .
- [٣١] د . فؤاد زكريا : من أقطاب العلمانية مهتم بنقد الصحوة الإسلامية المعاصرة من كتبه الحقيقية والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة يعمل أستاذاً في جامعة الكويت ومستشاراً لسلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت .
- [٣٢] ينظر فرج فودة ، الإرهاب ص ٤٨ .
- [٣٣] هو محمد سعيد العشماوي رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر ، تدرج في العديد من المناصب القضائية ، وحاضر في العديد من الجامعات الأمريكية ، وهو من أشد المناوئين لتطبيق الشريعة الإسلامية ، ينظر : غلاف كتابه (الاسلام السياسي) .
- [٣٤] الغلو في الدين ص ١٦٤ .
- [٣٥] ينظر مجله فكر ، ندوة التطرف ، ص ٦٧ .
- [٣٦] المصدر نفسه ص ١٦٥ .
- [٣٧] ينظر جريدة الأهرام ، عدد ١٩٨٨/٦/١٢ .
- [٣٨] سعد الدين إبراهيم ، ولد بالمنصورة عام ١٩٣٨م تعلم بالجامعات المصرية وحصل على الدكتوراه من جامعة بأمریکا في الاجتماع السياسي عام ١٩٦٨م ينظر غلاف كتابه مصر تراجع نفسها .
- [٣٩] مصر تراجع نفسها ، سعد الدين إبراهيم ص ١٥
- [٤٠] مصر تراجع نفسها ، سعد الدين إبراهيم ص ١٥
- [٤١] الغلو في الدين ص ١٦٨ .
- [٤٢] ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية ومؤامرات الغرب ، إبراهيم النعمة ص ٣٥ .
- [٤٣] الأصولية ، جيمس بار ، ص ٣ .
- [٤٤] ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية ، إبراهيم النعمة ، ص ٣٥ ، نقلا عن باول شمتر : الاسلام قوة الغد العالمية ، ص ٢٤ .
- [٤٥] ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية ، ص ٣٦ .
- [٤٦] دانييل بابير : الزميل الزائر بجامعة هارفرد لدراسات الشرق الأوسط كان قد عمل مستشارا للخارجية الأمريكية ومديرا لمؤسسة بحوث السياسة والخارجية في فيلادلفيا من المهتمين بشؤون الشرق الأوسط . ينظر مجله المجتمع عدد ٩٤٢ ص ٣٩ .
- [٤٧] عبد الرحمن اللويحي الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، ص ١٨٠ .
- [٤٨] المرجع السابق ص ١٨٠ .
- [٤٩] هو اوغسطس ريتشارد نوتن أستاذ في قسم العلوم الاجتماعية بالاكاديمية العسكرية في نيويورك حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعه شيكاغو وعرف بكتاباتاته عن التطرف الديني والسياسي في الشرق الأوسط ، ينظر مجله المجتمع ، عدد ٩٤٨ ص ٣١ .

- [٥٠] الغلو في الدين ص ١٨٠ .
- [٥١] المصدر السابق عدد ٩١٩ ص ٤٤ .
- [٥٢] ينظر : عبد القادر طاش ، التطرف الاسلامي وهم أم حقيقية جريدة عكاظ عدد ٨٤٥٩ .
- [٥٣] الغلو في الدين ، ص ١٨٢ .
- [٥٤] هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي ، الإمام المشهود له برسوخ القدم في علوم النقل والعقل . ولد في حران عام ٦٦١هـ وتحول الى دمشق ، نبغ واشتهر وأصبح مرجعا للفتوى ، وأفقت في مسائل أوذى من اجلها وسجن أكثر من مرة ومات في السجن عام ٧٢٨هـ ، ينظر الأعلام : (١٤٤/١) .
- [٥٥] لغلو والفرق الغالية (٧٤) نقلا عن كتاب ابن تيميه : الحسبة في الاسلام (٣٧) .
- [٥٦] الغلو والفرق الغالية : عبد الله سلوم ص ٧٤ .
- [٥٧] سورة البقرة / الآية : ١١٦ .
- [٥٨] سورة التوبة / الآية : ٣٠ .
- [٥٩] سورة النساء / الآية ١٧١ .
- [٦٠] سورة آل عمران الآية : ٧ .
- [٦١] هو ذو الخويصرة التميمي قيل ان اسمه حرقوص بن زهير ، ذكره الطبري من الصحابة وكان من خبرة ما روي في الأحاديث التي بينت اعتراضه على قسمة رسول الله ﷺ وذكر الطبري انه شارك في فتوح العراق ثم صار مع الخوارج فقتل معهم ينظر البداية والنهاية (٣٩١/٤ - ٣٩٢) . وينظر أسد الغابة : (٤٤٨/١) .
- [٦٢] رواه البخاري (٢١/٩) كتاب استنباه المرتدين والمعاندين وقتلهم باب ترك قتال الخوارج للتأليف وان لا ينفر الناس عنه ومسلم (٧٤١/٢) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتها .
- [٦٣] الغلو والفرق الغالية : عبد الله سلوم ، ص ٧٤ .
- [٦٤] الملل والنحل الشهرستاني ج ١/ص ٣١ .
- [٦٥] المقدمة ابن خلدون ص ١٤٩ .
- [٦٦] الحميمية وصلتها بمحركات الغلو الفارسية وبالارث الباطني : فاروق بن عمر فوزي ، ص ٢٨ .
- [٦٧] ابن حزم : ج ٢/ص ١١٥ .
- [٦٨] مقابسات : مجلة فكرية : د . كامل مصطفى الشبيبي ، السنة الأولى العدد الأول ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .
- [٦٩] مقابسات : كامل مصطفى ، ص ٢٨٣ .
- [٧٠] المغيرية تنسب إلى المغيرة بن سعيد العجلي ، واتخذ من الدعوة إلى آل البيت ستارا لحركته المتطرفة وادعى لنفسه الإمامة ثم النبوة وغلا في علي فجعله فوق البشر ، وتعتبر المغيرية أول حركة منظمة غالية في العراق . ينظر : ينظر : الملل والنحل (٢٠٧/١) .
- [٧١] المنصورية نسبة إلى أبي منصور العجلي وسارت هذه الحركة على خطأ المغيرة ونادى بأغلب الآراء المتطرفة التي نادى بها المغيرة ، وجاءت هذه الفرقة بفكرة النبوة المستمرة تهدف لضرب الإسلام باستحلال الحرام وتحرير الحلال . ينظر : الملل والنحل (٢٠٩/١) .
- [٧٢] البيانية : نسبة إلى بيان بن سمعان التميمي ، قال بالحلول أي ان روح الله قد حلت في علي بن ابن طالب

استعمل مبدأ التأويل ففسر آيات القرآن لتأييد حركته وقد صلب في الكوفة مصيرة مصير المغيرة بن سعيد العجلي . ينظر : الملل (١٧٦/١) .

[٧٣] الخطابية : نسبة إلى أبي الخطاب محمد بن زينب الاسدي ، وكان يقول بالوهية جعفر الصادق . ينظر : الملل (٢١٠/١) .

[٧٤] الخمينية وصلتها بحركات الغلو الفارسي وبالارث الباطني : فاروق عمر فوزي .

[٧٥] الخرمية : فرقة دينية سياسية فارسية ، وهو أسم مشتق من (خوم-دين) وهو تعبير يعني الدين الممتع وترتبط بفرقة باطنية تسمى (خرمدينية) يشيعون شهواتهم دون وازع او قيد ويحللون المحرمات . كان هدفها هدم الدين الاسلامي ودولته على حد سواء .

[٧٦] الخداشية : نسبة الى عمار بن يزيد الملقب بخدش ، عمل على نشر مبادئ غالية متطرفة ، وقيل انه أول من بشر بمذهب الباطنية .

[٧٧] الراوندية : نسبة الى عبد الله الراوندي ، وزعمت هذه الفرقة أن الروح التي كانت في عيسى عليه السلام صارت في علي ابن ابي طالب ثم في الائمة من بعده وقد استحلوا المحرمات . وقد قتل وصلب الكثير منهم في زمن ابي جعفر المنصور . ينظر كتاب الزينة للرازي ، (٣٠٠) .

[٧٨] طبيعة الدعوة العباسية ، فاروق عمر ، الطبيعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ١٠٧ .

[٧٩] الإسماعيلية : تنسب الى ابي الخطاب الاسدي ظهرت أواخر العصر الأموي في الكوفة وقالت هذه الطائفة بالوهية جعفر الصادق وقالوا : (أن عبادة الأئمة واجب) وقد أحلت المحارم وتركزت الفرائض . ينظر الغلو والفرق الغالية (١٠٥) .

[٨٠] القرامطية : وهي جزء من الحركة الإسماعيلية وقالت : أن محمد بن إسماعيل لم يميت وأنتظرت رجعتته وقالت بمهديته / ومؤسسها (قرمط) من قرى الكوفة كان هدفها إحلال نظام سياسي وعقيدة دينية جديدة بدله . ينظر الغلو والفرق الغالية ، (١٠٩-١١١) .

[٨١] الحشيشية : سميت بهذا الاسم لتعاطيهم منقوع الحشيش المخدر بأمر زعيمهم الحسن بن صباح وهي منشقة عن الإسماعيلية . الغلو والفرق الغالية ، (١٠٥) .

[٨٢] الدرور : حركة انشقت عن الإسماعيلية سنة ٤١١هـ . واعتقدت بالوهية الحاكم بأمر الله العبيدي وكانت هذه الحركة على يد حمزة بن علي الزوزني ، وكانت هذه الفرقة تقول بالحلول كسابقتها من الفرق . ينظر الموسوعة الميسرة (٣٩٧/١) .

[٨٣] فضائح الباطنية : الغزالي ص ١١-١٦-١٧ .

[٨٤] التصيرية : نسبة إلى محمد بن نصير بدأت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وكان يدعى انه نبي بعثه أبو الحسن العسكري وكان يقول بالتناسخ والغلو في ابي الحسن ويقول بأباحية المحارم . ينظر الموسوعة الميسرة (٣٩٠/١) .

[٨٥] الحروفية : تأسست على يد فضل الله بن عبد الرحمن كانت تتستر وراء رموز صوفية وتأويلات فلسفية غامضة وكانت ذات أهداف سياسية دينية معادية للإسلام وبديلة له . موسوعة الفلسفة والفلاسفة (١/٥١٣-٥١٤) .

- [٨٦] الصوفية : تنسب الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي ولم تكن هذه الحركة في البداية ذات طموحات سياسية ثم تغير مسار هذه الحركة وأهدافها على يد جنيد بن علي الصفوي ، وكانت تعاليمها مشابهة لتعاليم الباطنية . ينظر الموسوعة الميسرة (٨٦٩/٢)
- [٨٧] الشيخية : مؤسسها أحمد بن زيد الدين الاحسائي والذي كان يتظاهر باتباع عقيدة الأمامية ولكنه كان متأثراً بالأفكار الصوفية الفارسية وغيرها من العقائد المجوسية ودعا الى آراء جديدة بعيدة عن الاسلام . ينظر الموسوعة الميسرة (١٠٨٣/٢)
- [٨٨] البابية : نسبة الى محمد رضا الشيرازي والذي أعلن نفسه مهدياً سنة ١٨٤٤م في شيراز ولا تختلف هذه الحركة في طبيعتها من غيرها من الحركات الباطنية . وقد ادعى أنه نبي وأنه أفضل من محمد . ينظر الموسوعة الميسرة (٤١٥-٤٠٩/١)
- [٨٩] البهائية : وهي بزعامة حسين علي المازدراني ، وهي حركة دينية وسياسية ذات طبيعة باطنية مغالية هدفها هدم الاسلام وشريعته واستبدال دين جديد خليط متناقض من الفلسفات الباطنية والصوفية القديمة . ينظر الموسوعة الميسرة (٤١٥-٤٠٩/١)
- [٩٠] القاديانية : نسبة الى مؤسسها أحمد مرتضى القادياني ، وهي حركة باطنية مغالية ، ولدت هذه الحركة في ظل الاستعمار البريطاني في الهند وكانت تستند على مبادئ الحلول والتناسخ والتأويل . ينظر الموسوعة الميسرة (٤١٦/١)
- [٩١] ينظر : دراسة عن الفرق ، احمد محمد جلي ، ٨٩ . حوار لا مواجهة : كمال ابو احمد ، ٦٧ الحكم وقضية تكفير المسلم ، ٧٧ .
- [٩٢] ينظر : وعرفت الاخوان ، محمود جامع ، (٣١٠) .
- [٩٣] الغلو في الدين ، (٩٨) .
- [٩٤] الحكم وقضية تكفير المسلم ، سالم البهنساوي ، ص ١٧٩ .
- [٩٥] المصدر السابق ص ١٧٩ .
- [٩٦] الغلو في الدين ص ٩٩ ، نقلا عن محمد سرور بن ثابت ، الحكم بغير ما انزل الله وأهل الغلو ص ٢٦٠ .
- [٩٧] الغلو في الدين ص ١٠٠ .
- [٩٨] الغلو في الدين : عبد الرحمن اللوحيق ص ١٠٠ .
- [٩٩] دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، د . احمد محمد جلي (٤٧)
- [١٠٠] مقاييس اللغة لابن فارس (٤٨٩/١) .
- [١٠١] المصباح المنير : ١١٣/١ .
- [١٠٢] معجم والتعريفات للجرجاني ٧٢ .
- [١٠٣] التوقيف : ١٢٣ .
- [١٠٤] الاشباه والنظائر لابن نجيم ٣٠٣ .
- [١٠٥] مشكلة الغلو في الدين / عبد الرحمن اللويحيف : ٧٩/١ .
- [١٠٦] لوامع الانوار : السفاريني : ٢٠/١ .

- [١٠٧] أعلام الواقعيين عن درب العالمين : ابن قيم الجوزية : ٦٩/١ .
- [١٠٨] مصباح المنير ، الفيومي (٥٠٤/٢-٥٠٥) .
- [١٠٩] العين الفراهيدي (٥٤/٥) ، أساس البلاغة للزمخشري : ٢٥٥ . لسان العرب ٣/٣٥٣ .
- [١١٠] الحاشية على مختصر أبن الحاجب للفتازاني ، (٥/٢) .
- [١١١] المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، ٢٥٨ .
- [١١٢] ينظر : كشف اصطلاح الفنون ، القهناوي ٢/٧٥٩ .
- [١١٣] سورة المائدة ، الآية ٤٨ .
- [١١٤] ينظر مذكرات في مصادر التشريع الإسلامي وطرق استنباط الأحكام .
- [١١٥] ما لا يسع المسلم جهله ، د . عبد الله المصلح ، صلاح الصاوي ، ١٠٩ .
- [١١٦] سورة يوسف ، الآية ٢ .
- [١١٧] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٦/٤) .
- [١١٨] المنهجية الاسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ، محمود ابو السعود ، ط ١ ، ١٤١٢-١٩٩٢م ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، ج ٣٩/٢ . وينظر الموسوعة الميسرة (٢/١١٥٤) .
- [١١٩] المصدر السابق ، ٣٩/٢ .
- [١٢٠] مقاييس اللغة ، ١٥٣/٦ ، ينظر الصحاح للجوهري ٣/٩٩٢ ، لسان العرب لابن منظور ، ٦/٢٥٩ .
- [١٢١] التوقيف ، ٣٤٦ .
- [١٢٢] ينظر الزواجر ، لابن حجر المكي ، ١/١٩٢ .
- [١٢٣] معجم مقاييس اللغة ، ١٦/٦ .
- [١٢٤] المفردات (٥٤٨) وينظر : بصائر ذوي التمييز (٣٥٩/٥) وما بعدها .
- [١٢٥] الكليات (٩٦٢) وينظر أيضاً المناوي في (التوقيف على مهمات التعاريف) ، ٣٤٤ .
- [١٢٦] معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ١/٤٣٣ ، مادة جدل .
- [١٢٧] معجم التعريفات للجرجاني ، ٦٧ .
- [١٢٨] علم النفس الشواذ والاضطرابات العقلية والنفسية / قاسم حسين صالح / مطبعة جامعة صلاح الدين / ٤١ .
- [١٢٩] الصحة النفسية ، دراسة في سيكولوجية التكيف ، نعيم الرفاعي ، مطبعة ابن حبان ، ط ٥ ، سنة ١٩٧٩م ، ص ٤٢٤ .
- [١٣٠] مشكلة الغلو في الدين / ٣٣٩/١ .
- [١٣١] الدوافع والانفعالات / محمد مصطفى زيدان : ٩٥ .
- [١٣٢] النظام الدولي الجديد : ياسر أبو شبانه / ٦٩٠ .
- [١٣٣] مشكلة الغلو في الدين / ٥٣٣/٢ .
- [١٣٤] ينظر جريدة الرياض / ٩٠١٩ ، ٩/١١/١٤١٣هـ .
- [١٣٥] سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .
- [١٣٦] مشكلة الغلو في الدين : عبد الرحمن اللويحي : ٦٥٥/٢ .

- [١٣٧] العلمانية وآثارها على الاوضاع الإسلامية في تركيا ، عبد الكريم المشهداني ، ص ٢٦٢-٢٧٠ .
- [١٣٨] مشكلة الغلو في الدين : عبد الرحمن اللويحي : ٦٥٦/٢ .
- [١٣٩] النظام الدولي الجديد : ياسر ابو شبانه ، ص ٧٠٠ .
- [١٤٠] ابن هشام : السيرة (١٢٩/٢) .
- [١٤١] للوقوف على تفاصيل الحملات الصليبية ، ينظر : الكامل : لأبن الاثير ، مجلد ٧ ، البداية والنهاية : المجلد ١٢ .
- [١٤٢] للوقوف على التفاصيل أيضاً يراجع الكامل : مجلد ١٢ ، والبداية والنهاية : مجلد ١٢ .
- [١٤٣] ثقافة المسلم بين الاصالّة والتحديات : موسى إبراهيم ، ص ٢١٨ .

محمود محمد عبيد الجبوري
جامعة الموصل / كلية الآداب

المعطيات الحضارية لعالمية الإسلام ودورها في ارساء قيم التعايش السلمي

تمهيد :

ان رسالة الإسلام عالمية تعم كل زمان ومكان ورحمته تشمل العالمين ، كقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^(١) . وقوله تعالى ، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

وبعد الدين الاسلامي نظاما إجتماعيا شاملا لكل جوانب الحياة وقضايا المجتمع ، فهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الامور الدينية والدينيوية الا بينها ووضع لها القواعد والأسس التي تحكمها وتنظمها ، سواء كانت ظاهرة دينية أم ظاهرة دنيوية اجتماعية . فهو لا يترك أي جانب من هذه الجوانب بلا تنظيم وإحكام . انما كل شئ فيه موضح ومفصل تفصيلا عاما تارة وتفصيلا دقيقا تارة أخرى لقوله تعالى في محكم التنزيل ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾^(٣) .

نقل الرسول ﷺ قومه من شعار القبيلة والتهيئة لها ، إلى شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد ، فلقد قالت الصحيفة عنهم : أنهم « أمة واحدة » ، وقد جاء به القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾^(٤) .

الجزيرة

بخطاب الناس جميعاً ودعاهم إلى تقوى الله وطاعته بعد أن أنشأهم من أصل واحد وهو آدم عليه السلام أبو البشرية وأوجد من تلك النفس الواحدة زوجها وهي حواء قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً . . . ﴾^(٨) . وإن حقيقة تعدد الشعوب والأمم الغرض منها التعارف والتعاون بين البشر قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٩) ، وبهذا يؤكد على مبدأ التقوى ، وهو ما يسعى لتحقيقه الإسلام ، لأن أصل الجميع واحد ، فالناس أمام الله متساوون .

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في حجة الوداع التي أصبحت ولا زالت دستوراً للمسلمين من بعده بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كَلِمَكُمْ لَأَدَمَ وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . . ﴾^(١٠) .

ومجتمعنا اليوم بحاجة ماسة الى غرس قيم ومتطلبات السلام والتعايش السلمي من خلال مبادئ عالمية الاسلام للنهوض بالامة الاسلامية ، وإشاعة قيم السلام والحوار والتسامح والمحبة والالفة بين ابناء المجتمع ،

وبهذه الحكمة ، وبهذا التدبير أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد مجتمع جديد ، كانت صورته الظاهرة بياناً للمعاني التي كان يتمتع بها أولئك الأمجاد بفضل صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهدهم بالتعليم والتربية ، وتزكية النفوس ، والحث على مكارم الأخلاق ، ويؤدبهم بأداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة^(٥) .

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾^(٦) ، فكان من خصائصه عليه الصلاة والسلام ، ختمه للرسالات السماوية ، وعموم رسالته . وختم الرسالة وعموميتها مقتضيان لأبديتها وبقائها ، لتؤدي دورها في هداية الإنسان وسيادة الحضارة الإسلامية ، فكانت النهضة الواسعة ، المؤذنة بتجديد أمر الدين ، على سنة الله الماضية في القرون المتوالية : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٧) .

وقد أقر الإسلام الوحدة الإنسانية بين البشر في أصل الخلق ، فأحكام الإسلام تخاطب الإنسانية جمعاء بخطاب واحد لا على أساس الألوان والأجناس ، ولكن على أساس العدل والمساواة والفضيلة . فقد افتتح الله سورة النساء

لقد اتجهت الاديان السماوية لاقرار القيم التي تعزز الشعور بالحرية والكرامة والمساواة ، ومحاربة كل المظاهر السلبية التي تكرس الظلم والاستعباد .

وجاء الترغيب والترهيب في جميع النصوص الدينية لتكريس القيم الفاضلة في التعامل الانساني^(١١) ، سواء على صعيد العلاقات الاسرية أم على صعيد الانظمة الاجتماعية وكانت لفظة الظلم هي النقيض الحتمي لكل دعوة دينية وهي اللفظة المكروهة والمنبوذة في القيم المستمدة من تعاليم الاديان السماوية^(١٢) .

عالمية الاسلام والتعايش السلمي : —

لقد قامت الأدلة على عالمية الرسالة الإسلامية منذ العهد المكي في تنزيل القرآن العظيم قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾^(١٣) ، وقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^(١٤) .

وكان الرسول ﷺ رسولا للعالمين ، ورسالته رسالة عالمية : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(١٥) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(١٦) ، ﴿ وَمَا

فالسلام هو النبع الاصيل لاعادة تنظيم العلاقات بما يوفر امكانية حقيقية لمواجهة كل التحديات والصعوبات وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فهما المنهج العملي والتطبيق الواقعي لحل مشاكل العصر ، والسلام والتعايش السلمي اصبح اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية وعليه يجب العمل بكل الوسائل لتطبيق مبادئ عالمية الاسلام لارساء اسس السلام العالمي .

ان للقيم والمبادئ الدينية ضرورة مهمة لبناء مجتمع سليم ، وقد جسد الدين الاسلامي القيم الروحية في توجيه المؤمن من الفردية الى الجماعية ، كما حدد ابعاد هذه القيم من المعاني وتقديس الحياة الانسانية ، وتدعو هذه القيم الى الخير والفضيلة وتوصي بالصدق في القول والاخلاص في العمل وعليه فإن القيم الدينية تمتاز عن سواها من القيم الاخرى بخصال حميدة تكتسب طابع القدسية ، ولاشك ان الاسلام حمل نظاما متميزاً من القيم .

لذا فالقران الكريم والسنة النبوية المطهرة دليلاً للمسلم في الحياة بما يحملانه من قيم ومبادئ اجتماعية سامية فالدين يتجسد بنسق سلوكي وقانوني إذ تاخذ العلاقة بين العابد والمعبود نسقا اجتماعيا معيناً ونمطاً ثابتاً .

في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، وكذلك على أساس المساواة بين الناس في أصل الكرامة الإنسانية ، وفي أصل التكليف والمسؤولية ، وأنهم جميعاً شركاء في العبودية لله تعالى ، وفي البنية لآدم ، كما قال الرسول ﷺ : (يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى . .) (٢١) .

وعالمية الإسلام تقوم على أساس التعارف والانفتاح على الثقافات الأخرى بلا نفي أو إقصاء أو إكراه . إن نبينا عليه الصلاة والسلام واهل بيته الأطهار ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم عرفوا مهمتهم العالمية ، منذ ظهور الإسلام . فالمسلمون الأوائل وصلوا الصين وغرب أوروبا سواء لنشر الإسلام أو للعلم والمعرفة أو للتجارة . كل ذلك بدافع المسؤولية لنشر مبادئ الاسلام للعالمين .

يعد بناء السلام والتعايش والتسامح في الإسلام من أجل الحقوق وأقدسها والتي نستلهمها من القرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة ، إذ تمثل القاعدة الأساس في المنظور الإسلامي ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتشريع

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ، وأتمه أمة عالمية ، ودعوتها للبشرية ، وما أخرجها الله للناس إلا أمة بالمعروف ، ناهية عن المنكر : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١٨) ، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٩) .

وبلاحظ أن الإسلام وإن كانت دعوته عالمية الهدف والغاية والوسيلة ، فإن حضارة الإسلام قامت على القاسم المشترك بين حضارات العالم ، فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذاً وعتاءً ، بل إن حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين البشر ، واتساقاً مع نفس المبادئ ، فالإسلام يوحد بين البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وقومياتهم رجالاً ونساءً ، في جزئيات محددة : أصل الخلق والنشأة ، والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة ، ووحدة الإلهية ، وحرية الاختيار وعدم الإكراه ، ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا .

وعالمية الإسلام تقوم على أساس تكريم بني ادم جميعاً : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (٢٠) ، فقد استخلفهم الله في الأرض ، وسخر لهم ما

يقصد به تحقيق هذه الغاية ، هو عمل في سبيل الله ، أي عمل إنساني في المقام الأول . إنَّ الأمة الإسلامية ، بما تمتلك من قيم الوحي السماوي ، التي ما تزال مفقودة عند كثير من الأمم ، التي يقوم كيانها على العروق ، والأجناس ، والألوان ، وما يشابهها من الأمور القسرية التي لا يد للإنسان في كسبها ، والتي مهما ادعى صاحبها الرقي والحضارة ، لا تبعد عن التمييز ، والتعصب ، والروح العدوانية ، تجاه الآخر ، والشعور بالتعالي ، الذي يقود إلى الحقد ، والنزاع غير المشروع ، وبكفي تاريخها وواقعها دليلاً ، على أن هذه الأمم ، لخصائصها ، ومقوماتها ، التي هي عليها ، لا تمتلك رسالة إنسانية ، وعطاء عالمياً ، إلا بفعل السيطرة والاستعمار ، لأنها ترفض بأصل تكوينها ، فلسفة المساواة الإنسانية ، وحرية الاختيار ، التي تعتبر روح الحضارة الممتدة ، حيث تتأصل بها كرامة الإنسان . وهو ما تتميز به الحضارة الإسلامية ، فهي في حقيقتها ، وتاريخها ، ونواتجها ، حضارة إنسانية عالمية تدعو الى التعايش السلمي ونبذ التطرف والارهاب ، لا تخص جنساً ، أو لوناً ، أو عرقاً ، أو منطقة جغرافية ، أو طبقة اجتماعية ، وإن كانت بلاد العرب قاعدتها ، وهم حملتها

الإسلامي ، وأصبحت مفاهيم السلام والتعايش والتسامح اليوم تمثل محوراً للنقاش في السياسات الدولية

ان شمولية الإسلام تفرض علينا ان نتفاعل مع الإنسانية عموماً ، وان توظيفاته بإمكانها ان تتفاعل مع المناهج التربوية العالمية ، والتي يمكن الاستفادة منها في بعض الجوانب ، فالأخذ بالمنهجية الحديثة أمر لا بد منه لتحقيق السلام المنشود . ولذلك كان السلام هدفاً أسمى للدعوة الإسلامية ، فهو الحالة الطبيعية التي يمكن للبشر فيها ان يؤدوا رسالتهم في الأرض ، ويتمكنوا من أعمارها ، وإقامة الخير والاصلاح فيها ، وذلك لا يتأتى ما لم يتحقق السلام . والسلام يستمد أسس بناؤه وأهدافه ثم محتواه وأساليبه من التشريع الإسلامي

حضارة الاسلام واسس التعايش السلمي :

الحضارة الإسلامية إنسانية المنزع ، يستظل بظلالها البشر جميعاً ، ويجني ثمارها كل من يصل إليه عطاؤها . فقد قامت على أساس الاعتقاد بان الإنسان أهم مخلوقات الله ، وان جميع الأنشطة البشرية لا بد وان تؤدي إلى سعادته ورفاهيته ، وان كل عمل

هذا التمييز العنصري بين البيض والسود ، ولم يكن فيها مجتمعات خاصة للسود لا يُساكنهم فيها أبيض ، ولا اضطهاد خاص بهم يجعلهم محل نقمة البيض وازدرائهم ، وإنما كانت حضارة إنسانية تنظر إلى الناس جميعاً بمنظار الحق والخير ، ولا ترى البياض والسواد إلا بياض الأعمال وسوادها ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٢٦) .

أما حضارة الإسلام فإنها أتت لتبين الحق والحقيقة ، ثم تحاور العقل والقلب بإدلاء حجتها ، وعظيم بيانها ، ثم تترك الخيار للناظر إليها ، والسامع لآياتها إن شاء اعتنق مبادئها ، وإن شاء اختار بقاءه على حاله ، فإن كان في دولة الإسلام فهو ذمي (٢٧) ، له ذمتنا وعهدنا ، له ما للمسلم من حقوق ، وعليه ما على المسلم من واجبات لأمته وشعبه ودولته ووطنه ، بل أقامه نبي الإسلام ﷺ مقامه في مجتمعه حين قال : (من أذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) (٢٨) .

وإذا كان من دولة معاهدة للمسلمين بينهما علاقات وسياحات وتبادلات تجارية فعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال : (من قتل نفساً معاهداً لم يُرح رائحة الجنة وإنَّ

الأوائل ، لقد تجاوزت بدعوتها وممارستها كل الفوارق القسرية ، التي لا يد للإنسان في وجودها ، وجعلت معيار الكرامة ، فعلاً كسبياً ، بمقدور كل إنسان أن يرقى إليه ، وليس أمراً قسرياً لا يد له فيه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢٢) .

لقد جاءت معظم آيات القرآن الكريم المكية ، تؤكد الوحدة الإنسانية العالمية ، وتحطم الفوارق التمييزية ، قبل أن يكون للمسلمين أمة أو دولة ، بل لقد كانت الغاية من الرسالة السماوية وإنتاجها الحضاري ، هو إلحاق الرحمة بالناس كافة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) .

فالإسلام بطبيعته يناقض التعصب ، والانغلاق ، ويعتبره من الجاهلية وأفاتها ، ونخوتها ، وتعاضمها بالآباء (٢٤) ، وسفهاها ؛ لأن أسوار التعصب المحتمل ، أو العارض ، لا يلبث أن يكسر بمجرد الإيمان ، والدخول في الإسلام ، وقد حكم كافرؤ الإخشيدى العبد الأسود مصر في القرن الرابع الهجري (٢٥) ، وهو الذي خلده المتنبي في مدحه وهجائه . وقصارى القول إن الحضارة الإسلامية لم تعرف

الإسلامية من ذميين ومعاهدين وليست صدقاته وزكاة أمواله فقط للمسلمين بل لكل من يحتاج الصدقة في الأمة الإسلامية . فهذا النبي الكريم قد أتى بصدقات فجاءه يهودي وقال : أعطني يا محمد ؛ فقال له النبي ﷺ : (ليس لك من صدقة المسلمين شيء) فينزل الوحي حالاً من السماء بدستور ينتصر به لحقوق الإنسان ، حيث أعلن فيه مبدأ الأخوة الإنسانية العالمية : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ (٣٤) . قال القرطبي في تفسيرها : أي أنت لست مسؤولاً عن إيمانه وكفره ، بل أنت مسؤول عن إنسانيته ؛ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ (٣٥) . وعندما قال الله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٣٦) ، أليس المعلوم أن الأسير في بلاد الإسلام يكرم وإن كان ليس مسلماً . وخلاصة القول : إن الحضارة الإسلامية ، حضارة إنسانية . . حضارة رحمة ، وحب ، وهداية ، واحتساب ، واعتراف بالآخر ، وليست حضارة حقد وصراع . . هي حضارة الإنسان ، التي تدعو إلى الحوار على كلمة سواء ، وتعتمد الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

ريحتها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) (٣٩) . وقال أيضاً : "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقتة أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة" (٣٠) .

وإن كانت دولة محاربة للمسلمين فلا يقتل منها إلا مقاتلتها ولا يحارب فيها إلا من لبس لامة (٣١) الحرب أو أعان محاربيها على المسلمين ولا يقتل منهم الشيخ ولا المرأة ولا الطفل ، ولا يقطع الشجر ، ولا تهدم البيوت ، ولا يُمسّ رجال العقائد في صوامعهم بسوء (٣٢) فالإسلام لا يقاتل إلا من اختار بنفسه أن يوقف مدّ النور والعلم والهداية للبشرية جمعاء ، فهو كالآفة في الجسد تريد أن تمنع وصول الخير والسلامة للجوارح وتريد أن تهلكه وتدمره ، فاستئصالها أمر لازم ، لا يختلف فيه اثنان عاقلان . ويسطرّ نبي الإسلام حفظ حقوق الإنسان في صفحات التاريخ وفق مبادئ عالمية الاسلام عندما تمر به جنازة يهودي معادٍ للإسلام فيقوم لها ، احترام الإنسان للإنسان ، فيقولون يا رسول الله : إنه يهودي فيقول ﷺ "أليست نفساً؟" (٣٣) .

ومن إنسانية وعالمية حضارة الإسلام أنه حارب الجهل والتخلف والفقر ليس فقر المسلمين فقط ، بل فقر كل من في الأمة

وهو الوسيلة الفعالة لقيام تعايش سلمي ، وإن حرية الاعتقاد تنسجم مع طبيعة العقيدة الإسلامية لكونها عقيدة واضحة لا غموض فيها فهي تؤكد على الإيمان بالله الواحد الذي تنشده الفطرة الإنسانية .

فلا فائدة من القسر والإكراه قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤١) .

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٢) .

لذا يعد الإكراه على الإسلام بعيداً عن منهج الإسلام ، لأن الإيمان إذعان وخضوع وهذا يكون بالحجة والبرهان لا بالإلزام والإكراه (٤٣) ، ولو أكره الكافر على ترك الكفر واعتناق الإسلام لما تحقق معنى الابتلاء والامتحان (٤٤) من هنا يتبين ان الدعوة للإسلام شيء والإكراه عليه شيء آخر فالأول مشروع والثاني مكروه .

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤٥) . كون السلام هو الأساس في العلاقة بين البشر لاشتراكهم في أصل

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿ (٣٧) ، وتتنكر للإكراه في الدين ، وتبتغي إلحاق الرحمة بالعالمين ، لأن الناس كل الناس ، هم محل الخطاب السماوي ، والقوة في الإسلام ، إنما تشرع حتى تحمي حرية الاختيار وتحقيق إنسانية الإنسان .

عالمية الاسلام وحرية العقيدة : —

لقد أباحت الشريعة الإسلامية حق الاعتقاد ، وعملت على صيانة هذه الحرية وحمائتها ، فلكل إنسان طبقاً لمبادئ القرآن الكريم أن يعتقد من العقائد ما شاء وقرر الله الكرامة للإنسان ومنحه إياها منذ وجوده قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (٣٨) .

ولا يجوز الضغط على أي إنسان وحمله على ترك معتقده للدخول في معتقد آخر وذلك لقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٣٩) ، أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإكراه والقسر ولكن على التمكن والاختيار (٤٠)

وعليه فإن حرية العقيدة في الإسلام هي نتيجة طبيعية لما جاءت به الشريعة الإسلامية وفقاً للفطرة الإنسانية ، وإن التعايش بين الأديان يكون سبيلاً للرفق إلى عالم السلام

ومعاملتهم معاملة كريمة ومساواتهم مع المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم .

والتعامل مع أهل الأديان والعقائد يجب أن يكون على أساس التعايش السلمي والتعاون والتسامح والمصلحة العامة والخير للإنسانية جمعاء ، قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٤٩) . وتفسيرها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين في جميع أنواع الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله عمّ بقوله جميع من كان ذلك صفته دون تخصيص أو تمييز بعض دون بعض^(٥٠) .

ويجب عدم الإساءة إليهم ومعاملتهم بحسن الخلق والتمسك بالفضائل فلا يضيق عليهم حتى بالجدال قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَتَا وَالْهَكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(٥١) .

فالعقيدة الإسلامية متحررة من التعصب الديني وقد أكد على هذا العلماء والفقهاء بأن الذمي أو المستأمن لو أكره على الإسلام لا يصح

الخالق ومساواتهم في القيمة الإنسانية ، فأوجب الإسلام ذلك في علاقة المسلمين مع غير المسلمين من خلال اعتماده في الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة الهادئة ، ودعوته الصريحة على التعايش السلمي بين الشعوب وحثهم على التعاون والتواصل فيما بينهم وترجيحه لداعي السلام على داعي الحرب إلا في حالة الضرورة القصوى كالدفاع عن العقيدة أو النفس أو الوطن .

وأكد الرسول ﷺ على حرية العقيدة في الإعلان الدستوري لدولة المدينة الذي أصدره عقب هجرته إليها إذ ورد فيها " لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"^(٤٦) . وجاء في كتابه ﷺ لأهل اليمن "من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغير عنها وعليه الجزية"^(٤٧) .

وجاء في عهده ﷺ لأهل نجران "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته . . ."^(٤٨) ، إلى آخر هذه الوثيقة الطويلة التي تبين سماحة الإسلام وانفتاحه على الآخرين واحترام دينهم وأموالهم وحياتهم

على ضرورة سيادة مبدأ المساواة بين المسلمين وخير شاهد على ذلك هو رفضه ﷺ الشديد لمحاولة بعض الصحابة الشفاعة لامرأة من بني مخزوم سرقت لإعفائها من عقوبة القصاص لعلو منزلتها بين القوم ، فقال ﷺ : "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (٥٧) .

عالمية الاسلام ومفاهيم الأخوة والمحبة والتراحم :

ومن هذه الحقوق أن يتعامل الناس على أساس من العطف والشفقة والتراحم والتواضع والإحسان وأن يشعر كل فرد بأنه عضو في المجتمع الإسلامي ويسعى إلى تطهير النفوس من القسوة والكبرياء والحقد والبخل ، والتعاون في السراء والضراء ، فالتراحم والمحبة تفضي إلى تألف القلوب وتقارب النفوس فما يدرك بحسن المعاملة واللين لا يدرك بالقوة والشدة . وقد مدح القرآن الكريم أسلوب الرسول ﷺ في تأليف قلوب أصحابه بقوله : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهْم لَّهَمٌ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٥٨) .

إسلامه حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً مثل ان يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه عنه ، ولو عاد إلى دين الكفر بعد إسلامه لا يجوز قتله (٥٢) .

وهكذا يبين أن حرية الاعتقاد في الإسلام حق من حقوق الإنسان التي تثبت بها إنسانيته وكرامته التي جاء بها الإسلام ، بإقرار الإسلام لحرية العقيدة أمر طبيعي ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (٥٤) .

عالمية الاسلام ومبادئ العدالة والمساواة :

دعا الإسلام إلى تطبيق مبدأ العدالة والمساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات دون تفرقه ، إذ لا مكان في التشريع الإسلامي للتمييز العنصري بكل أنواعه وجعل مبدأ التفاضل بين الناس هو تقوى الله قال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٥٥) ، وقال الرسول ﷺ : " من أبطأ في عمله لم يسرع به نسبه" (٥٦) وقد ضرب النبي ﷺ خير الأمثلة

حسن» (٦٥) وقال أيضاً حول التودد والتراحم
« ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر
كبيرنا » (٦٦) .

المجتمع الإسلامي والتعايش السلمي :

المجتمع الإسلامي مجتمع عالمي ، بمعنى
أنه مجتمع مفتوح لجميع بني البشر ، أي أنه
مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا طائفي ولا
طبقي ، وكذلك دون النظر إلى جنس أو لون أو
لغة ، بل حتى دون النظر إلى دين أو عقيدة ،
لأنه مبني على العقيدة الإسلامية ، وهي رسالة
عالمية ، فالرسول ﷺ بعث للناس كافة ، ففي
الحديث : (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً
وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) (٦٧) . وقال تعالى :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ﴾ (٦٨) ، وأيضاً ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٦٩) .

فهذه الدعوة موجهة إلى الناس كافة ، لأن
الناس في حكم الإسلام أخوة : أصلهم واحد
وأبؤهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى (٧٠) .

فالمجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً مغلقاً ،
وإنما هو مجتمع مفتوح ، تقوم العلاقات
الاجتماعية على أساس إنساني ، ومن مبدأ أن
الناس كلهم عيال الله وأنهم سواء أمام

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٥٩)
وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا
الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا
أدلكم على شيءٍ إن فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا
السلام بينكم » (٦٠) .

ونهى الإسلام عن الخصومة وأسبابها وفي
ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يحل
لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان
فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي
يبدأ السلام » (٦١) .

ودعا الإسلام إلى ضرورة إصلاح ذات البين
لجمع شمل المسلمين ، بل عدّ ذلك أفضل من
الصلاة والصيام والصدقة لقول النبي ﷺ « ألا
أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام
والصدقة . . ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال
إصلاح ذات البين » (٦٢) .

ودعا الإسلام إلى عدم التكبر قال تعالى :
﴿ وَلَا تَصَعَّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٦٣) ،
وقال الرسول ﷺ : « إن الله أوحى إليّ أن
تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » (٦٤) .

ودعا الرسول ﷺ إلى مخالطة الناس
بالخلق الحسن بقوله : « اتق الله حيثما كنت ،
وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ

واضحاً عن الهدف الذي سعى الإسلام إلى تحقيقه ، وهو أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يستمدوا من هذه الصلة ما يسموا بأنفسهم لاستبعاد كل ألوان التعسف والعنف والقهر والاستغلال الذي تسفك فيه الدماء في كل حين .

عالمية الحوار في السيرة النبوية والتعايش السلمي :

كان للحوار اهتماما بالغا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، إذ يعد الطريق الأمثل للإقناع ، وانطلاقاً من منهج القرآن الكريم في الحوار والجدل ، حاور الرسول ﷺ أصنافاً من الناس ، فقد حاور المشركين ، من أهل مكة وغيرهم ، وحوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وحوار أصحابه وحاوروه . والمتتبع لتاريخ النبوات يلاحظ أن جميعها اقتضت على الحوار والدعوة وتحملت في سبيل ذلك كل أنواع الأذى والاساءة والدفع بالتي هي أحسن . والحوار أسلوب من أساليب الدعوة إلى نشر الإسلام في الأرض ، فالرسول ﷺ خاطب الأقباط التي هي خارج الدعوة وكتبتها وراسلها . والمتأمل في القرآن الكريم والبيان النبوي ، الذي يعتبر الدليل والهادي إلى أفضل السبل

خالقهم ، وإنهم لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح^(٧١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِتْقَانُكُمْ ﴾^(٧٢) . وفي الحديث (لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)^(٧٣) .

وكذلك في الحديث : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ)^(٧٤) . ولقد سمع النبي ﷺ يدعو ويقول : ﴿ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ ﴾^(٧٥) .

وبهذا استطاع الإسلام أن يقتلع جذور العصبية . فالجنس البشري كله مستخلف في هذه الأرض لعمارتها وإنمائها ، دون التخصص لجنس أو لعنصر . ومن خلال ذلك استطاع الإسلام أن يبني مجتمعاً عالمياً ذا صبغة إنسانية ، بعيد كل البعد عن العنصرية على مختلف أشكالها ، وصار الناس سواسية لا اختلاف ولا تفاوت على أساس الأحساب والأنساب ، أما التفاضل الحقيقي بين الناس يقوم على أساس أداء الواجب والكفاية في العمل وما يقدمه الإنسان لربه ونفسه ولخير العامة .

فعالمية المجتمع الإسلامي تعطينا انطباعاً

فقد وهب الله تعالى نوحاً عليه السلام جلدأً وصبراً في جداله مع الكافرين لإقناعهم بالحق ^(٨٠) ، وبسبب جديته وحرصه الكبير على تبليغ أمر الله تعالى ، تبرم قومه ^(٨١) حتى أنهم ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٨٢) .

وهو بيتدئ من محاورة الإنسان لذاته وواقعه للوصول إلى نتيجة مرضية يتحقق من خلالها الإصلاح على مستوى الأفراد والجماعات داخل البلاد الإسلامية ، بغية تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، ويسير بعلاقات الأمة الإسلامية مع غيرها دعوة وتفاعلاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ^(٨٣) ، فكل أمة تدفع الأخرى وتتنافس معها نحو الأفضل والأحسن ، وبهذا يكون التفاعل الحضاري حواراً ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية .

ومجالات الحوار متعددة فهي ما بين علمية متخصصة وقد تناولتها كتب الجدل والمناظرات ، أو دينية تهدف إلى الدعوة لهذا الدين كما جرى مع مشركي مكة ومع أهل الكتاب ، أو سياسية داخل

في الحوار والتعامل مع الآخر ، يلاحظ المنهج الذي يوضح عقائده ، وسلوكه وواقعه ومناقشته والحوار معه ، من خلال عقيدته نفسها : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾ ^(٧٦) .

هذه الدعوة إلى أهل الكتاب ، تضمنت الإنطلاق من مستوى واحد للبحث عن الحقيقة والايان بها ، والارتكاز في الحوار إلى النقاط المشتركة التي تشكل أرضية للحوار ، ومحاور للتفاهم ، وان لم يتحقق ذلك فلا بد من تحقيق حرية الاختيار والاعتقاد قال تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ^(٧٧) .

إن استقراء التاريخ الحضاري الانساني يدل على أن الإسلام انتشر بالحوار والدعوة ، والجهاد إنما شرع للحيلولة دون الفتنة ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ^(٧٨) وتقرير حرية الاختيار ، وتمهيد سبيل الحوار وتوفير مناخ الاقتناع وبذلك لا يقوى أحد على فتنة المؤمنين وصرْفهم عن دينهم حيثما كانوا ^(٧٩) ، خاصة في العالم الذي ظهر فيه الإسلام قبل أربعة عشر قرناً حيث كانت الحكومات المعاصرة تمنع أتباعها من اعتناق الإسلام وتوقع بالمسلمين الفتنة .

فالمحاورة هي سنة الأنبياء مع أقوامهم ،

الاختلاف بين البشر ، واتساقاً مع نفس المبادئ ، فالإسلام يوحد بين البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وقومياتهم رجالاً ونساءً ، في جزئيات محددة : أصل الخلق والنشأة ، والكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة ، ووحدة الإلهية ، وحرية الاختيار وعدم الإكراه ، ووحدة القيم والمثل الإنسانية العليا .

كما تبين أيضاً كيف كرم الله الإنسان باعتباره محور الحياة وخليفته في الأرض من خلال القيم الرئيسة التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية ، إذ سعى الإسلام إلى ترسيخ تلك القيم الأخلاقية والاجتماعية وتحقيق الإنسانية الكاملة باختلاف موضوعاتها وتقسيماتها .

كما اتضح أن الإسلام يعامل الناس جميعاً دون تمييز بحسب الجنس أو اللون أو الدين فيما يتعلق باكتساب الحقوق وممارستها ، وأن الإسلام يكفل حماية وافية لحقوق الأفراد في جوانبها كافة .

إن رسولنا الكريم محمد ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى هو أول من شرع الدستور في ضوء عالمية الاسلام بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مدلول . وهذا ما كان جلياً في وثيقة المدينة ، وإن هذه الوثيقة قد حددت العلاقة

المجتمع الإسلامي كما جرى في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول .

ولا ريب أن للحوار آداب ومواضيع ينبغي الوقوف عندها وتتبعها إذا ما أريد لأي جانب من جوانب الحوار أن ينجح ويحقق رسالته^(٨٤) ، ومن دونها تصبح عملية الحوار مجرد دعوى بحاجة إلى تصديق على أرض الواقع .

لقد اتجهت الاديان السماوية لاقرار القيم التي تعزز الشعور بالحرية والكرامة والمساواة ، ومحاربة كل المظاهر السلبية التي تكرس الظلم والاستعباد .

الخاتمة :

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده ، ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ ، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين .

ويلاحظ أن الإسلام وإن كانت دعوته عالمية الهدف والغاية والوسيلة ، فإن حضارة الإسلام قامت على القاسم المشترك بين حضارات العالم ، فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذاً وعتاءً ، بل إن حضارة الإسلام تعاملت مع

الجديد

وتبين ان الحوار فطرة إنسانية ملازمة للبشرية عبر تاريخها الطويل ، وجاء الدين الإسلامي مليباً لمتطلبات هذه الفطرة وفق أصول وقواعد تجعله يسير في الاتجاه الصحيح ، فضلاً عن مجموعة من المسوغات الموضوعية تدفع الناس إليه وتحثهم إلى التمسك به كاسلوب للتعايش ، ومن أهمها المدنية التي يتمتع بها الإنسان ، والاختلاف في الاديان والعقائد ، والاختلاف في الثقافات ، وهو مما يوجب حواراً وتقاشاً للوقوف على الوجه الارجح .

تعد عالمية المجتمع الإسلامي وإنسانيته واحدة من اهم خصائصه فهو مفتوح لجميع بني البشر أي انه مجتمع لا يقوم على أساس عنصري ولا طائفي ولا طبقي بل هو مجتمع يقوم على أساس العقيدة الإسلامية موجهة من الله سبحانه وتعالى الى العالمين كافة .

حقق الإسلام وحدة عقائدية وفكرية وكفاحية بين أفراد الجماعة الاجتماعية وسعى الى بناء مؤسسات ونظم اجتماعية على أسس إسلامية في كل مجالات الحياة وحث على تفعيلها لانجاز عملية التغيير الاجتماعي المطلوب من اجل العيش بسلام .

بين الدولة الإسلامية في المدينة ، وبين سائر الأقليات الدينية والقبلية التي تسكن في المدينة . إن الرسول ﷺ عندما انتهى من تنظيم الأوضاع الداخلية ، واستقرار الأوضاع داخل المدينة . وبعد ذلك انطلق يقيم العلاقات الدعوية والاجتماعية والسياسية من خلال إرسال الرسل إلى الملوك والقبائل المتواجدة في شبه جزيرة العرب .

أن الاسلام له شريعة أخلاقية وعبادية ، وأن هدفه تنمية الصلة الروحية بين العبد والخالق المعبود . والحقيقة أن هذا جزء مهم من الإسلام ، ولكنه ليس كل الإسلام ، فالإسلام منهج متكامل وفيه أسس دستورية محددة ، وله أركان واضحة لبناء الدولة

كان اهتمام النبي ﷺ هو احتواء العرب وقبائلهم إذ هم حملة الإسلام ، فقد استطاع رسول الله ﷺ أن يخط معالم المشروع القومي الإسلامي ، وذلك بتوحيد شبه جزيرة العرب تحت راية الاسلام .

بعد أن توحدت القبائل المتواجدة في شبه جزيرة العرب أنطلق المسلمون في فجاج الأرض وعبر بحارها يبلغون دعوة الله ، فأرسل الرسول ﷺ رسائله إلى الملوك والأمراء تأسيساً لعهد جديد في بداية النظام العالمي الإسلامي

الهوامش :

- [١] سورة الفرقان ، الآية ١
- [٢] سورة الانبياء ، الآية ١٠٧ .
- [٣] سورة يس ، الآية ، ١٢
- [٤] سورة الأنبياء ، الآية ٩٢ .
- [٥] المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص ١٧٧ ، العمري ، اكرم ، السيرة النبوية الصحيحة ، ٢٩٣/١ ، الصلابي ، السيرة النبوية ، ص ٢٢٨ .
- [٦] سورة الأحزاب : ٤٠ .
- [٧] سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ٥١٢/ ٢ .
- [٨] سورة النساء ، الآية ، ١ .
- [٩] سورة الحجرات ، الآية ١٣ .
- [١٠] نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد وضيع الفوائد ، بتحريه المحافظين العراقي وابن حجر ، دار الكتاب ، ط ٢ (بيروت : ١٩٦٧) ، ٢٦٦/٣ .
- [١١] محمد فاروق النبهان ، اثر القيم الدينية في استقرار الاسرة في المجتمعات الاسلامية ، من منشورات اكااديمية المملكة المغربية ، المملكة المغربية ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠٩ .
- [١٢] محمد هاشم ريان ، القيم بين الاسلام والنظريات الوضعية ، مجلة هدي الاسلام ، وزارة الاوقاف ، الاردن ، ٨٤ ، ١٩٨٥ ، ص ٧ .
- [١٣] سورة القلم ، الاية ٥٢ .
- [١٤] سورة الفرقان ، الاية ١ .
- [١٥] سورة الحج ، الاية ٤٩ .
- [١٦] سورة سبأ ، الاية ٢٨ .
- [١٧] سورة الأنبياء ، الاية ١٠٧ .
- [١٨] سورة آل عمران ، الاية ١١٠ .
- [١٩] سورة البقرة ، الاية ١٤٣ .
- [٢٠] الإسراء : ٧٠ .
- [٢١] رواه احمد في مسنده ج ٥ ص ٤١١ .
- [٢٢] الحجرات : ١٣ .
- [٢٣] سورة الأنبياء : الاية ١٠٧ .
- [٢٤] قال رسول الله ﷺ (إن الله عز و جل قد أذهب عنكم عيبة (عيبة الكبر) الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن) . رواه أبو داود ٧٥٢/ ٢ رقم (٥١١٦) .

- [٢٥] ينظر : شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر (بيروت : ١٩٧١ م) ط ١٤ / ٩٩ .
- [٢٦] سورة الزلزلة : الآيات ٧ - ٨ .
- [٢٧] ذَمِّيُّ معناه رجل له عهد ، وسُمِّيَ أَهْلَ الذَّمَّةِ ذِمَّةً لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم ، فالذَّمَّةُ هي الأمان ، ينظر محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ط ١ ، (بيروت ، د : ت) ، ١٢ ، ٢٢٠/ .
- [٢٨] علي بن حسام الدين المتقي الهندي كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٩٨٩ م) ، ٦١٨/٤ .
- [٢٩] رواه البخاري ج ٦ ص ٢٥٣٣ رقم (٦٥١٦) .
- [٣٠] رواه أبو داود ج ٢ ص ١٨٧ رقم (٣٠٥٢) .
- [٣١] وهي الذُّرُوع . ينظر : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ، غريب الحديث ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، ج ٢ ص ٣٠٩ .
- [٣٢] أن رسول الله ﷺ قال (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾) . رواه أبو داود ج ٢ ص ٤٤ رقم (٢٦١٤) . وكان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال : (اخرجوا بسم الله تقتالون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع) ، رواه احمد في مسند ج ١ ص ٣٠٠ رقم (٢٧٢٨) .
- [٣٣] رواه مسلم ج ٢ ص ٦٦١ رقم (٩٦١) .
- [٣٤] أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت : لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، تفسير سورة البقرة الآية ٢٧٢ / ج ٣ ص ٣٣٧ .
- [٣٥] سورة البقرة : الآية ٢٧٢ .
- [٣٦] سورة الإنسان : الآية ٨ .
- [٣٧] سورة النحل : الآية ١٢٥ .
- [٣٨] سورة الإسراء ، من الآية ٧٠ .
- [٣٩] سورة البقرة ، من الآية ٢٥٦ .
- [٤٠] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف ، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده (القاهرة : ١٩٦٦) ، ٣٨٧/١ .
- [٤١] سورة المائدة ، من الآية ٤٨ .
- [٤٢] سورة يونس ، الآية ٩٩ .
- [٤٣] أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، مصطفى الباي الحلبي وأولاده ، ط ٤ (مصر : ١٩٦٩) ، ١٦/٣ .
- [٤٤] الرازي ، التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ (طهران : د . ت) ، ١٥/٧ .

- [٤٥] سورة النحل ، من الآية ١٢٥ .
- [٤٦] للتفاصيل ينظر : محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، قدم لها وعلق عليها وضبطها : عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، (بيروت : ١٩٧٥) ، ١٠٧/٢ .
- [٤٧] أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، تقديم وتعليق : محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية (النجف : ١٩٦٤) ، ٧٠/٢ .
- [٤٨] محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت : ١٩٥٣) ، ١٦٦/١ ؛ أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان ، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٩٥٩) ،
- [٤٩] سورة الممتحنة ، الآية ٨ .
- [٥٠] محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق وتعليق : محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، (مصر : ١٩٥٨) ، ٦٦/٢٨ ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة : ١٩٦٧) ، ٩/١٨ ، الرازي ، التفسير الكبير ، ٣٠٤/٢٩ .
- [٥١] سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .
- [٥٢] للمزيد ينظر : محمد بن إدريس الشافعي ، الأم ، دار المعرفة ، ط ٢ (بيروت : ١٩٧٣) ، ٢٣٨/٤ ؛ شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد الشهير بالشافعي الصغير الرملي ، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة : ١٩٣٨) ، ٤٣٥/٦ ؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي ابن مفلح ، الفروع ، دار مصر ، ط ٢ (القاهرة : ١٩٦٧) ، ١٧٢/٦ ؛ أبو الحسن علاء الدين علي بن عباس ابن اللحام البعلبي ، القواعد والفوائد الأصولية ، السنة المحمدية (القاهرة : ١٩٥٦) ، ٤٧ ؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، المحلى ، تحقيق : محمد منير الدمشقي ، دار الطباعة المنيرية (دمشق : ١٣٥٠هـ) ، ٣٢٩/٨ .
- [٥٣] سورة يونس ، الآية ٩٩ .
- [٥٤] سورة هود ، الآيتان ١١٨-١١٩ .
- [٥٥] سورة الحجرات ، من الآية ١٣ .
- [٥٦] أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، سنن الدارمي ، تحقيق : عبد الله هاشم يماني المدني شركة الطباعة الفنية المتحدة (القاهرة : ١٩٦٦) ، ٨٣/١ .
- [٥٧] صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط ١ (مصر : ١٣٤٧هـ) ، ١٨٦/١١ .
- [٥٨] سورة آل عمران ، من الآية ١٥٩ .
- [٥٩] سورة الحجرات ، من الآية ١٠ .
- [٦٠] أبي داؤد ، السنن ، ٤٧٣/٤ ؛ الترمذي ، السنن ، ٤/١٥٦ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ٢/٣٩٦ .
- [٦١] صحيح البخاري ، ٦٥/٨ ؛ صحيح مسلم ، ٩/٨ ؛ أبي داؤد ، السنن ، ٤/٢٨٣ .
- [٦٢] سنن أبي داؤد ، ٣٨٥/٤ .
- [٦٣] سورة لقمان ، الآية ١٨ .
- [٦٤] صحيح مسلم ، ١٦٠/٨ ؛ سنن أبي داؤد ، ٤/٤٧٧ .
- [٦٥] سنن الدارمي ، ٣٢٣/٢ .

- [٦٦] سنن الترمذي ، ١٦/٣ .
- [٦٧] رواه البخاري ، رقم ٤١٩ .
- [٦٨] سورة سبأ : الآية ٢٨ .
- [٦٩] سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .
- [٧٠] محمد عبدالله الخطيب ، المجتمع الإسلامي : خصائص وحقائق ، دار المنار ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤-١٥ .
- [٧١] عبدالحميد ، محسن "الدكتور" ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، الرشيد للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠١ ، ص ٣١ .
- [٧٢] الحجرات : ١٣ .
- [٧٣] رواه أحمد ، برقم ٢٢٣٩١ .
- [٧٤] رواه أبو داود ، برقم ٤٤٥٦ .
- [٧٥] رواه أبو داود ، برقم ١٢٨٩ .
- [٧٦] سورة آل عمران : آية ٦٤ .
- [٧٧] سورة الكافرون : آية ٦ .
- [٧٨] سورة البقرة : آية ٢٥٦ .
- [٧٩] وعن مراحل تشريع الجهاد في الإسلام ، ينظر : العمري ، أكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة ط ١ ، الرياض (مكتبة العبيكان - ١٩٩٥ م) ، ٣٣٧/٢ - ٣٣٩ .
- [٨٠] ينظر : سورة نوح : آيات ٥-١٠ .
- [٨١] الطبري ، جامع البيان ، ٣١/١٢ ؛ القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ٢٨٦/٣ ؛ الصويان ، أحمد عبد الرحمن ، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، الرياض (دار الوطن - د . ت) ص ١٨ .
- [٨٢] سورة هود : آية ٣٢ .
- [٨٣] سورة فصلت : آية ٣٤ .
- [٨٤] احمد بن محمد الأندلسي ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ط ١ ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، (مصر : ١٩٥٣ م) ٢ / ٢٣٥ - ٢٣٩ .

د . حيدر على حسين / م . م . خديجة حسين القرغولى
كلية الامام الكاظم ، ديالى / كلية الامام الكاظم ، ديالى

تأثير وسائل الأعلام الغربي على الأبناء تحت الظرف الراهن ودور الحوزة في ردع ذلك التأثير

المقدمة :

يعتبر الإعلام - و خصوصاً في أيامنا هذه - من أخطر المؤسسات تأثيراً على المجتمعات و الشعوب ، و من ثم فهو من الجهات التي توليها الحكومات و الجماعات أهمية قصوى ، نظراً لتعدد و سائله ، من صحافة و إذاعة و تلفزيون و مطبوعات ، و نظراً لسهولة و صول هذه الوسائل إلى قطاعات عريضة جداً من المجتمعات المختلفة ، حيث تفعل فعلها في عقول الناس و نفوسهم ، و من ثم تؤثر في اتجاهاتهم ، حيث تفعل فعلها في عقول الناس و نفوسهم ، و من ثم تؤثر في اتجاهاتهم ، و من ثم في مواقفهم التي يتخذونها حيال كثير من القضايا ، يستوي في ذلك صغيرهم و الكبير ، غنيهم و الفقير ، متعلمهم و الجاهل .

"وقد لا نغالي إذا قلنا بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود ، و أزالَت السدود ، واختزلت المسافات و الأزمان ، و اختصرت التاريخ ، و تكاد تلغي الجغرافيا ، حتى

مجتمعنا ، ونقل قيم جديدة وتقاليد غربية تؤدي إلى التصادم بين القديم والحديث ، واخللة نسق القيم في عقول الابناء من خلال المفاهيم الأجنبية التي يشاهدها الابن العربي .

مشاهدة العنف في أفلام الابناء والذي بدوره يثير العنف في سلوك بعض الابناء ، وتكرار المشاهد تؤدي إلى تبدل الإحساس بالخطر وإلى قبول العنف كوسيلة استجابة تلقائية لمواجهة بعض مواقف الصراعات ، وممارسة السلوك العنيف ، ويؤدي ذلك إلى اكتساب الابناء سلوكيات عدوانية مخيفة ، إذ إن تكرار أعمال العنف الجسمانية والأدوار التي تتصل بالجريمة ، والأفعال ضد القانون يؤدي إلى انحراف الابناء^(١) .

صناعة قذوات غير ما نطمح إليه في تربية أبناءنا على العلم وأهل المعرفة والإنجاز الحضاري للمجتمع ، ومن تلك القذوات التي تُصنع لابناءنا مثل : نجوم الفن والغناء والرياضة . . . والتركيز عليهم يكون على حساب العلماء والمعلمين .

تصوير العلاقة بين المرأة والرجل على خلاف قيمنا الإسلامية والعربية الأصيلة .

كثير من الأحيان تثير في النفس الغرائز البهيمية في وقت مبكر ، ولذا فقد ذكرت

بات الإنسان يرى العالم و يسمعه من مقعده ، و لم يقتصر الأمر على اختراق الحدود السياسية ، و السدود الأمنية ، و إنما بدأ يتجاوزها إلى إلغاء الحدود الثقافية ، و يتدخل في الخصائص النفسية ، و تشكيل القطاعات العقدية ، فيعيد بناءها و فق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً ، و البيان الأكثر سحراً ، و التحكم الأكثر تقنية" .

لقد مكنت وسائل الإعلام الضخمة الإعلام من احتلال مكانة خاصة في قلوب الناس ، حتى ليصعب عليهم تصور الحياة و قد خلت من وسائل الإعلام تنقل إلى الإنسان تفاصيل الأحداث و الوقائع ، و شتى الأفكار و الاتجاهات والآراء ، و صنوف المعرفة ، من حيث تصدر إلى حيث تكون ، دون أن تحول بينه و بين عوامل الزمان و المكان ، أو اختلاف اللغات و اللهجات ، أو حتى مستويات استيعاب الحقائق ، أو الإفادة منها ، أو التأثير بها .

**إيجابيات وسائل الاعلام وعلاقتها
بالابناء سلبا وإيجابا :**

**إيجابيات وسائل الاعلام وعلاقتها
بالابناء سلبا :**

نقل أخلاق ونمط حياة البيئات الأخرى إلى

ومن أهم آثار التلفزيون :

١. التلفزيون وإفساد القيم : _____

تنبهت منظمة اليونسكو إلى أن محطات التلفزة العربية تستورد نصف ما تبثه من المصادر الغربية ، ومن ذلك :

أ- عرض مظاهر الكفر ؛ حيث يألف الابناء كثيراً من تلك المظاهر .

ب- استضافة السحرة والكهان كما تفعله بعض الفضائيات وفي هذا خطر بالغ على المراهقين .

ج- الدعاية لبعض البدع التي يعملها بعض المسلمين لا سيما بدع التصوف من الموالد والتبرك بالقبور ، وغير ذلك .

د - التشبه بالكفار حيث إن كثرة متابعة الأفلام المنتجة في الغرب تجعل الابن يعجب بشخصيات الأفلام أو طرق حياتهم ، وهذا بطبيعته يجعله يسعى للتقليد . ومن المعلوم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالكفار^(٤) .

ويوجد في أفلام الكرتون العديد من القيم المخالفة ، وربما صورت عرشاً يعتليه ملك فوق السماء يأمر وينهى ، أو ملائكة ، ونحو ذلك .

(وكالة أنباء أمريكا إن أرابيك) أنه : شن تحالف من منظمات أهلية ودينية وتعليمية أمريكية هجوماً على السينما الأمريكية ، متهمين إياها أنها تروج لأفلام ابناء تحتوي على مشاهد وإيحاءات جنسية تضر بآبناءهم ، كما أنها تعمل على ترويج إعلانات تعلم أولادهم ثقافة الجشع والتصرفات الاستهلاكية من الصغر^(٢) .

أضرار تربوية مثل : السهر وعدم النوم مبكراً ، والجلوس طويلاً أمامها دون الشعور بالوقت وأهميته ، مما له أثره على التحصيل الدراسي وأداء الواجبات المدرسية .

أضرار صحية : الجلوس الطويل أمام وسائل إعلام الابن يسبب العديد من الأضرار الجسمية والعقلية كالخمول والكسل ، والتأثير على النظر والأعصاب وعلاقة ذلك بالصرع والسلبية ، والسمنة أو البدانة التي تصيب بعض الابناء لكثرة الأكل أمام هذه الوسائل مع قلة الحركة واللعب والرياضة .

أضرار نفسية : منها إثارة الفزع والشعور بالخوف عند الابناء عبر شخصية البطل والمواقف التي تتهدده بالخطر ، والغرق في الظلمة والعواصف والأشباح خاصة إذا كان الابن صغيراً ويتخيل كل الأمور على أنها حقائق^(٣) .

وإشكالية أن برامج الرسوم المتحركة لا تدخل بمجرد وصفها رسوماً ملونة ، بل بما تحويه من قيم ومفاهيم وأدوات درامية اختزنتها المسلسلات الكرتونية ويتقبلها الابن كما هي .
إذا جلس الابن أمام شاشة التلفاز فإنه يعيش لحظات ممتعة بالنسبة له ، وأقوى تعليم ورسوياً في ذهن الابن هو : التعليم عبر الترفيه والشاشة الصغيرة أجادت ذلك وتفننت فيه ، فكيف كان الأثر ؟

في إحصاء عن الأفلام التي تُعرض على الابناء عالمياً ، وُجد أن :

٢٦ . ٦٠% منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

٢٧ . ٤٠% منها يعالج الجريمة والعنف والمعارك والقتال الضاري .

١٥% منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف .

وهنا انقل مقولة مهمة للطبيب النفسي (فريدريك ورتام) حيث يقول : «إن الابناء في سن الحادية العشرة يتأثرون بالعنف والجنس ، ويحيون حياة أشبه بأحلام اليقظة ، ويمارسون العادة السرية ، ويربطون بين القسوة والعنف والجنس»^(٦١) .

كما أن مشكلة إفساد أفلام الكرتون للقيم والتأثير على عقول الابناء لا يقتصر على العرب والمسلمين ؛ بل سعت دول آسيوية أخرى تعاني بدورها من نفس المشكلة ؛ فقد حذر خبير فنون كوري هو البروفيسور هان أستاذ قسم الرسوم المتحركة بجامعة سيجونغ بكوريا الجنوبية من هذه الرسوم واللعب لا سيما التي تنتجها (والت ديزني) الأمريكية ؛ حيث قال : "إنها تمجد قيم الحضارة الأمريكية ، كما حذر من الرسوم المتحركة اليابانية المعقدة التي تضع نظرة تشاؤمية للمستقبل وتنتشر الخرافات ، ودعا هان إلى ضرورة اعتماد شخصيات وقصص كرتونية وطنية تعبر عن الذات الدينية والحضارية والثقافية"^(٥) .

أمثلة على بعض تلك البرامج

أفلام الكرتون "ياماتحت السواهي دواهي"

إن مشكلة التلقي من خلال هذه الشاشة تكمن في أن المشاهد غير قادر على مراجعة ما يستقبله من برامج ، فهو يشاهد البرنامج تلو الآخر ، فتنساب الغايات والمفاهيم إلى اللاوعي من دون محاكمة ، هذا للمشاهد الكبير والواعي فما بالك بالابن ؟ !

ذكر العلماء والتربويون الحاجات الأساسية للطفل وهي :

(الحاجة إلى الغذاء ، والحاجة إلى الأمن ، والحاجة إلى المغامرة والخيال ، والحاجة إلى الجمال ، والحاجة إلى المعرفة) وأفلام الكرتون الرسوم المتحركة تلبى الثلاث حاجات الأخيرة ، وبهذا المقياس تكون إيجابية .

تنمية الخيال بأنواعه : القصصي والدرامي ، والخروج عن الواقع إلى شخصيات لا نجدها في عالمنا ، وأحداث لا يمكن أن تقع ، وقد يتسرع بعضنا إلى القول بأن ذلك سلبي ، والحق أن الخيال حاجة أساسية من حاجات الإبناء بشرط ألا يكون مغرقاً سلبياً لا يحمل قيمة ، ولا يغرس فضيلة^(٧) .

إن الخيال الذي نصادفه في أفلام الرسوم المتحركة هو الذي يعطي الابن الرؤيا البعيدة المدى ، وهو الذي يجعله يحلل ما يدور حوله من أحداث ومواقف ، ويفعل عمليات التفكير العليا لديه ، كالاستدلال والمقارنة والاستنتاج والتحليل والتركيب مما نفتقده في المدارس غالباً ، بسبب أننا نستبدل ذلك كله مهارة واحدة فقط تجعل الابن كالبيغاء ، وهي مهارة التذكر .
تعزيز الشعور الديني وتنمية المشاعر والوجدانات : وقد ظهرت بعض الشركات في

ماذا عن إنتاج أفلام الكرتون العربية على مستوى العالم ؟

في عام ٢٠٠٠م كان إنتاج اليابان من أفلام الكرتون ٢٢ ساعة أسبوعياً ، والرقم السنوي لليابان بمفردها هو ١١٤٤ ساعة تقريباً !!

وأما الدول العربية مجتمعة ، ففي أحسن الأحوال ، كانت لا تُقدّم أكثر من ٣٠ ساعة سنوياً ، ليس أسبوعياً !

فالنسبة بين إنتاجنا وإنتاج اليابان ٢% ، وهذه النسبة قد بُنيت على أحسن احتمال لإنتاجنا ، وأسوأ احتمال لإنتاجهم ، ناهيك عن فرق النوعية والجودة المتميزة في أعمال اليابانيين ، وأفلام الكرتون المنتجة محلياً ، البسيطة التي تفتقد إلى الحرفية والجودة العالية ، ومع ذلك فقد كانت نسبة إنتاجنا إلى إنتاجهم ٢% ! .

إيجابيات وسائل الاعلام وعلاقتها بالابناء ايجاباً :

تنمية الحس الجمالي لدى الابناء : إذ تُعطي الابن إحساساً باللون والشكل والإيقاع الصوتي الجميل وتناسق الحركة وملائمة أجزاء الصورة بعضها لبعض .

المدارس ، خاصة أن هناك بعض البرامج التي حُصصت لتقديم المعلومات بطريقة ممتعة وجذابة .

إطّلاع الابن على بعض الأحداث التاريخية مما يذكره بماضي أمته المجيد ، فهناك أفلام تحدثت عن : (محمد الفاتح - صلاح الدين - أسد عين جالوت - فتح الأندلس) وأخرها فيلم (محمد خاتم الأنبياء) .

أفلام الرسوم المتحركة الهادفة ، والجيدة المحتوى لها دور مهم في غرس القيم التربوية عند الابناء ، فهي تقدم أمثلة واقعية تطبيقية للصدق - والوفاء - والتعاون - ومساعدة المحتاجين - وتقديم العون للفقراء - وحب الوالدين - واحترام الجدين - والمعلمين والكبار^(٩) .

التلفزيون والثقافة :

الأول : أن كثيراً من البرامج الثقافية مملّة وغير ممتعة ، أو جذابة مقارنة بالبرامج الأخرى مما يجعلها لا تلاقى إقبالاً من الجمهور .

الثاني : أن كثيراً من الناس لا يحرص على تلك البرامج انطلاقاً من عدم حرصه على الثقافة .

الثالث : أن البرامج الثقافية قليلة في

العالم العربي أنتجت أفلاماً من التراث وغيره ، وأذكر منها آخر الأفلام وهو فيلم (محمد خاتم الأنبياء) الذي أنتج وفق أحدث التقنيات ، وبأيدي أمهر الرسامين في العالم ، وسجل أصواته في نسخته الانكليزية أقوى الممثلين الأمريكيين .

هذا الفيلم يُدكّر الابن بأحداث السيرة النبوية الشريفة ، ويعطيه صورة رائعة لبطولات اهل البيت عليهم السلام والصالحين إبان الدعوة وبداية ظهورها ، وهو على إيجابياته الكثيرة لا يسلم من انتقاد .

تنمية الشعور الوطني من خلال حث الابن على حب الوطن ، والتضحية في سبيله . تنمية الثروة اللفظية للطفل مما يمنحه قدرة على التعبير ، وفهم العربية الفصحى أكثر ، وأفلام الرسوم المتحركة تعلم الابناء العربية أكثر مما تفعله الكتب المتخصصة في القواعد والنحو ، ذلك لأن الابن يتكلم الفصحى ، ويسمعها في مجال التطبيق بعيداً عن التنظير ، وكثيراً ما يفاجئنا الصغار جداً بتعبير فصيحة ، مما يرسم البسمة على وجوهنا^(٨) .

تقديم المعلومات المختلفة للطفل مما يزيد من إطلاعه ، ويوسع من معارفه ، والابن اليوم يتعلم من أفلام الكرتون أكثر مما يتعلمه في

والاستهزاء والسخرية بالآخرين ١٢% والقذف
٣% من جهة أخرى تجسد العنف البدني في
سبعة مظاهر /
يتصدرها الضرب بالأيدي بمعدل نسبي

٢٥%

فإلقاء الأشياء على الآخرين بنسبة ٢٠%

ثم تقييد حركتهم بنسبة ١٨%

ثم الشروع في القتل بنسبة ١٧%

ثم خطف الأشخاص بنسبة ٩%

فالسرقه بالإكراه بنسبة ٧%

وأخيراً الحبس بمعدل نسبي ٣%

قد يقول البعض ولكنها لن تؤثر على سلوك
ابناءنا وإنما هي للترفيه فقط^(١١) ؟

الابن - كما هو معلوم - لا يملك رقابة ذاتية
من وعيه وإدراكه وشعوره ؛ لأنه في طور تكوين
فكرة عن الحياة ، وعمره لا يسمح له - إلا في
حدود يسيرة - التمييز بين الغث والسمين ،
والطيب والخبيث ، والقيح والجميل .

يضاف إلى ذلك أن مؤثرات الصوت والصورة
والحركة التي يراها الابن أمامه في الرسوم
المتحركة تشده وتقله إلى عالم آخر غير
واقعي ، فتراه متمسراً أمام التلفاز يتابع الأحداث
بكل اهتمام وانتباه ، ويكاد نفسه ينقطع إذا ما

التلفزيون مقارنة بالبرامج الأخرى .

الرابع : أن أكثر البرامج الثقافية في أوقات
غير مناسبة ، حيث تحتل البرامج الأخرى في
الغالب الأوقات الممتازة .

ويقابل تلك الفوائد الثقافية المحدودة بهذه
العوامل العلاقة السلبية بين طول زمن مشاهدة
التلفزيون وبين القراءة كما أثبتتها بعض
الدراسات^(١٠) .

**تأثير وسائل الاعلام على عقلية الابن
من ناحية العنف والسلام واثردلك في
مجتمع الارهاب :**

**تأثير وسائل الاعلام على عقلية الابن
من ناحية العنف :**

وأوضحت الدراسة أن تحليل مضمون
الرسوم المتحركة المستوردة من الغرب التي
عرضتها نفس القناة الفضائية العربية خلال
نفس الفترة كشف عن أنها تتضمن عنفاً لفظياً
تكرر ٣٧٠ مرة ونسبة بلغت ٦١% وبمعدل نسبي
يفوق العنف البدني الذي بلغت نسبته ٣٩% في
أحد مسلسلات الرسوم المتحركة (سلاحف
النينجا) كما تنوعت مظاهر العنف اللفظي
حيث ظهر السب والشتم بنسبة ٤٩%
والتهديد بالانتقام بنسبة ٢٣% والتحرير ١٤%

أنتجته ديزني بحجة أنه " مجرد كرتون لا غير
" ؛ لتغير المحتوى بشكل كبير عن الرسوم التي
ظهرت مبكراً بقوله : لأن إنتاج ديزني هو من
الرسوم المتحركة الموجهة للابناء والعائلات
فإن الناس يميلون إلى تقبل ما يأتي فيها والثقة
بأن كل فليم كرتون يحتوي على قصص جيدة
وجميلة وبريئة بدون أي تحفظات أو فحص
مسبق ، وأكد أن النظرة العامة تعد الشخصيات
الكرتونية فاقدة للهوية ، وهذا ما يسهل انتشارها
ونشرها لأيدولوجية راسمها^(١٤) .

" ونجد ان البلاستيشن " لذيد . . و ألعاب
الفديو (البلاي ستيشن) :

يرى العالم التربوي (شيلر) الفكرة التي
تقول : (بأن الترفيه لا ينطوي على أي بعد
تربوي أو نفسي ، هي اليوم أكبر خدعة أو كذبة
في تاريخ البشرية)

تؤكد إحدى الدراسات على أن الابناء
المشغوفين بهذه اللعبة يصابون بتشنجات
عصبية تدل على توغل سمة العنف والتوتر
الشديد في أوصالهم ودمائهم ؟ حتى ربما يصل
الأمر إلى أمراض الصرع الدماغي ، إذ ماذا
تتوقع من طفل قابع في إحدى زوايا الغرفة
وعيناه مشدودتان نحو شاشة صغيرة ، تضي
ببريق متنوع من الألوان البراقة المتحركة ،

تأزم الموقف ، ثم تنطلق صيحاته وتتحرك يده
بعنف وعفوية عند أي موقف مثير ، ناسياً ما
حواله ومن حوله^(١٢) .

وبالدراسة وُجد أن الابناء الذي يُقلدون
حركات : (غريندايزر) و (أبطال الملاعب) و
(الرجل الحديدي) و (الكابتن ماجد) قد بلغوا
نسبة %١٩ . ٢٨ .

وقد نادى كثير من المحذرين في هذا
المجال

فوجد من خارج الولايات المتحدة - وليس
من اليابانيين المدرسة المنافسة لديزني - نجد
من يعارض أفلام الكارتون التي تقدم من
المدرستين اليابانية والأمريكية لأنها تشكل
خطراً على الابن ومعتقد .

فقد حذر البروفيسور (هان) أستاذ قسم
الرسوم المتحركة في جامعة "سيجونغ" بكوريا
الجنوبية من خطورة الرسوم المتحركة
المستوردة على عقول الابناء ، وخاصة أفلام
والت ديزني الأمريكية التي تمجد قيم الحضارة
الأمريكية ، وتقُدس سيطرة الرجل الأبيض
وسيادته وكذلك الرسوم المتحركة اليابانية
المعقدة ، والتي تضع نظرة تشاؤمية
للمستقبل^(١٣) .

كما قال البروفيسور هان : إن تقبل كل ما

مخيف ، وعنوان كبير يملأ الشاشة ، مهمته تهيئة ذهن الابن لممارسة القتل حينما يشرع باللعب ، وهذه هي الرسالة الأساسية التي يتضمنها العنوان للطفل الصغير ، والابن يبدأ اللعبة متحزفاً مستعداً لقتل خصمه ، ويشعر أن هذا القتل مشروع بل إنه لا يفوز في اللعبة من غير القتل .

إن هذا القتل يتناسب مع ثقافة (رامبو) الشخصية الأمريكية الكرتونية الشهيرة وشخصية الأفلام السينمائية المعروفة ، والكاوبوي أو رعاة البقر ، ولكنه لا يتفق مع ثقافتنا الإسلامية ، نحن إذا رأينا الابن يتبع نملة ليقتلها نهيناه ، وإذا رأينا معه قطعة صغيرة يؤذيها أو عصفوراً صغيراً يلعب به أمرناه بالشفقة عليه ، وذكّرناه أن إيذاء هذه الحيوانات عمل مذموم ، فما بالك بقتلها أو التفنن في تعذيبها حتى تموت .

تبدأ اللعبة "وقت للقتل" باستعراض بعض صور شخصيات اللعبة ، وتبدأ بعرض صور كرتونية لساء جميلات عاريات أو شبه عاريات ، هذه الصور تهدم معنى من معاني ثقافتنا وأدبنا الإسلامي الذي ننشئ عليها أبناءنا وبناتنا وهو الستر والحياء والعفاف^(١٧) .

وبدأ الابن يلعب ، ولكن ضمن معايير وقيم

ويدها تمسكان بإحكام على جهاز صغير ترتجف أصابعهما من كل رجفة من رجفاته ، وتتحرك بعصبية على أزرار بألوان وأحجام مختلفة كلما سكن ، وأذان صاغية لأصوات وصرخات وطرقات إلكترونية تخفت حيناً وتعلو أحياناً أخرى لتستولي على من أمامها ، فلا يرى ولا يسمع ولا يعي مما حوله إلا هي^(١٥) .

ألعاب الفيديو والعنف :

يقول الدكتور سال سيفر : (إن ألعاب الفيديو يمكن أن تؤثر على الابن فيصبح عنيفاً ، فالكثير من ألعاب (القاتل الأول) « فيرست بيرسون شوتر » تزيد رصيد اللاعب من النقاط كلما تزايد عدد قتلاه ، فهنا يتعلم الابن أن القتل شيء مقبول وممتع^(١٦) .

لنتساءل : ألعاب الفيديو مجرد ألعاب أم وسائل ثقافية ؟ هي ألعاب وفي حقيقتها وسائل ثقافية فهي تعيد صياغة شخصية الابن وفقاً لثقافة أخرى غير ثقافته الإسلامية والعربية ، وهذه الصياغة تشمل مشاعره وطريقة تفكيره وقيمه وسلوكه ومفهومه لذاته وعلاقته بنفسه وبغيره .

مثلاً :

لعبة من ألعاب الفيديو اسم اللعبة « وقت للقتل " Time to kill " للهولة الأولى اسم

من القط والفار و٢٤% من جرايندايزر . وتنوعت أشكال العنف الذي مارسته الشخصيات الكرتونية : ٣٥% مشاجرات ، و٣٣% مقالب ، و١٤% معارك ، و٥% تعذيب ، و٥% تهديد ، وأن الابناء يميلون لتقليد ما يشاهدونه بنسبة ٨١% للذكور ، و٣٥% للإناث^(١٩) .

يقول الناقد الإعلامي جورج غويتير : "إن الذين يشاهدون التلفزيون بكثرة يرون العالم أكثر عنفاً مما هو عليه ، وهم أكثر شكاً من الذين لا يشاهدونه" .

ثم تحدث د . مثنى عن : التلفزيون والجنس ، وعن التلفزيون والمجتمع ، ثم أشار إلى دراسات متنوعة في أماكن مختلفة عن آثار التلفزيون على الابناء ، ومنها :

١- دراسة لعلي أسعد طه حول المتغيرات التربوية للمشاهدة التلفزيونية عند الابناء نشرتها مجلة جامعة الملك سعود (العلوم التربوية والدراسات الإسلامية) توصلت الدراسة إلى ما يلي :^(٢٠)

أ- يؤكد الابناء أهمية الدور التعليمي والتنقيفي للتلفزيون ، وهم مقابل ذلك يعطون للمدرسة دوراً أكثر أهمية فيما يتعلق بهذا الدور .

ب- تؤكد نتائج الدراسة وجود شريحة واسعة من الابناء الذين يتعرضون لتأثير أفلام الكبار

ثقافة أخرى ، وصور العري والقتل والدم المتفجر من الأجساد تتوالى على ذهنه سراعاً ، وتنطبع فيه مصحوبة بمشاعر الفوز والانتصار وبلوغ الهدف ، وكلها مشاعر جميلة تدخل السرور على النفس ، وفي كل مرة يتذكر الابن انتصاره في اللعب يقفز إلى ذهنه مع صور الانتصار وفقاً لقانون الارتباط الشرطي في علم النفس صور العري وصور القتل والدم ، وهكذا كما يستلذ الابن للانتصار يستلذ لصور العري والقتل والدمار ، ومرة بعد مرة تتغير قيم الحسن والقبح عند الابن ، وتتغير معها معايير الجمال والخير والشر والحق والباطل ، وهذا نموذج للعبة واحدة فقط وابناءنا لو سألناهم لذكروا لنا الكثير التي ينكرونها في بداية لعبهم ثم يألفونها ويستمتعون باللعب فيها^(١٨) .

مثال آخر :

لعبة بلاستيشن ملخصها أن اللاعب الفائز هو الذي يستطيع أن يعري المرأة التي أمامه أكثر من الآخر ، وآخر قطعة يسقطها الابن عن جسدها تكون هي مكمّن فوزه !

التلفزيون والعنف : وذكر "أن كثيراً من برامج الابناء لا سيما الكرتونية تمي العنف لديهم بشكل مريع ، وعلى سبيل المثال يحتل العنف ٤٢% من شخصيات سلاحف النينجا و٤٠% من

والسهرة .

أسبوعياً ، وأن أكثرية الابناء يشاهدون التلفزيون في المساء مع ذويهم ، وتبين الدراسة ضعف مراقبة الآباء وتوجيههم فيما يتعلق بمشاهدة ابناءهم لبرامج التلفزيون^(٢١) .

ج - هناك شريحة واسعة من الأسر التي لا تمارس أيّاً من عمليات ترشيد الاستهلاك الإعلامي التلفزيوني وتترك لابناءها الحبل على الغارب في مشاهدة الأفلام غير المخصصة لهم ، وبالإضافة إلى ذلك فإن أفراد هذه الأسر لا يوجهون ابناءهم إلى مشاهدة أي من البرامج المفيدة .

تأثير وسائل الإعلام على عقلية الابن من ناحية السلام واثرت ذلك في المجتمع الإسلامي :

التعامل مع الأديان :

ولعبة أخرى يدخل فيها اللاعب إلى قصر كبير له قب له يجد أناساً على شكل صفوف ولا يمكن للاعب أن يفوز حتى يقتلهم ثم يتجه بعد ذلك إلى صندوق صغير أخضر ليطلق عليه بعض الرصاصات وينفجر بعد ذلك تنتهي المرحلة وينتقل إلى مرحلة أخرى .

تحتل الأفلام المتحركة المستوردة والتي تتسم بطابع العنف أولوية اهتمام الابناء ، ويلاحظ ندرة البرامج التعليمية والعلمية التي وردت في سلم أوليات إجابات الابناء .

هل اتضحت الصورة أم تحتاج إلى شرح :
(مسجد - مسلمون يصلون - مصحف يتم تدميره)^(٢٢) .

٢- وتعد دراسة هلدت . هيملويت (التلفزيون والابن) من الدراسات الجيدة التي أجريت حتى اليوم على تأثير التلفزيون على الابن ، وقد أجري البحث على عينة بلغت ٩٢٧ من الابناء البريطانيين الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة من العمر ، وقد تناولت الدراسة قضايا متعددة جداً حول مسألة العلاقة بين الابن والتلفزيون ، ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة : أن الابناء الذين لا يشاهدون التلفزيون يفوقون الابناء المشاهدين في مستوى الأداء المدرسي ، وأن الابناء يشاهدون التلفزيون من ١٣ إلى ١٥ ساعة

سلبات ألعاب الفيديو على القيم الإنسانية :

الألعاب الإلكترونية تعتمد اعتماداً كلياً على الخيال ، والإكثار منه ، وهذا بالنسبة للابناء الصغار فيما دون العاشرة مضر لهم معيق

الألعاب التي تستخدم القوة في الوصول إلى الهدف .

شجع طفلك على الألعاب المشتركة وتجنب ما أمكن الألعاب الفردية ، إن طفلك بحاجة إلى أن ينمو في تواصله الاجتماعي فشجعه على ذلك وهئى له سبله .

شجع طفلك على الألعاب ذات الحركة الجسمية التي تستدعي منه الحركة والانتقال من مكان إلى آخر مثل : (الجري وكرة القدم وكرة التنس وكرة السلة و السباق و السباحة ...)^(٢٤) .

في جميع الألعاب ابحث عن البديل القيمي والبديل الأقرب إلى ثقافة طفلك ، لا تترك ثقافة أخرى تختطفه من بين يديك وأنت لا تشعر .

خصص وقتاً للألعاب الإلكترونية وما يشابهها كأفلام الكرتون ، ولا تتركها تستأثر بوقت طفلك كله ، فهو بحاجة إلى الحركة ، وبحاجة إلى الثقافة ، وبحاجة إلى أنواع أخرى من اللعب .

خصص لطفلك وقتاً لمشاهدة بعض الأفلام النافعة مثل : فلم الرسالة أو عمر المخترع أو فلم صلاح الدين الكرتوني أو محمد الفاتح أو بعض القنوات والبرامج القيمية ، أو الأفلام التي تتحدث عن الطبيعة وحيواناتها ، أو الفلك

لنموهم ، والابن يحتاج أن يدرك الواقع ويتعرف عليه كي يصدر أحكاماً واقعية على بيئته ، ويحتاج أن يدرك الواقع كي يعرف قوانين السببية التي تحكم العالم من حوله .

الألعاب الإلكترونية تقوم على قلة الحركة فالابن يجلس في مكان واحد ساعات طويلة يلعب أمام الشاشة ، وربما كان أيضاً يأكل بعض الحلويات أو يشرب المشروبات الغازية ، والجلوس من غير حركة مع الأكل المستمر مدمر لصحة الابن^(٢٣) .

كثير من الألعاب فردية تفصل الابن عن محيطه وتعلمه الوحدة ، وهذا معيق للنمو الاجتماعي عنده مضعف لتواصله مع الآخرين . ولكن ما العمل في هذا المجال ؟ نقول ألعاب الفيديو والتعامل معها بإيجابيه :

لست ممن يؤيدون منع ألعاب الفيديو (البلاستيشن) تماماً ولكن يمكن أن نتعامل معه بإيجابية وفق التالي :

قلل من الألعاب الإلكترونية لطفلك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وشجّع طفلك على استخدام سواها ، مثل الألعاب التركيبية اليدوية تُمثل بديلاً حسناً وغيرها كثير .

شجّع طفلك على الألعاب الذهنية التي تستخدم العقل في الوصول إلى الهدف وتجنب

وبعض القصص المعاصرة ذات القيم التربوية ونخرج معهم للفسحة ، ونخطط لأوقاتهم . ومع هذا كله . .

لننتقل أكثر في التفكير الدائم لإيجاد أفكار متجددة تنمي قدرات ابناءنا لإعدادهم للمستقبل ، بدلاً من إفناء حياتهم فيما يعود بالضرر البالغ عليهم .

وبعد استعراض هذه الدراسات ذكر د . مثنى ١٨ عاملاً من العوامل الوقائية لتلافي الآثار السيئة للقنوات الفضائية ووسائل الإعلام الأخرى ، ومنها :

١- التربية الإسلامية بمفهومها العام هي خير معين لتجنب وتقليل الآثار السلبية للقنوات ، ودعم التأثير الإيجابي .

٢- تهيئة البيئة الصالحة في البيت والمدرسة والجيران للحفاظ على فطرة الله من البداية .

٣- الثقافة الوقائية ؛ حيث يجب على الآباء تثقيف أنفسهم بمعرفة آثار التلفزيون على الابناء ووسائل تجنب مخاطره . تقول إليزابيث ثومان التي تدير مركزاً يعطي دروساً لتوعية الآباء عن طريق دورات بعنوان : (الآباء في عصر التلفزيون) مدتها ثماني ساعات : «إذا كان الابناء سيشاهدون ٢٠,٠٠٠ ساعة قبل التخرج

ونجومه وأفلاكه ، فهو بحاجة إلى الثقافة والمعرفة ، وشجعه عليها ، ولكن لا تركها أيضاً تستأثر بوقته^(٢٥) .

علم طفلك أن هناك أوقاتاً للجد والعمل المثمر وهناك أوقاتاً للعب ، ومن الخطأ أن يطغى وقت اللعب على وقت الجد .

إياك أن تحرم ابنك أو بنتك من اللعب ، أو تصوره له على أنه أمر مذموم يجب أن يترفع عنه ، فاللعب ضروري له ولنموه ونشأته نشأة سليمة سوية ، وهو عون له على مزاوله الجد في حياته ، ولا يوجد إنسان يستغني عن اللعب ، فشجّع ابنك على اللعب ولكن بقدر ، وتذكر أن النفس السوية المستقرة تحتاج قدراً من اللعب والمرح .

حدد ساعات معينة للعب في الألعاب المختارة بعناية بحيث لا تزيد عن ساعة في اليوم الواحد أو ساعتين على الأكثر متقطعتين غير متواصلتين ، حتى لا تضيق أوقات الابناء هدرًا ، وقد ذكر خبراء الصحة النفسية والعقلية على ضرورة قضاء ٧٥% من وقت فراغ الابن في أنشطة حركية ، وقضاء ٢٥% في أنشطة غير حركية .^(٢٦)

لا بد أن نمنح ابناءنا من أوقاتنا ، لنتحاور معهم ، ونقص عليهم قصص تاريخنا الجليل ،

- ٤- إيجاد البدائل المفيدة .
- ٥- التربية بالترويح من خلال ممارسة الابناء والشباب كل ما يروح عنهم من ألعاب وترفيه بريء .
- ٦- التربية بالقُدوة : حيث من السهولة تأليف مؤلف في التربية أو وضع نظرية ، ولكن من الصعوبة جعله بشراً يتحرك ، ومن الصعوبة لعامة الناس أخذ المنهج من مؤلفات وكتب ، ولكن من السهولة أخذه من نموذج حي . والتربية بالقُدوة لها أثر بالغ في التربية الوقائية بل وفي صلاح الأمم ، وما إرسال الرسل بشراً إلا ليقنّدى بهم .
- ٧- التربية بالتعليم : لما للتعليم من دور كبير في التربية الوقائية .
- ٨- التربية بالأحداث : واستغلال المناسبات المختلفة ؛ لأخذ العبر والعظات ، فالحياة أحداث ومواقف متتالية ، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها ، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها ، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه .
- ٩- اكتشاف ميولهم ومواهبهم المفيدة وتنميتها ، وهذا يساهم في صرفهم عن ميولهم الضارة كما سيساعدهم على تكوين ذواتهم وكمال شخصياتهم^(٢٩) .

- في المدارس العليا أفلا يتوفر لدى الآباء ثماني ساعات للتأكد من أن وقت المشاهدة سيكون مثمراً أو على الأقل ليس مخرباً؟^(٢٧) .
- كما يجب تحصين الأولاد وتنقيفهم ثقافة وقائية مما في الشبكة العالمية (الإنترنت) ؛ وعدم التسليم بكل ما فيها ، نظراً لوجود كثير من الأمور الباطلة في مواقع كثيرة في الشبكة ، ومن ذلك :
- إثارة التحريف في كلام الله من خلال اختلاق قراءات جديدة .
 - وجود كثير من الشُّبه على الدين الإسلامي في مواقع منحرفة .
 - مواقع الدردشة المفتوحة وما فيها من تضليل وانحراف .
 - مواقع إسلامية غير موثوقة تنشر فتاوى مضللة أو معلومات منحرفة .
 - مواقع بأسماء إسلامية لفرق إسلامية منحرفة تحوي عقائد باطلة .
 - مواقع تتضمن منشورات ومعلومات ضد علماء الإسلام .
 - مواقع تتضمن نشرات جنسية فاضحة .
 - وغير ذلك من أساليب التضليل والإغواء^(٢٨) .

أياماً من الشهر أو أيام الاختبارات ، وتعويد الأسرة الاستغناء عنه تلك الأيام دون الضجر من ذلك بل بقناعة كاملة ، وهذا ما حصل في أكثر من ألف مدرسة بأمريكا منها ٣٠٠ بمشقة شجعت الطلاب على إغلاق التلفزيون وأخذ إجازة منه أسبوعاً كل عام لأهمية ذلك على العلاقات الاجتماعية^(٣١) .

وهناك أم أمريكية اسمها فرانسيس مورلابي أدركت أن التلفزيون خطر على أولادها ، وقد سجلت تجربة طوال عقد من الزمن ومارست خلاله عملاً دؤوباً في تربية أولادها بعيداً عن التلفزيون وسجلت هذه التجربة في كتاب بعنوان : (ماذا تفعل بعد إغلاق التلفزيون) أوضحت في الكتاب الفوائد النفسية والاجتماعية والتربوية والثقافية التي جنتها أسرتها من إغلاق التلفزيون ، وأن صديقاتها اللاتي حذون حذوها أكدن ذلك " .

في شهر يناير ١٩٩٥م وفي ولاية كينناكت مول مجلس مكتبة فارمينغتن العامة وهيئة التعليم بالبلدة حملة لإغلاق التلفزيون لمدة شهر ؛ ومع أن الاستجابة كانت متفاوتة وليست كبيرة إلا أن عدداً كبيراً من المدرسين لاحظوا التغييرات الإيجابية التي

طرأت على الطلاب المستجيبين ؛ فقد زاد

١٠- تعليمهم المسؤولية ، وتحميلهم إياها منذ الصغر ، وإشراكهم فيها ، ويرى جميع المربين أن تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الابن ينبغي أن يكون الهدف الذي تسعى إليه تربيته وتعليمه .

١١- التربية الوقائية بالحوار وتعويدهم الصراحة ومناقشتهم في كافة الأمور المفيدة ، ومن ذلك مشاورتهم في الأمور العائلية ، وإشراكهم في القرارات الأسرية كل حسب سنه ونضجه ، وسماع آرائهم واحترامها ، وهذا له دور في بناء شخصيتهم ، وبناء القناعات المفيدة التي يتبناها الولد في المستقبل ، والتي تساعده في الوقاية مما يسيء إليه^(٣٠) .

١٢- وضع عدة تدابير وقائية مباشرة للحد من خطورة التلفزيون مثل :

أ- وضع نظام وقتي للمشاهدة يطبقه الأولاد بإشراف الوالدين برقابة ذاتية منهم ، ويهدف إلى تقليل تأثير التلفزيون على نشاطاتهم الأخرى مثل الصلاة والقراءة والزيارات والواجبات الدراسية والنوم المبكر .

ب- وضع جهاز التلفزيون في مكان عام في المنزل حتى لا ينفرد الابن أو المراهق بمشاهدته .

ج- إغلاق التلفزيون يوماً في الأسبوع أو

وفي نهاية هذا العرض والتقديم المختصر لما تفضل به د . حيدر ود . مثنى أسرد أسماء المحاضرات الأخرى التي أقيمت في هذه الندوة :

١- من معالم المنهج النبوي في تربية الابناء والناشئة د . لطيف يونس .

٢- فهم نفسية الابناء أ . د . عصام المعموري .

٣- الغيرة بين الأبناء الأسباب والعلاج د . حيدر التميمي .

٤- الثواب والعقاب في التربية د . عصام المعموري .

الخاتمة :

وبعد ان وصلنا الى بر الامان في بحثنا هذا نود القول إن الإعلام يلعب دوراً مهماً في حياة الأمم و الشعوب ، و لا تكاد تخلو أمة من أمم الأرض ، أو شعب من شعوبها من تأثيره ، سلباً أو إيجاباً ، و إن اختلفت سبل و طرق هذا التأثير . . . و يظل الإعلام المعاصر بتقنياته المتطورة ، ووسائله المختلفة رمزاً من رموز التحضر ، و معلماً من معالم التقدم بين الأمم ، فيه تستطيع الأمة ، أية أمه ، أن تضاهي بمبادئها و قيمها و منجزاتها ، و عن طريقه

انتباههم ، وقلَّ الإرهاق ، وتحسن مستوى تحصيلهم ، تقول إحدى الطالبات من بلدة فارمينغن : لقد قرأت في هذا الشهر مزيداً من الكتب ، ومارست مزيداً من الألعاب ، ووجدت وقتاً كافياً لترتيب غرفتي^(٣٣) .

لذا يطالب الخبير التربوي هارفي ديوتيل بضرورة إغلاق التلفزيون من أجل القراءة ومن أجل حياة الأسرة ومن أجل الإبداع ، وفي الأسبوع الأخير من إبريل ١٩٩٦م نظمت جمعية من المربين وأولياء الأمور في أمريكا أسبوعاً لإغلاق التلفزيون على مستوى البلاد وأرسلوا دعوات عبر الإنترنت ، وقد استجابت لذلك مليون أسرة ، وتهدف هذه الدعوة إلى توفير أوضاع ملائمة لزيادة الاجتماعات العائلية والقراءة والتدريب والاستمتاع بالطبيعة والتفكير والإبداع والإنتاجية .

في الغرب تقوم هذه الدعوات لأجل الأسرة والقراءة والإبداع لما للإفراط في مشاهدة التلفزيون من آثار اجتماعية سيئة على الأسرة وسلبية على القراءة والإبداع والإنتاجية ، وإضافة إلى هذه الأمور نحن كمسلمين لدينا من الدواعي الكثيرة التي تجعلنا أكثر حرصاً منهم كالحفاظ على ديننا وحياتنا وثقافتنا وأوقاتنا .^(٣٣)

الأخلاق أو يجلس ولده مع رفيق سوء ، لأجل الحفاظ على دين و لده و سلامة أخلاقه ، فلا يرى من هذا أو ذاك سيء الأفعال و سوء الأخلاق فيتعلم مما يشاهده منهما ، وكذلك لا يرضى لولده أن يقوم بأشياء تضر جسمه و تؤذيه . فإذا ما وصل الأمر إلى جهاز التلفزيون تبخر عند الكثير من الآباء كل هذا الحرص على دين أولادهم و أخلاقهم و أجسامهم ، فلا يمانع أحدهم أن يجلس و لده إلى هذا الدخيل و جليس السوء فيشاهد فيه أنواعاً شتى و صنوفاً مختلفة من أفعال الشر و الإجرام و العنف و الجنس من قتل و ضرب و اغتصاب و تقبيل و جماع و سرقة و سكر و كذب و غش و تزوير و احتيال و إدمان للدخان و المخدرات و فسق و ... إلخ .

تفتح الأمة نوافذ المعرفة و سبل الاتصال ، و وسائل التعارف بينها و بين شعوب الأرض . و إذا كان الراديو قد ربط بين الشعوب المختلفة في نقله للأخبار ، و توصيلة للمعلومات ، و نشره للمعرفة و الآراء المختلفة التي تجود بها قرائح الكتاب و المفكرين فإن التلفزيون قد جاء ليضيف أبعاداً جديدة للعملية الإعلامية ، بالصوت و الصورة معاً ، و ليدخل معظم البيوت ضيفاً مرحباً به من الجميع . . كبار و صغار . . متعلمين و أنصاف متعلمين و أميين .

إن الأب المسلم حريص جداً على تربية و لده التربية الحسنة ، و تنشئته النشأة الصالحة ، و العناية بجسمه و صحته ، و بناءً على ذلك ، فلا يرضى أن يدخل إلى بيته شخصاً سيئ

الهوامش :

- [١] دور البيت في تربية الابن المسلم لـ خالد أحمد الشتوت ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠م ، ص ١١٠ .
- [٢] المصدر نفسه : ص ١١١ .
- [٣] مجلة المعرفة ، العدد ٢٤ ، ربيع الأول ، ١٤١٨هـ ، ص ٥٤ .
- [٤] المصدر نفسه : ص ٥٥ .
- [٥] الفضائيات و الإنترنت معالجة السليبيات لدى الناشئة تعزيراً للإيجابيات ، د . ذوقان عبدالله عبيدات ، ضمن ندوة التربية الوقائية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج المنفذة في جده ٨-٩/٤/١٤٢٤هـ ، ص : ١٥ .
- [٦] المصدر نفسه : ص ١٦ .
- [٧] مجلة الحرس الوطني ، العدد ١٠٦ ، ذو الحجة و محرم و صفر ١٤٢٢/١٤٢٣هـ ، ص ٣٤-٣٨ .
- [٨] المصدر نفسه : ص ٣٩ .
- [٩] آثار مشاهدة التلفزيون على تنمية عادة القراءة عند طلاب و طالبات المرحلة الابتدائية ، كلية المعلمين بالدمام ،

- الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ، ص ٧ ، ٦٣ .
- [١٠] المصدر نفسه : ص ٩ .
- [١١] مجلة الأسرة ، عدد ٤٠ ، رجب ، ١٤١٧هـ ، ص ١١ .
- [١٢] مجلة جامعة الملك سعود ، مجلد ٨ ، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١) ص ٣٠٦ .
- [١٣] المصدر نفسه : ص ٣٠٧ .
- [١٤] مجلة المعرفة ، عدد ٣٧ ، ربيع الآخر ، ١٤١٧هـ ، ص ٧٨ .
- [١٥] مجلة الأسرة ، عدد ٤٠ ، رجب ، ١٤١٧هـ ، ص ١٣ .
- [١٦] المصدر نفسه : ص ١٣ .
- [١٧] المصدر نفسه : ص ١٥ .
- [١٨] الإعلام في العالم الإسلامي الواقع والمستقبل ، د . سهيلة زين العابدين
- [١٩] مقال : الابن المسلم والإعلام المطلوب ، إدريس الكنهوري
- [٢٠] المصدر نفسه .
- [٢١] بتصرف موقع الإسلام اليوم ، مقال : ألعاب الفيديو والخطر البديل ، د . خالد الحلبي
- [٢٢] المصدر نفسه .
- [٢٣] الأب الثالث والابناء الاتجاهات الحديثة لتأثيرات التلفزيون على الابناء ، محمد معوض ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ص ٢١ .
- [٢٤] المصدر نفسه : ص ٢٢ .
- [٢٥] بتصرف من كتاب " الغزو الفكري في أفلام الكرتون ، د . أحمد تنوف ، ٢٠٠٧م
- [٢٦] المصدر نفسه .
- [٢٧] الدراسة نشرتها مجلة المستقبل الإسلامي في عدد ١٥٨ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ
- [٢٨] المصدر نفسه .
- [٢٩] الدراسة نشرتها مجلة المستقبل الإسلامي في عدد ١٥٨ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ
- [٣٠] المصدر نفسه .
- [٣١] مجلة الأسرة ، عدد ٤٠ ، رجب ، ١٤١٧هـ ، ص ١٣ .
- [٣٢] المصدر نفسه : ص ١٤ .
- [٣٣] مجلة الأسرة ، عدد ٩٦ ، ربيع الأول ، ١٤٢٢هـ ، ص ٢٣ .

في رحاب أهل البيت

السيد ضياء فليح حسن الحيدري
استاذ في الحوزة العلمية

اشارات التكافل الاجتماعي في وصية الامام علي عليه السلام

مقدمة

الحمد لله على لطائف صنعه وبدائع خلقه ، موجد الخلائق ، آله الاولين والآخرين ، رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، وصلى الله تعالى ذكره على اشرف الانبياء وعلى آله الاخيار المصطفين الابرار سفينة النجاة التي يأمن ركبها وبغرق من تركها .

وبعد : -

ان الله سبحانه وتعالى عندما ارسل الرسل والانبياء وضع نظاماً للتكافل الاجتماعي من خلال تشريعاته الكثيرة لتنظيم حياة الناس ، وجعل للفقراء حقاً من اموال الاغنياء ، ثم امرهم بايصاله اليهم تارة على نحو الوجوب وتارة اخرى على نحو الاستحباب ، وقد اخذ نظام التكافل الاجتماعي صور عديدة حسب ما جاءت به الشريعة ، فمنها على شكل زكاة ، او خمس ، او كفارة ، او فدية ، او غيرها ، كما ان هذا النظام وعبر هذه الصور يثري حركة وتوزيع السيولة التقدييه والقدرة المالية عند

والحسين عليهما السلام قبل استشهاده ، وذلك لتسليط الضوء على اشارات التكافل الاجتماعي التي اشار اليها الامام عليه السلام للاستفادة منها في تأصيل هذا الموضوع ووضع لبنة جديدة مع من بحث هذا الموضوع من قبلي من الباحثين ولعلمهم غفلوا عن بعض الاشارات او ان الموضوع يحتاج الى تأصيل والى تركيز اكثر ولتوضيح بعض الغموض وحل بعض الاشكالات والالتباس الذي قد حصل في الماضي ، ولتوضيح وبيان ان نظام التكافل الاجتماعي الاسلامي جاء لينفي جميع اسباب الظلم في المجتمع الذي يؤمن لكل فرد من افراده في المجتمع حاجاته الضرورية حتى يعيش عيشة كريمة انسانية دون ان يدخل ذلك اي اذلال او اهانة لان حق الحياة الكريمة هو حق الهي فرضه الله تعالى ذكره لكل انسان خلقه ، فلم يغفل امير المؤمنين عليه السلام عن ذكر هذه الفكرة الجوهرية في حياته ، وقد اشار الى ذلك في عدة مناسبات في حياته ، في عهوده ومراسلاته الى عماله او من خلال خطبه او من خلال وصيته عليه السلام لولديه قبل استشهاده فقد كانت وصيته عليه السلام هي محل نظر وتأمل ودراسة في هذا البحث .

وبعد الاتكال على الله تعالى شأنه تم وضع خطة علمية ليسيير عليها البحث وفق اصول

توزيعها بشكل متساوي بين افراد المجتمع ، فوجد نظام آخر وهو النظام الاقتصادي ، لذا فكان لزاماً على المجتمع المسلم مراعاة تشييط نظام التكافل الاجتماعي بين المسلمين والتعاون بينهم فيراعي الاثرياء حقوق الفقراء ويبسطوا ايديهم بالخيرات والمشاريع النافعة لسد حاجة المجتمع حتى لا تمتد ايديهم الى ما حرم الله ولا يستغلوا من قبل ضعاف النفوس لسد حاجاتهم وفاقتهم .

ومما تقدم جاء سبب اختيار الموضوع لاهميته في زماننا الحاضر ، ولتسليط الضوء اكثر ، وذلك لبيان واقع هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي في نفس الوقت ، والذي يعني الطريقة الصحيحة لتنظيم الحياة الاقتصادية وفق نظرة اسلامية شرعية لتنظيم حياة المجتمع ، حيث يشمل النظام الاقتصادي الاسلامي على علاقة الانسان باخيه الانسان في مجالات انتاج الثروة وتوزيعها وتداولها ، وكان الهدف الرئيسي والاساسي لهذا النظام وهذا المذهب هو اقامة العدالة بين الافراد ، وبالتالي هذا هو الهدف نرجو من البحث بيانه وايضاحه وتحقيقه .

ثم تم اختيار وصية امير المؤمنين الامام علي عليه السلام لولديه الامامين الحسن

والعناء ، وجعل للوصول إلى أحد الغايتين مقياساً وهو رضا الله سبحانه ، فإنه يوصل إلى الجنة ، وعدم رضا الله سبحانه يوصل إلى النار ، قال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) وما دام الانسان تكمن فيه غريزة حب الذات فهو يعمل لتلك الغريزة ويعمل أيضاً لما فيه مصلحته من نيل الجنة بواسطة رضا الله تعالى ، وجاء رضا الله تعالى في رسالة الاسلام بتحقيق المصلحة الشخصية والمصلحة الاجتماعية معاً ، وبعبارة أخرى كانت المصلحة الاجتماعية التي يسعى إليها الفرد هي من ضمن مصلحته الشخصية لأنها ميدان يكون العمل فيه حاوياً على تعويض كبير في الحياة الأخرية ، فصارت مسألة المجتمع هي مسألة الفرد في حساب الدين الاسلامي بواسطة التفسير الصحيح للحياة بحيث يشمل الحياة الأخرية التي هي الحياة الحقيقية والأساسية للانسان ، وبهذا أصبح الفرد لا ينظر إلى حياته الدنيوية المحدودة فقط بل ينظر إلى حياته الأخرية أيضاً التي يكون الخسران في الحياة الدنيا لصالح المجتمع وصالح الآخرين هو نفع شخصي قد حصل عليه^(٢) .

فكل من درس الإسلام دراسة جادة

البحث العلمي الاكاديمي ، مضافاً الى الاسلوب الحوزوي للحصول على نتائج اكثر دقة وموضوعية واكثر وضوح ، فقد بنى البحث على : مقدمة ، ومدخل ، ومبحثين ، المبحث الاول جاء لتوضيح نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام وتسلط الضوء على ابرز اركانه ومقوماته وفق التشريعات الاسلامية ، واما المبحث الثاني فقد جاء لتوضيح وشرح اهم الاشارات التي جاءت بها وصية الامام عليه السلام في التكافل الاجتماعي ، ثم جاء دور الخاتمة والتي تم ادراج اهم النتائج التي توصل اليها البحث .

وفي ختام هذه المقدمة اجد لزاماً علي ان اشكر الله تعالى ذكره ان جعلني من طلاب العلم واهله ، وان يمن علي بقبول هذه العمل المتواضع باحسن القبول انه نعم المولى ونعم القدير ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، والحمد لله رب العالمين .

مدخل

عندما جاء الاسلام وضع للحياة مفهوماً جديداً ، وجعل لكل فرد من افراد المجتمع حقوقاً ، فالحياة الدنيوية في الاسلام طريق إلى الحياة الأخرية التي هي إما خلود في الجنة بلا عناء ولا شقاء ، أو خلود في النار مع الشقاء

وسبيل المصلحة العامة وقوة الجماعة وتحقيق التكافل الاجتماعي^(٤).

وحت الإسلام على التراحم والتعاطف وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه : « اتقوا الله وكونوا إخوة برة متحابين في الله ، متواصلين ، متراحمين ، تزاوروا »^(٥) وفي قوله هذا يكون على المسلمين الاجتهاد في التواصل ، والتعاون و التعاطف والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض حتى يكونوا كما أمرهم الله عز وجل رحماء بينهم متراحمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوله عليه السلام : تواصلوا ، وتباروا ، وتراحموا ، وتعاطفوا ، لأن المجتمع الإسلامي لو سار على هذه النصائح لكان المسلمون يداً واحدة ولانسد الطريق أمام أعدائهم وخصومهم ، وما وجد في مجتمعهم فقير أو محروم فإن التعاون والتواصل من أوثق الأسباب التي توجد التكافل الاجتماعي بين المسلمين^(٦).

وكان من الواجب على المسلمين كافة الإحسان إلى المساكين والفقراء : وهم المحتاجون الذين لا يجدون ما يكفيهم ، والإحسان إليهم بالتصدق عليهم ، أو بردهم رداً

وفاحصة يؤمن إيماناً لا يشوبه ريب بأن الحق والصدق هما جوهر الإسلام وركيزته وهدفه من كلمة لا إله إلا الله التي تعني المساواة بين الناس ، وتسعى إلى تقييم الإنسان على أساس العمل والإخلاص ، لا على أساس المال والجاه والنسب ، ومن خلال نظام التكافل الاجتماعي ، ومسؤولية كل راع عن رعيته ، ممكن الوصول إلى دعوة الأمن والسلام ، والتقدم والرخاء ، إلى ما لا نهاية^(٣) ؛ كما أننا نجد أهل البيت عليهم السلام قد اهتموا في بناء الجماعة الصالحة بموضوع التكافل الاجتماعي ، لكونه أحد الأسس في تحقيق الوضع الاقتصادي الأمثل .

إن بناء الأمجاد في الأمة ، وطريق الحفاظ على استقلالها وعزتها وكرامتها يحتاج إلى تعاون افرادها وتضامن أبنائها ، فلا يتحقق تقدم ولا تسمو أمة من دون التضحية بالمال والنفس والآخره ميزان الأعمال الصالحة ، وفيها رصيد خالد دائم لكل من يعمل خيراً أو يؤدي واجباً ، ولكن الناس في التعاون وفعل الخير متفاوتون ، فمنهم من يقدم على الخير لذاته حبا فيه ، ومنهم من يفعل الخير خوفاً من العقاب وطلباً للثواب ، وهؤلاء هم المحتاجون للتذكير والخطاب الإلهي الأمر بالإنفاق في

جميلا ، لقوله تعالى ذكره : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾^(٧) وهذا يحقق مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام^(٨) .

إن النظام الاجتماعي إنما هو حصيلة الأفكار العملية ، التي يحصل عليها الإنسان خلال تجربته الاجتماعية ، للعلاقات التي يشترك فيها مع الآخرين ، كما أن أشكال الإنتاج حصيلة الأفكار التأملية والعلمية ، التي يحصل عليها الإنسان خلال تجربته الطبيعية ، لقوى الإنتاج وسائر قوى الكون ، وحيث ان التجارب الطبيعة قصيرة الأمد ، فمن الممكن أن تتوفر وتتجمع بسرعة نسبياً ، فتتطور أشكال الإنتاج بصورة سريعة ، على العكس من التجربة الاجتماعية ، فإنها تعني تاريخ مجتمع برمته ، فلا تنمو الأفكار العلمية خلال هذه التجربة البطيئة ، بنفس السرعة التي تنمو بها الأفكار التأملية والعملية خلال التجربة الطبيعية ، ومن الطبيعي عندئذ أن لا تتطور في البدء أشكال النظام ، بنفس السرعة التي تتطور بها أشكال الإنتاج^(٩) .

ويعبر عن نظام التكافل الاجتماعي في بعض الاحيان ، بنظام التكافل الاجتماعي الخاص ، اشارة الى تحمل الفرد مسؤولية خاصة تجاه بقية المسلمين في القضايا المالية

المرتبطة بحياة الأفراد ومعيشتهم ، من المبادئ التي دعا إليها الاسلام عامة ؛ كما دلّ على ذلك الكثير من النصوص ، منها ما رواه الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه ، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ ، رحماء بينكم متراحمين »^(١٠) .

نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام اولاً : نشأة نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام :

لقد أعلن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مبدأ التكافل الاجتماعي وفق شريعة الاسلام ورفع شعاره بينهم ، ودعا المسلمين كافة إلى تطبيقه في جميع مجالات حياتهم العامة ، لأنه ينفي عنهم جميع ألوان البؤس وأنواع الشقاء ، والفقر والحرمان ، ويقود مجتمعهم إلى شاطئ الخير والرفاهية والمحبة والمساواة والعدالة الاجتماعية ، وعلينا أن نشير إلى بعض معالمه .

اول تكافل اجتماعي في الاسلام هو المؤاخاة ، فعندما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى

وَتُرَكِّبُهُمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ
لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾ هذه الآية الكريمة
من الآيات التي فيها إشارة إلى أحد الأحكام
الإسلامية المهمة ، وهي مسألة الزكاة ، حيث
تأمر النبي ﷺ بشكل عام أن خذ من أموالهم
صدقة ، إن كلمة (من) التبعية توضح أن
الزكاة تشكل - دائما - جزءا من الأموال ، لا
أنها تستوعب جميع الأموال ، أو الجزء الأكبر
منها ، ثم تشير إلى قسمين مهمين من الفلسفة
الأخلاقية والاجتماعية للزكاة ، حيث تقول :
تطهرهم وتزكّيهم بها فهي تطهرهم من الرذائل
الأخلاقية ، ومن حب الدنيا وعبادتها ، ومن
البخل وغيره من مساوئ الأخلاق ، وتزرع
مكانها خلال الحب والسخاء ورعاية حقوق
الآخرين في نفوسهم ، وفوق كل ذلك فإن
المفاسد الاجتماعية والانحطاط الخلقي
والاجتماعي المتولد من الفقر والتفاوت الطبقي
والذي يؤدي إلى وجود طبقة محرومة ، كل
هذه الأمور ستقتلع بتطبيق هذه الفريضة
الإلهية وأدائها ، وهي التي تطهر المجتمع من
التلوث الذي يعيشه ويحيط به ، وكذلك سيفعل
التكافل الاجتماعي ، وينمو ويتطور الاقتصاد
في ظل مثل هذه البرامج (١٥) .

إن الإسلام رفع شعار الأخوة الكبرى قبل

المدينة اول عمل قام به هناك هو المؤاخاة بين
المهاجرين والانصار ، فقد تكافل الصحابة
تكافلا اجتماعيا فرضه الاسلام عليهم ، فقد
كان كل واحد منهم يعتقد انه عضو في جسم
الجماعة ، عليه ان يتعاون هو والمجموع في
المحافظة على الملة ، ويعتقد انه لبنة في بناء
الجماعة ، عليه ان يعمل على سلامتها من
الدغل والزغل والافتراء والكذب ، خصوصا في
أصل التشريع الأول وهو القرآن ، وأصله الثاني
وهو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وجاء
في القرآن الكريم آيات الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر التي تقرر ذلك التكافل الاجتماعي
الاسلامي بيت أحاد الأمة بما لا يدع مجالا
لمفتر على الله ، ولا يترك حيلة لحاطب ليل في
حديث رسول الله ﷺ (١١) .

ومن الآيات الكريمة التي تشير الى موضوع
التكافل الاجتماعي قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالتَّعَدْوَانِ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
العِقَابِ ﴾ (١٢) وموضوع هذه الآية التكافل
الاجتماعي ، وإن القوي مسؤول عن الضعيف ،
والغني عن الفقير ، والعالم عن الجاهل ، وأولي
الشأن عن إصلاح ذات البين (١٣) ؛ وفي الآية
الكريمة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

أن تعلنها امم اخرى بقرون وأجيال وبنائها على أسس رفيعة وأحاطها بسياج واق ، فلم تكن الأخوة الإسلامية شعارا زائفا ، وإنما هي حقيقة واقعة وتجربة تاريخية ، وأصل بارز من أصول الإسلام ، كما إن الأخوة الإسلامية لم تقم على أساس قبلي أو جنسي أو اقليمي ولم تبتن على أسس سطحية وإنما أقيمت وبنيت على أنها جزء من أجزاء العقيدة يسأل عنها المسلم ويحاسب عليها ، وبذلك أصبحت الأخوة الإسلامية تشتمل على طاقات هائلة من القوة تمد المجتمع الإسلامي بالوحدة والتفاهم والإيثار والتعاون وتخلق له أنموذجا فريداً من التكافل الاجتماعي كما تسد الطريق أمام أعدائه من أفاعي الجشع والاستعمار^(١٦) .

وبلغت الأخوة الإسلامية القمة في روعتها وعظمتها ، ويظهر ذلك جلياً حينما نقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(١٧) وحينما نقرأ قول النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه »^(١٨) ، ويصف صلوات الله عليه المجتمع الإسلامي في تقارب عواطفه ووحدة مشاعره بأنه كالجسم الواحد فقال : « مثل المؤمنين في توادهم ورحمتهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له

سائر الجسد والحمى »^(١٩) ، لقد أراد الإسلام أن يجعل الأخوة الإسلامية كالأخوة النسبية في قوتها ومكانتها ، وذلك لان الله تعالى قد أوجب صيانة هذه الأخوة بالإصلاح فيما إذا شجر بينهم خلاف ، أو عصفت فيهم ريح التفرقة ، وقد بين امير المؤمنين صلوات الله عليه حقيقة تلك الرابطة ، وما تلزمه من حقوق وواجبات فقد خطب في احدي خطبه و قال ذات يوم : « فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي إن الخيلاء من التجبر والنخوة من التكبر وإن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل ، ألا إن المسلم أخو المسلم فلا تتابزوا ولا تتخاذلوا فإن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لحق ، ومن تركها مرق ومن فارقها محق ، ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن ولا بالمخلف إذا وعد ولا بالكذوب إذا نطق ، نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الحق وفعلنا القسط ومنا خاتم النبيين وفينا قادة الاسلام وأمناء الكتاب ندعوكم إلى الله وإلى رسوله . . . »^(٢٠)

ثانياً : التكافل الاجتماعي الخاص والتكافل الاجتماعي العام :

نلاحظ أن أهل البيت مضافاً إلى الإجراءات

إلى حد ما - تأكيد الاسلام المستمر على الانفاق الواجب والمستحب على الفقراء والمساكين ، خصوصاً في موارد الانفاق التي ذكرناها سابقاً ، كالصدقات الواجبة ، والكفارات ، والأضحية ، والأنفال . ولا تتوقف النظرية الاسلامية بمساعدة الفقراء عند الضمان الاجتماعي فحسب ، بل تتعدى في نظرتها الشمولية إلى التكافل العام بين جميع افراد المجتمع الانساني ، الذي ينبغي أن يقوم على مبدئين هما :

الأول : مبدأ كفالة الافراد بعضهم البعض كفاية ، وهذا المبدأ لا يمكن تجزئته أو فصله عن بقية أحكام الاسلام التي تفرض على المكلفين ضرائب وغرامات مالية أو عينية يرد أغلبها إلى الفقراء ، خصوصاً القاصرين والعاجزين .

الثاني : مبدأ الإخوة الذي يعتبره الاسلام حجر الأساس في بناء العلاقات الاجتماعية النظيفه . وقد أشارت الاحكام الشرعية الاسلامية في أكثر من موضع إلى ضرورة التحسس لآلام الآخرين وأهمية مشاركة الافراد شعورهم الانساني من أفراح وأتراح . فالمصائب الجماعية أخف ثقلاً على كاهل الفرد من تلك التي ينوء بحملها الانسان منفرداً دون صديق أو

والتعليمات التي وضعوها للاستفادة من الخطوط الاقتصادية العامة أو معالجة المشكلات الناتجة منها قد اعتمدوا خطوطاً اقتصادية ومالية إسلامية أخرى لا تلتزم بها الدولة الاسلامية ، ولكنهم أكدوا أنها من الشريعة الاسلامية التي يعرفون تفاصيلها بعلمهم الواسع ، أو وضعوا سياسات وواجبات وتعليمات لأبناء الجماعة خاصة لمعالجة المشكلات الطارئة لهم ، أو توجيه النشاط الاقتصادي للجماعة ، وبهذا الصدد يمكن أن نشير إلى ثلاثة خطوط رئيسية أحدها يرتبط بالإمام والنظام السياسي العام ، والثاني يرتبط بالجماعة والمسؤوليات التي يجب أن يتحملها الأفراد بعضهم تجاه البعض الآخر ، والثالث يرتبط بالنشاط الاقتصادي للجماعة .

وهذه الخطوط هي الأمور التالية :

الأول : الخمس في أرباح المكاسب .

الثاني : التكافل الاجتماعي الخاص (حقوق الاخوان) .

الثالث : النشاط الاقتصادي الموجه^(٢١) .

كما ان المولى عز وجل خلق للافراد مصادر غذائهم وكسوتهم ، ولكن سوء التوزيع الذي يقوم به الانسان هو الذي يحرم البعض من حقوقهم ويتختم البعض الآخر . وهذا يفسر -

الحسين عليه السلام كان قد نادى بالعدالة الاجتماعية ، والآية المذكورة وثيقة الصلة بالعدالة الاجتماعية ، مضافاً إلى أنّ العدل أصل بنيوي ، فضلا عن أن يكون أصلاً اعتقادياً أو أخلاقياً في كلّ الأبواب ، التعصّب الإيجابي والتعصّب السلبي الآية لم تقتصر على الأسرة ، وإنما أطلقت لفظاً ذي القربى ، وهي تهدف إلى أن تقوّي الأواصر والصلة بالأرحام ، أما العصبية الممقوتة فتستبين من خلال هذا الحديث ، حيث سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن العصبية ، فقال : « العصبية التي يَأْثُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلَ شَرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِ آخَرِينَ ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ ، أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلَ قَوْمَهُ ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ أَنْ يُعَيِّنَ قَوْمَهُ عَلَى الظلم »^(٢٤) ، إذن إذا تعصّبت لقومك حرصاً على خدمتهم أو أداء حقوقهم أو المطالبة بحقوقهم فليست تلك عصبية ، بل هي نزعة غرسها الله في الإنسان^(٢٥) .

ثالثاً : فلسفة نظام الزكاة :

إن أداء الزكاة المفروضة ، والإنفاق بالصدقات المطلقة سبيل واضح من سبل التعاون الإنساني البناء وتحقيق التكافل الاجتماعي الواجب عقلاً وديناً وقانوناً ، وإن

حميم . ولذلك كان مفهوم الإخوة في الاسلام ، وما يترتب عليه من آثار اقتصادية في توزيع الثروة ، من أكثر وسائل التكافل الاجتماعي تأثيراً وأمضاها فعالية في تضيق الفوارق الطبقيّة بين الافراد . ولئن كان (المذهب الفردي) الذي تدعي النظرية الرأسمالية تفوقه على بقية المذاهب الاجتماعية ، قد نجح في دفع الافراد نحو العمل والابداع ، الا ان التأثيرات الاجتماعية السلبية التي أوقعها ذلك المذهب بالمجتمع الرأسمالي ، تجعله من أكثر المذاهب الاجتماعية فشلاً في تحقيق سعادة الانسان وطموحه في تحقيق مجتمع سعيد متكاتف يقوم على أساس المساواة والعدالة الانسانية . نقد فكرة (العدالة الاجتماعية) في النظريات الغربية^(٢٢) .

الثالث : مبدأ صلة الارحام ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢٣) صلة الأرحام من أجل التكافل الاجتماعي القرآن الكريم لا يعزّز النزعة القبائلية والعشائرية ، وإنما يعزّز التكافل الاجتماعي في هذه العشيرة أو تلك القبيلة ،

الفقهاء في كتبهم إن الزكاة هي الثروة الكافلة للعاطلين من المسلمين ، والوسيلة للعاجزين والمرضى واليتامى فإنها تنفي عنهم كابوس الفقر والحرمان^(٢٧) .

التكافل الاجتماعي في وصيته ﷺ – أولاً : نص الوصية :

نقلت وصية امير المؤمنين ﷺ بطرق متعددة ، حيث جاء في وصيته ﷺ قبيل استشهاده : « هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب . أوصى المؤمنين بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وصلى الله على محمد وسلم ، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، ثم إنني أوصيك يا حسن وجميع ولدي ، وأهل بيتي ، ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم ، وإن المييرة وهي الحالقة للدين فساد ذات البين ، ولا قوة إلا بالله ،

البخل والشح داء مدمر للأمة ، ومعوق نهضتها ، ومقوض بنية عزتها وكرامتها . الموت أمر حتمي والدنيا دار ابتلاء الحياة الإنسانية مدرسة كبرى ، وميدان لتسابق الأعمال الخيرية ، والتنافس الشريف ، والعمل والعطاء ، والبذل والبناء ، ولا بد من طي صحيفة العمر الإنساني بالأجل المحتوم والموت المحقق ، فمن عمل خيرا سعد في الدنيا والآخرة ، ومن قصّر في واجبه كان مغرورا مخدوعا . ولا تخلو الحياة من مصاعب ومشاق ، ومحن وبلايا ، ومصائب وفتن في الأموال والأنفس ، ويتعرض أهل الإيمان لحملة مكثفة دائمة وسلسلة من ألوان الأذى والشر ، ولكن لا بد من صبر واعتماد على الله ، مقدر الأشياء ، والفعال لما يريد^(٢٦) .

إن فلسفة الزكاة تقوم على مبدأ التكافل الاجتماعي ذلك المبدأ الذي أحله الاسلام مقام الذروة في مجتمعه فالفرد مسؤول عن غيره مسؤولية لا نجد لها نظيراً في أي مذهب آخر ، وليست هذه المسؤولية مجرد مسؤولية معنوية ، وانما هي مسؤولية مادية أيضاً بحيث لا يمكن للفرد المسلم أن يتخلص منها ، وقد وجبت في الثروات الأساسية في الذهب والفضة والانعام الثلاثة الإبل والبقر والغنم والغلات الأربع الحنطة والشعير والزبيب والنمر على ما يفصلها

في النساء وما ملكت أيمانكم ، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال : أوصيكم بالضعيفين : النساء وما ملكت أيمانكم ، الصلاة ، الصلاة ، الصلاة ، لا تخافوا في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغي عليكم ، قولوا للناس حسنا كما أمركم الله ، ولا تتركوا الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فيولي الله أمركم شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم عليهم ، عليكم يا بني بالتواصل والتبادل والتبادر ، وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، وحفظكم الله من أهل بيت وحفظ نبيكم فيكم ، استودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ، ورحمة الله وبركاته ، ثم لم يزل يقول : لا إله إلا الله حتى مضى ^(٢٨) .

ثانياً : اشاراته ﷺ في وصيته : —
١. الاشارة الاولى ، قوله ﷺ : « انظروا ذوي ارحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب » :

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم في ذوي الارحام : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

انظروا ذوي ارحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام لا تغبوا افواههم ولا يضيئوا بحضرتكم ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من عال يتيما حتى يستغني أوجب الله له بذلك الجنة كما أوجب لا كل مال اليتيم النار ، الله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العلم به غيركم ، الله الله في جيرانكم ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، الله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا . وأدنى ما يرجع به من أمه أن يغفر له ما سلف ، الله الله في الصلاة ، فإنها خير العمل ، إنها عماد دينكم ، الله الله في الزكاة ، فإنها تطفئ غضب ربكم ، الله الله في صيام شهر رمضان ، فإن صيامه جنة من النار ، الله الله في الفقراء والمساكين ، فشاركوهم في معائشكم . الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ، فإنما يجاهد رجالان إمام هدى أو مطيع له مقتد بهداه ، الله الله في ذرية نبيكم ، لا تظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون على المنع عنهم ، الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثا ولم يأووا محدثا ، فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم ، والمؤوي للمحدثين ، الله الله

الصحيح ، عن عبد الصمد بن بشير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « صلة الرحم تهون الحساب يوم القيمة وهي منسأة في العمر وتقي مصارع السوء ، وصدقة الليل تطفئ غضب الرب » ^(٣٣) ؛ وقال امير المؤمنين في كلام له في حكمه عليه السلام : « صلة الرحم منماة للعدد » ^(٣٤) حيث يقول البحراني في شرحه لنها البلاغة : صلة الأرحام ، ومن غايتها كونها منماة للعدد ، أي عدد أولى الرحم إذ زيادة عددهم باستقامة أمر معاشهم ، وصلة الرحم سبب لذلك ^(٣٥) .

ويذكر عن موسى كليم الله ، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام انه دعى ربه ، فقال الله تعالى : يا موسى ما دعوتني وجدتني ، فإني سأغفر لك على ما كان منك ، السماء تسبح لي وجلا ، والملائكة من مخافتني مشفقون ، وأرضي تسبح لي طمعا ، وكل الخلق يسبحون لي داخرين ، ثم عليك بالصلاة فإنها مني بمكان ، ولها عندي عهد وثيق ، وألحق بها ما منها زكاة القربان من طيب المال والطعام فإني لا أقبل إلا الطيب يراد به وجهي ، اقرن مع ذلك صلة الأرحام ، فإني أنا الله الرحمن الرحيم ، والرحم إني خلقتها فضلا من رحمتي ليتعاطف بها العباد ولها عندي سلطان في معاد

عَشِيرَتِهِمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٩﴾ ؛ والظاهر من الآيات والأخبار وجوب صلة الرحم ، ولكن قدرها غير معلوم والاحتياط ظاهر ، وكذا يظهر منهما إطلاق الرحم على البعيد ، ولا شك أن الناس كلهم من آدم وحواء عليهما السلام ، ثم عددهما من ذرية نوح عليه السلام وأطلق على اليهود أنهم قطعوا رحم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنهما لم يجتمعا إلا في إبراهيم عليه السلام . والمشهور بين الفقهاء أن القرابة هم المعروفون بها ، والاحتياط ظاهر ^(٣٠) ؛ كما وري الكليني في الصحيح ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيمة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة وإن ذلك من الدين » ^(٣١) ، وفي الكافي أيضاً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « صل رحمك ولو بشرية من ماء وأفضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنها وصلة الرحم منسأة أي مؤخره في الأجل محببة أو محبة في الأهل » ^(٣٢) ؛ وفي الحديث

الآخرة ، وأنا قاطع منقطعها ، وواصل من وصلها ، وكذلك أفعل بمن ضيع أمري^(٣٦) .

٢- الاشارة الثانية : قوله ﷺ : « الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم »

يقول ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ، قلت : قوله : (والله الله في الأيتام ، فلا تغبرن أفواههم بجفوتكم) يحتمل تفسيرين :

أحدهما : لا تجيعوهم ، فإن الجائع يخلف فمه ، وتتغير نكهته .

الثاني : لا تحوجوهم إلى تكرار الطلب والسؤال ، فإن السائل ينضب ريقه وتنشف لهواته ، ويتغير ربح فمه^(٣٧) .

وجاء في معنى كلمت غب : (يغبك) بضم المثناة التحتية وكسر الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة من أغب القوم إذا جاءهم يوماً وتركهم يوماً^(٣٨) .

ويقول ابن ابي الحديد في موضع آخر عن قول الامام ﷺ : قوله : " فلا تغبوا أفواههم " ، أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غبا ، ومن روى : فلا تغيروا أفواههم " فذاك لان الجائع يتغير فمه ، قال ﷺ : " لخلوف فم الصائم

أطيب عند الله من ريح المسك " ، قال : " ولا يضيعوا بحضرتكم " أي لا تضيعوهم ، فالنهي في الظاهر للأيتام وفي المعنى للأوصياء والأولياء ، والظاهر أنه لا يعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم ، لان أولئك الأوصياء محرم عليهم ان يصيبوا من أموال اليتامى إلا القدر النزر جدا عند الضرورة ثم يقضونه مع التمكن ، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له لا تغيروا أفواه أيتامكم ، وإنما الأظهر انه يعنى الذين مات أبأؤهم وهم فقراء يتعين مواساتهم ويقبح القعود عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(٣٩) ، واليتيم في الناس من قبل الأب ، وفي البهائم من قبل الام لان الابهاء من البهائم لا عناية لهم بالأولاد بل العناية للام لأنها المرضعة المشفقة وأما الناس فإن الأب هو الكافل القيم بنفقة الولد ، فإذا مات وصل الضرر إليه لفقد كافله والام بمعزل عن ذلك . وجمع يتيم على أيتام كما قالوا : شريف وأشراف . وحكى أبو علي في التكملة : " كمئ وأكماء " . ولا يسمى الصبي يتيما الا إذا كان دون البلوغ وإذا بلغ زال اسم اليتيم عنه ، واليتامى أحد الأصناف الذين عينوا في الخمس بنص الكتاب العزيز^(٤٠) .

أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة» (٤٢)

٢- الإشارة الثالثة : قوله ﷺ : « الله

الله في جيرانكم » : _____

قوله ﷺ : (الله الله في جيرانكم) جمع جار (فانهم وصية نبيكم) أي أوصى بهم الرسول ﷺ وصية ثم أقيم المصدر مقام الفعل (ما زال) النبي ﷺ (يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم) أي يجعل لهم نصيبا من تركة الجار والمراد بالظن في مثل هذه المقامات كون الراجح بحسب أنظار العقلاء ، من ظواهر الكلام ذلك لا أن الإمام ﷺ كان يظن بذلك حقيقة ، فهو من المجاز الشائع من الاستعمالات (٤٣) ؛ كما أن مرجع حق الجار على جاره أو الأخ المؤمن على أخيه : المحافظة على مقام الأخوة والجوار وعدم التصدي إلى ما ينافيه (٤٤) .

وروي عن النبي ﷺ انه قال : والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب نفسه ، والحديث وقع في لفظ مسلم بالشك في قوله لأخيه أو لجاره ، ووقع في موضع آخر أخيه بغير شك والحديث دليل على عظم حق الجار والأخ ، وفيه نفي الايمان عمّن لا يحب لهما ما يحب لنفسه ، وتأوله بعض

ولا يخلو مجتمع من أيتام فقدوا الأب في صغرهم ، وهؤلاء الأطفال يجب أن يتمتعوا بحماية من مختلف الجهات ، فمن الناحية العاطفية ، يشعر هؤلاء بنقص ، إذا لم يسد فإنهم سيشبون أفراداً غير سالمين ، وكثيرا ما يكونون قساة مجرمين خطرين ، ومن الناحية الإنسانية يجب أن يعيش هؤلاء في حماية ورعاية كسائر أبناء المجتمع ، أضف إلى ذلك يجب أن يشعر أفراد المجتمع بضمان مستقبل أبنائهم الذين قد يصابون باليتيم في يوم من الأيام ، الأيتام قد يكونون أصحاب تركة مالية يجب أن تصان بكل دقة ، وقد يكونون معدمين ماليا فيجب الاهتمام بهم من هذه الناحية ، والآخرين يتحملون مسؤولية التعامل مع هؤلاء بكل اهتمام ورفق كي يزيلوا عنهم غبار عناء الوحدة ، لذلك ركزت آيات القرآن الكريم ونصوص الشريعة الأخرى على هذه المسألة ذات البعد الأخلاقي والبعد الاجتماعي والإنساني (٤١) ، وعن رسول الله ﷺ قال : « إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن ، فيقول الله لملائكته يا ملائكتي من أبكى هذا اليتيم الذي غيب أبوه في التراب ؟ فتقول الملائكة : أنت أعلم ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي ، فإني أشهدكم أن لمن

دارا من أربعة جوانبها»^(٥٠) ، وفي ذلك ايضاً قال الامام الباقر عليه السلام : « حذّ الجوار أربعون دارا من كلّ جانب من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله »^(٥١) .

٤. الاشارة الرابعة قوله عليه السلام : « الله الله في الزكاة فانها تطفئ غضب ربكم » :

قال الله تعالى في محكم كتابه الحكيم : ﴿ حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٥٢) ، ذهب مجموعة من فقهاءنا الى أن فريضة الزكاة في ذمة المالك ، والعين الزكوية وثيقة عليها كما أن الرهن وثيقة على الدين الذي هو في ذمة الراهن ، ومن آثاره كون المالك ممنوعاً من التصرف في شئ من النصاب ما دام لم يؤدّ الفريضة ، كما أن الراهن ممنوع من التصرف في الرهن قبل فكه من الرهانة ، كما أن مقتضاه كون تلف النصاب بلا تقريط كلاً أو بعضاً إنما يكون من المالك ، ولا يرد شئ منه على المستحق ، كما أن تلف الرهن بلا تقريط إنما هو من الراهن ، ولا ينقص شئ بسببه من دين المرتهن ، وكل ذلك خلاف ما هو المتسالم عليه في باب الزكاة^(٥٣) .

كما ان علة الزكاة من أجل قوت الفقراء ،

العلماء بأن المراد منه نفي كمال الايمان ، إذ قد علم من قواعد الشريعة أن من لم يتصف بذلك لا يخرج عن الايمان^(٤٥) .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمنع أحد الماعون جاره ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَتَعَمَّوْنَ الْمَاعُونَ ﴾^(٤٦) ، وهو كل ما يكون معونة للجار من عارية القدر وأمثاله والخمير والنار وما يتعارف عاريته وهذا منه « ووكله » أي تركه « مع نفسه » ولا يوفقه^(٤٧) .

وروي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيمة مسوداً وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلولة يده إلى عنقه ، فقيل هذا الخائن الذين خان الله عز وجل ورسوله ثم يؤمر به إلى النار^(٤٨) .

وروي ايضاً عن ابي عبد الله انه قال : من حبس حق المؤمن أقامه الله يوم القيمة خمسمائة عام على رجليه حتى يسيل من عرقه أو دية ، وينادي مناد من عند الله هذا الظالم الذي حبس عن أخيه حقه قال : فيويخ أربعين عاما ثم يؤمر به إلى النار^(٤٩) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام في تحديد الجوار : « حريم المسجد أربعون ذراعاً ، والجوار أربعون

الأساس لا يكون بجرة قلم ، ودون أن يمر بالعديد من المراحل ، وإذن فلا بد أن نخضع للواقع ، ونداوي الحاضر بالحاضر حتى تسمح الظروف ، وما ذا نصنع بالمرضى والجائعين في مجتمع يسوده فساد الأوضاع هل ننتظر حتى تصلح الأمور ، أو نشرع قانونا يضمن الحياة إلى أن تتبدل الأحوال بالجد والاجتهاد ،

ثانياً : ان مصرف الزكاة لا ينحصر بالفقراء ، بل يتعداهم إلى مشروعات الخير ، وما فيه للناس صلاح كما هو المفهوم من كلمة « سبيل الله » في آية الزكاة رقم « ٦ » من سورة التوبة^(٥٦) .

ولعل فريضة الزكاة بهذه الصفة والمعنى من أعظم التشريعات الإسلامية سعة مدى وأثر في صلاح المجتمع الإسلامي وأمنه وتضامنه ، وتخفيف أزمات بنيته ومحتاجيه ، وتقليل أسباب الأحقاد والضغائن والحسد بين المحتاجين ، وغير المحتاجين ، وتيسير تغذية المشاريع العامة التي لا تقوم إلا بالمال ، وهي من أعظم مميزات الشريعة الإسلامية على غيرها ، على هذا الاعتبار والمعنى ومن أعظم مرشحاتها للخلود^(٥٧)

وتحصيل أموال الأغنياء لان الله تبارك وتعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى ، كما قال عز وجل : ﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾^(٥٤) ، بإخراج الزكاة ، ﴿ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ بتوطين الأنفس ، مع الصبر ، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل ، والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الرحمة والرأفة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المواساة ، وتقوية الفقراء ، والمعونة لهم على أمر الدين ، وهم عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ، ليستدلوا على فقر الآخرة بهم ، ومالهم من الحث في ذلك على الشكر لله عز وجل ، لما حولهم وأعطاهم والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات ، وصلة الأرحام واصطناع المعروف^(٥٥) .

وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة ما دام في المجتمع غني وفقير فالزكاة ضريبة يفرضها التعاون والضمان الاجتماعي ، ولكن البعض تحذلق وقال : ان فريضة الزكاة معناها الاعتراف بالفقر ، وانه حتم لا بد منه ، وكان الأجدر بالإسلام أن يقتلعه من الجذور ، ويوجد مجتمعا لا فقر فيه على الإطلاق ، والجواب .

أولا : بأن تغيير الأوضاع ومحو الفقر من

٥. الاشارة الخامسة : قوله ﷺ : « الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معاشكم » :

لقد حض الله سبحانه وتعالى المؤمنين على الإنفاق في وجوه الخير فقال : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٥٨) أي : ما تقدمونه من مال في وجوه البر أيها المؤمنون فإن نفعه سيعود عليكم بالسعادة في الدنيا ، وبالثواب الجزيل في الآخرة ، فكونوا أسخياء في الإحسان إلى الفقراء ، وابتعدوا عن وسوسة الشيطان الذي يَعدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ . وقوله تعالى : ﴿ إِنْ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (٥٩) ، ان الإسلام حارب على الضعف بشتى مظاهره ، بخاصة الفقر ، وقد تعوذ النبي ﷺ منه ، وجاء عنه في بعض الروايات : « كاد الفقر يكون كفرا » (٦٠) ، ان رسالة السماء تستهدف كرامة الإنسان وسعادته ، والفقر منقصة ومذلة ، وشقاء وبلاء ، فمحال ان يقره الإسلام ، ان الإسلام لا يأبى ان يكون في المجتمع غني وأغنى ، وقوي وأقوى ، ولكنه يأبى أن يكون فيه فقير وضعيف (٦١) .

ومن السنة نصوص متواترة بين الفريقين ، منها قوله ﷺ : « خير مال المرء وذخائره الصدقة » (٦٢) وقول امير المؤمنين ﷺ : « إذا أملكتم فتاجروا الله بالصدقة » (٦٣) وغير ذلك من الأخبار ، وقد أجمع المسلمون بل العقلاء على حسنها ، ومن العقل : حكمه القطعي بحسن مساعدة الفقراء ، وإن التعاون بين البشر وتوجه الأغنياء إلى الفقراء والاهتمام بسد فقرهم وحاجتهم من أهم الأمور النظامية البشرية التي تحكم الفطرة العقلية بلزومه ورعايته مهما أمكن ، ولا بد وأن تهتم الشرائع السماوية بذلك اهتماما بليغا ، فإن الاجتماع البشري لا يتم إلا بالمال (٦٤) .

ومن كتاب له ﷺ إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله ، حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه ، وأمره أن لا يعمل بشئ من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر ، ومن لم يختلف سره وعلايته وفعله ، ومقاتله فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة وأمره أن لا يجبههم ولا يعصهم ، ولا يرغب عنهم تفضالا بالإمارة عليهم ، فإنهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق . . . الى ان قال له : وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين

إحداهما بالأخرى ، فإذا رزقك الله ود أخيك فاستمسك بمودته " ، وقال ﷺ : " عليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتقاطع والتحاسد والتدابير ، وكونوا عباد الله إخوانا ، فإن المؤمن أخو المؤمن ، لا يخونه ، ولا يخذله ، ويحقره ، ولا يقبل عليه قول مخالف له (٦٨) .

ان الإحسان وصنيع المعروف إلى الغير والمراد : صنيع المعروف بالغير بأي عمل ينفعه في نفسه أو ماله أو عرضه ، في ديناه أو آخرته ، وهو أعم من إعطاء المال إليه ، والإعانة له بالمال ، وإن كان هو من أظهر مصاديقه (٦٩) ؛ كما ان معونة المؤمن فرض على المؤمن في الأموال من زكاة ونحوه وإن دفع زكاة ماله ووجد أختاً يحتاج إليه في معونته ، فواجب عليه صلته بما تيسر وأن يتجدد قدر ما يجب عليه من ذلك تجدد قدر الزكاة المفروضة في أمواله (٧٠) .

واما حق المؤمن على المؤمن : فقد روي : أنّ من حقّ المؤمن على المؤمن أن لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يخونه ، ويحبّ له ما يحبّ لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، ويناصحه الولاية ، ، ولا يخدعه ، ولا يكذبه ، ولا يغتابه ، ويشبع جوعته ، ويواري عورته ، ويفرّج كربته ، ويقضي دينه ، ولا يغشّه ، ، ولا يعده فيخلفه ، ويجتنب سخطه ، ويتبع مرضاته ، ويطيع أمره ،

والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ، ومن استهان بالأمانة ورثع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه في الدنيا الخزي وهو في الآخرة أذل وأخزى ، وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأفطع الغش غش الأئمة والسلام (٦٥) .

ولا ريب في أن الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ أفضل من الغنى مع الحرص والإمساك ، كما لا ريب في أن الغنى مع الإففاق وقصد الاستعانة على العبادة أفضل من الفقر مع الحرص والجزع (٦٦) .

٦. الإشارة السادسة قوله ﷺ : « عليكم بالتواصل والتبادل والتبادر وإياكم والتقاطع والتدابير والتفرق »

البذل : العطاء ، وبذل بذلا من باب قتل : سمح وأعطاه وجاد به وهو يناقض المنع ، ومنه عليكم بالتواصل والتبادل ومنه قوله شيعتنا المتبادلون في ولايتنا ومنه قوله من زار اخاه في الله لا يأتيه خداعا ولا استبدالاً وكل الله به سبعين ألف ملك ينادون طبت وطابت لك الجنة أراد بالاستبدال : طلب العطاء ، وبذله : أباحه عن طيب نفس (٦٧) .

قال ﷺ : " المؤمنان كاليدنين يغسل

تذهب الضغائن ، ومن طريق الخاصة ما رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام أنه قال : تهادوا تحاببوا ، وعن رسول الله أنه قال : لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت ، وقال عليه السلام : عد من لا يعودك واهد لمن يهدي لك ، وقال الصادق : الهدية ثلاثة هدية مكافاة وهداية مصانعة وهدية الله عز وجل ، وقال : أمير المؤمنين عليه السلام لان اهدى لآخي المسلم هدية تنفعه أحب إلي من أتصدق بمثلها وقد أجمع المسلمون كافة على استحبابها ولا ينبغي ان يستحقر القليل فيمتنع من اهدائه ولا ينبغي للمهدى إليه الاستنكاف من قبوله لما في ذلك من جبر القلب وحصول الموانسة تبييه الهبة هي العقد المقتضي تمليك العين من غير عوض تمليكا منجزا^(٧٤) .

وللإسلام موقف واضح حيث قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٧٥) ، وأيضا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه »^(٧٦) ، ولم يخص الحديث هوية العبد أن يكون مسلما أو مؤمنا أو ما أشبه ذلك ، بل اكتفى بإطلاق لفظ « العبد » ليشمل جميع صنوف المجتمع . ومعنى ذلك ضرورة أن

ويكون عينه ودليله ومرآته ، ويبرّ قسمه ، ويجيب دعوته ، ويعود مريضه ، ويشهد جنازته ، ويحفظه في غيبته ، ويزوره إذا شهد ، ويجلّه ، ويكرمه ، ويسلم عليه إذا ، لقيه ، ويسمّته إذا عطس ، والمواساة له في ماله ، وأن يحرم غيبته ، ويغفر زلّته ، ويقبل معذرتة ، ويردّ غيبته ، ويحفظ خلّته ، ويقبل هديّته ، (ويكافئ صلته ، ويقضي حاجته) ، ويردّ ضالّته ، ويردّ سلامه ، ويطيب كلامه ، ويوالي وليّه ، ويعادي عدوّه ، وغير ذلك^(٧١) .

٧- الاشارة السابعة : قوله عليه السلام : « تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » :

تعاونوا على البر والتقوى وقال الله تعالى : ﴿ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾^(٧٢) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾^(٧٣) ، وهي كثيرة وروى العامة ان النبي صلى الله عليه وآله قال لو اهدى إلي ذراع لقبلت ولو دعيت إلى كراع لأجبت وكان صلى الله عليه وآله يأمر بالهدية صلة بين الناس قال صلى الله عليه وآله تهادوا وتهابوا وقال تهادوا فان الهدية

بخير ما أمروا بالمعروف ، و نهوا عن المنكر ، و تعاونوا على البر ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات و سلط بعضهم على بعض ، و لم يكن لهم ناصر في الأرض و لا في السماء ، كما ان مسأله الأمر بالمعروف الواجب ، و النهي عن المنكر وجوبها و كفاؤها ، إن قام به واحد سقط عن غيره و إذا لم يُقم به واحد أثم الجميع و استحققوا العقاب^(٨٠) .

وقوله تعاونوا على البر والتقوى قيل : هو استيناف كلام أمر الله عباده أن يعين بعضهم بعضا على البر ، وهو العمل على ما أمر الله به ، و اتقاء ما نهاهم عنه و نهاهم أن يعين بعضهم بعضا على الإثم ، وهو ترك ما أمرهم به ، و ارتكاب ما نهاهم عنه و العدوان وهو مجاوزة ما حد الله لعباده في دينهم و فرض لهم في أنفسهم وفي الحديث أن من أحب عباد الله عبدا أعانه الله على نفسه يعني كسر شهواته في القبائح ، بأن فعل به لطفًا اختار عنده الطاعة و اجتناب المعصية ، و إن شئت قلت أعانه الله على نفسه : إفادته تعالى لعقله قوة قهر نفسه الأمانة بالسوء^(٨١)

كما ويمكن الاستدلال للمقصود بقوله عز وجل : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾^(٨٢) فإن التعاون قد يستعمل في التظاهر على أمر

يتعاون الإنسان مع أخيه الإنسان حتى لو كان من دين آخر لرفع الأذى و لدرء المفسد و الأخطار حتى لو لم يكن العبد المحتاج مؤمنا أو مسلما أو موحدًا بل وحتى إذا كان كافرا و محاربا لله و لرسوله^(٧٧) .

ان قول الامام عليه السلام يشير الى مسألة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مسألة من أعظم الواجبات الدينية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٧٨) ، و قال النبي ﷺ : « كيف بكم إذا فسدت نساؤكم ، و فسق شبابكم ، و لم تأمروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنكر فليل له : و يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال ﷺ : نعم فقال : كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ، و نهيتم عن المعروف فليل له : يا رسول الله ﷺ و يكون ذلك ؟ فقال : نعم و شرّ من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً و المنكر معروفاً »^(٧٩) .

و قد ورد عنهم عليه السلام : أن بالأمر بالمعروف تقام الفرائض و تأمين المذاهب ، و تحل المكاسب ، و تمتع المظالم ، و تتمر الأرض و ينتصف للمظلوم من الظالم ، و لا يزال الناس

مسألة التكافل الاجتماعي على وجه العموم وفي وصية امير المؤمنين على وجه الخصوص ، وذلك للتفصيل والدقة التي سار بها البحث ، حيث كشف عن نظام التكافل الاجتماعي وفق معطيات الوصية .

٥- كشف البحث عن مجموعة من حالات الغموض في النظام الاجتماعي وذلك من خلال دراسة وصية الامام عليه السلام واطهار تفاصيل التعامل مع المجتمع في مختلف مفاصل الحياة .

٦- استطاع البحث بيان فائدة كبيرة وهي معرفة احوال المستفيدين من نظام التكافل الاجتماعي في المجتمع لاطلاع القارئ الكريم على حسن التعامل معهم وانصافهم وخصوصا من كان منهم قد نصت الشريعة الاسلامية على الاهتمام بهم .

٧- استطاع البحث معرفة طرق واساليب تعامل المجتمع مع المشمولين من نظام التكافل الاجتماعي وتحديد مسؤولياتهم وتصنيفها .

٨- اضاف البحث المزيد من التاصيل في حقل النظام الاجتماعي بصورة عامة ، وذلك لكشفة للغموض وحله للانشكاليات والالتباس في حياة المجتمع المسلم .

يريده المتعاونان وقد يستعمل في تحمل شخص عن آخر أمراً فيه صلاحه وانتفاعه والنيابة عن المؤمن في الطاعات من هذا القبيل ^(٨٣) .

الخاتمة

بعد ان من الله تعالى علينا باتمام هذا البحث ، وعلى ضوء الخطة التي تناولنا فيها اشارات التكافل الاجتماعي في وصية الامام علي عليه السلام ، وما تضمنتها من استعراض لتلك الاشارات وشرحها وتفصيلها لمعرفة هدف وغاية الامام من الوصية بها ، يمكن الخروج ببعض النتائج وهي كالآتي : -

١- اوضح البحث مدى اهتمام الامام عليه السلام بفتة الفقراء والمحتاجين من خلال وصيته ، وذكر لكل فئات المستفيدين من هذا النظام لاقامة العدالة والمساواة بين افراد المجتمع .

٢- اوضح البحث علاقة النظام الاجتماعي المتمثل بنظام التكافل الاجتماعي ، مع النظام الاقتصادي الاسلامي .

٣- اعطى البحث صورة لطريقة توزيع الضرائب الاسلامية التي اوجبتها الشريعة من اموال الاغنياء لتصرف للمحتاجين من الفقراء .

٤- اضاف البحث المزيد من التاصيل في

٩- من الممكن القول ان البحث قد حقق اهدافه من خلال توضيح وتحليل ودراسة الاسباب الموجبة لهذا البحث من خلال المسير وفق المنهج المعد مسبقاً لهذا البحث .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر : -

- ١- ابن حجر ، احمد بن علي (ت ٨٥٢/١٤٤٨ م)
- ١- الاصابة ، تحقيق : عادل احمد وعلي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت ١٤١٥/١٩٩٤ م)
- ابن ميثم البحرائي (ت ٦٦٩/١٢٧٠ م)
- ٢ . شرح نهج البلاغة ، مركز النشر الاعلامي ، ط ١ ، (قم د . ت)
- الاربلي ، علي بن ابي الفتح (ت ٦٩٣/١٢٩٣ م)
- ٣ . كشف الغمة في معرفة الائمة ، دار الاضواء ، بلا ، (بيروت د . ت)
- الحر العاملي ، محمد بن الحسن (١١٠٤/١٦٩٢ م)
- ٤ . هداية الامة الى احكام الائمة ، مجمع البحوث الاسلامية ، ط ١ ، (مشهد ١٤١٤/١٩٩٣ م)
- الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤/١٦٩٢ م)
- ٥ . وسائل الشيعة ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليه السلام ، مؤسسة آل البيت عليه السلام ، ط ٢ ، (قم ١٤١٤/١٩٩٣ م)
- الحراني ، الحسن بن علي (القرن الرابع)
- ٦ . تحف العقول عن آل الرسول ، المكتبة الحيدرية ، بلا ، (النجف الاشرف ، د . ت)
- الحلبي ، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦/١٣٢٥ م)
- ٧ . تذكرة الفقهاء ، المكتبة المرتضوية ، بلا ، (ايران د . ت)
- الصالحى الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٣/١٥٣٦ م)
- ٨ . سبل الهدى والرشاد ، تحقيق : عادل احمد وعلي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت ١٤١٤/١٩٩٣ م)
- الصنعاني ، محمد بن اسماعيل (ت ١١٨٢/١٧٦٨ م)
- ٩ . سبل السلام ، تحقيق : محمد عبد العزيز ، شركة ومطبعة البابي الحلبي ، ط ٤ ، (مصر ١٣٧٩/١٩٦٠ م)
- الطبرسي ، حسين النوري (ت ١٣٢٠/١٩٠٢ م)
- ١٠ . مستدرک الوسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت ، ط ٢ ، (بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨ م)
- الطريحي ، فخر الدين (ت ١٠٨٥/١٦٧٤ م)
- ١١ . مجمع البحرين ، مرتضوي ، ط ٢ ، (طهران د . ت)
- الكليني ، محمد بن يعقوب ، (ت ٣٢٩/٩٤٠ م)
- ١٢ . الكافي ، تحقيق : علي ابر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، ط ٤ ، (طهران د . ت)

- المجلسي محمد تقي (ت ١٠٧٠/١٦٥٩ م)
١٣. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تحقيق: حسين الموسوي، المطبعة العلمية، بلا، (قم ١٣٩٨/١٩٧٧ م)
- محمد باقر (ت ١١١١/١٦٩٩ م) بحار الانوار
١٤. تحقيق: علي أكبر الغفاري. مؤسسة الوفاء، ط ٢، (بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣ م)
- المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣/١٠٢٢ م)
١٥. المسائل الطوسية، تحقيق: السيد العلوي، دار المفيد، ط ٢، (بيروت ١٤١٤/١٩٩٣ م)
- النراقي، محمد مهدي (ت ١٢٠٩/١٧٩٤ م)
١٦. جامع السعادات، تحقيق: محمد كلانتر، دار النعمان، ط ٤، (النجف د. ت)

قائمة المراجع

- الاصفهاني، محمد تقي (ت ١٣٢٨/١٩١٠ م):
١- مكيال المكارم، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة الاعلمي، ط ١، (بيروت ١٤٢١/٢٠٠٠ م)
- الاعرجي، زهير:
٢. النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم مكتبة انوار الهدى، بلا، (قم ١٤١٤/١٩٩٣ م)
- بحر العلوم، محمد (ت ١٣٢٦/١٩٠٨ م):
٣. بلغة الفقيه، تحقيق: محمد تقي بحر العلوم، منشورات مكتبة الصادق، ط ٤، (طهران ١٤٠٣/١٩٨٤ م)
- التبريزي، ابو طالب:
٤. معجم المحاسن والمساوي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط ١، (قم د. ت)
- الجواهري، حسن:
٥. بحوث في الفقه المعاصر، مجمع الذخائر الاسلامية، ط ١، (قم ١٤٢٢/٢٠٠١ م)
- الحكيم، محمد باقر:
٦. دور اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، مركز الطباعة والنشر العالمي، ط ٢، (قم ١٤٢٥/٢٠٠٤ م)
- دروزه، محمد عزت (ت ١٤٠٤/١٩٨٣ م):
٧. التفسير الحديث، دار الغرب الاسلامي، ط ٢، (بيروت ١٤٢١/٢٠٠٠ م)
- الزحيلي، وهبة:
٨. التفسير الوسيط، دار الفكر، ط ٢، (بيروت ١٤٢٧/٢٠٠٦ م)
- السبزواري، عبدالاعلى (ت ١٤١٤/١٩٩٣ م):

- ٩ . مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام ، مكتب السيزواري ، ط ٤ ، (النجف الاشرف ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)
- السند ، محمد :
- ١٠ . بحوث معاصرة في الساحة الدولية ، مركز الابحاث العقائدية ، ط ١ ، (قم ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)
- السيستاني ، علي :
- ١١ . منهاج الصالحين ، مكتب السيد السيستاني ، ط ١ ، (قم ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)
- الشيرازي ، محمد الحسيني (ت ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) :
- ١٢ . توضيح نهج البلاغة ، دار تراث الشيعة ، بلا ، (طهران د . ت)
- الشيرازي ، ناصر مكارم :
- ١٣ . الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، شناسنامه ، بلا ، (قم د . ت)
- الصدر ، محمد باقر :
- ١٤ . اقتصادنا ، تحقيق : مكتب الاعلام الاسلامي ، مؤسسة بوستان كتاب ، ط ٢ ، (قم ١٤٤٢هـ / ٢٠٠٤م)
- القرشي ، باقر شريف :
- ١٥ . العمل وحقوق الانسان ، مطبعة الاداب ، ط ٢ ، (النجف د . ت)
- ١٦ . النظام السياسي في الاسلام ، دار التعارف ، ط ٢ ، (بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)
- محمد جواد (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) :
- ١٧ . التفسير المبين ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط ٢ ، (بيروت د . ت)
- مغنية ، محمد جواد (ت ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) :
- ١٨ . التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، (بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م)
- ١٩ . في ظلال نهج البلاغة ، انتشارات كلمة حق ، ط ١ ، (قم د . ت)

الهوامش :

- [١] سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤
- [٢] الجواهري ، حسن ، بحوث في الفقه المعاصر ، مجمع الذخائر الاسلامية ، ط ١ ، (قم ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ج ٦١/٣
- [٣] مغنية ، محمد جواد (ت ١٩٧٩هـ / ١٤٠٠م) التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ،
(بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) ج ١٧٣/٣
- [٤] الزحيلي ، وهبة ، التفسير الوسيط ، دار الفكر ، ط ٢ ، (بيروت ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) ، ج ١٤٥/١
- [٥] الكليني ، محمد بن يعقوب ، (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) الكافي ، تحقيق : علي ابر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ،
ط ٤ ، (طهران د . ت) باب زيارة الاخوان ، ج ١٧٥/٢

- [٦] القرشي ، باقر شريف ، النظام السياسي في الاسلام ، دار التعارف ، ط ٢ ، (بيروت ١٣٩٨/هـ ١٩٧٨م) ص ٢٢١
- [٧] سورة الضحى ، الآية : ١٠
- [٨] الزحيلي ، وهبة ، التفسير الوسيط ، ج ٣١٩/١
- [٩] الصدر ، محمد باقر ، اقتصادنا ، تحقيق : مكتب الاعلام الاسلامي ، مؤسسة بوستان كتاب ، ط ٢ ، (قم ١٤٢٥/هـ ٢٠٠٤م) ، ص ١٦٦
- [١٠] الكليني ، الكافي ، باب النوادر ، ج ٥٠/٤
- [١١] ابن حجر ، احمد بن علي (ت ٨٥٢/هـ ١٤٤٨م) الاصابة ، تحقيق : عادل احمد وعلي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت ١٤١٥/هـ ١٩٩٤م) ج ٥٠/١
- [١٢] سورة المائدة ، الآية : ٢
- [١٣] مغنية ، محمد جواد (ت ١٤٠٠/هـ ١٩٧٩م) التفسير المبين ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط ٢ ، (بيروت د . ت) ص ١٣٥
- [١٤] سورة التوبة ، الآية : ١٠٣
- [١٥] الشيرازي ، ناصر مكارم ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، شناسنامه ، بلا ، (قم د . ت) ج ٢٠١/٦
- [١٦] القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، ص ٢١٩
- [١٧] سورة الحجرات ، الآية : ١٠
- [١٨] المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١/هـ ١٦٩٩م) بحار الانوار ، تحقيق : علي اكبر الغفاري . مؤسسة الوفاء ، ط ٢ ، (بيروت ١٤٠٣/هـ ١٩٨٣م) ، ج ٢٥٨/٦٩
- [١٩] المجلسي ، بحار الانوار ، ج ١٥٠/٥٨
- [٢٠] المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٩٥/٣٢
- [٢١] الحكيم ، محمد باقر ، دور اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ، مركز الطباعة والنشر العالمي ، ط ٢ ، (قم ١٤٢٥/هـ ٢٠٠٤م) ج ٤٠٧/١
- [٢٢] الاعرجي ، زهير ، النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم ، مكتبة انوار الهدى ، بلا ، (قم ١٤١٤/هـ ١٩٩٣م) ص ٣٨
- [٢٣] سورة النحل ، الآية : ٩٠
- [٢٤] الكليني ، الكافي ، باب العصبية ، ج ٣٠٨/٢
- [٢٥] السندي ، محمد ، بحوث معاصرة في الساحة الدولية ، مركز الابحاث العقائدية ، ط ١ ، (قم ١٤٢٨/هـ ٢٠٠٧م) ص ٣٢٩
- [٢٦] الزحيلي ، التفسير الوسيط ، ج ٢٦٨/١
- [٢٧] القرشي ، باقر شريف ، العمل وحقوق الانسان ، مطبعة الاداب ، ط ٢ ، (النجف د . ت) ص ٢٥٦

[٢٨] الحراني ، الحسن بن علي (القرن الرابع) ، تحف العقول عن آل الرسول ، المكتبة الحيدرية ، بلا ، (النجف الاشرف ، د . ت) ص ١٣٥-١٣٦ ؛ الاربلي ، علي بن ابي الفتح (ت ٦٩٣/٥١٢٩٣ م) كشف الغمة في معرفة الائمة ، دار الاضواء ، بلا ، (بيروت د . ت) ج ٥٨/٢-٦٠ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، الباب الثامن عشر ، ما اوصى به امير المؤمنين عليه السلام ج ١٠١/٧٥

[٢٩] سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

[٣٠] المجلسي محمد تقي (ت ١٦٥٩/٥١٠٧٠ م) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، تحقيق : حسين الموسوي ، المطبعة العلمية ، بلا ، (قم ١٩٧٧/٥١٣٩٨ م) ج ١٠/٩

[٣١] الكليني ، الكافي ، باب صلة الرحم ، ج ١٥١/٢

[٣٢] الكليني ، الكافي ، باب صلة الرحم ، ج ١٥١/٢

[٣٣] المجلسي ، بحار الانوار ، باب صلة الرحم ، ج ١٠٤/٧١

[٣٤] المجلسي ، بحار الانوار ، نوادر العلل ، ج ١٠٧/٦

[٣٥] ابن ميثم البحراني (ت ١٢٧٠/٥٦٦٩ م) شرح نهج البلاغة ، مركز النشر الاعلامي ، ط ١ ، (قم د . ت) ج ٣٦٦/٥

[٣٦] المجلسي ، بحار الانوار ، باب ما ناجى به موسى عليه السلام ربه ، ج ٣٣٤/١٣

[٣٧] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٢١/٦

[٣٨] الصالحى الشامى ، محمد بن يوسف (ت ١٥٣٦/٥٩٤٣ م) سبل الهدى والرشاد ، تحقيق : عادل احمد وعلي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، (بيروت ١٩٩٣/٥١٤١٤ م) ج ٢١١/٣

[٣٩] سورة الانسان ، الآية : ٨

[٤٠] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج ٧/١٧-٨

[٤١] الشيرازي ، الامثل ، ج ٣٨٨/٢٠

[٤٢] « المجلسي ، بحار الانوار ، باب العشرة مع البتامي ، ج ٥/٧٢

[٤٣] الشيرازي ، محمد الحسيني (ت ١٤٢٢/٥١٠٠١ م) توضيح نهج البلاغة ، دار تراث الشيعة ، بلا ، (طهران د . ت) ج ١٢٧/٤

[٤٤] بحر العلوم ، محمد (ت ١٩٠٨/٥١٣٢٦ م) بلغة الفقيه ، تحقيق : محمد تقى بحر العلوم ، منشورات مكتبة الصادق ، ط ٤ ، (طهران ١٩٨٤/٥١٤٠٣ م) ج ٣٨/١

[٤٥] الصنعاني ، محمد بن اسماعيل (ت ١١٨٢/٥١٧٦٨ م) سبل السلام ، تحقيق : محمد عبد العزيز ، شركة ومطبعة البابي الحلبي ، ط ٤ ، (مصر ١٩٦٠/٥١٣٧٩ م) ج ١٦٥/٤

[٤٦] سورة الماعون ، الآية : ٦-٧

[٤٧] المجلسي ، روضة المتقين ، ج ٣٨١/٩

- [٤٨] المجلسي ، بحار الانوار ، باب المتقين والمجرمين في القيامة ، ج ٢٠١/٧
- [٤٩] المجلسي ، بحار الانوار ، باب المتقين والمجرمين في القيامة ، ج ٢٠٢/٧
- [٥٠] المجلسي ، بحار الانوار ، باب حق الجار ، ج ١٥١/٧١
- [٥١] الحر العاملي ، محمد بن الحسن (١١٠٤هـ/١٦٩٢م) هداية الامة الى احكام الائمة ، مجمع البحوث الاسلامية ، ط ١ ، (مشهد ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ج ١٦٦/٥
- [٥٢] سورة التوبة ، الآية : ١٠٣
- [٥٣] بحر العلوم ، بلغة الفقيه ، ج ٤٤/١
- [٥٤] سورة آل عمران ، الآية : ١٨٦
- [٥٥] المجلسي ، بحار الانوار ، ج ١٨/٩٣
- [٥٦] مغنية ، محمد جواد (ت ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م) في ظلال نهج البلاغة ، انتشارات كلمة حق ، ط ١ ، (قم د . ت) ج ١٦١/٢
- [٥٧] دروزه ، محمد عزت (ت ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) التفسير الحديث ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٢ ، (بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ج ٤٣١/١
- [٥٨] سورة البقرة ، الآية : ٢٧٢
- [٥٩] سورة الحديد ، الآية : ١٨
- [٦٠] المجلسي ، البحار ، فيما اوحى الى ابراهيم عليه السلام ، ج ٤٧/٦٩
- [٦١] مغنية ، التفسير الكاشف ، ج ٤٣٠/١
- [٦٢] الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/١٦٩٢م) ، وسائل الشيعة ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليه السلام ، مؤسسة آل البيت عليه السلام ، ط ٢ ، (قم ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ابواب الصدقة ، ج ٣٧١/٩
- [٦٣] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ابواب الصدقة ، ج ٣٧٢/٩
- [٦٤] السبزواري ، عبدالاعلى (ت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام ، مكتب السبزواري ، ط ٤ ، (النجف الاشرف ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ج ٥/١١
- [٦٥] عبده ، محمد ، شرح نهج البلاغة ، دار الذخائر ، ط ١ ، (قم ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ج ٢٦/٣-٢٧
- [٦٦] النراقي ، محمد مهدي (ت ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م) جامع السعادات ، تحقيق : محمد كلانتر ، دار النعمان ، ط ٤ ، (النجف د . ت) ج ٦٨/٢
- [٦٧] الطريحي ، فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) مجمع البحرين ، مرتضوي ، ط ٢ ، (طهران د . ت) ج ٣١٩/٥-٣٢٠
- [٦٨] الطبرسي ، حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) مستدرك الوسائل ، تحقيق : مؤسسة آل البيت ، ط ٢ ، (بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) باب وجوب اداء حق المؤمن ، ج ٤٩/٩

- [٦٩] التريزي، ابو طالب، معجم المحاسن والمساوي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط ١، (قم د. ت) ص ٣٤٢
- [٧٠] المفيد، محمد بن محمد (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م) المسائل الطوسية، تحقيق: السيد العلوي، دار المفيد، ط ٢، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص ١٤
- [٧١] الحر العاملي هداية الامة الى احكام الائمة عليهم السلام ج ١٧٣/٥
- [٧٢] سورة البقرة، الآية: ١٧٧
- [٧٣] سورة الحديد، الآية: ١٨
- [٧٤] الحلبي، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، تذكرة الفقهاء، المكتبة المرتضوية، بلا، (ايران د. ت) ج ٤١٥/٢
- [٧٥] سورة المائدة، الآية: ٢
- [٧٦] الطبرسي، مستدرک الوسائل، باب وجوب نصيحة المؤمن، ج ٤٢٩/١٢
- [٧٧] الشيرازي، محمد، الفقه البيئية، مؤسسة الوعي، ط ١، (بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ص ٤٨
- [٧٨] سورة آل عمران، الآية: ١٠٤
- [٧٩] الكليني، الكافي، باب الامر بالمعروف، ج ٥٩/٥
- [٨٠] السيستاني، علي، منهاج الصالحين، مكتب السيد السيستاني، ط ١، (قم ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ج ١/١٤٥
- [٨١] الطريحي، مجمع البحرين، ج ٦/٢٨٥
- [٨٢] سورة المائدة، الآية: ٢
- [٨٣] الاصفهاني، محمد تقي (ت ١٣٢٨هـ/١٩١٠م) مكيال المكارم، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة الاعلمي، ط ١، (بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ج ٢/١٩١

أ . حمدية صالح الجبوري
باحثة من العراق

المنهج الرسالي للإمام الحسن العسكري عليه السلام

يعتبر الامام الحسن العسكري من الشخصيات الفكرية المميزة على جميع الاصعدة وقد ظهرت بصماته واضحة من خلال التراث العلمي الذي خلفه لنا ، بالإضافة الى رواياته العلمية والفقهية عن ابائه المعصومين عليهم السلام ، وقد اطر تلك المؤلفات والروايات ضمن اطار علمي ذات منهجية اكااديمية رائعة حوت في ثناياه الاسلوب والعلمية والدقة ، بالإضافة الى اعتماده التقية لنشر الحقائق وبثها بين الناس ، ولا ريب ان كل ذلك قد احتاج الى العقل القادر على الاحاطة العلمية بمثل هذا المجال ، فكان الامام هو المؤهل علمياً وفكرياً لتبؤا هذه المكانة .

الامام الحسن العسكري عليه السلام ترجمته والنص على إمامته :

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١)

اختلف في اسم أمه كثيراً ف قيل إن اسمها سوسن ^(٢) ، أو سليل ^(٣) وقد نعتها الإمام علي الهادي بهذا الاسم يوماً فقال : « سليل ، مسلولة من الآفات والعاهات والارجاس والأنجاس » ^(٤)

ولذلك؟ قال: لا تخصوا أحداً حتى أخرج إليكم أمري، فكتبت إليه: فيمن يكون هذا الأمر، فكتب إلي: في الكبير من ولدي...»^(٢١). وكان الإمام أكثر تحديداً في أجوبة أخرى فقال لأحد شيعته الذي رأى ابنه محمد فظنه الإمام بعده: «لا، صاحبكم بعدي الحسن»^(٢٢). وقد بين الإمام مؤهلات إمامته في عدة أحاديث صدرت عنه كقوله: «أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه، ومعه آلة الإمامة»^(٢٣). أو في كتب بعثها إلى بعض وكلائه وشيعته، فكتب إلى شاهويه بن عبد الله الجلاب: «صاحبك بعدي أبو محمد ابني، وعنده ما تحتاجون إليه»^(٢٤).

وكتب إلى أبي بكر الفهفكي: «أبو محمد ابني، انصح آل محمد، وأوثقهم حجة لله، وهو الأكبر من ولدي، واليه الخلف، واليه ينتهي عرف الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه، فعنده علم ما يحتاج إليه»^(٢٥).

وبذلك اثبت الإمام علي الهادي مؤهلات الحسن العسكري بالنصيحة، والثقة، والعلم، وامتلاكه لآلة الإمامة. وربما يشير النص الأخير إلى محاولة الإمام علي الهادي جعل الحسن العسكري يتصدى للإجابة على أسئلة

وقيل إن اسمها حربية أو ربحانة^(٥)، وذكرت بعض المصادر إن اسمها حديثه أو حديث^(٦) وهو الأرجح. بينما خلط بعض المؤرخين بذكر اسمين من أسماء أم الإمام الهادي وهما: سمانة وغازلة^(٧) اسماً لها، واتفقت المصادر على أنها أم ولد^(٨)

أما عن ولادته فقد ولد عليه السلام في المدينة المنورة^(٩)، واختلف المؤرخون في تاريخ ولادته، يوماً وشهراً وسنة، فذكر البعض أنها كانت يوم الاثنين^(١٠)، أو الجمعة^(١١)، وفي شهر ربيع الأول^(١٢) أو الآخر^(١٣)، أو في شهر رمضان^(١٤) أو ذي الحجة^(١٥)، في سنة ٢٣١^(١٦) أو سنة ٢٣٢^(١٧)، أو سنة ٢٣٣ هـ^(١٨). ويبدو إن ولادته كانت أواخر سنة ٢٣٢ وبداية سنة ٢٣٣ هـ.

أما عن إمامته فقد اعتاد كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام بالنص على الإمام الذي يليه^(١٩)، وقد سار الإمام علي الهادي على هذا النهج فاخبر شيعته مرة بعد أخرى بإمامة الحسن العسكري بعده، فقد ورد سؤال علي بن مهزيار للهادي: «إن كان كون - وأعوذ بالله - فيألي من؟ قال عهدي إلى الأكبر من ولدي»^(٢٠)

أو في جوابه لسائل سأله: «من اخص من

إلى القتل بعد أن تستنفذ وسائلها مع الأئمة من حيث المراقبة والحبس والتهديد .

وقد يشير ذلك إلى تخوف المعتز من أية حركة متوقعة من الحسن العسكري قي ظل ظروف الارتباك السياسي الذي شهدتها الخلافة آنذاك^(٣١) .

اما عن علاقته بالمهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ) ، فقد سار المهتدي على نفس السياسة السابقة التي سار عليها الخلفاء السابقين ، فعلى الرغم من تظايره بالتقشف والزهد إلا أن ذلك ما هو إلا مظهر من المظاهر الاعلامية المزيفة بدليل ما انتهجه مع الإمام العسكري ومع غيره من العلويين والشيعة^(٣٢) . ولم يكن بأفضل من سلفه فرغم انشغاله بشغب الأتراك وعبثهم واستعداده لقتالهم . إلا أنه أقدم على سجن الإمام العسكري^(٣٣) . وتخوف بعض الشيعة ومنهم محمد بن الحسن من تهديد المهتدي للإمام .

فكتب إليه محذراً : « كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي : يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا ، فقد بلغني أنه يهددك ويقول : والله لأجلينهم عن جديد الأرض^(٣٤) . فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه : « ذاك أقصر لعمره ، عد من يومك هذا

الشيعة في حياة أبيه كما في قوله « فما كنت سائلي فسله عنه » ، وترسيخ الثقة في إمامته^(٣٦) .

الإمام العسكري عليه السلام وخلفاء عصره -

لم يكن هنالك ثمة اختلاف بين الخلفاء من حيث المنهجية ، فيكاد يتفق الجميع في السير على نفس السياسة مع الأئمة ، وقد انتهج المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) هذه السياسة أخذاً بها عن سلفه . فقد جاء في كشف الغمة انه تقدم المعتز إلى سعيد الحاجب أن أخرج أبا محمد إلى الكوفة ثم اضرب عنقه في الطريق^(٣٧) . وقد كتب أحد أصحاب الإمام عليه السلام عن أمر المعتز بإبعاده إلى الكوفة قائلاً : « جعلت فداك بلغنا خبر ألقنا وبلغ منا »^(٣٨) فكتب الإمام عليه السلام : « بعد ثلاث يأتيكم الفرج ، فخلع المعتز بعد ثلاثة أيام وقتل »^(٣٩) .

وقد جاء عن الإمام قوله : « إني نازلت الله في هذا الطاعي وهو أخذه بعد ثلاث ، فلما كان في اليوم الثالث فعل به ما فعل »^(٣٠) .

ورغم أن قتل الإمام لم ينفذ لأن المعتز خلع بعد ثلاثة أيام وقتل إلا انه يكشف عن تسرع المعتز في قراره بإبعاد الإمام إلى الكوفة وقتله ، واختلافه عن سياسة أسلافه التي كانت تعمد

لأزمينه بين السباع . ثم استأذن في ذلك فأذن له ، فرمي به إليها ، ولم يشكوا في أكلها له ، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال ، فوجدوه قائماً يصلي وهي حوله ، فأمر بإخراجه إلى داره « (٣٨) .

وروي أن يحيى بن قتيبة الأشعري أنه بعد ثلاث مع الأستاذ فوجداه يصلي والأسود حوله ، فدخل الأستاذ الى الغيل فمزقوه ، وأكلوه ، وانصرف يحيى في قومه إلى المعتمد ، فدخل المعتمد إلى العسكري عليه السلام وتضرع إليه وسأل أن يدعو له البقاء عشرين سنة في الخلافة ، فقال عليه السلام : مد الله في عمرك فأجيب الى ذلك وتوفي بعد عشرين سنة (٣٩) . وقد علق السيد الصدر رحمته الله على هذا الموقف بقوله : « أما موقف الإمام عليه السلام في استجابته لطلب المعتمد في الدعاء له فقد كان واضحاً كل الوضوح فهو :

أولاً : لم يرد إعلان التمرد والخلاف على الدولة ، للذي عرفناه من سياسته وسياسة أبيه عليه السلام وكان رفضه طلب الخليفة بالدعاء له تجسيداً لموقف التمرد والخلاف على الدولة ، بشكل أو بآخر ، وهو ما لا يريد به الإمام عليه السلام .

ثانياً : كان يريد إثبات الحجّة على هذا الرجل وعلى غيره ممن يعرف هذه الواقعة ، حين يرى الناس ، وبخاصة الخليفة نفسه ، في

خمسة أيام ، ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمر به . فكان كما قال « (٣٥) .

وقد تجاوز هذا إلى حبس الإمام عليه السلام فقد ورد عن إخبار الإمام لبعض شيعته ذلك بقوله : « يا أبا هاشم إن هذا الطاعي أراد أن يعذب بالله في هذه الليلة ، وقد بتر الله تعالى عمره ، وجعله للقائم من بعده ، قال أبو إبراهيم : فلما أصبحنا شعب الأتراك على المهتدي فقتلوه ، وولي المعتمد مكانه « (٣٦) .

ولم تطل الأيام بالمهتدي حتى انهزم جيشه في قتال الأتراك ، حيث دخل سر من رأى وحده مستغيثاً بالعامّة مستنصراً بالناس ، وهو ينادي : يا معشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتمكم ، فلم يجبه أحد من العامّة إلى ذلك (٣٧) .

ولك يكن موقف المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) تجاه الإمام عليه السلام بافضل من سابقه ، إذ كانت له العديد من المواقف تجاه الإمام عليه السلام ولعل أبرز تلك المواقف ما ماثل به الإمام والده الهادي عليه السلام فقد ورد في الإرشاد عن جماعة من الشيعة قولهم : « سلم أبو محمد عليه السلام إلى نحرير وكان يضيق عليه ويؤذيه ، فقالت له امرأته : اتق الله ، وذكرت له صلاحه وعبادته ، وقالت : إنني أخاف عليك منه ، فقال : والله

من ذلك ما ذكره أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري عند حبسه مع بعض الشيعة قوله : ورد علينا أبو محمد الحسن عليه السلام وأخوه جعفر فحففنا إلى خدمته وكان معنا في الحبس رجل يدعي أنه علوي قال : فالتفت اليينا أبو محمد عليه السلام فقال : لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم ، وأوماً إلى ذلك الرجل أن يخرج فخرج ، فقال أبو محمد : هذا الرجل ليس منكم فإن في ثيابه قصة ، ففتشنا ثيابه فوجدنا فيها القصة و كان يذكرنا فيها بكل عظمة وكان أبو الحسن يصوم فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله غلامه إليه في اناء وكنت أصوم معه ^(٤٢) ولم تطل مدة مكوث الإمام في السجن حتى حل بالناس قحط شديد ، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يسقوا ، فخرج أحد النصارى يدعى الجائليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مديده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر ، ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر وسقوا سقياً شديداً حتى استعفوا ، فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشك وصفا بعضهم إلى دين النصرانية ، فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى احد خدمه أن أخرج أبا محمد الحسن بن علي

نهاية حياته ، انه قد استجيب الدعاء وقد استمرت مدة حكمه بالفعل عشرين سنة ، فيتأكد بذلك صحة خط الإمام وانحراف الخط الحاكم ^(٤٠) .

ويستطرد السيد بقوله : « وقد يخطر في الذهن : إن هذا الدعاء من الإمام يستوجب طول عمر شخص يعتقدده الإمام نفسه ظالماً منحرفاً ، وجوابه : أن الإمام كان يعلم أن المعتمد متى وافته المنية - سواء طال زمانه أو قصر - فلن يخلفه إلا شخص مثله من حيث الفكرة والاتجاه . ولم يكن الإمام على ما عرضناه يخطط لنيل الحكم لكي يكون موت المعتمد موجباً لفوز الأمة الإسلامية بالحكم الإسلامي بقيادة الإمام فيتمخض إذن الموقف في الحصول على المصالح التي اشترنا إليها ، وهي إقامة الحجّة ضد موقف المعتمد لإثبات عدالة قضية الإمام وأصحابه ^(٤١) . إذن يمكن القول أن موقف الإمام على الرغم من معارضته السلطة الحاكمة إلا أنه كان يدرك جيداً أن جميع الخلفاء سائرون على خط واحد من حيث الظلم والتنكيل بالعلويين ولهذا فدعائه كان من هذا الجانب .

وكان لبعض الشيعة مواقف عديدة تدل على وجود العيون ضد الإمام حتى وهو في السجن ،

بعض فنون الأنبياء وما كشف عن عظم نبي
تحت السماء إلا هطلت بالمطر»^(٤٥). فرجع أبو
محمد الحسن إلى داره بسر من رأى وقد أزال
عن الناس هذه الشبهة، وفرح المسلمون لما
رأوا ذلك، وخرج الإمام ومن معه من السجن
وأقام في سر من رأى حتى وفاته سنة
٢٦٠هـ^(٤٦) على يد المعتمد^(٤٧).

الجانب السياسي والفكري للإمام العسكري عليه السلام الثورات العلوية

لم يخل هذا العهد من القيام بالثورات التي
كانت قائمة بين أونه وأخرى ولعل ابرز هذه
الثورات هي :

١- ثورة ابن الصوفي العلوي :

وهو إبراهيم بن محمد المعروف بابن
الصوفي^(٤٨)، ظهر في صعيد مصر، وملك
مدينة أشنا، وكانت هنالك العديد من المعارك
بينه وبين جيش الدولة بقيادة ابن طولون اقتتلوا
فيها قتالاً شديداً فقتل من رجال ابن الصوفي
الكثير^(٤٩)، وانهزم، ثم كانت وقعة أخرى مع
جنده عام (٢٥٩ هـ) وانهزم ابن الصوفي أيضاً
إلى المدينة والقي القبض عليه وارسل إلى ابن
طولون في مصر^(٥٠).

من السجن وأتني به^(٤٣).

فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة
قال له : أدرك أمة جدك محمد ﷺ فيما لحق
بعضهم في هذه النازلة ، فقال أبو محمد :
« دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث » ، قال :
« قد استغفى الناس من المطر واستكفوا فما
فائدة خروجهم ؟ » قال : « لأزيل الشك عن
الناس وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي
أفسدوا فيها عقولاً ضعيفة »^(٤٤).

فأمr الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا
أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن
يخرجوا الناس ، فخرج النصارى وخرج لهم أبو
محمد ومعه خلق كثير فوقف النصارى على
جاري عادتهم يستسقون ومد الراهب يديه رافعاً
بهما إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان
أيديهم فغيمت السماء في نفس الوقت ونزل
المطر .

فأمr أبو محمد الحسن القبض على يد
الراهب وأخذ ما فيها ، فإذا بين أصابعه عظم
أدمي ، فأخذ أبو محمد الحسن ولفه في خرقة
وقال : استسق فانكشف السحاب وانقشع الغيم
وطلعت الشمس فعجب الناس من ذلك وقال
الخليفة : ما هذا يا أبا محمد ؟ فقال : « عظم
نبي من أنبياء الله عز وجل ظفر به هؤلاء من

٢- ثورة علي بن زيد بن الحسين —

هو علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ، امه بنت القاسم بن عقيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب ^(٥١) . كان خروجه بالكوفة سنة ٢٥٦هـ فبايعه نفر من عوامها واعرابها ^(٥٢) ، فقد ذكر علي بن سليمان ذلك بقوله : قال لي ابي : كنا مع علي بن زيد ونحن زهاء مائتي رجل نازلين ناحية من سواد الكوفة وقد بلغنا خبر الشاه بن الكيال ونحن معه نحبون فقال لنا علي بن زيد : ان القوم لا يريدون غيري فاذهبوا انتم في حل من بيعتي فقلنا : لا والله لا تفعل هذا ابداً فأقمنا معه ووافانا الشاه في جيش عظيم لا يطلق فدخلنا من رعبه امر عظيم ^(٥٣) فلما رأى ما لحقنا من الجزع قال لنا : اثبتوا وانظروا ما اصنع فثبتنا وانتظر سبعة ثم قنع فرسه وحمل في وسطهم يضربهم يميناً وشمالاً فأخرجوا له حتى صار خلفهم وعلا على تلعة فلوح الينا ثم حمل من خلفهم فأخرجوا له حتى عاد الى موقعه ثم قال لنا : ما تجزعون من مثل هولاء ، ثم حمل ثانية ففعل مثل ذلك وعاد الينا وحمل الثالثة وحملنا معه فهزمناهم اقيح هزيمة فكانت هذه قصته ، الا ان اهل الكوفة لم يقفوا

معه لما لحقهم في ايام يحيى بن عمر من القتل والاسر ^(٥٤) ففشلت حركته .

ومن الثورات التي اذعت النسب العلوي هي ثورة صاحب الزنج : —

من الاحداث السياسية المهمة التي حدثت في هذه الفترة هي ثورة صاحب الزنج سنة ٢٥٥هـ الذي تولاه احد الافراد مدعياً النسب العلوي حيث زعم انه علي بن محمد بن احمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ^(٥٥) ، استحال قلوب العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها ، فاجتمع اليه خلق كثيرون ، وناس آخرون من غيرهم ، وعظم شأنه وقويت شوكته ^(٥٦) فاخذ يؤثر على السلطان وقد صاحب هذه الحركة ، قتل ، ونهب ، وسلب وحرق فأدى ذلك إلى تدهور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بل وحتى السياسية في الامصار التي سيطر عليها صاحب الزنج ^(٥٧) مما اضطر المعتمد ان يوكل مهمة القضاء عليه الى اخيه ابي احمد الموفق . وكانت الغلبة للجيش العباسي فأبادوهم قتلاً واسراً وقتل صاحب الزنج وانتهبت مدينته وحمل رأسه الى بغداد وكان قد قتل عدد كبير في هذه الحرب ^(٥٨) . اما موقف الامام عليه السلام من

الإعلان مدعاة للفشل في الأمور فقال :
« اضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته »^(٦٠) .
وقد أوصى احد وكلائه بقوله : « أفزأ من تتق به
من موالينا السلام واعلمهم أن المذبح
علينا حرب لنا »^(٦١) .

وقد اضطره وضع المراقبة الدائم ، والرصد
لحركاته ونشاطه ومحاولة الوصول إلى شيعته
ومحبيه إلى أن يوصي بعضهم بتجاهل وجود
الإمام في أي مكان يجذونه ليوفر لهم الأمان
من ذلك ما روي عن بعض شيعته : « اجتمعنا
بالعسكر وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه
فخرج توقيعه : ألا يسلمن علي احد ، ولا يشير
إلي بيده ، ولا يومئ ، فإنكم لا تأمنون على
أنفسكم ... »^(٦٢) . وعندما كان شيعته يكثرون
في طريقه السلام عليه يترك دربه إلى درب
آخر^(٦٣) .

وقد اتبع الحسن العسكري أسلوب الكتمان
إلى أقصى حد في مراسلاته إلى بعض أعوانه ،
فكان يكتب أمر الرسائل حتى عمّن يحملها ومن
ذلك ما رواه احد خدمة قال : « دعاني سيدي أبو
محمد ، فدفع إلي خشبة ، كأنها رجل باب مدورة
مثل الكف ، فقال : صر بهذه الخشبة إلى
العمرى فمضيت ، فلما صرت إلى بعض الطريق
عرض لي سقاء معه بغل ، فزاحمني البغل على

هذه الواقعة فقد كان موقفاً معارضاً له في نسبه
ومسيرته . فعن محمد بن صالح الخشعمي
قال : كتبت الى ابي محمد أسأله وكنت اريد ان
أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة ،
فوقع عليه السلام : « صاحب الزنج ليس منا اهل
البيت »^(٥٩) . نستشف من هذا ان موقف الامام
كان يؤكد معارضة هذه الثورة للمبادئ
الاسلامية .

الدور السياسي للإمام الحسن العسكري عليه السلام

عاصر الإمام الحسن العسكري في فترة
إمامته القصيرة (٢٥٤ - ٢٦٠ هـ) ثلاثة من
الخلفاء العباسيين ، حفلت عهدهم
بالاضطرابات السياسية والاقتصادية
والاجتماعية ، وخلال تلك السنوات الست
تعاقب على عرش الخلافة ثلاث خلفاء بين خلع
وقتل ، ولم يحاول أي منهم أن يحسن السيرة
مع الإمام فكان بين تهديد بالنفي ، أو القتل ،
أو السجن كما حصل في خلافة المهتدي .

ولا شك إن هذه الظروف تلقي بظلالها على
نشاط الإمام الحسن العسكري ، فالعمل في
ظل أجواء الخوف يوجب التيقية ولذلك نرى
الإمام أكد كثيراً على سرية العمل واعتبر

ومع شدة هذه الأوضاع استمر الإمام بالاتصال بشيئته في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية ، فكان يرسل شيئته في قم وأبه^(٦٧) ويستقبل الوافدين إليه بالأموال من جرجان وغيرها (٦٨) ويتسلم مكاتباتهم ويرد عليها^(٦٨) .

ويلقي اليهم ما تسمح به الظروف بإلقائه من وصايا وخطب ، يوصي فيها ببغض الظلم وترك الركون إليه كقوله : (... حب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار وبغض الأبرار للفجار خزي للفجار)^(٦٩) .

وكان يوصي بعدم اليأس من الفرج بالقضاء على دولة الظلم كقوله : « إن الله يمهل الظالم حتى يقول : قد أهملني الله ثم يأخذه أخذة رابية ، إن الله حمد نفسه عند هلاك الظالمين فقال : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)^(٧٠) »^(٧١) .

وقال الإمام : « وفي التوراة مكتوب : من يظلم يخرّب بيته ، وفي الإنجيل ظالمون لا فالحون ، ومصدق ذلك في كتاب الله فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا^(٧٢) »^(٧٣) .

الجانب الفكري للإمام الحسن العسكري عليه السلام

أولى الامام الحسن العسكري شؤون

الطريق ، فناداني السقاء صح على البغل ، فرفست الخشبة التي كانت معي ، فضربت البغل ، فأنفلقت ، فنظرت إلى كسرهما فإذا فيها كتب فبادرت سريعاً للأخذ الخشبة إلى كمي فجعل السقاء يناديني وبشتمني وبشتم صاحبي... »^(٦٤) .

وقد حرص الحسن العسكري خلال فترة إمامته أن يتجنب الاحتكاك بالسلطة أو أعوانها قدر الإمكان ، فكان يوصي مواليه بان لا يردوا حتى على شاتمي الإمام لو سمعوه ، وان لا يعرفوا بأنفسهم ، أو انتمائهم إلى خدمته ، وربما كان هذا الحذر خوف أن ينتهي إلى السلطة أبناء هذه الأمة فتكون مدعاة لإيصال الأذى إليه وقال الإمام واصفا مقامه في سر من رأى : « فإننا ببلد سوء ومصر سوء »^(٦٥) . وقد حاول الإمام أن يخفف من حماس اصحابه وتسرعهم الذي قد يؤدي بهم إلى التهلكة ، فقال لأحد أصحابه ممن أراد أن ينادي هذا حجة الله عليكم فاعرفوه : « إنما هو الكتمان أو القتل فاتق الله على نفسك »^(٦٦) .

مما تقدم يتضح حرجة الظروف السياسية ، والتضييق على نشاط الإمام وتحركاته التي لو ظهرت منها بادرة للخلافة لسارعت إلى القضاء عليها .

الحمى والحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرد فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمنع عليكم في حرثكم وأبنتكم ودفن موتاكم ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتجفون به ، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم ، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم^(٧٧) .

ثم قال : ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾^(٧٨) يعني : سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم .

ثم قال : ﴿ وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾^(٧٩) يعني : المطر ينزله من علًا ليلبغ قلال جبالكم وتلالكم وهضابكم وأهواركم ، ثم غرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطالاً ، لينشفه أرضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فتفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم .

ثم قال : ﴿ فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾^(٨٠) يعني : مما يخرج من الأرض رزقاً ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ اُنْدَادًا ﴾ أي : أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ، ولا تقدر على شيء « وانتم تعلمون إنها

العقيدة اهتماماً بالغاً ، فآثر عنه تفسير آيات القرآن الكريم ، ونقل الحديث عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار ومكافحة مظاهر الغلو والانحراف ، وقد أثمرت مدرسته نخبة من التلامذة الأعلام ، وفي مجال التفسير آثر عنه قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٧٤) أي وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم الذين لا يؤمنون ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ كذلك بسمات ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ وذلك بأنهم لما عرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما أريد منهم وجهلوا ما لزمهم الإيمان به ، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه ، فان الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقسر عنه ثم قال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني : في الآخرة العذاب الممد للكافرين وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه لطاعته ، أو من عذاب الاصطلام ليصيره إلى عدله وحكمته^(٧٥) .

وجاء في تفسيره لهذه الآية : ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً ﴾^(٧٦) أي جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم لم يجعلها شديدة

لا تقدر على شيء من هذه النعم التي أنعمها الله عليكم ربكم» (٨١) .

ومما ذكر عنه أيضاً تفسيره لقوله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) (٨٢) قوله : إن الأمي منسوب إلى (أمه) أي هو كما خرج من بطن أمه ، لا يقرأ ولا يكتب) لا يعلمون الكتاب (المنزل من السماء ولا المكذب به ، ولا يميزون بينهما) إلا أمانى (أي : إلا أن يقرأ عليهم ويقال لهم : إن هذا كتاب الله وكلامه ، لا يعرفون إن قريء من الكتاب خلاف ما فيه ، وإن هم ألا يظنون أي ما يقرأ عليهم رؤساءهم من تكذيب محمد ﷺ في نبوته وإمامة علي ﷺ سيد عترته وهم يقلدونه مع انه) محرم عليهم (تقليدهم ،) فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله (٨٣) .

قال ﷺ : هؤلاء القوم من اليهود ، كتبوا صفة زعموا أنها صفة محمد ﷺ وفي خلاف صفته ، وقالوا للمستضعفين منهم هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان انه طويل ، عظيم البدن ، والبطن ، أهداف ، أصهب الشعر ، ومحمد ﷺ بخلافه ، وهو يجيء بعد هذا الزمان بخمسائة سنة ، وإنما أرادوا بذلك لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم ، وتدوم لهم

أصابتهم ، ويكفوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله ﷺ فقال الله عز وجل ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ (٨٤) من هذه الصفات المحرفات المخالفات لصفة محمد ﷺ وعلي ﷺ الشدة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنم ، (وويل لهم) الشدة من العذاب ثانياً مضافة إلى الأولى مما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله ﷺ والجحد لوصية وأخيه علي بن أبي طالب ﷺ ولي الله .

ثم قال ﷺ : قال رجل للصادق ﷺ : فإذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره ، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم .

فقال ﷺ : بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة . إما من حيث . إنهم استتوا : فإن الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث إنهم افترقوا فلا ، قال : بين لي يا ابن رسول الله ؟ قال ﷺ : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح ، وبأكل الحرام والرشاء ، وبتغيير الأحكام عن

فيتوجهون به عن شيعتنا ، وينقصون بنا عند نصابنا ، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها ، فيقبله المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا ، فضلوا وأضلوا وهم أخطر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال ، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون ، ولأعدائنا معادون ، يدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب لا جرم إن من علم الله من قلبه من هؤلاء العوام أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر ، ولكنه يقبض له مؤمناً يقف به على الصواب ، ثم يوقفه الله للقبول منه ، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة ، ويجمع على من أضله لعن الدنيا وعذاب الآخرة ^(٨٩) .

وقد وضع الإمام ميزاناً يوزن به الحديث ويعرف صدقه من كذبه فقال : « وانظروا امرنا وما جاءكم عنا منه فان وجدتموه موافقاً للقران فهو من اوليائنا ، ومن لم يكن موافقاً للقران فقفوا عنده وردوه إلينا حتى نشرحه لكم كما شرح لنا ^(٩٠) .

واجبها بالشفاعات والعنايات والصانعات ، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم ، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من اجلهم ، وعرفوهم يفارقون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ، ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لم يشاهده ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى واشهر من أن لا تظهر لهم ^(٨٥) .

وقد روى الإمام الحديث عن رسول الله ^(٨٦) وعن أئمة أهل البيت ^(٨٧) وأشار إلى كثرة الكذب عنهم فقال : « إنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت ^(٨٨) » وقد عد لذلك أسبابا فقال : إن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره لجهلهم ويضعون الأشياء على غير وجوهها لقلّة معرفتهم وآخرون يعتمدون الكذب علينا ليجدوا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم .

ومنهم قوم نصاب لا يقدرّون على القدح فينا ، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة

على النوافل فقال : « وعليك بصلاة الليل فان النبي ﷺ أوصى علياً عليه السلام فقال : يا علي عليك بصلاة الليل ، ومن استخف بصلاة الليل فليس منا ، فاعمل بوصيتي ، وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه » (٩٦) .

ثم تعهد نفوس أصحابه تربية وتهذيباً فقال : « ليعن قوبكم ضعيفكم وليعطف غنيكم على فقيركم ، وليساعد ذو الجاه منكم بجاهه من لا جاه له ، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه ، واكتموا أسراركم ولا تحملوا الناس على رقابنا ، وانظروا امرنا وما جاءكم عنا منه ، فان وجدتموه موافق للقران فهو قولنا ، وما لم يكن موافقاً للقران فقفوا عنده وردوه إلينا ، حتى نشرحه لكم كما شرح لنا » (٩٧) .

ورغبهم في الخير فقال : « إنكم في أجال منقوصة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، لكل زارع ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يدرك له ، من أعطي خيراً فالله أعطاه ، ومن وقى شراً فالله وقاه » (٩٨) . ودعاهم إلى اكتساب المعروف بقوله : « إن في الجنة باباً يقال له المعروف ، لا يدخله إلا أهل المعروف » (١٠٠) .

وحدث الإمام على حصول الألفة بين أبناء

وقد ترك الإمام عليه السلام تراثاً فكرياً في مجال الفرائض والحدود والحلال والحرام فقد ذكر ابن شهر آشوب ذلك بقوله : « خرج من عند أبي محمد عليه السلام في سنة خمس وخمسين ومائتين كتاب يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام » (٩١) . واخرج عنه الحميري كتاب سماه (مكاتبات الرجال) فيه حديث علي الهادي والحسن العسكري في أحكام الدين (٩٢) .

وفضلاً عما تركه الإمام من هذه الأحكام ، فقد أکدها بجملة من الوصايا التي حَضَّت على الفرائض كقوله : « أوصيكم بتقوى الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فانه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة ، وأوصيكم بمغفرة الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، ومواساة الأخوان ، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر والعلم عند الجهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمور ، والتعاهد للقران ، وحسن الخلق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ (٩٣) واجتناب الفواحش كلها » (٩٤) .

وعدم الاستخفاف بها كقوله : « لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض » (٩٥) وأكد

عشر حسنات» (١٠٠).

ومما يشار إليه دور الإمام في تقوية الأواصر الاجتماعية بين المسلمين فآثر عنه في هذا الباب أقوال منها: «خلصتان ليس فوقهما شيء الإيمان بالله ونصح الأخوان» (١٠١).
ورغب في قضاء حوائج الأخوان ومعرفة حقوقهم فقال: «اعرف ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام أحق الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأنًا ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين» (١٠٢).

موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الحركات الفكرية:

لابد من القول إن بعض الأفراد قد يذهب ضحية على أثر ما تصاب به الأمة ممن يدعون العلم وظاهرهم أنيق، وباطنهم بذيء، وهنا كان لابد لهذه الأمة من منقذ ينقذها من تلك المشاكل، فكان وجود الإمام في هذه الفترة هو الشخص المناسب لهذه المهمة. حيث ظهرت العديد من الفرق التي أضلت المسلمين تحت عنوان الهداية أو العلم، فكان للإمام موقفاً حازماً تجاه هذه الفرق ولعل من أبرزها.

الأمة سواء أكانوا قائلين بولاية أهل البيت أم لا، وهذا ما يحصل فيه حفظ الدين وسلامة الأمة من التفرق فقال:

«أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من أئتمنكم من بر أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا تورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي، فيسرني ذلك» (٩٩).

وحاول إن يثبت الفضائل الخلقية لدى إتباعه ليكونوا رسولا ناطقاً بين الناس بفعلهم وعملهم عن أهل البيت عليهم السلام ودلهم على مواطن ذلك فقال: «اتقوا الله، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح، فانه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وتطهير من الله، لا يدعيه احد غيرنا إلا كذاب، أكثروا ذكر الله، وذكر الموت، وتلاوة القران، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فان في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله

١- الواقفة :

وهم جماعة وقفت على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، ولم تقل بإمامة الرضا عليه السلام وكان المؤسس لمذهب هذه الجماعة زياد بن مروان القندي ، وعلي بن حمزة ، وعثمان بن عيسى .
 اما عن سبب توقفهم ، فقد ذكر القمي انه :
 « مضى أبو إبراهيم وعند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند عثمان بن عيسى ثلاثون ألف دينار وخمس جوارري ومسكنه بمصر ، فبعث إليهم أبو الحسن الرضا عليه السلام : إن احملوا ما قبلكم من المال ، وما كان اجتمع لأبي عندكم ، فإنني وارثه وقائم مقامه ، وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه قبلكم » ^(١٠٣) . فأما أبو حمزة فقد أنكر ولم يعترف بما عنده ، وكذلك زياد القندي وأما عثمان بن عيسى فانه كتب إلى الإمام الرضا :
 « إن أباك صلوات الله عليه لم يمته وهو حي قائم ، ومن ذكر انه مات فهو مبطل ، واعمل على انه مضى كما تقول ، فلم يأمرني بدفع شيء إليك ، وإما الجوارري ، فقد اعتقتهن وتزوجت بهن » ^(١٠٤) .

وقد سأل احد أصحاب الإمام العسكري ممن وقف على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قائلاً : أتولاهم أم أتبرأ منهم ؟

فكتب عليه السلام : « لا تترحم على عمك لارحمه الله وتبرأ منه ، أنا إلى الله منهم بريء فلا تتولاهم ، ولا تعد مرضاهم ، ولا تشهد جنازتهم ، ولا تصل على احد منهم مات أبداً سواء من جحد إماما من الله أو زاد إماما ليست إمامته من الله أو جحد أو قال : قالت ثلاثة ، إن جاحد أمر آخرنا جاحد أمر أولنا والزائد فينا كالناقص الجاحد أمرنا » ^(١٠٥) .

٢- المفوضة :

المفوضة جماعة قالت إن الله خلق محمداً وفوض إليه خلق الدنيا فهو الخلاق لما فيها ، وقيل : فوض ذلك إلى الإمام علي ، والأئمة عليهم السلام من بعده ^(١٠٦) . وقد تصدى الإمام لفكر هؤلاء وغلوهم فأجاب بعض شيعته عن ذلك وحدد مكانه أهل البيت عليهم السلام في وضعها الصحيح فقال : ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ ^(١٠٧) .
 وان قوماً من المفوضة قد وجهوا كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد عليه السلام قال كامل : قلت في نفسي أساله : لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي ؟ وكنت جلست إلى باب عليه ستر مرخي ، فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها

الضلالة ، وصد بكم عن قصد الحق فرجع أكثركم القهقري على أعقابكم ، تنكصون كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله جل وعز ولم تعنوا شيئاً من أمره ونهيه ولعمري لئن كان الأمر في اتكال سفهائكم على أساطيركم لأنفسهم وتأليفهم روايات الزور بينهم لقد حقت كلمة العذاب عليهم ولئن رضيتم لذلك منهم ولم تنكروا بأيديكم وأستتكم وقلوبكم وذنباكم إنكم شركاء وهم في ما اجترحوه من الافتراء على الله تعالى وعلى رسوله وعلى ولاة الأمر من بعده ولئن كان الأمر كذلك لما كذب أهل التزديد في دعواهم ، ولا الخيرية في اختلافهم ولا الكيسانية في صاحبهم ولا من سواهم من المنتحلين ودنا والمنحرفين عنا ، بل انتم شر منهم قليلاً وما شيء ينعني تكونوا شامتاً لأهل الحق إلا انتظار فيئهم ، وسيفيء أكثرهم إلى الله إلا طائفة لو شئت لسميتها ونسبتها استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، ومن نسي ذكر الله تبرأ منه فسيصليه جهنم وساءت مصيراً . كتابي هذا حجة عليهم ، وحجة لغائبكم على شاهدكم إلا من بلغه فادى الأمانة وأنا أسأل الله أن يجمع قلوبكم على الهدى ويعصمكم بالتقوى ، ويوفقكم للقول بما يرضى ، وعليكم السلام ورحمة الله

فقال لي : يا كامل بن إبراهيم ، فاقشعرت من ذلك وألهمت إن قلت : لبيك يا سيدي . فقال : جئت إلى ولي الله تسأله « لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك وقال بمقالتك ؟ » . قلت : أي والله . قال : إذن والله يقل داخلها والله انه ليدخلها قوم يقال لهم الحقية قلت : ومن هم ؟ قال : قوم من حبههم لعلي بن أبي طالب عليه السلام يحلفون بحقه وما يدرون ما حقه وفضله .

ثم قال : جئت تسأل عن مقالة المفوضة ؟ كذبوا ، بل قلوبنا أوعية لمشينة الله ، فإذا شاء شئنا ، والله يقول : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ ^(١٠٨) . فقال لي أبو محمد عليه السلام : مما جلوسك وقد أنباك بحاجتك الحجة من بعدي فممت وخرجت ولم أعاينه بعد ذلك ^(١٠٩) .

٣- تصديه للغلو :

وتصدى الإمام لبعض مظاهر الغلو بأهل البيت فأرسل إلى بعض مواليه رسالة حادة حملت تهديد الإمام لهم فقال : « أما بعد : فقد بلغني ما انتم عليه من اختلاف قلوبكم ، وتمشية اهوائكم ، ونزع الشيطان ، حتى أحدث لكم الفرقة والإلحاد في الدين ، والسعي في هدم ما مضى عليه أوليائكم من إشادة دين الله ، وإثبات حق أوليائه ، وأمالكم إلى سبيل

- وبركاته...»^(١١٠) وبالإضافة إلى ذلك كان للإمام العديد من المواقف تجاه شيعته في هذا المجال^(١١١). مماثلاً به إياه المعصومين عليهم السلام.
- ٢- تمكن من نشر ثقافة أهل البيت بكل مؤثر وفعال .
- ٣- حاول الجانب العباسي احتواء الامام و شيعته بشتى الوسائل بدون جدوى .

- ٤- امتاز عصر الامام بالتلاقح الفكري مما اهله الى تأسيس مدرسة فكرية كبيرة تحمل افكار اهل البيت عليهم السلام .

الخاتمة :

- ١- اتصف الامام بالعديد من الصفات الايجابية التي اهلته الى ان يتبوأ مكانة مرموقة في المجتمع .

الهوامش :

[١] ابن شهر آشوب ، أبي جعفر محمد بن علي السروري (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، تحقيق وفهرسة : يوسف البقاعي ، ط . قم ، ١٤٢١هـ ، ٤٥٤/ - ٤٥٥ . الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، إعلام الوري بأعلام الهدى ، ط . بيروت ، ١٣٩٩هـ ص ٣٤٩ . الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ٢٤٧/١ . الأربلي ، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٢هـ) ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، تقديم : أحمد الحسيني ، ط . قم ، ١٩٩٥ ، ص ٩٠٩ . ينظر : ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط . بيروت ، ١٩٦٩ ، ٩٤/٢ . الزنجاني ، إبراهيم الموسوي (ت ١٣٥٢هـ) ، كشكول زنجاني ، ط . قم ، (بلا . ت) ، ص ٥٦ . الحسيني ، آل كمال الدين الحلبي ، محجة الاعتقاد في وصية ثمره المهجة والفؤاد ، ط . نجف ، ١٣٥١هـ ، ص ١١ . الاردبيلي ، احمد ، الحاشية على الهيات الشرح الجديد للتجريد ، تحقيق : احمد العابدي ، ط . طهران ، ١٤١٧هـ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ .

[٢] الاربلي ، كشف الغمة ، ص ٩٠٩ .

[٣] المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ط . نجف ، (بلا . ت) ، ص ٣٠٥ .

[٤] المصدر نفسه ، ص ٣٠٥ . عبد الوهاب ، حسين (من أعلام القرن الخامس الهجري) ، عيون المعجزات ، تحقيق : محمد كاظم ، ط . نجف ، ١٩٥٠ ، ص ١١٨ .

[٥] الاربلي ، كشف الغمة ، ص ٩٠٩ .

[٦] الكليني ، محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩هـ) ، اصول الكافي ، ط ، طهران ، ١٣٩٨هـ ، ٥٧٤/١ . المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ) ، الإرشاد ، تحقيق : حسين الإستدولي ، علي أكبر

- الغفاري ، ط ٥ ، النجف ، ٢٠٠١ ، ص ٢٣٣ . ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٤/٤٥٥ . النيسابوري ، روضة الواعظين ، ١/٢٥١ .
- [٧] ينظر : البغدادي ، تاريخ الأئمة ، ص ٢٧ . الخصبي ، أبي عبد الله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ) ، الهداية الكبرى ، ط . بيروت ، ١٤١١هـ ، ص ٣٢٧ .
- [٨] ينظر : الكليني ، الكافي ، ١/٥٧٤ . الاربلي ، كشف الغمة ، ص ٩٠٩ . النيسابوري ، روضة الواعظين ، ١/٢٥١ .
- [٩] الكليني ، الكافي ، ١/٥٣٤ . الخصبي ، الهداية الكبرى ، ٤/٤٥٥ . المفيد ، الإرشاد ، ص ٢٣٣ . ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٤/٤٥٥ . ويبدو أن اغلب المصادر تؤيد ذلك باستثناء البعض منها ما يذكر إن ولادته عليه السلام في سر من رأى . ينظر : المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١هـ) ، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، تحقيق ، دار إحياء التراث ، طهران ، ١٣٩٥هـ ، ٥/٣٨ .
- [١٠] المجلسي ، البحار ، ٥/٢٣٨ .
- [١١] المفيد ، الإرشاد ، ص ٢٣٣ .
- [١٢] ابن خلكان ، وفيات ، ٢/٩٤ .
- [١٣] المجلسي ، البحار ، ٥/٢٣٨ .
- [١٤] الكليني ، أصول الكافي ، ١/٥٧٤ .
- [١٥] الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ١/٢٥١ .
- [١٦] المسعودي ، إثبات الوصية ، ص ٣٠٥ . القندوزي الحنفي ، سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤هـ) ، ينابيع المودة ، ط ١ ، طهران ، ١٤١٦هـ ، ٣/١٧١ .
- [١٧] المفيد ، الإرشاد ، ص ٢٣٣ . الطبرسي ، أعلام الوري ، ص ٢٤٩ .
- [١٨] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، دلائل الإمامة ، (بلا . ط) ، (بلا . ت) ، ص ٢٢٣ . الخصبي ، الهداية الكبرى ، ص ٣٢٧ .
- [١٩] ينظر : القرشي ، باقر شريف ، هذه هي الشيعة دراسة موضوعية ، ط . طهران ، ١٩٩٧ ، ص ٢٤٤ . عبد الحميد ، صائب ، منهج في الانتماء المذهبي ، ط ٦ ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٢-٥٣ .
- [٢٠] الطوسي ، أبي جعفر بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، الغيبة ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، بهراد الجعفري ، ط ١ ، طهران ، ١٣٨١هـ . ، ص ١٢٢ .
- [٢١] المفيد ، الإرشاد ، ص ٣٣٦ .
- [٢٢] الطوسي ، الغيبة ، ص ١٢٠ .
- [٢٣] الطوسي ، الغيبة ، ص ١٢٠-١٢١ . الصدر ، علي الحسيني ، العقائد الحقة دراسة علمية جامعة لأصول الدين الإسلامي على ضوء الكتاب والسنة والعقل ، ط ٢ ، قم ، ١٤٢٢هـ ، ص ٣٠٨ . من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ومن الثقات . طوسي ، أبي جعفر بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، رجال الطوسي ، تحقيق وتعليق وتقديم : محمد صادق آل بحر العلوم ، ط ١ ، طهران ، ١٣٨١هـ ، ص ٤١٦ .
- [٢٤] الكليني ، الكافي ، ١/٢٦٣-٢٦٤ .

- [٢٥] المفيد، الإرشاد، ص ٣٣٧.
- [٢٦] الموسوي، علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)، الشافي في الإمامة، تحقيق وتعليق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مراجعة: فاضل الميلاني، ط. قم، ١٤١٠هـ، ٣/ ١٤٥.
- [٢٧] الأربلي، ٣/ ٢٠١.
- [٢٨] قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، ط ١، قم، ١٤٠٩هـ، ١/ ٤٥١.
- [٢٩] المصدر نفسه، ١/ ٤٥١.
- [٣٠] الأربلي، كشف الغمة، ٣/ ٢٠١.
- [٣١] الراوندي، الخرائج، ١/ ٤٥١.
- [٣٢] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، ط. القاهرة، ١٨٧٩، ٧/ ٥٤٣.
- [٣٣] ينظر: المفيد، الإرشاد، ص ٢٣٩.
- [٣٤] ينظر: الكليني، الكافي، ١/ ٥٠١.
- [٣٥] ينظر: الطوسي، الغيبة، ص ١٣٤.
- [٣٦] المصدر نفسه، ص ١٣٤.
- [٣٧] ينظر: ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط ٢، بيروت، ١٩٧٦، ٥/ ٣٥٦.
- [٣٨] المفيد، ص ٢٣٨.
- [٣٩] المجلسي، بحار الأنوار، ٥٠/ ٣٠٩.
- [٤٠] الصدر، محمد، تاريخ الغيبة الصغرى، ط. بيروت، ١٤١٢هـ، ص ١٧٧.
- [٤١] الصدر، تاريخ الغيبة، ص ١٧٧-١٧٨.
- [٤٢] الطوسي، أعلام الوري، ص ٣٥٤.
- [٤٣] ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريبي، ط ١، نجف، ١٤٢٢هـ، ص ١٠٨٥-١٠٨٦.
- [٤٤] المصدر نفسه، ص ١٠٨٦.
- [٤٥] ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة، ص ١٠٨٦.
- [٤٦] اختلفت الروايات في تحديد يوم وشهر وفاة الإمام عليه السلام، فقد ذكر الكليني (الكافي، ١/ ٥٦٨هـ) أنه مضى لأربع بقين من جمادى الآخر. وأيده في ذلك المسعودي (مروج الذهب، ٤/ ١٩٣هـ)، ولكن المشهور انه استشهد عليه السلام يوم الاثنين في الثالث من رجب. ينظر: المفيد، الإرشاد، ص ٢٣٢. الأربلي، كشف الغمة، ص ٨٩٣. الطبرسي، أعلام الوري، ص ٣٥٥. القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ١/ ٤١٢.
- [٤٧] المجلسي، بحار الأنوار، ٥٠/ ٢٠٨.
- [٤٨] الأربلي، كشف الغمة، ٣/ ٢١٤.

- [٤٩] ينظر: ابن الاثير، الكامل، ٤ / ٤٣٠ - ٤٤٥ .
- [٥٠] ينظر: المصدر نفسه، ٤ / ٤٣٠ - ٤٤٥ .
- [٥١] المصدر نفسه، ٤ / ٤٣٠ - ٤٤٥ .
- [٥٢] الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، ط ١، عترة، ١٤٢٥ هـ، ص ٤٠٧ .
- [٥٣] المصدر نفسه، ص ٤٠٧ .
- [٥٤] المصدر نفسه، ص ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .
- [٥٥] المصدر نفسه، ص ٤٠٨ .
- [٥٦] ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٥٠ .
- [٥٧] المصدر نفسه، ص ٢٥٠ .
- [٥٨] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، بغداد، ١٩٥٢ .، ص ٣٦٣ .
- [٥٩] ينظر: ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٥١ .
- [٦٠] الديلمي، الحسن بن أبي الحسن (ت ٧١١ هـ)، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ١، قم، ١٤١٤هـ، ص ٣١٣ . وينظر: عمران، أحمد، قراءة في كتاب التشيع وكتابات أخرى للسيد الغريقي، ط . بيروت، (بلا. ت)، ص ١٨٦ .
- [٦١] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط . نجف، (بلا. ت)، ص ٢٣٩ .
- [٦٢] المجلسي، بحار الأنوار، ٥ / ٢٩٦ .
- [٦٣] المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٤٦ .
- [٦٤] ابن شهر آشوب، المناقب، ٤ / ٤٢٧ .
- [٦٥] ينظر: المجلسي، البحار، ٥٠ / ٣١٣ .
- [٦٦] ابن شهر آشوب، المناقب، ٤ / ٤٢٧ .
- [٦٧] الأربلي، كشف الغمة، ٢ / ٢١٢ .
- [٦٨] ابن شهر آشوب، المناقب، ٤ / ٤٢٥ .
- [٦٩] المجلسي، البحار، ٥٠ / ٢٦٢ .
- [٧٠] المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٤٦ .
- [٧١] الحراني، تحف العقول، ص ٣٦١ .
- [٧٢] سورة الأنعام، آية (٤٥) .
- [٧٣] الديلمي، أعلام الدين، ص ٣١٥ .
- [٧٤] سورة النمل، آية (٥٢) .
- [٧٥] الديلمي، أعلام الدين، ص ٣١٤ .

- [٧٦] سورة البقرة، آية (٧) .
- [٧٧] الطبرسي، الاحتجاج، ٢ / ٥٠٥ - ٥٠٦ .
- [٧٨] سورة البقرة، آية (٢٢) .
- [٧٩] الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١ / ١٣٧ .
- [٨٠] سورة البقرة، آية (٢٢) .
- [٨١] سورة البقرة، آية (٢٢) .
- [٨٢] سورة البقرة، آية (٢٢) .
- [٨٣] الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، ١ ط، قم، ١٣٧٨هـ، ١ / ١٣٧ .
- [٨٤] سورة البقرة، آية (٧٨) .
- [٨٥] سورة البقرة، آية (٧٩) .
- [٨٦] سورة البقرة، آية (٧٩) .
- [٨٧] الطبرسي، أبي منصور احمد بن عل بن أبي طالب (من أعلام القرن السادس الهجري)، الاحتجاج، تحقيق: إبراهيم البهادري، محمد هادي به، إشراف: جعفر السبحاني، ط ٥، طهران، ١٤٢٤هـ، ٢ / ٥١١ .
- [٨٨] الطبرسي، الاحتجاج، ٢ / ٥١٢ . الديلمى، أعلام الدين، ص ٣١٤ . وينظر: الغريقي، عبد الله، التشيع نشوءه مراحلهم مقدماته، ط ٤، بغداد، ١٤١٥هـ، ص ١٠٠ .
- [٨٩] الطبرسي، الاحتجاج، ٢ / ٥١٢ .
- [٩٠] المصدر نفسه، ٢ / ٥١٢ .
- [٩١] المصدر نفسه، ٢ / ٥١٢ .
- [٩٢] الديلمى، أعلام الدين، ص ٣١٤ .
- [٩٣] المناقب، ٤ / ٤٢٢ .
- [٩٤] الحراني، تحف العقول، ص ٣٦٢ .
- [٩٥] سورة النساء، آية (١١٤) .
- [٩٦] القمي، عباس (ت ١٣٥٩هـ)، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، ط . قم، ١٤٢١هـ، ص ٢٦٤ .
- [٩٧] الحراني، تحف العقول، ص ٣٦٢ .
- [٩٨] القمي، الأنوار البهية، ص ٢٦٤ .
- [٩٩] الديلمى، أعلام الدين، ص ٣١٤ .
- [١٠٠] الحراني، تحف العقول، ص ٣٦٢ .
- [١٠١] المجلسي، البحار، ٥٠ / ٢٥٨ .
- [١٠٢] الحراني، تحف العقول، ص ٣٦٧ .
- [١٠٣] المصدر نفسه، ص ٣٦٧ .
- [١٠٤] المصدر نفسه، ص ٣٦٢ .

- [١٠٥] الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢ / ٥١٨ . وينظر : المجلسي ، البحار ، ٧٢ / ١١٧ .
- [١٠٦] الكشي ، ابو عمر محمد بن عمر (ت ٣٤٠هـ) ، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ، تحقيق : حسن مصطفى ، ط . اصفهان ، (بلا . ت) ، ص ٤٦٧ .
- [١٠٧] الطوسي ، الغيبة ، ص ٦٤ .
- [١٠٨] الراوندي ، الخرائج ، ١ / ٤٥٢ . الأربلي ، كشف الغمة ، ٣ / ٣١٩ .
- [١٠٩] شاكر ، محمود جواد ، معجم الفرق الإسلامية ، تقديم : كاظم مدير شانہ جي ، تعريب : علي هاشم ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص ٢٣٥ .
- [١١٠] سورة الأنبياء ، آية (٢٦ - ٢٧) .
- [١١١] سورة الإنسان ، آية (٣٠) .
- [١١٢] الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٤٧ ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٤ / ٤٦١ .
- [١١٣] الشامي ، جمال الدين يوسف بن حاتم (من أعلام القرن السابع الهجري) ، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم ، ط ١ ، قم ، ١٤٢٠هـ ، ص ٧٤٨ .

من أعلام الشيعة

هيئة التحرير

السيد محسن الحكيم رحمته الله

اسمه وكنيته ونسبه

السيد أبو يوسف ، محسن ابن السيد مهدي ابن السيد صالح الطباطبائي الحكيم .

أبوه

السيد مهدي ، قال عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمته الله في طبقات أعلام الشيعة : علامة فقيه أصولي ، ماهر كامل... كان مجتهداً ورعاً تقياً ربانياً مهذباً بارعاً في العلوم .

ولادته

ولد في الأول من شوال ١٣٠٦هـ بالنجف الأشرف .

دراسته وتدرسه

بدأ بدراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه ، واستمر في دراسته حتى نال درجة الاجتهاد ، وصار من العلماء الأعلام في النجف ، كما قام بتدريس العلوم الدينية فيها .

من أساتذته

هادي معرفة ، الشيخ قربان علي الكابلي ،
الشيخ حسن البهبهاني ، السيّد عبد الرزاق
المقرّم ، الشهيد السيّد مصطفى الخميني ،
الشهيد السيّد محمّد تقي الجلالي ، الشهيد
السيّد محمّد تقي المرعشي ، الشهيد السيّد
علاء الدين بحر العلوم ، الشيخ محمّد باقر
المحمودي ، الشيخ محي الدين المامقاني .

الشيخ محمّد كاظم الخراساني المعروف
بالآخوند الخراساني ، السيّد محمّد كاظم
اليزدي ، الشيخ محمّد حسين النائيني المعروف
بالميرزا النائيني ، السيّد أبو تراب الخونساري ،
الشيخ ضياء الدين العراقي ، السيّد محمّد سعيد
الجبّوبي ، الشيخ علي الشيخ باقر الجواهري .

من أقوال العلماء فيه

١- قال الشيخ محمّد هادي الأميني رحمته الله في
معجم رجال الفكر والأدب في النجف : فقيه
العصر ، وسيّد الطائفة ، وزعيم الأمة ، كبير
مراجع التقليد والفتيا ، ومجدّد الفقه الجعفري
في القرن الرابع عشر الهجري ، كانت له
الزعامة الدينية العامّة والمرجعية الروحية
المطلقة ، والرئاسة العلمية ، قام بمشاريع ومآثر
خالدة ، وتصدّى للتدريس والتأليف والإمامة ،
وجاهد في الله حقّ جهاده ، ولم تأخذه في الله
لومة لائم ، ازدهرت الحوزة النجفية ، ونشطت
الحركة الفكرية على عهده .

٢- قال الشيخ محمّد حسين حرز الدين رحمته الله
المعلّق على معارف الرجال : رئيس الطائفة
وفقيها ، زعيم العالم الإسلامي... المجاهد
الأكبر ، محطّم المبادئ الإلحادية وقاهرها ،

من تلامذته

نجلاه السيّد يوسف والسيّد عبد الصاحب ،
سبطه السيّد محمّد سعيد الحكيم ، السيّد
محمّد تقي الحكيم ، الشهيد السيّد محمّد باقر
الصدر ، السيّد علي السيستاني ، الشيخ حسين
وحيد الخراساني ، الشهيد السيّد محمّد رضا
الخلخالي ، السيّد محمّد مهدي الخلخالي ،
الشهيد السيّد محمّد علي القاضي ، الشيخ
محمّد تقي الجعفري ، السيّد عبد الكريم
الموسوي الأردبيلي ، الشيخ أبو الفضل النجفي
الخونساري ، الشهيد الشيخ مرتضى
البروجردي ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ،
الشهيد الشيخ أحمد الأنصاري ، الشهيد الشيخ
محمّد تقي الجواهري ، الشيخ حسين الراستي
الكاشاني ، الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ،
الشهيد السيّد أسد الله المدني ، الشيخ محمّد

قال الشهيد السيّد محمد علي القاضي : لم يُحدّث الفقيد الحكيم نفسه بالرئاسة يوماً من الأيام ، لكنّي وجدت الزعامة والرئاسة هي التي وجدته لائقاً وجديراً بها ، وقد نقل لي أحد مقربيّه بأنّه لم ير السيّد يوماً يضحك بصوت عال ، وفي أشدّ الأحوال التي تدعو إلى الضحك وجدته مبتسماً لا أكثر ، بالإضافة إلى ذلك كان رجلاً فريداً من نوعه بالشجاعة في تلك الأيام ، لا يهاب الرؤساء والسلطين ، ولا يتردد في إصدار الفتاوى .

من نشاطاته

١- تأسيس المكتبات العامّة في أنحاء العراق كافة ؛ لنشر الثقافة الإسلامية ، وتوعية الشباب المسلم ، وحمايته من الانحراف والانجراف وراء الأفكار الهدّامة ، التي كانت ناشطة ومنتشرة آنذاك ، وقد بلغ عدد تلك المكتبات أكثر من سبعين مكتبة ، وكان أكبرها مكتبة الإمام الحكيم العامّة في النجف الأشرف ، التي كانت تحتوي على (٣٠٠٠٠) كتاب مطبوع ، وحوالي (٥٠٠٠) نسخة خطيّة .

٢- بناء المساجد والتكايا والحسينيات في العراق ولبنان وسورية وباكستان وأفغانستان والمدينة المنورة ، وجعلها مراكز دينية لإجراء

منقذ المسلمين من حبائل القوى الكافرة ، ومؤسس القوى الخيرة المؤمنة المجاهدة ، المرجع الأول للتقليد والفتيا للأمة الإسلامية .

من صفاته وأخلاقه

١- كان سمحاً عطوفاً يعامل الآخرين بلطف ، ولهذا أصبح محبوباً ومُهاباً من قبل الجميع .

٢- كان شديد التواضع ، ولا عجب أن يجد التواضع إلى تلك الروح الواسعة سبيلاً .

٣- عدم اعتماده في تأمين أمورهِ المعاشية على ما يحصل عليه من الأموال الشرعية ، بل كان يعتمد على الهدايا الخاصّة التي كان يرسلها إليه مقلّده ، إذ كانوا يعلمون أنّه لا يصرف على احتياجاته الشخصية من الأموال الشرعية .

٤- كان له برنامج دقيق جدّاً لحياته اليومية ، فهو لا يُفترط بالوقت ، ومن عاش معه من الطلبة في النجف الأشرف يعرف جيّداً متى يذهب لمواجهته وفي أيّ ساعة .

٥- كان له اهتمام كبير بإحياء مناسبات أهل البيت (عليهم السلام) ، وبالخصوص إحياء مجالس عزاء الإمام الحسين (عليه السلام) ، إضافة إلى قيامه بالعبادات المستحبّة كالنوافل اليومية والتهجّد بالليل وغير ذلك .

من مواقفه السياسية

كان ﷺ منذ أيام شبابه رافضاً للظالمين وأعداء الدين ، وقد شارك بنفسه في التصدي للاحتلال البريطاني الغاشم للعراق ، حيث كان مسؤولاً عن المجموعة المجاهدة في منطقة الشعيبة في جنوب العراق ، وكان يعلم بالنوايا الخبيثة للاستعمار عندما أخذ يتبع سياسة « فَرَق تَسُد » في العراق .

وعندما أخذ الحكّام المرتبطون بالأجنبي بترويج أفكار القومية العربية في العراق قام السيّد بالتصدي لتلك الأفكار ، وقاوم كلّ أشكال التعصّب ، والتمييز الطائفي والعِرقي في العراق ، وخير شاهدٍ على ذلك إصداره الفتوى المعروفة ، حرمة مقاتلة الأكراد في شمال العراق لأنّهم مسلمون ، تجمعهم مع العرب روابط الأخوة والدين .

وعندما روج الشيوعيون في العراق لأفكارهم الإلحادية ، أصدر فتواه المشهورة : « الشيوعية كفرٌ وإلحاد » ، ممّا اضطرّ رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم إلى إبعادهم عن الساحة السياسية .

ومن مواقفه السياسية الأخرى دعمه لحركات التحرّر في العالم الإسلامي ، وعلى رأسها حركة تحرير فلسطين ، وأصدر بهذا

العبادات وإقامة الاحتفالات ، ونشر الأفكار الإسلامية ، وتوضيح المسائل والأحكام الشرعية ، وتوضيح ونشر أفكار أهل البيت ﷺ .

٣- تأسيس المراكز الثقافية الإسلامية في نقاط مختلفة من العراق .

٤- طباعة الكتب الإسلامية وإرسالها إلى مناطق مختلفة من العالم .

٥- إدخال مواد دراسية جديدة في الحوزة العلمية ، مثل : التفسير والاقتصاد والفلسفة والعقائد ، كما شجّع طلاب العلوم الدينية على التأليف ، وأشرف على المجالات الإسلامية التي كانت تصدر آنذاك مثل : الأضواء ، رسالة الإسلام ، النجف .

٦- تأسيس المدارس العلمية لطلبة العلوم الدينية ، ومنها :

أ- مدرسة شريف العلماء في كربلاء المقدّسة .

ب - مدرسة دار الحكمة في النجف الأشرف .

ج - المدرسة العلمية في النجف الأشرف .

د - مدرسة الأفغانيين والتبتيين .

هـ - المدرسة العلمية في الحلة .

رجال الفكر والأدب في النجف : من أعلام العلم والفضيلة ، عالم كامل عارف متواضع ، طيب القلب نقي الضمير ، متكلم خطيب مجاهد عبقرى .

٣- الشهيد السيد محمد باقر ، قال عنه الشيخ محمد هادي الأميني رحمته الله في معجم رجال الفكر والأدب في النجف : عالم جليل ، ومن أعلام رجال الجهاد والإصلاح ، ومن العلماء الصابرين المناضلين ... فاضل اختص بالفلسفة وعلوم القرآن .

٤- الشهيد السيد عبد الصاحب ، قال عنه الشيخ محمد هادي الأميني رحمته الله في معجم رجال الفكر والأدب في النجف : عالم جليل ، من أعلام الفضل والدين والأخلاق والمعرفة .

من مؤلفاته

مستمسك العروة الوثقى (١٤ مجلداً) ، حقائق الأصول (مجلدان) ، منهاج الصالحين (رسالته العملية) (مجلدان) ، منهاج الناسكين ، تحرير المنهاج ، شرح التبصرة ، دليل الناسك ، نهج الفقاهة ، شرح تشریح الأفلاك ، شرح كتاب المراح في علم الصرف ، حواش على تقارير السيد الخونساري ، حواش على نجات العباد ، حاشية على كتاب الدرر

الخصوص العديد من البيانات التي تشجب العدوان الصهيوني ، وتؤكد على ضرورة الوحدة الإسلامية لتحقيق الهدف الأسمى ، وهو تحرير القدس من أيدي الصهاينة المعتدين .

إخوته

١- السيد محمود ، قال عنه الشيخ محمد هادي الأميني رحمته الله في معجم رجال الفكر والأدب في النجف : « مجتهد جليل عالم فاضل ، من أساتذة الفقه والأصول ... وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والزهد والتواضع ، والأدب الواسع ، والخلق الرفيع » .

٢- السيد هاشم ، قال عنه الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمته الله في طبقات أعلام الشيعة : عالم فاضل .

من أولاده

١- السيد يوسف ، قال عنه قال الإمام الخميني رحمته الله في خطابه لأعضاء المجلس الأعلى : آية الله السيد يوسف الحكيم الذي أعرفه كمثل للرجل الصالح المستقيم الذي حينما يراه الإنسان يتذكر الآخرة .

٢- الشهيد السيد محمد مهدي ، قال عنه الشيخ محمد هادي الأميني رحمته الله في معجم

وفاته

تُوفِّي ٥٠٠ هـ في السابع والعشرين من ربيع الأول ١٣٩٠ هـ بإحدى مستشفيات العاصمة بغداد ، واستغرق تشييعه من العاصمة بغداد إلى النجف الأشرف مدّة يومين بموكبٍ مهيب ، وصلى على جثمانه نجله الفقيه السيّد يوسف ، ودُفن بمكتبته العامّة الملاصقة لمسجد الهندي في النجف الأشرف .

الثمين ، حاشية على الرسالة الصلواتية ، تعليقة على العروة الوثقى ، تعليقة على كتاب رياض المسائل ، مختصر منهاج الصالحين ، رسالة في بعض المسائل المتفرقة في الصلاة ، رسالة في سجدة السهو ، رسالة مختصرة في علم الدراية .

مصادر الترجمة :

أنظر : دليل الناسك : ١١ ، أعيان الشيعة ٥٦ / ٩ رقم ١٢٤ ، فهرس التراث ٥٠٦ / ٢ ، معجم رجال الفكر والأدب ١ / حرف الحاء ، معارف الرجال ٣ / ١٢١ .